

فن الحرب في العصر الأيوبي

دراسة تأريخية - تحليلية

د. جيهان طاهر حجي الدوسكي

فن الحرب في العصر الأيوبي
دراسة تأريخية - تحليلية
د. جيهان طاهر حجي الدوسكي

فن الحرب

يُعد فن الحرب واحداً من اكثر الموضوعات التأريخية تعقيداً وتشابكاً، بفعل التفرعات الإدارية والسياسية والحربية التي تتداخل مع بعضها البعض في تكوين المؤسسة العسكرية، ومن ثم توظيف الجهود البشرية والمعنوية من أجل الخروج بنتائج إيجابية في المواجهات العسكرية التي تشترك فيها الأطراف المتحاربة.

ولما كانت الدولة الأيوبية، قد تأسست في مرحلة حرجة من مراحل تأريخ المشرق الإسلامي، وهي مرحلة الجهاد ضد الصليبيين والصراع معهم، فإن السلاطين الأيوبيين، منذ التأسيس وإلى نهاية العصر الأيوبي، دأبوا على استثمار كل المحددات الحربية في عهودهم وتوظيفها على اكمل وجه، بغية استعادة ما احتله الصليبيون من بلاد الشام أو صدهم عن احتلال مصر، أو توسيع ممتلكاتهم في مراحل متنوعة من الصراع الأسري-الإقليمي الأيوبي، في اليمن والجزيرة الفراتية وغيرها من المناطق. فإنهم أي السلاطين وكبار القادة، لم يألواْ جهداً في توظيف كل امكانياتهم وخبراتهم التي تدخل ضمن منظومة (فن الحرب)، وتنفيذها على اكمل وجه للوصول إلى الغايات التي رسمته القيادة السياسية والحربية.

د. جيهان طاهر حجي الدوسكي



فن الحرب في العصر الأيوبي

(٥٧٠ – ٦٥٢ هـ/ ١١٧٤ – ١٢٥٤م)

دراسة تاريخية – تحليلية

د. جيهان طاهر حجي الدوسكي

٢٠٢٦

عنوان الكتاب : فن الحرب في العصر الأيوبي (٥٧٠_٦٥٢ هـ / ١١٧٤ - /١٢٥٤ م)

دراســة تأريخيـة – تحليليـة

اسم المؤلف : د. جيهان طاهر حجي الدوسكي

رقم الايداع في مديرية المكتبات العامة في محافظة دهوك (D_/3101/26)

طبع : مكتبة كازي

تصميم الغلاف : جكرخوين جميل امين

الاولى الطبعة : ٢٠٢٦

الكتاب في الاصل أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإنسانية في جامعة دهوك

وهي جزء من متطلبات نيل الحصول على درجة الدكتوراه فلسفة في التأريخ الإسلامي

بإشـراف

أ.د. كرفان محمد احمد محمد

سنة ٢٠٢٢م

الآية القرآنية

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

سورة طه، الآية: ١١٤



إلى كل من

حارب ودافع معي

على الرغم من الظروف الصعبة التي مررت بها

شـكر وعرفـان

انطلاقاً من واجب الوفاء ورد الجميل فإنني انتهز هذه الفرصة لأتقدم بو افر الشكر والتقدير وعظيم الامتنان والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور/ كرفان محمد أحمد الذي شرفني بقبوله الإشراف على هذه الرسالة، وشاركني الجهد وشجعني على مواصلة دربي وعلى كل ما قدمه من علم ومعرفة، ومعاملة ممتازة وعلى صبره على أسئلتي العديدة واستفسار اتي الكثيرة ولم يبخل عليّ بوقته وجهده وتوجيهاته وتزويده لي بالكتب من مكتبته، فجزاه الله خير الجزاء وجعله الله في ميزان حسناته.

كما أتقدم بالشكر الجزيل وجميل العرفان وحُسن التقدير، لكل من ساندني، ومد لي يد العون قبل و أثناء إعداد هذه الرسالة، من اساتذتي في السنة التحضيرية، ورئاسة القسم العلمي، وموظفي المكتبات الجامعية في العراق، واوجه خالص شكري إلى الأساتذة الكرام في مصروفلسطين والأردن وسوريا وتونس، الذين أرسلوا لي إلكترونياً الكثير من المصادر والمراجع والرسائل الجامعية التي استفدت منها في كتابة الاطروحة، فهولاء استحقوا مني كل العرفان والتقدير.

كلمات الشكر والثناء لاتوفيكم حقكم عائلتي الكريمة لاعطائكم الصبر والتشجيع والدعم المتواصل لي،ومن الله التوفيق...

د. جيـهـان طـاهـر حـجـي الدوسـكـي

قائمة المختصرات

ت	توفي
ج	جزء
ص	الصفحة
ص ص	الصفحات
مج	المجلد
ط	الطبعة
م	السنة الميلادية
هـ	السنة الهجرية
ع	العدد
ق	القسم
ل	لاپەر (الصفحة)
ط	طبعة
د/م	دون مكان الطبع
د/ت	دون تأريخ الطبع
P	Page
Vol	Volume

فهرست المحتويات



الموضـــــوع	الصفحة
الآية القرآنية	أ
الاهداء	د
شكر وعرفان	هـ
قائمة المختصرات	و
قائمة المحتويات	ز- ك
تقديم	
المقدمة	١-١٦
اولاً: أسباب اختيار عنوان الدراسة	٢-٣
ثانياً: أهمية الدراسة	٣-٤
ثالثا: أسئلة الدراسة	٤-٥
رابعاً: النهج المتبع في الدراسة	٥
خامساً: الإطار العام للدراسة	٥
سادساً: الدراسات السابقة	٦-٧
سابعاً: خطة الدراسة	٨-١٢
ثامناً: معوقات الدراسة	١٢
تاسعاً: تحليل عام لمصادر الدراسة ومراجعها	١٢-١٦
تمهيد: ماهية فن الحرب ومبادئه	**١٨-٢٩**
اولاً: فن الحرب بين المفهومين اللغوي والاصطلاحي	٢٠-٢٣
أ- الحرب لغة	٢٠-٢٢
ب- الحرب اصطلاحاً	٢٢-٢٣
ثانياً: مبادئ فن الحرب وأصوله العامة	٢٣-٢٩
الفصل الاول: عناصر المجتمع الحربي الأيوبي القتالية	**٣٠-٨٠**
مدخل	٣٠
المبحث الاول: السلاطين الأيوبيون	٣١-٤٣
المبحث الثاني: الملوك الأيوبيون	٤٤-٥٠
المبحث الثالث: القادة والأمراء والعناصر القتالية	٥١-٧٠

الموضـــــــوع	الصفحة
المبحث الرابع: الفرق الأيوبية الخاصة والمرتزقة	٧١-٨٠
الفصل الثاني: الأسلحة وأدوات الحرب الأيوبية	**٨١-١٣٠**
توطئة	٨١-٨١
المبحث الاول: الأسلحة وأدوات الحرب الخفيفة	٨٢-١١٠
اولاً: أسلحة الهجوم	٨٢-٩٨
١-القوس والنشاب	٨٢-٨٧
٢-قوس الزيار	٨٨
٣-قوس الحسبان	٨٩
٤-قسي الجروخ	٨٩-٩١
٥-قوس العقار	٩١-٩٢
٦-أقواس الأبراج (القوس المتعددة الاتجاه)	٩٢
٧-قوس الزنبورك	٩٢-٩٣
٨-قوس قاذفة النفط	٩٤
٩-الرمح	٩٤-٩٨
ثانياً: أسلحة الالتحام في المعركة	٩٨-١٠٥
١- السيف	٩٨-١٠١
٢- الخنجر	١٠١-١٠٢
٣- الفأس أو الطبر أو البلطة	١٠٣
٤- الخطاف أو اللت	١٠٣
٥- الدبوس	١٠٣-١٠٤
٦- العمود	١٠٤-١٠٥
٧- النبوت	١٠٥
ثالثاً: الملابس ومعدات الحماية الشخصية للجند	١٠٥-١١٠
١- ملابس الجند	١٠٥
اولاً: واقيات الرأس	١٠٥-١٠٦
١-المغفر	١٠٥
٢-البيضة	١٠٦
ثانياً: واقيات البدن	١٠٦
١-الدرع	١٠٦-١٠٨

الموضـــــــوع	الصفحة
٢-الترس	١٠٨-١١٠
المبحث الثاني: أسلحة القتال الثقيلة	١١١-١٣٠
اولاً: المنجنيق وأنواعه وكيفية استخدامه	١١١-١١٦
١-منجنيق الأحجار	١١٤
٢-منجنيق السهام	١١٤
٣-منجنيق النفط والكرات النارية	١١٤-١١٥
٤-منجنيق القنابل	١١٥
٥-منجنيق الأفاعي والعقارب	١١٥
٦-مجانيق القاذورات	١١٥-١١٦
ثانياً: العرادة والدبابة وملحقاتها	١١٦-١٢٤
أ- الكبش	١١٨-١٢٠
ب- سلالم الحصار	١٢٠-١٢١
ج- السفود	١٢١-١٢٢
د- الضبر	١٢٢-١٢٤
ثالثاً: الأسلحة النارية	١٢٤-١٣٠
الفصل الثالث: القوات البحرية في العصر الأيوبي	١٣١-١٦٧
توطئة	١٣١-١٣٢
المبحث الأول: هرمية المناصب والوظائف البحرية في العصر الأيوبي	١٣٣-١٤٠
١- مقدم الأسطول	١٣٧-١٣٨
٢- القائد أو الرئيس	١٣٨-١٣٩
٣- الملاحون أو النواتية	١٣٩
٤- العرفاء	١٣٩
٥- الوظائف الأخرى.	١٣٩-١٤٠
المبحث الثاني: التركيب البشري للبحرية الأيوبية	١٤١-١٥٣
المبحث الثالث: السفن والتجهيزات الحربية البحرية	١٥٤-١٦٨
اولاً: أنواع السفن والمراكب البحرية	١٥٥-١٦٣
١- الشيني	١٥٥-١٥٦
٢- الطريدة	١٥٦-١٥٦

الموضـــــوع	الصفحة
٣- البطسة أو البطشة	١٥٨-١٥٦
٤- المسطح	١٥٨-١٥٨
٥- الحراقة	١٦٠-١٥٩
٦- الشلندي	١٦٠-١٦٠
٧- القرقورة	١٦١-١٦٠
٨- العشاري أو العشيري	١٦٢-١٦١
٩- البركوس أو البركوش	١٦٣-١٦٢
ثانياً: أدوات وتجهيزات السفن البحرية	١٦٨-١٦٣
أ- الباسليقات	١٦٤
ب- الكلاليب	١٦٤
ج- التوابيت	١٦٥
د- اللجام	١٦٥
ه- النفط البحري	١٦٧-١٦٦
الفصل الرابع: الاعداد العام للحرب في العصر الأيوبي	٢١٣-١٦٩
توطئة	١٦٩-١٦٩
المبحث الاول: الاعداد التعبوي للقتال	١٧٩-١٧٠
المبحث الثاني: انتخاب الظروف المناسبة للمعركة	١٨٧-١٨٠
المبحث الثالث: الاعداد المعنوي للقتال	٢٠٣-١٨٨
المبحث الرابع: التعبئة المادية والاقتصادية	٢١٢-٢٠٤
الفصل الخامس: أساليب القتال في العصر الأيوبي	٢٩٣-٢١٣
المبحث الاول: أساليب الحصار والتحصينات الدفاعية	٢٤٤-٢١٣
اولا -أساليب الحصار الأيوبية	٢٢٩-٢١٣
ثانيا -التحصينات والمنشأت الدفاعية	٢٤٤-٢٢٩
المبحث الثاني: أسلوب الهدم (التخريب) والأرض المحروقة	٢٤٨-٢٤٥
المبحث الثالث: أسلوب الكمائن والخداع والحرب النفسية	٢٦٧-٢٤٩
أ- الكمين	٢٥٧-٢٤٩
ب- الخداع والحيل الحربية	٢٥٨-٢٥٧

الموضـــــوع	الصفحة
١- أسلوب المفاجئة والمباغتة	٢٥٨-٢٦٠
٢- التضليل والايقاع بين الخصوم	٢٦١-٢٦٣
ج- الحرب النفسية	٢٦٣-٢٦٧
المبحث الرابع: أسلوب الرصد والمتابعة وإيصال المعلومات	٢٦٨-٢٩٣
أ- العيون والجواسيس	٢٦٨-٢٧٥
ب- العربان واللصوص والنساء والعوامين	٢٧٥-٢٨٠
ج- اليزك (الطلائع أو الكشافة)	٢٨٠-٢٨٥
د- البريد والمخابرات	٢٨٥-٢٩٣
١-البريد الهوائي	٢٨٧-٢٩١
٢-البريد البري	٢٩١-٢٩٣
٣-البريد المائي	٢٩٣
الخاتمة	**٢٩٤-٢٩٧**
قائمة المصادر والمراجع	٢٩٨-٣٤١
الملاحق	٣٤٣-٣٦٧
ملخص الدراسة باللغة الكوردية (**كورتيا ڤەكولينێ**)	٣٦٨-٣٨٠
ملخص الدراسة باللغة الإنكليزية (Abstract)	٣٧١-٣٧٢

تقديـــــــــــم:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، الذي جعل العلم نوراً يبقى وأثراً لا يندثر ولايفنى، والصلاة والسلام على من أُوتي جوامع الكلم نبينا المصطفى الذي بُعِثَ رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يعد العصر الأيوبي واحداً من أدق وأخطر المنعطفات التاريخية التي مر به الشرق الإسلامي،كما انه جزأ لايتجزأ من تاريخ الكرد في العصر الوسيط ؛ فهو عصر لم يكن فيه فن الحرب مجرد خيار تكتيكي، بل كان ضرورة وجودية، واستجابة اضطرارية لتحديات الصليبيين في الغرب والتهديدات الطارئة من الشرق. وفي هذا السياق، يأتي كتاب (فن الحرب في العصر الأيوبي: دراسة تاريخية تحليلية) ليملأ فراغاً مكتبياً رصيناً، مسلطاً الضوء على العبقرية العسكرية التي ميزت قادة هذا العصر، وعلى رأسهم السلطان الكردي الناصر صلاح الدين الأيوبي وخلفاؤه.

ابدعت الباحثة -رحمها الله وجعل مثواها الفردوس الأعلى - في هذا العمل الكتابي من خلال محاور عدة رئيسية:

التحليل والنقد الموضوعي: لم تكتفِ جيهان بسرد المعارك، بل تعمقت في فلسفة التخطيط الحربي ، واللوجستيات، وفنون الحصار واساليبه المتنوعة، وتطور العمارة الدفاعية العسكرية.والتنقل بعلمية من مرحلة السرد الممل للاحداث الى مرحلة تحليل وتمحيص ونقد الظواهر الموجودة والمتعلقة بالفن الحربي الايوبي.

شمولية المصادر : استنطقت الباحثة المصادر المعاصرة للاحداث برؤية ناقدة، وربطت بين الواقع الجغرافي والقرار العسكري،فضلا عن الالمام الدقيق بالرؤية التاريخية للمراجع المعاصرة من التي تصدت بشكل او باخر لاشكاليات فن الحرب في دراساتهم او تحليلاتهم على بعض الاحداث المعقدة لموضوع من مثل هذا النوع والتوجه، مما منح دراستها بعداً عمليا وعلمياً يتجاوز سرد الاحداث التاريخية .

الرؤية الموضوعية : نجحت في إبراز "المؤسسة العسكرية" الأيوبية كمنظومة متكاملة، تداخلت فيها السياسة بالإدارة، والجهد البشري بالروح المعنوية.

إن كتابة هذا التقديم تحمل في طياتها حزناً وغصةً وألماً؛ فقد غادرتنا الاخت العزيزة

والباحثة الدؤوب د. جيهان طاهر حجي البريهاري – الدوسكي ، وهي في أوج عطائها، وقبل أن تقرَّ عينها برؤية ثمرة جهدها وسهر الليالي مطبوعاً بين يدي القراء.

لقد كانت د.جيهان مِثالاً انسانياً للطالبة الأكاديمية التي تجمع بين التواضع الجم والإصرار العلمي. كانت تنقب في بطون الكتب والوثائق بصبر العلماء، وتناقش بروح المثقف الغيور على تاريخ أمته. إن رحيلها قبل صدور هذا الكتاب يذكرنا بأن الأجساد تفنى ؛لكن العلم الذي يُنتفع به يبقى صدقة جارية، يلهج بذكره الالسن على مدار التاريخ.

إن هذا الكتاب ليس مجرد حبر وورق ، بل هو إرادة ونبض وحب باحثة لتاريخها الكردي ، آمنت برسالتها العلمية حتى الرمق الأخير. حيث صارعت المرض بكل إرادة وثقة وقوة وعلى مدار ثلاث سنوات ونصف من عمر كتابة الاطروحة، ذلك المرض الذي الم بها وهي في باكورة البدء بالكتابة فقد كانت تقدم رجلا وتؤخر أخرى مترددة في المضي قدما في كتابة اطروحتها، ولكن بدعم من الاهل والاقارب والأصدقاء والأستاذ المشرف،جاهدت وتحملت كل عناء في سبيل ان تنهي ما بدأته وبمنن من الله تعالى ،وصلت بكتابة هذا السفر التاريخي الى شاطئْ الأمان ،وناقشته بعد ذلك وتفوقت بامتياز في اختبار تقييم لجنة المناقشة؛ولكن القدر كان اسرع منها لترحل من عالم الفناء الى عالم البقاء ،ودون ان ترى بام عينيها طبع اطروحتها في كتاب .

واذ نقدم لهذا العمل، أدعوا المؤسسات الأكاديمية والباحثين في التاريخ العسكري الوسيط وتاريخ الدولة الايوبية،لاعتماد هذه الدراسة كمرجع اكاديمي رصين ، تقديراً لجهدها الاستثنائي وتعبها المستمر ،ونضالها الإنساني مع المرض. رحم الله **د. جيهان طاهر حجي**، وجعل هذا العمل في ميزان حسناتها، ونفع به كل طالب علم.

أ.د. كرفان محمد احمد اميدي

أستاذ تأريخ الدولة الايوبية والكرد الوسيط

جامعة دهوك – كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

شباط من عام ٢٠٢٦م

خاطرة



كتبتها المغفورة لها بأذن الله (دكتورة جيهان طاهر حجي الدوسكى) رحمها الله بعدما ناقشت اطروحتها في الدكتوراة:

عندما حصلت على البكالوريوس وطلعت من الاوائل كنت احلم بالدكتوراه ، وبعد ١٨ سنة في مثل هذا اليوم السنة الماضية تحقق لي هذا الحلم وناقشت اطروحتي بعد مشوار طويل من التعب والدراسة . الحمد لله دائماً و ابدا...

"اللَّهُمَّ ارزقني أجمل مما تمنَّيت ، وأكثر مما توقَّعت ، و أفضل مما دعوت، اللهم إني أسألُكَ الرضا بما قسمت ، والرضا لِما أعطيت ، والرضا فيما منعت ، اللهم طاقة صبر جديدة وأمل متجدد وفرج قريب وعوض عن ما فات ، اللهم إني استودعتك حياتي كلها خيرها وشرها ، فاجعل أيامي القادمة رضا وسعادة

جيهان طاهر حجي الدوسكي

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ومنه نستمد العون والرشاد، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على النبي المصطفى محمدٍ ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يُعد فن الحرب واحداً من اكثر الموضوعات التأريخية تعقيداً وتشابكاً، بفعل التفرعات الإدارية والسياسية والحربية التي تتداخل مع بعضها البعض في تكوين المؤسسة العسكرية، ومن ثم توظيف الجهود البشرية والمعنوية من أجل الخروج بنتائج إيجابية في المواجهات العسكرية التي تشترك فيها الأطراف المتحاربة.

وعليه فإن في المعارك الحربية سواءً أكانت طويلة الأمد، أو قصيرة الاجل -حسب الظروف التي تحدث فيها عمليات القتال- فأن تحقيق الانتصار فيها يتوقف على القدرات والخبرات الشخصية والعسكرية، للقائد الأعلى (السلطان في حالة الدولة الأيوبية)، والقادة الأقل رتبةً منه، فضلاً عن كفائة الجند وإخلاصهم في القتال وتحمل مصاعب المعارك. يضاف إلى كل ذلك الاستعانة بالمستشارين العسكريين الذين هم على درجة كبيرة من الثقة والممارسة في التوجيه والمشورة الصادقة. مع اللجوء إلى استخدام افضل الطرق والخطط الحربية والمباديء العسكرية أي الأساليب المتعلقة بفن الحرب، وهذه تشمل، الاعتماد على اكثر الأسلحة القتالية تطوراً، موازنة بأسلحة العدو، وان تكون الذهنية العسكرية حاضرة لدى القائد الأعلى وبقية القادة والأمراء، في كيفية تعبئة الجنود وفق المعايير الحربية الأساسية، ووضع الخطط اللازمة، وتوقيت مسالة الهجوم، والانسحاب، والدفاع، وتفعيل مسائل الحصار، والقتال البحري، واختيار السفن والمراكب المناسبة لكل معركة، وتنظيم التجمعات السكانية غير الرسمية التي تريد الانضمام إلى الجيوش الرسمية من المتطوعين على اختلاف تكويناتهم الاجتماعية. ناهيك عن الاطلاع على ابرز المصنفات الخاصة بالناحية الحربية وتقنية الأسلحة، للمصنفين المعاصرين، أو التي صُنِفت (كتبت)قبل ذلك العصر للاستفادة من تلك الأفكار، وبالتالي تنفيذها على ارض الواقع، من أجل هدف واحد ألا وهو تحقيق النصر بأقل الجهود والخسائر.

ولما كانت الدولة الأيوبية، قد تأسست في مرحلة حرجة من مراحل تأريخ المشرق الإسلامي، وهي مرحلة الجهاد ضد الصليبيين والصراع معهم، فإن السلاطين الأيوبيين، منذ التأسيس وإلى نهاية العصر الأيوبي، دأبوا على استثمار كل تلك المحددات الحربية في عهودهم وتوظيفها على اكمل وجه، بغية استعادة ما احتله الصليبيون من بلاد الشام أو صدهم عن احتلال مصر، أو توسيع ممتلكاتهم في مراحل متنوعة من الصراع الأسري-

الإقليمي الأيوبي، في اليمن والجزيرة الفراتية وغيرها من المناطق. فإنهم أي السلاطين وكبار القادة، لم يألوا جهداً في توظيف كل امكانياتهم وخبراتهم التي تدخل ضمن منظومة (فن الحرب)، وتنفيذها على اكمل وجه للوصول إلى الغايات التي رسمته القيادة السياسية والحربية.

وظهر ذلك جلياً في الكثير من المعارك البرية والبحرية، حيث يلاحظ تجمع اكثر من أسلوب من أساليب فن الحرب فيها، وكلما أصبحت المعارك أصعب وأطول مدة، كانت الأفكار العسكرية الإبداعية تطفو أكثر فأكثر على الميدان الحربي، وتصبح اكثر فعالية في مقاومة هجمات العدو، أو ايسر استخداما في الهجوم المضاد على مواقع الأعداء. وهذا ما تمكنت القيادة الحربية الأيوبية في التفطن إليها، إبان مدة الصراع الطويل مع الصليبيين أولا، ومع الأطراف الداخلية وضد بعضهم البعض ثانياً.

ومع أنّ العقلية الحربية الأيوبية، لم تكن كلها على وتيرة واحدة من استيعاب المباديء العسكرية وفنون الحرب، والتصرف بحِرَفِيَة مع احداث المعارك (البرية و البحرية)، لذا نجد بأن الموازنة بين فئتين من السلاطين، وفق الظروف التي أحاطت بكل فئة، لن تكون عادلة حسب معايير تحقيق الانتصار أو الهزيمة في المعارك. ومع ذلك فأن كل فئة استخدمت محددات (فن الحرب)، كما تملي عليه خبراته وامكانياته الحربية، ومدى تمكنه من فهم الأمور العسكرية ودراسة نفسية الخصم(او العدو)، بعيدا عن كونه عدواً خارجيا، أو معارضاً داخلياً. وللوقوف على (فن الحرب) وماهيته بجزئياته وكلياته التي كانت عليه في العصر الأيوبي وأهميته، اثرنا ان نختاره عنواناً لموضوع هذه الاطروحة، الموسومة بـ(فن الحرب في العصر الأيوبي ٥٧٠-٦٥٢هـ/ ١١٧٤-١١٥٤م دراسة تأريخية - تحليلية).

اولا - أسباب اختيار عنوان الدراسة:

دفعتني جملة أسباب لاختيار هذا العنوان موضوعاً لاطروحتي، يأتي في مقدمتها:

١ - رغبتي الشديدة في الكتابة عن التأريخ الحربي للدولة الأيوبية، وقلة ما كُتِبَ عن تلك الناحية من الدراسات المتخصصة اكاديمياً، فضلاً عن عزوف الباحثين الشباب في التصدي لكتابة هذا النوع من التأريخ، وتحولهم في اغلب دراساتهم إلى النواحي الأخرى، الأكثر سلمية والأقل عنفاً في محتواها النصي، مثل، الدراسات الاقتصادية والعلمية والاجتماعية وغيرها.

٢- وجود عدد من المصادر التأريخية، التي كتبت عن الدولة الأيوبية متضمنة نصوصا ومرويات متفرقة عن الجوانب العسكرية الأيوبية وفئاته، وتكويناته البشرية

وتطور أسلحته، والأساليب الحربية التي اتبعتها القوات الأيوبية في معاركها المختلفة. ناهيك عن وجود عدد من المؤلفات المتعلقة بمباديء الحرب وصناعة الأسلحة.

٣- استحواذ فن الحرب على اهتمام المؤسسات العسكرية المعاصرة في الركون إلى اصوله ومبادئه الأساسية في تكوين قوات حربية على مستوى عال من الذهنية العسكرية، أهلت الكثير من الجيوش لتحقيق الانتصارات بسهولة، ودون ان تقدم تضحيات جسيمة، موازنة بالجيوش التي اغفلت أهمية فن الحرب واسسه في معاركها المصيرية. والقيادات الحربية الذكية هي التي تركن إلى الاستفادة من التأريخ العسكري عبر العصور، والاطلاع على ما كتب عن فن الحرب، وكيف تم تحقيق النصر عند ملاقاة الأعداء في ميادين الوغى المكشوفة أو في المناطق ذات التضاريس المعقدة، ودراسة عوامل النصر والهزيمة بدقة، واخذ العبر من الماضي.

٤- يضاف إلى ما ذكر سابقاً، ان اختيار هذا العنوان، لم ياتِ من اجل تمجيد الحروب ونقل مأساتها وعنف معاركها الحربية، بل لتسليط الضوء على الجهود الحربية والأفكار العسكرية التي بذلتها رجالات الحرب في الدولة الأيوبية، ومن اجل التعريف بالذات المقاتلة لأغلب الفئات التي كانت قد شاركت فعلياً في المعارك على اختلاف أنواعها، في عصر كانت نتيجة القتال في ميادين الحرب تعتمد على من يمتلك النخبة الأفضل من القادة والجند واستيعاب مباديء فن الحرب.

ثانياً - أهمية الدراسة:

تتضح أهمية هذه الدراسة في مايأتي:

١- فتح افاق جديدة للباحثين الجدد وممن يستهويه البحث في الموضوعات الحربية،وجعل هذه الدراسة كعتبة اولية لهم، للخوض في هذا المجال واماطة اللثام عن مناحي أخرى تتعلق بالعسكرية الأيوبية عموماً،وبفن الحرب على وجه الخصوص، فلاتزال هناك الكثير من الأمور الحربية تحتاج إلى الكتابة عنها.

٢- التعرف على العناصر القتالية للعسكرية الأيوبية، والوقوف على تراتيبية المناصب البرية والبحرية على حد سواء، فضلا عن ابراز مساهمة التكوينات العسكرية الأيوبية في تطبيق أساليب ومباديء فن الحرب، عبر حقب العصر الأيوبي المتتالية.

٣- الإحاطة بانواع الأسلحة التي استخدمتها القوات الأيوبية براً وبحراً، وبيان الاهتمام الذي اولته الدولة لصنع الأسلحة، وتوفير كافة الاحتياجات الأساسية للنهوض بتلك المصانع بحيث تتمكن من صناعة افضل الأسلحة، لتاتي بنتائجها الإيجابية في المعارك التي كانت تخوضها قواتها، إلى جانب إظهار اهتمام الدولة بالاسطول البحري،

وتخصيص أمكنة خاصة لصناعة السفن والمراكب الحربية، واختيار اكفأ القادة لقيادة الأساطيل الأيوبية.

٤- إبراز دور العناصر القتالية الأيوبية فيما يتعلق بمسالة التطبيق العملي لأُسس ومبادئ فن الحرب، من خلال المعارك البرية والبحرية، وكيفية تمكنهم من تهيئة البيئة المناسبة لتنفيذ اوامر وإرشادات السلاطين والقادة والأمراء الكبار، وتوضيح الظروف التي أدت إلى هزيمة الجيوش الأيوبية في العديد من المعارك،او الاضطرار إلى التقهقر والانسحاب أمام الأعداء.

ثالثاً - أسئلة الدراسة:

هناك تساؤلات عديدة يطرحها الموضوع للنقاش، ويحدد الإشكالية المتعلقة باصول فن الحرب ومنظموته التطبيقية من حيث الأساليب والتقنية المتبعة في المعارك، ومن ابرز تلك الأسئلة:

١- كيف كانت تراتيبية العناصر القتالية في المؤسسة الحربية الأيوبية، وماهو موقع السلاطين في تلك المؤسسة، وهل كان سلاطين الدولة الأيوبية على المنوال نفسه من الخبرات والمهارات والقتالية؟

٢- إلى أي مدى كان الملوك الأيوبيون يمثلون عنصراً ايجابياً في تلك المؤسسة الحربية، وهل كانوا على مستوى المسؤولية التي انيطت بهم، أم أنهم مثلوا عبئاً اضافياً على تلك المؤسسة على مدار حقب العصر الأيوبي؟

٣- كيف نجح السلاطين الأيوبيون في التوفيق بين مختلف المكونات الإثنية في الجيش من الكرد والترك والعرب وغيرهم، وتوجيههم الوجهة الصحيحة عسكرياً مع توظيف جهودهم لخدمة الدولة؟

٤- هل تمكن السلاطين الأيوبيون في توظيف قدرات الفرق العسكرية الخاصة والمرتزقة على اكمل وجه لمصلحة الدولة، أم أن توظيفها كان يسير باتجاهات خاصة لبعض سلاطين وملوك الدولة؟

٥- ما هي الأسلحة البرية والبحرية التي استخدمها الأيوبيون في معاركهم، وهل احدثوا تطوراً في بعض صنوف الأسلحة الثقيلة لتنافس ما لدى نظرائهم، وكيف دعم السلاطين الأيوبيون تأسيس اسطول بحري قوي يُعتمد عليه في صد هجمات الأعداء البحرية؟

٦- لماذا لم يتمكن الأيوبيون في الاستحواذ الكلي على المعابر البحرية الأساسية في البحر المتوسط، ابان صراعهم الطويل مع الصليبيين وبالتالي لم يكن النصر حليفهم

دائماً في المعارك البحرية، وهل كان السبب قلة الخبرة البحرية لدى التركيبة البشرية المعتمدة عليهم في الأسطول الأيوبي؟

٧- وأخيرا هل نجح الأيوبيون في تطبيق اساليب القتال ومبادئ فن الحرب كما ينبغي، فحققوا الانتصارات، أم أنهم لم يستوعبوا مفاهيمها بالصورة المثلى، لذا يتعرضوا للعديد من الهزائم؟

رابعاً- المنهج المتبع في الدراسة:

المنهج المعتمد في هذه الدراسة، هو المنهج التأريخي - التحليلي.

خامسا- الإطار العام للدراسة:

على قدر تعلق الأمر بالإطار العام لهذه الدراسة، فإن **الإطار الزمني**، يتحدد بالمدة المحددة لموضوع الاطروحة بين (٥٧٠-٦٥٢هـ/ ١١٧٤-١١٥٤م)، هذا التأريخ الزمني، الذي مثل إشكالية توفيقية بين العديد من المؤرخين و الباحثين، فمنهم من يحدد عصر الدولة الأيوبية بين (٥٧٠-٦٤٨هـ/ ١١٧٤-١٢٥٠م)، مستندين في حجتهم إلى اغتيال السلطان توران شاه ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة(٦٤٨هـ/١٢٥٠م) على يد المماليك، وعَدَوْهُ آخر سلطان أيوبي، كون أن زوجة أبيه شجرة الدر اعتلت السلطنة الأيوبية، وبذلك انتهى العصر الأيوبي.

ثمة باحثون آخرون يمددون عمر الدولة إلى سنة (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م)، حيث يُنحى المماليك السلطان الأيوبي الشاب الملك الاشرف موسى، وبتنحيته ينتهي العصر الأيوبي، وتُرَجَّحُ التأريخ الأخير لنهاية العصر الأيوبي، مستندين في ذلك، إلى أن الشرعية بالسلطنة في ذلك العصر كانت تستمد من الخلافة العباسية في بغداد، وبما أن الخلافة العباسية لم تعطي الشرعية لشجرة الدر، وبالتالي عند تنصيب المماليك للملك الاشرف الشاب الأيوبي، فقد اعترفت به الخلافة العباسية، فضلا عن انه تم ضرب السكة بأسمة والخطبة له على المنابر، ومن يخطب له وتصدر النقود باسمه، يمثل السلطة الشرعية الحقيقية، بعيداً عن مسالة ضعف أو قوة السلطان، او وقوعه تحت تأثير قيادات المماليك السياسية والعسكرية، أو مدى سعة صلاحياته، فكم من خليفة فاطمي أو عباسي، افتقد للقوة أو الصلاحيات ؛لاسباب وظروف افاضت فيها المصادر التأريخية. أما **الإطار المكاني**، فإنه يشمل الدول والأقاليم والمدن التي حكمها الأيوبيون، خلال المدة موضوع الدراسة. في حين اختص **الاطار الموضوعي** للدراسة، باصول فن الحرب وماهيته، والأسس والوسائل التي اعتمد عليها الأيوبيون في تطبيق مبادئه في حروبهم.

سادسا- الدراسات السابقة:

فيما يتعلق بمحور الدراسات السابقة، بعد البحث والتحري يبدوا انه لم يتم دراسة فن الحرب تحت عنوان هذه الاطروحة؛ ولكن في الوقت عينه هناك دراسات مشابهة أو قريبة من موضوع الاطروحة أو تناولت حقبة أو عهد منفرد بحد ذاته ودون ان تسلط الضوء بشمولية واسعة على فن الحرب في العصر الأيوبي؛ لان اغلب تلك الدراسات ضمنيا أو في بعض اجزائها تناولت النظام العسكري والجيش الأيوبي في عصر صلاح الدين تحديدا، وما كتب عن العهود اللاحقة لم تتطرق إلى فن الحرب وفق منهجية خاصة بذاتها، وبالتالي، فان الرجوع إلى الدراسات السابقة، هي من أجل التعرف على الأساليب والأفكار والمنهج الذي سار عليه البعض من اؤلئك الباحثين والاستفادة منها، والاسترشاد بها مع ذكر دور اولئك الباحثين في تهيئة العتبة الأساسية للخوض في كتابة هذا الموضوع، حيث هناك كتب أشارت إلى موضوع فن الحرب في محتواها؛ ولكن بصيغ عنوانية لا تمت للعصر الأيوبي بصلة، ورسائل واطاريح اكاديمية، تم طبعها لاحقا، وبعضها لازالت غير مطبوعة، تعد المراجع والدراسات الاكاديمية المكتوبة عن الدولة الأيوبية كماً هائلاً لا حصر لها، ولكن المتعلقة بهذا الجانب محدودة مع ملاحظة، بان الدراسات التأريخية أكثرها متشابهة أو متقاربة في الموضوعات، أو متناظرة في تنظيم المحاور الفرعية، مع الاختلاف في كتابة المضمون وأصول المتن، ومن أبرز تلك الدراسات على سبيل المثال وليس الحصر:

١- كتابي نظير حسان سعداوي، المعنونتين على التوالي، جيش مصر في أيام صلاح الدين مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م؛ التأريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م.

٢- عبدالرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦١.

٣- احمد مختار العبادي والسيد عبدالعزيز سالم، تأريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار المعارف، بيروت، ١٩٧٢م.

٤- محمود نديم أحمد فهيم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطبعة الاسكندرية، ١٩٨٣م.

٥- ر. سي. سميل، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧-١١٩٣م) ترجمة محمد وليد الجلاد، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ١٩٨٣.

٦- وفيق بركات، فن الحرب البحرية في التأريخ العربي الإسلامي، معهد التراث العلمي العربي، حلب، ١٩٩٥.

٧- السير هاملتون ا. ر. جب، صلاح الدين الأيوبي دراسات في التأريخ الإسلامي، ترجمة يوسف ايبش، دار بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، ط٢، بيروت، ١٩٩٦م.

٨- مرفت عثمان حسن علي، التحصينات الحربية وادوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، دار العالم العربي، ط١، القاهرة، ٢٠١٠.

٩- محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، مطبعة وزارة التربية، ط٣، أربيل، ٢٠٠٣م.

١٠- بهلول نسيم، فن الحرب عند المغول، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، عَمان، ٢٠١٤م.

١١- رفيق المهايني، الاسطول العربي منذ فجر التأريخ حتى اواخر عهد المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بيروت الأمريكية، كلية العلوم والآداب، دائرة التأريخ العربي، بيروت، ١٩٤٢م.

١٢- باسل مطانس كاسوحة، انظمة الدفاع وتقنيات البناء والعمارة العسكرية = دراسة مقارنة بين العصر الأيوبي في بلاد الشام وعصري المرابطين والموحدين في الاندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البعث، كلية الاداب والعلوم الانسانية، قسم التأريخ، دمشق، ٢٠٠٠م.

١٣- آرتور إسرائيليان، فن الحرب في العصر المملوكي الأول بين النظرية والتطبيق، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التأريخ، دمشق، ٢٠٠٧م.

١٤- عامر الجبوري، الأسطول الحربي في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل كلية الآداب، قسم التأريخ، الموصل، ٢٠١٢م.

١٥- أسامة عبدالحميد وريث، البنية السياسية والإدارية لدولة صلاح الدين الأيوبي ودورها في حركة الجهاد ضد الغزو والاحتلال الافرنجي (٥٦٩-٥٨٩هـ/ ١١٧٣-١١٩٣م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طرابلس، قسم التأريخ، طرابلس، ٢٠١٢م.

١٦- خميس بولعراس، فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج خضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التأريخ والآثار، باتنة، ٢٠١٤ م.

١٧- أحمد محمود سعود الزيادنه، بنية الجيش الأيوبي والجيوش الفرنجية خلال الحروب الصليبية (٤٨٨هـ/١٠٩٥م—٥٨٩هـ/١١٩٣م) دراسة تأريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التأريخ، الأردن، ٢٠١٨م.

سابعا- خطة الدراسة:

قُسِمَتْ هذه الدراسة فضلا عن المقدمة التي تضمنت، أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهدافه، إلى جانب الأسئلة التي أثيرت حول الدراسة، والمنهج المتبع في كتابة الاطروحة، ثم الإطار العام للدراسة، وأهم الدراسات السابقة التي تطرقت لعناوين متشابهة أو أجزاء منه أو موضوعات قريبة لها، والمعوقات التي صادفتنا أثناء الكتابة، ناهيك عن تحليل عام لخريطة المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الدراسة. فخطتنا تنقسم إلى تمهيد وخمسة فصول مع اختتامها بعدد من النتائج التي افرزتها الدراسة.

ففي التمهيد الذي وسم بعنوان (ماهية فن الحرب ومبادئه)، حيث تناولت فيه المعنى اللغوي والاصطلاحي لفن الحرب، والمباديء الأساسية لهذا الفن.

يركز الفصل الاول الموسوم بـ(عناصر المجتمع الحربي الأيوبي القتالية)، على أهم العناصر والفئات والتركيبة البشرية للقوات الأيوبية، منذ تأسيس الدولة إلى نهاية عصرها، ويتضمن أربعة مباحث، خُصِصَ المبحث الاول منه للحديث عن السلاطين الأيوبيين، والترتيب الزمني لاستلامهم للسلطة، وبيان مكانة كل منهم في قيادة جيوش الدولة أبان عهده، وإلى أي مدى كان كل منهم موفقا في قيادة الدولة، والاسس التي اعتمدها في معاركه، واحاطة الكفوئين منهم بفن الحرب واساليبه المختلفة من اجل تحقيق أهدافهم المنشودة، في حين تناول المبحث الثاني، الملوك الأيوبيين، من أبناء السلاطين انفسهم، ومن بقية الاسرة الأيوبية، وتم ابراز الأدوار التي قاموا بها في الحروب التي خاضتها الدولة الأيوبية ضد الصليبيين أواثناء الصراعات المحلية، ومدى استيعابهم لفنون الحرب والقتال، وكيف كان لمساهماتهم في تلك الحروب، أثراً بارزاً في تغيير موازين القوى في اكثر من معركة.

بينما كُرِس المبحث الثالث، للحديث عن القادة والأمراء والعناصر القتالية في الدولة الأيوبية من اؤلئك الذين برزوا بشكل ملفت في الحروب الصليبية والمعارك الداخلية، وسطروا صفحات مليئة بالخبرة والشجاعة والايثار والتضحية، من العناصر القومية المختلفة من الكرد والترك والعرب وغيرهم، حيث اظهر معظمهم كفاءة كبيرة في تطبيق أساليب فن الحرب واصوله المتعارف عليها بين المقاتلين، في المعارك البرية والبحرية على حد سواء، وإلى جانب اؤلئك القادة الكبار، برزت بين فئة الجند من دون الرتب العسكرية، عدد من الأفراد المشهود لهم بالبسالة، في الكثير من المعارك وساهموا في القتال بقوة، وطبقوا ما طُلِب منهم من التعليمات الحربية خلال المعارك، وكانوا عونا لقادتهم في تحقيق النصر.

يلقي المبحث الأخير من الفصل الاول، الضوء على الفرق الحربية الأيوبية الخاصة والعامة والمرتزقة، ممن كانت تقع على عاتقهم تنفيذ المهام الحربية الخاصة، وبرز منهم الأسدية والصلاحية، ثم العادلية، فالكاملية، وصولاً إلى الفرقة الصالحية من المماليك، وإلى جانبهم برز دور بعض الفرق المرتزقة مثل الخوارزميين الذين كانوا على دراية كبيرة بفن الحرب ومعطياته، وكان لهم مشاركة واضحة في الحرب ضد الصليبيين وفي المعارك الأسرية الأيوبية، فضلاًعن كل تلك الفرق كان يتبعهم مجموعات أخرى من القوات المساندة مثل، الفرق الهندسية والخدمية، والمتطوعة من العلماء والفقهاء، والعامة من الناس كل أدى دوره في المؤسسة الحربية الأيوبية حسب طاقته واستيعابه لفنون الحرب وأساليب القتال.

يتناول الفصل الثاني الموسوم بـ(الأسلحة وأدوات الحرب الأيوبية)، أسلحة القتال في العصر الأيوبي، والمراكز الأساسية لصناعة الأسلحة، فضلا عن اهتمام السلاطين الأيوبيين بخزائن السلاح ومحاولتهم توفير افضل الأسلحة للمقاتلين إلى جانب تامين بقية الأدوات والتجهيزات الحربية من الملابس والأعتدة والذخائر، فضلاً عن الخيول ودواب الحمل، قسم الفصل إلى مبحثين، يتطرق الأول منهما إلى الأسلحة وأدوات القتال الخفيفة، وهي، تشمل بدورها على أسلحة القتال الهجومية والدفاعية، ومن امثلة الأسلحة الخفيفة، هي: السيف والرمح والقوس والنشاب، والدبوس والزنبورك، والمقلاع، ومن الأدوات الحربية وتجهيزات المقاتلين، الترس والدرع، والخوذة، والبيضة، اما المبحث الثاني فقد تناول فيه الاسلحة الثقيلة، والتي تتضمن، المنجنيق بانواعه العديدة، مثل، منجنيق الأحجار، ومنجنيق السهام، ومنجنيق رمي القنابل النارية، كما ان تلك الأسلحة، تشمل، الدبابة والعرادة والكبش وسلالم الحصار، وغيرها، ومن خلال الحديث عن تلك الأسلحة تم الوقوف على الكثير من النماذج العسكرية واستخداماتها على مدار تأريخ العصر الأيوبي، ومدى تمكن العناصر القتالية الأيوبية في استعمال تلك الأسلحة على اكمل وجه، لمساندة ومساعدة الفرسان والمشاة، في عمليات الهجوم أو مواقع الدفاع.

خَصِصَ الفصل الثالث، والموسوم بـ(القوات البحرية في العصر الأيوبي)، لأحوال البحرية قبل العصر الأيوبي، والظروف التي أدت بالأيوبيين ولاسيما السلطان صلاح الدين إلى الاهتمام بالبحرية والاسطول الحربي، وما قام به لتقوية الاسطول المذكور، ومن ثم يبحث الفصل في الاوضاع التي آلت إليه البحرية الأيوبية بعد عهد صلاح الدين، وعلى وجه التحديد في عهد الملك العادل والملك الكامل ، وصولاً إلى عهد الملك الصالح نجم الدين الذي اجتهد لاعادة الروح إلى البحرية والأسطول الأيوبي، بعدما مر بمرحلة من

السكون والإهمال، وواصل عمله ابنه السلطان توران شاه في استمرارية بقاء الأسطول قوياً. وقسم هذا الفصل إلى مباحث ثلاث، تصدى المبحث الاول، لإبرز المناصب والوظائف في البحرية الأيوبية، مثل أمير البحر، والرئيس والنوتية وغيرها، مع بيان إطار عمل كل منهم، في حدود الأوامر العسكرية التي كانت تناط بهم من قبل القيادة الحربية الأيوبية العليا. وفي المبحث الثاني تم الحديث عن التركيب البشري للبحرية الأيوبية، حيث تنوعت العناصر القومية، التي اعتمد عليها الأيوبيون، مثل، المغاربة الذين كانوا يمثلون عصب الاسطول والقوات البحرية الأيوبية، بسبب خبرتهم البحرية الطويلة، فضلا عن بعض عرب الشام ومصر ممن اكتسب خبرة في سواحل لبنان وفلسطين والإسكندرية ودمياط، وشخصيات أخرى متفرقة من أصول ارمنية، وتركية أيضا، في حين لانجد للكرد ذكرا بين العاملين القوات الحربية البحرية، وان وجد البعض منهم إلا أن المصادر أغفلت الإشارة إلى أسمائهم. أما المبحث الثالث، فقد خصص للبحث في انواع السفن الحربية والتجهيزات والآلات والأدوات والأسلحة البحرية التي كان يستخدمها مقاتلوا الاسطول، فضلاً عن الملابس الخاصة بهم.

يتطرق الفصل الرابع من هذه الدراسة، والموسوم بـ(الإعداد العام للحرب في العصر الأيوبي)، المراحل الإعدادية والتجهيز الكامل قبل الخوض في المعركة وكان ذلك الإعداد متنوعا في منافذه وكل منفذ يكمل الاخر، ومن خلال تهيئة كل المستلزمات الضرورية للقتال، كانت القيادة الحربية الأيوبية، تصدر قراراتها بعد المشاورة مع أصحاب الرأي في المجلس العسكري، للمسير إلى المعركة، والكل يأمل إلى تحقيق الانتصار في المهمة الموكلة لتلك العساكر.

تم تقسيم هذا الفصل إلى أربعة مباحث، يتعلق الاول منه، بالإعداد التعبوي للقتال، من اختيار المقاتلين الأكفاء، وتهيئة الأسلحة اللازمة، للمعركة المزمع خوضها ووضع الخطط المطلوبة لتوزيع الجند وتحديد مهام كل فرقة أو مجموعة. في حين يتناول المبحث الثاني، اختيار الظروف المناسبة للمعركة، على الوجه الصائب، فان نتائج المعارك كانت على الاغلب لالصالح الجيوش الأيوبية، كما حدث في معركة حطين، ومعركة المنصورة الاولى والثانية في عهد كل من السطان الملك الكامل محمد وحفيده السلطان الملك المعظم توران شاه الأيوبي،وعندما لم يكن اختيار الزمان والمكان صائباً فان الجيوش الأيوبية غالبأما كانت تتعرض للهزيمة.

في حين كُرس المبحث الثالث، للاعداد المعنوي، ويتم ذلك من خلال الاهتمام بالجانب الديني وبيان أهمية الجهاد، وما يترتب على التضحية في سبيل الأرض والوطن

والعرض من مكاسب اخروية ودنيوية في الوقت نفسه، إلى جانب حث الخطباء والناس على اللجوء إلى الدعاء والصلاة لتقوية الروح المعنوية لدى المقاتلين والعامة من الناس أيضا وهم يواجهون الأخطار المختلفة كان للعلماء والفقهاء جهوداً واضحة في التعبئة المعنوية من خلال رفع معنويات السكان والسلاطين وقادة العسكر، إلى جانب تصنيف الكتب التي تحث على الجهاد أو تهتم بالحرب وفنونه، ولم يكن دور الشعراء بأقل عن نظرائهم العلماء والفقهاء في التعبئة المعنوية من خلال التغني ببطولات السلاطين والقادة وسلف الامة. يتناول المبحث الرابع، الإعداد المادي والاقتصادي، وهي حلقة مهمة جدا -إن لم تكن أهمها على الاطلاق- ضمن حلقات أسس فن الحرب وتطبيق أساليبه في المعارك، باعتبار ان المؤسسة الحربية بكل فروعها تعتمد كلياً على التمويل المادي، وقوة أي جيش يقاس بالدعم المالي والاقتصادي الذي توفره الدولة له، ومن هنا فإن الدولة الأيوبية متمثلة بسلاطينها، ولاسيما فئة النخبة منهم، عملوا على تأمين كل المتطلبات اللازمة من الأموال والاقطاعات، لبقاء الجيش قوياً، صامداً، فضلاً عن أن الحاجة إلى الأموال كانت مستمرة ليس بسبب رواتب الجند وهبات المتطوعة، وإنما كانت هناك حالات كثيرة تحتاج إلى دفع الأموال، لفك الأسرى أو فرض هدنة، أو اغراء أصحاب القلاع والحصون بالمال لقاء التسليم، كما أن الدولة حاولت أن تنظم النفقات الخاصة بالجيش، لتجنيد العساكر، وشراء المواد الغذائية و الأسلحة، أو لتعمير أبواب المدن وأسوار القلاع وأبراج الحصون.

أما الفصل الخامس والأخير، والموسوم بـ(أساليب القتال في العصرالأيوبي)، فقد خصص، للكلام عن بعض الأساليب التي استعان بها واستخدمها الأيوبيون في حروبهم، الخارجية والداخلية، تلك الأساليب التي اختلفت عن بعضها البعض من حيث النوع والمضمون والتطبيق، وان كانت كلها تعتمد على دائرة تنفيذية مشتركة، من العساكر المطلوبة، الأسلحة المتطورة، الأموال الداعمة، التخطيط الذكي لإدارة المعركة.

يتألف هذا الفصل من اربعة مباحث، اهتم الاول منها، بأساليب الحصار والتحصينات الدفاعية، حيث ركز على أهم الطرق التي استخدمها الأيوبيون في حُصرهم البرية والبحرية، والخطط التي لجئوا إلى اتباعها في عمليات الحصار، وما قاموا به في عمارة وتجديد التحصينات الحربية من القلاع والحصون وغيرها، لتقف صامدة أمام هجمات الأعداء. بينما خصص المبحث الثاني لأسلوب الهدم والأرض المحروقة واتلاف المحاصيل الزراعية، كتكتيك من تكتيكات فن الحرب الأيوبي. يتطرق المبحث الثالث، إلى

أسلوب الكتمان والركون إلى استعمال الخدع والحيل الحربية، فضلا عن استخدام الحرب النفسية ضد الأعداء.

في حين تناول المبحث الرابع اسلوب الرصد والمتابعة وايصال المعلومات من قبل القيادات العسكرية و السياسية الأيوبية من أجل تنفيذ الخطط الاستراتيجية التي وضعتها القيادة العسكرية.

ثامنا- معوقات الدراسة:

يعد موضوع فن الحرب، موضوعاً شائكاً، و كثير التفرع، فضلا عن وجود تباينات مصطلحية حول أسماء العديد من الصنوف الحربية والفئات القتالية، وأنواع الأسلحة والآلات التي استخدمت في العصر الأيوبي، مما دعا الأمر إلى التقصي والبحث بدقة للوصول إلى حقيقة، وكُنه ماخفي من معرفة تلك الامور التي أشكلت فهمها على الدارسين حيث تتناثر المادة العلمية في متون المصادر التأريخية، وندرة ماكتب عن بعض الجوانب منها، وهذه الأمور مجتمعة أهدرت الكثير من الجهد والمزيد من الوقت من أجل تبويب وتمحيص وترتيب ما تم الحصول عليه من النصوص والروايات. فضلاً عن عدم تمكننا من الوصول إلى الكثير من المكتبات في الدول الأخرى للحصول على المادة العلمية، وذلك لأسباب صحية وفنية.

تاسعا- تحليل عام لمصادر الدراسة ومراجعها:

تم الاعتمادفي كتابة هذه الاطروحة على عدد لا بأس به من المصادر الأصيلة والمراجع الثانوية، حيث كانت تلك المصنفات هي النبع الذي نهلت منه المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة، ولن نفصّل في الإشارة والاشادة، تقييماً ونقدا وتحليلا لكل ما اعتمدنا عليه، سوى الأبرز منها كامثلة نموذجية ورؤية عامة دون تفصيل في الجزئيات الدقيقة، بعيدا عن التقليد المتبع، والتي اغنت مباحثها بفيض مروياتها و تفصيل نصوصها، ومن ثم فان الغاية الاولى من الرجوع إلى تلك المصنفات، كان لانتقاء النصوص والروايات المتعلقة بمبادئ فن االحرب وأساليبه والعناصر القتالية، والتركيب البشري وتجهيزات وآلات الحرب التي تميز بها العصر الأيوبي، والاعداد المادي والمعنوي، وليس رواية الاخبار المتعلقة بتفاصيل المعارك الحربية وسرد مروياتها االواسعة. إلى جانب أن المصادر تنوعت بين التأريخية العامة والمخصصة لعصر أو عهد أو إقليم أو مدينة أو شخصية تأريخية وكتب التراجم والطبقات، والأدب الحربي والسياسي، وكتب الرحلات والرسائل الديوانية والعسكرية، فضلاً عن بعض المصادر الجغرافية واللغوية، واختلفت حجم تلك المعلومات بين مصدر واخر، فهناك ما كانت تعد أصولاً مصدرية والبعض الآخر لم تساهم سوى

بنصوص أو روايات مخصصة لحادثة أو معركة أو صلح أو هدنة أو بيان بعض مبادئ الحرب وكيفية أصول القتال.

تشعبت المصادر والمراجع التي اعتمدتها واستندت عليها الدراسة، حسب أهميتها لمباحث ومحاور الاطروحة وفصولها والمساحة التي استوعبتها مروياتهم في متن النص، ومن هذه المصادر التي سيشار إليها أدناه، إن مصنفي عدد منها واكبوا تأسيس الدولة الأيوبية، وعاصروا مؤسسها السلطان صلاح الدين، وابنائه وسجلوا الكثير من الاخبار عنهم وعن حروبهم وعلاقاتهم مع الصليبيين ومع القوى المعاصرة لهم، في حين أدرك البعض الآخر، منتصف أو أواخر عصر الدولة الأيوبية وأوائل ظهور دولة المماليك البحرية، فاكمل هؤلاء ما لم يدركه أسلافهم، عن تأريخ تلك الدولة ومؤسساتها المختلفة ولاسيما االمؤسسة الحربية ودونوا ما تيسر لهم من الكتابة عن نظمها العسكرية، وفنونها القتالية، ويأتي على رأس تلك المصادر، (الحروب الصليبية - تأريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحر) لوليم الصوري (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) و(رسائل القاضي الفاضل)، للقاضي ابي علي عبدالرحيم البيساني العسقلاني (ت ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م) وكتابي (البرق الشامي) و(الفتح القسي في الفتح القدسي)، للعماد الكاتب الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، وكتاب (مضمار الحقائق في سر الخلائق) لابن شاهنشاه الأيوبي (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) وكتابي (التأريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل) و(الكامل في التأريخ) لابن الاثير الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، وكتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)، لبهاءالدين ابن شداد (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، وكتاب (تأريخ دولة الاكراد والأتراك)، لمؤلف مجهول (ت في حدود ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)، ومصنف (زبدة الحلب في تأريخ حلب) لابن العديم الحلبي (٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) وكتابي (الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية) و(الذيل على الروضتين)، لابي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، وكتاب (وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان)، لابن خلكان الاربلي (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وأيضا هناك كتاب (التأريخ المنصوري) لأبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي (ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م)، فضلا عن كتاب (مفرج الكروب في اخبار بني أيوب)، لابن واصل الحموي (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م)، تعد تلك المصادر النخبة الأساسية، ممن تصدى للكتابة عن التأريخ الأيوبي حتى وان اختلفت وجهات نظر البعض منهم عن الاخر؛ لاسباب عقيدية أو إقليمية أو مذهبية أو سياسية، فقد تناولت في ثنايا صفحاتها تأسيس الدولة الأيوبية وتأريخها الحربي، من التركيب البشري وأصنافه وأبرز عناصره للقوات الحربية وأعداده والاستعدادات والتجهيز للمعارك، والتهيئة المعنوية والمادية، فضلاً عن الأساليب المتبعة في المعارك، كما أن تلك المصادر قد ألقت الضوء على

المعارك البحرية والبرية وأساليب الحصار والفنون القتالية التي اعتمدها الأيوبيون فيها، سواء في معاركهم ضد الصليبيين أو تلك التي كانت تجري على الساحة الداخلية بين الاسرة الأيوبية أو بقية الكيانات السياسية الموزعة في بلاد الشام وإقليم الجزيرة أو كما تسمى بالجزيرة الفراتية.

فضلاً عن المصادر السابقة، فهناك عدد من المصادر المتعلقة بفن الحرب وأساليب القتال والأدب الحربي والسياسي على وجه التحديد، قد أفادت الدراسة في الجوانب المتعلقة باصول فن الحرب ومبادئه وتكتيكات القتال واستراتيجيات المعارك وكيفية التعامل مع الظروف العسكرية المختلفة، بعضها سبقت العصر الأيوبي، وقد دونت في ثناياها الكثير من الأفكار المتعلقة بالمباديء الحربية العامة والخاصة، وماهي الأسس والسبل التي على القادة الكبار اتباعها لتحقيق النصر بأسهل الوسائل، ومنها على سبيل المثال كتاب (فن الحرب)، لِسون تزو الصيني (ت ٤٩٦ق.م)، وكتاب (مختصر سياسة الحروب)، لأبي سعيد الشعراني الهرثمي (ت بعد ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م) و(الإشارة في تدبير الامارة وهو المعروف بكتاب السياسة)، لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي (ت ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦ م)، وهناك أيضا (سراج الملوك)، لابي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، والبعض الآخر عاصر مصنفوها الدولة الأيوبية، وعايشوا الحملات الصليبية ورأوا الخطر الذي مَثله أولئك الغرباء على حاضر ومستقبل المسلمين في بلاد الشام ومصر، فصنفوا عدداً من الكتب المتعلقة بفنون القتال وأصول الحرب والأساليب الواجبة اتباعها في المعارك من قبل كبار قادة الأمة، ويأتي في مقدمة تلك المؤلفات، كتاب (تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء)، للمرضي بن علي الطرسوسي (ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، الذي كتبه وأهداه للسلطان صلاح الدين، وفيه تفاصيل موسعة عن كل ما يتعلق بالحرب وفنونه والجيش ونظمة والأسلحة وأنواعه، وقد أضفى هذا الكتاب الكثير من الفائدة العلمية على الكثير من المباحث ومحاور الدراسة.

ويوازيه في الوصف والمعاصرة، كتاب (المنهج المسلوك في سياسة الملوك) -ولكن بنسبة أقل فيما احتواه الكتاب من الأمور المتعلقة بالحرب وفنونه- لعبدالرحمن بن نصر الشيزري (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣ م)، حيث يعد كتابه من الكتب المهمة في الأدب السياسي وقد ألفه للسلطان صلاح الدين كسلفه؛ ولكنه ضَمَنَهُ بعض الفصول عن الناحية الحربية وما يتعلق بالقوات العسكرية، وما يجب على السلطان والقادة مراعاته عند نشوب أية معارك، من أجل تحقيق الانتصار، وبأقل التضحيات، وآخر المؤلفات الحربية المعاصرة للأيوبيين والتي تمت الاستفادة منها، هو كتاب (التذكرة الهروية في الحيل

الحربية)، لعلي بن أبي بكر الهروي (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م)، الذي كان معاصرا للسلطان صلاح الدين وعاش في بلاط ابنه الملك الظاهر غازي في حلب وكان من الموثوقين والمقربين منه، وتضمن كتابه حوالي إثنا عشر باباً تتعلق بالحرب وكل ما يدور في معناه، وقد ركنت إليه في الكثير من المباحث والمحاور المختصة باساليب القتال والاستعدادات المادية والمعنوية، وكيفية لقاء الأعداء، وما يتعلق بالفرق الاستطلاعية، ومايجب القيام به أيام التعرض للحصار، وخوض الحرب المكشوفة واستراتيجيات القتال المتعددة.

في حين أُلِفَت عدد اخر منها في الحقبة اللاحقة للعصر الأيوبي، وهي التي القت الأضواء بصورة عامة على فكرة الحرب وأصناف الجيوش وأساليب القتال، وأنواع الأسلحة، بحيث تم الاستفادة من بعض الملاحظات العامة لمؤلفيها، ولاسيما تلك التي أعطت تصورا واضحا عن بعض السلوكيات العسكرية والأفكار الحربية التي مثلت الأسس الرئيسية لفن الحرب، مثل كتاب (الأدلة الرسمية في التعابي الحربية)، لمحمد بن محمود بن منكلي (ت ٧٨٤هـ/ ١٣٨٥م)، وكتابه الاخر بعنوان (الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب) وهو كتاب باللغة اليونانية في الأصل يعود بتأريخه إلى عهد الاسكندر المقدوني(٣٣٦_٣٢٣ق.م)، عن الحرب واهم الحيل الحربية والمكائد وأنواع السلاح، وحصار المدن والدفاع عنها وغير ذلك مما يتعلق بفنون الحرب ومبادئه، فترجم إلى العربية ولكن لايعلم متى تمت تلك الترجمة، وهل ان ابن منكلي أعاد صياغة تلك الترجمة أم ترجمها بنفسه؟ لأنه لا يشير إلى ذلك. واذا كانت الترجمة قبل تلك الحقبة، فبطبيعة الحال استفاد غيره من مصنفي كتب الحروب والاعمال العسكرية من بعض مقتطفاته، أما إذا كانت الترجمة في عهده فهي إضافة جديدة إلى ما كان قد عرف منها أصلا أي المصنفات التي كتبت سابقا. من المصنفات البلدانية، وكنموذج جغرافي، كتاب (معجم البلدان)، لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، فقد أفاد الدراسة كثيراً في التعريف بالعديد من المواقع الجغرافية والامكنة والمواضع في حدود حكم الدولة الأيوبية، وغيرها من التي كانت للأيوبيين سلطة عليهم أو معهم علاقات سياسية أو عسكرية. فضلا عن إيراده للكثير من الحوادث التأريخية التي وقف عليها بنفسه وشاهدها عيانا، تتعلق بفترة الدراسة. وعدد آخر من المؤلفات البلدانية ثبتت عناوينها في متن وهوامش الفصول والمباحث.

ثمة مجموعة كثيرة من المصادر الأخرى التي ساهمت في اثراء كتابة هذه الدراسة من خلال بعض النصوص النادرة أو التي انفرد بها أصحابها عند تسجيل بعض الأحداث التأريخية، وقد وردت أسماؤها في صفحات الدراسة المتنوعة حسب الضرورة العلمية

للاقتباس أو الرواية المنقولة من تلك المصادر، لا حاجة هنا لذكرها أو سرد أسمائها باعتبار أن أغلب تلك المصنفات اللاحقة للحقبة الأيوبية قد اعتمدت في أخبارها على المؤلفات السابقة ونقصد بذلك المؤلفات التي تلت ابن واصل الحموي، في التسلسل التأريخي.

أما أبرز المراجع التأريخية الثانوية المعتمدة عليها، وهي على كثرتها؛ ولكننا لن نُفَصِلَ في إيراد أسماء معظمها، فقط سنركز على بعض النماذج المختصة بموضوع الدراسة كأمثلة تعريفية ليس إلا من تلك التي أفادت الدراسة في مناحي متفرقة حسب الرأي أو الفكرة أو التحليل أو الموازنة التي سجلها مؤلف المرجع، ويأتي في مستهلها، كتابي (جيش مصر في أيام صلاح الدين) و(التأريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي)، لنظير حسان سعداوي، و(الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين)، لمحسن محمد حسين، فضلا عن كتاب (البحرية في مصر الإسلامية واثارها الباقية)، لسعاد ماهر، وهناك كتاب (تأريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام) للباحثين، احمد مختار العبادي والسيد عبدالعزيز سالم، يضاف اليها كتاب (التحصينات الحربية وأدوات القتال)، لمرفت عثمان، ولم ننسَ كتاب (السنوات الأخيرة من حياة دولة الكورد الأيوبية في مصر وبلاد الشام)، لموسى مصطفى الهسنياني، و(تأريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة)، لمحمد سهيل طقوش. ولضبط التواريخ الهجرية والميلادية تم الرجوع إلى كتاب گ. گرينڤيل، (رۆژ ژمێرەکانی کۆچی و زایینی) الذي ترجم من اللغة الفرنسية إلى اللغة الكردية من قبل الباحث نەجاتي عبد الله، فضلا عن مراجع ثانوية أخرى، مدونة عناوينها على صفحات الدراسة و هوامش الصفحات.

إلى جانب تلك المصادر والمراجع لم تخلو الدراسة من الاستفادة من بعض الدراسات الأكاديمية المنشورة في المجلات العلمية، من بينها: (التنظيمات العسكرية الأيوبية في بلاد الشام)، لخالد سليمان الشريدة، و(البنية البشرية لجيوش صلاح الدين)، لسعيد عبدالفتاح عاشور، و(تقنية السلاح عند العرب) لعبد الجبار محمد السامرائي، فضلاً عن (القوة البحرية في عهد صلاح الدين الأيوبي)، لمحمد جواد المسعودي، والمرجع الأجنبي Charles William Oman,Ahistory of the art of war in Middle ages.، وغيرها الكثير من الدراسات الأكاديمية، والمراجع المعربة والأجنبية، دونت في ثبت المصادر والمراجع الملحقة بالدراسة.

في الختام لا يسعنا إلا أن نردد قول القاضي الفاضل: ((إنّي رأيتُ أنّه لا يكتبُ إنسانٌ كتابًا في يومِهِ؛ إلاَّ قالَ في غَدِهِ: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسنَ، ولو زِيدَ كذا لكان يُستحسَنُ، ولو

قُدِّمَ هذا لكان أفضلَ، ولو تركَ هذا لكان أجملَ. هذا مِنْ أعظَمِ العِبَرِ، وهو دليلٌ علَى استيلاءِ النّقصِ علَى جُملةِ البَشَرِ))، وطلب ابن خلكان الاربلي من القراء إبداء النصيحة والمشورة في حال وجود نقص أو هفوة، من أجل أن يكون العمل العلمي أكثر رصانة بعد تصحيح الملاحظات تلك، فعبر عن ذلك قائلاً: ((فمَنْ وقف عليه من أهل الدراية بهذا الشأن ورأى فيه خللاً، فهو المُثاب في إصلاحه بعد التثبّت فيه، فإنّي بذلت الجهد في التقاطه من مظان الصحّة، ولم أتساهل في نقله ممن لا يُوثق به، بل تحريتُ فيه حسبما وصلت القدرة إليهِ)).

والكمال لله وحده ومنه التوفيق

تمهيد

ماهية فن الحرب ومبادئه

تمهيد
ماهية فن الحرب ومبادئه

تعد الحروب وما يتخللها من المعارك من المتلازمات الأزلية للبشر، فهي قد وجدت منذ عهد آدم عليه السلام بصورة معركة محدودة الأطر القتالية[1]، ولكنها كانت ذات نتائج سلبية على بقية البشرية لاحقاً، وبالتالي فإن الأديان السماوية قد أشارت إلى الحروب والظروف التي ينبغي على الانسان أن يحارب فيها[2]، ومن ثم ازدادت النطاقات التي قاتل

(١) ذكرت الكتب المقدسة حادثة القتل التي قام بها ابني آدم عليه السلام فقد ورد في التوراة ((حدث من بعد أيام أن قابين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه، ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قابين وقربانه لم ينظر، فاغتاظ قابين جداً وسقط وجهه، فقال الرب لقابين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت أفلا رفع؟؟ وإن لم تحسن فعند باب خطيئة رابضة وإليك اشتياقها... وكلم قابين أخاه هابيل، وحدث أن كانا في الحقل أن قابين قام على هابيل أخيه وقتله. فقال الرب لقابين أين هابيل أخوك فقال لا أعلم أحارس أنا لأخي؟ فقال ماذا فعلت صوت دم أخيك صارخ إليَ من الأرض فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك حتى عملت الأرض...)) سفر التكوين ٤ عدد ٣-١٦؛ ذكرهما الله تعالى في القرآن الكريم دون ذكر اسميهما صراحةً بل اكتفى بوصفهما ابني آدم فقال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ سورة المائدة، الآية: ٢٧-٣٠ تعتبر هذه القصة أول جريمة قتل في تاريخ البشرية، للمزيد ينظر: محمد جرير الطبري: تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة: د.ت)، ١٠/ ٢٠١-٢٢٣؛ والحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (بيروت: ١٩٩٨)، ٣/ ٧٣-٨٠؛ الحافظ ابن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (مكة المكرمة: ١٩٨٨)، ٦٥-٧٠؛ جمال الدين عياد، نظم الحرب في الاسلام، (القاهرة: ١٣٧٠هـ)، ص ص٢٠-٢١.

(٢) إن إله العهد القديم في التوراة (قوم بني إسرائيل) يدعوهم في أرض كنعان ان يقوموا بدعوتهم إلى الدخول في دينهم بصلح، فإذا لم يستجيبوا لك بالحرب والقتال عاملهم لخلاص البشرية بالقضاء والتدمير مدن السكان الأصليين حتى ينعم شعبه وأبناؤه بالعيش الكريم، يقول: ((حيث تقرب من المدينة لكي تحاربها استدعائها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب موجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً، فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل= =الغنيمة التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها تحريماً: الحيثيين والأموريين والكنعانيين والغرزيين والحويين واليبوسيين، كما أمرك الرب إلهك لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهك))، سفر التثنية: ١٠-١٨. وفي مكان آخر من التوراة يشير إلى أن جميع من هم خارجين عن ديانتك (اليهودية) يكون لك عبداً أو إماءاً ويدعوا بنو إسرائيل عدم استعمال العنف مع أخيه ويحثهم على السلم كما في الآتي: وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيداً وإماءاً، وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون

البشر بعضهم البعض في حروب ومعارك مختلفة من أجل البقاء اولاً، وبعد ذلك في سبيل تمكين الهيبة من خلال التوسع على حساب الماحَول الموجود من التجمعات البشرية القائمة، لكن شيئاً فشيئا ومع التطور الذي طرأ على طبيعة الحياة البشرية، وظهور بعض الاشخاص الأكفاء لقيادة قبائلهم وكياناتهم الاجتماعية، بدأت الافكار القتالية تأخذ منحاً آخر اكثر تقدماً من خلال ابتكار طرق جديدة تساعد على إلحاق الضرر بالخصوم في وقت أقصر وتضحيات أقل، ناهيك عن التغيير الذي حدث لصناعة

ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضهم فيكونون ملكاً لكم. وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميـراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر، وأما إخوتكم بنوا إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف))، سـفر اللاويين، الإصحاح الخامس عشر: ٤٤-٤٦. وفي مكان آخر في التوراة جاء: ((فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً)) سفر، صـموئيل الأول: ١٥: ٣.

أما بالنسبة للدين المسيحي فإن في الإنجيل (العهد الجديد) العديد من آيات القتل والتخريب والتعذيب بالإضافة إلى آيات السلم فمثلاً جاء على لسان يسوع: ((لا تظنوا إني جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والأبنة ضد أمها والكنة ضد حمايتها)) متى، ١٠: ٣٤-٣٥. وفي مكان آخر يقول: ((أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى حصننا واقتلوهم أمامي)) لوقا ١٩: ٢٧. إلى جانب ذلك لا تخلو العهد الجديد من آيات الرحمة والمحبة والسلم كما في الآتي فقال يسوع: ((دعوا الأطفال يأتون إلي ولا تمنعوهم لأن أمثال هؤلاء ملكوت السماوات ووضع يده عليهم)) متى ١٩: ١٤، ((وأما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة)) كورنثوس، ١٣:١٣. وفي مكان آخر من الإنجيل جاء ((أيها الإخوة أخرجوا واسعوا إلى الكمال وتشجعوا وكونوا على رأي واحد وعيشوا بسلام، وإله المحبة والسلام يكون معكم، سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة، يسلم عليكم جميع الإخوة القديسين)) كورنثوس، ١٣: ١١-١٢.

إن الدين الإسلامي يقر على حروب الجهاد والعدل وإنها تختلف في طبيعتها وغايتها عن سائر الحروب، فالقتال في القرآن لازم لإعلاء كلمة الله وحماية الدين ومنع الفتنة، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ سورة البقرة: ٢١٦. وكذلك قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ سورة التوبة: ٢٩، ويذكر القرآن الكريم الضوابط وموانع القتال كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ سورة التوبة: ٥. للمزيد عن القتال في الإسلام أحكامه وأهدافه وأقسامه وآدابه ينظر: ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار (كتاب الحرب)، (بيروت:١٩٢٥)، مج١، ج٢، ص١٠٧-١٠٨؛ الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، (الكويت: ١٩٨٩)، ص١٦-٥٨؛ محمد ناصر عبد الرحمن الجعواني، القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته دراسة مقارنة (دام: ١٩٨٣)، ص١٦-٥٩؛ وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، (دمشق: ١٩٩٨)، ص٥٩ وما بعدها.

مما سبق يتبين لنا أن في كل الأديان السماوية آيات تحث على القتال والسلام في آن واحد، أي أن هناك آيات القتال يقابلها آيات السلام.

الأسلحة المستخدمة حيث أصبحت أشد فتكاً بالأعداء[١]. ومع كل ذلك فان تحقيق الاهداف المخططة لها والانتصار في المعارك كانت تحتاج إلى الكثير من الأمور الحربية والإدارية والسياسية والاقتصادية التي كان ينبغي التنسيق فيما بينهماجميعا من قبل القيادات العسكرية بغية الفوز في الحرب.

اولاً- فن الحرب بين المفهومين اللغوي والاصطلاحي

أ- الحرب لغة:

هناك عدة معان مشهورة لكلمة الحرب عند العرب:

١- خلاف السلام أو نقيض السلم[٢]، وهي لفظة مؤنثة باعتبارها المقاتلة، وتذكر باعتبار المقاتل[٣]، وتصغيرها حريب بغير هاء[٤].

٢- سلب ونهب المال واشتقاقها من الحرب بفتحتين وهو السلب، أي إن سلب الرجل ماله (نهب مال الإنسان)، فمثلاً يقول حربته: ماله الذي سلبه وتركه بلا شيء، ويقال أسد حرب أي من شدة غضبه كأنه حرب شيئاً أي سلبه[٥].

٣- الشجاعة والشدة، يقال رجل حرب أي شجاع، أو الرجل محراب أي شديد الحرب[٦].

٤- القتل: مثل قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[٧]، أي بقتل[٨].

٥- العداوة: يقال أنا حرب لمن حاربني: أي عدو[٩]، أو يقال دار الحرب: أي بلاد الأعداء[١٠]، ويقول الفيروزآبادي أن دار الحرب يعني بلاد المشركين الذي لا صلح بيننا وبينهم[١١].

---

(١) كولان، البارود عند المسلمين، ترجمة إبراهيم خورشيد واخرون، (بيروت: ١٩٨٤)، ص ص٢٥-٣٥، ٣٨-٤٣؛ محمود إبراهيم عبدالرحمن شهاب، الأسلحة غير التقليدية في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة والقانون، قسم الفقه المقارن، (غزة: ٢٠٠٧)، ص ص٣١-٣٣، ٣٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، (بيروت/ د. ت)، ١/ ٣٠.

(٣) بطرس البستاني، محيط المحيط، (بيروت: ١٩٨٧)، ص١٥٨.

(٤) أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: ١٩٧٩)، ٢/ ٤٨.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس، ٢/ ٤٨ ؛ ابن منظور: لسان العرب، ١/ ٢٠٣ .

(٦) ابن فارس، معجم مقاييس، ٢/ ٤٨؛ ابن منظور: لسان العرب، ١/ ٣٠٢؛ الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق، انس محمد الشامي، زكريا جابر احمد، (القاهرة: ٢٠٠٨)، ص٣٤٣.

(٧) سورة البقرة، الآية ٢٧٨.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٣٠٢.

(٩) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٤٨.

(١٠) بطرس البستاني، محيط المحيط، ص١٥٨.

(١١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٣٤٣.

٦- إحداد السيوف: يقال: حرّبَ السنان: أي أحدّها، والحربة آلة للحرب من الحديد قصيرة: وهي دور الرمح[١].

٧- المعصية: كقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾[٢]، أي يعصونه[٣]، يقال الحرب: يعني فساد الدين[٤].

٨- الغضب والشر: يقال أحربنا الرجل يعني تهيأ للغضب والشر أو أضمر الداهية في نفسه[٥]، ويقول: واحرباه عند إظهار الحزن والتأسف[٦].

كلها معان ضرورية للحرب وإنها دلالة واضحة على أن القتال يؤدي إلى العداوة وإلى الغضب والشر التي تدفع إلى إنهاء حالة السلم وتحتاج إلى الشدة والشجاعة في القتال وإلى إعداد العدة بإحداد السيوف (السلاح) وبالتالي يؤدي إلى عملية السلب ونهب الأموال وإلى المعاصي، لكن الحرب احياناً تكون دفاعية ايظاً.

هناك نوعان من الفن، الاول هو الفن المتداول بمفهومه العام بين الناس وكانت العرب تسمى هذا النوع من الفن بالصناعة[٧]، وقد عرفته المعاجم اللغوية والموسوعات بتعاريف متقاربة مع بعضها، فقد ذكر أبو بكر الرازي، ان الفن هو مفرد الفنون، اي الانواع[٨]، اي ما كان متداولاً بين اوساط المجتمع، بينما أشار الحسن الصغاني صاحب كتاب التكملة والذيل والصلة (ت ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) إلى ان الفن هو ما كانت العرب تقول به، فننته أي زينته[٩]، لكن صاحب لسان العرب، بيَّن ان الفن هو الضرب من الشيء وجمعه فنون أو أفنان[١٠]، وعرفه الفيروزبادي، أيضا بالقول، إنه يعني التزيين[١١]، وقد أشار احدهم إلى أن الفن، هي المهارات الشخصية التي يمتلكها أناس معينون، محترفين أو أصحاب صنعة، وهذا ما يسمى بالفنون التطبيقية المعتمدة على مهارة الانسان في تقديم أمور نافعة ومفيدة[١٢]، أما من الناحية الاصطلاحية فقد ورد في المعجم الوسيط ما

---

(١) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق: ٢٠٠٩)، ص٢٢٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٣٠٢.

(٤) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٣٤٣.

(٥) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق،جماعة من المختصين، (كويت: ١٩٦٥-٢٠٠١)، ١/ ١٩١.

(٦) شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، (القاهرة: ٢٠٠٤)، ص١٦٤.

(٧) سيد أحمد بخيت عسلي، تصنيف الفنون العربية والإسلامية، (فرجينيا: ٢٠١١)، ص٣٣-٣٤.

(٨) مختار الصحاح، (بيروت: ١٩٨٦)، ١/ ٢١٥.

(٩) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: ١٩٧٩)، ٦/ ٢٨٨.

(١٠) لسان العرب، ١٣/ ٣٢٦.

(١١) القاموس المحيط، ص١٣٦٩.

(١٢) شهاب الدين النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، (القاهرة: ١٤٢٣هـ)، ٧/ ٢٩.

نصه: ((إنه مجموعة من الأساليب التي يستعملها المرء لاثارة المشاعر والعواطف بما فيها عاطفة الجمال كالتصوير والموسيقى والشعر، كما انه مهارة يحكمها الذوق ومواهب الإنسان، الفن هو الابداع وخلق اشياء ممتعة والاتيان بكل ما هو جديد))[١].

استنادا إلى ما سبق، فإن مفهوم الفن المرتبط بالحرب يختلف بصورة أو باخرى عن الفن الانساني القائم على الذوق والجمالية، لأن الفن الحربي هو العلم بكيفية القتال وتحقيق الانتصار، ومعرفة أصول الحرب، وكيفية مواجهة الأعداء بالطرق والوسائل المتعارفة عليها والمبتكرة في آن واحد[٢]، أي تمكن قادة الجيش من وضع الخطط الحربية اللازمة لكسب المعارك، باقل الخسائر والحصول على أعلى المكتسبات في الوقت نفسه[٣]، وهذا لن يتحقق إلا إذا امتلك القائد الذي يدير الحرب أو المعركة لموهبة ومهارة قتالية تمكنه من أن يسبق العدو في وضع المخططات المرجوة، للتأثير على حركته في ميدان القتال، وفي هذه الخاصية فإن فن الحرب يوازي الفن العام بمفهوم امتلاك الشخص العادي للمهارة والموهبة مع القائد العسكري المحنك، وكم من معركة خسر فيها الجيش بسبب عدم امتلاك القائد للموهبة والمعرفة بوضع الخطط وتدابير القتال[٤].

ب- الحرب اصطلاحا:

هي المقاتلة والمنازلة[٥]، والهلاك والويل[٦]، وهي حالة قيام صراع أو صدام عسكري بين قوتين أو دولتين أو جماعتين كوسيلة لحماية مصالح أو لتوسيع نفوذ أو لحسم الخلاف حول المصالح أو المطالب بين البشر باستخدام أي نوع من أنواع الأسلحة سواءاً

---

(١) بسام العسلي، فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، (بيروت: ١٩٨٨)، ١/ ١٣؛
General Garl Von Clause wits, Principles of war, Translated by: Colonel J.J. Graham, (London: 1873), Vol. 1, P. 56.

(٢) يذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٧٠هـ أن سبب هزيمة جيش سيف الدين غازي اتابك الموصل أمام جيش صلاح الدين الأيوبي في معركة قرون حماة يرجع لعدم كفاءته وشجاعته، وأيضاً عدم معرفته بأمور الحرب والقتال، يقول: ((وكان زلفندار جاهلاً بالحروب والقتال غير عالم بتدبيرها، مع جبن فيه))، الأمر الذي أدى بعد ذلك إلى عزله عن منصبه وتعيين قائد عسكري كفوء مكانه. الكامل في التاريخ، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، (بيروت: ٢٠٠٧)، ٩/ ٢٨٨، ٢٩٥. للتفصيل عن صفات القائد العسكري ينظر: عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، (القاهرة: ١٩٦١)، ص٧٦-٧٨؛ صامويل هيز، وليم توماس، تولي القيادة فن القيادة العسكرية وعلمهما، ترجمة: سامي هاشم، (بيروت: ١٩٨٩)، ص ص٣٠-٤٥.

(٣) شوقي ضيف وآخرون،المعجم الوسيط، (القاهرة: ٢٠٠٤)، ص٧٠٣.

(٤) على سبيل المثال لا الحصر إحدى هذه الطرق فن التحصن والهندسة أي فن العمارة الحربية (الأسوار، القلاع، الخنادق، الأبراج)، للمزيد ينظر: محمد الجهيني، إطلالة على العمارة الحربية في شرق العالم الإسلامي عبر العصور، (القاهرة: ٢٠٠٧)؛ بيرتون بيرج، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة: إبراهيم خورشيد وآخرون، (بيروت: ١٩٨١).

(٥) الراغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القران، ص٢٢٥.

(٦) لويس معلوف، المنجد في اللغة، (بيروت: د. ت)، ص١٢٤.

أكانت تقليدية أم متطورة[١]. فهي تعني الصراع الذي يقوم بين قوتين أو دولتين أو جماعتين من دولة واحدة أو بمشاركة عدة أطراف أو دول متحالفة مع بعضها ضد البعض الآخر من أجل حماية مصالحها والمحافظة على حقوقها أو الاستيلاء على حقوق الغير دون وجه وحق فقط لكونها تمتلك القوة التي لا يمتلكها نظيرتها من الدول أو الطرف المتحارب معه[٢]، بغض النظر عن مدى الاختلاف في قوتيهما أو قوة تلك الأطراف، وعلى أغلب الظن إن ذلك الصدام يكون عسكرياً برياً أول الأمر ثم تتطور الحالة إلى المسالك الطبيعية الأخرى عند اشتداد المعارك العسكرية، وقد أشار طه الهاشمي، إلى أن كل دولة تحاول حماية مصالحها الاستراتيجية، بقوة السلاح، وذلك عندما تفشل السياسة في إحلال السلام، ومن ثم للمحافظة على تلك المصالح وحمايتها[٣].

وقد عرّف المؤرخ ابن عبد ربه الأندلسي، الحرب بشكل مفصل وشامل: ((رحى ثغالها ما يبسط تحت الرحى ليكون عليه الدقيق الصبر، وقطبها المكر، ومدارها الاجتهاد، وثقافها الأناة، وزمامها الحذر. ولكل شيء من هذه ثمرة، فثمرة المكر الظفر، وثمرة الصبر التأييد، وثمرة الاجتهاد التوفيق، وثمرة الأناة اليُمن، وثمرة الحذر السلامة، ولكل مقام مقال، ولكل زمان رجال والحرب بين الناس سجال، والرأي فيها أبلغ من القتال))[٤].

ثانياً- مبادىء فن الحرب وأصوله العامة

ذكر ابن خلدون بأن الدافع لقيام الحروب هو، رغبة الانتقام الموجودة لدى الناس ضد بعضهم البعض، وعندما يحدث الأمر أي الحرب فإن لكل جانب أتباعه الذين يناصرونه ويساندونه ويتفقون معه في إشعال نار الحرب[٥]، وبالتالي فان الطرفين يدخلان الحرب أحدها سيكون مهاجماً والاخر سيكون مدافعاً، ولا يرى ابن خلدون بأن الحرب حالة عارضة على البشر وإنما يقول بأنه: ((أمر طبيعي في البشر لا تخلوا عنه أمة أو جيل))[٦]. واستطرد قائلاً بأن هناك عدة أنواع للحروب وهي:

١- الغيرة والمنافسة.

٢- العدوان غير المبرر.

٣- الغضب لله ودينه أي القتال من أجل المباديء العقيدية.

---

(١) إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، (قويسنا: ٢٠٠٥)، ص١٦١؛ عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، (بيروت: ١٩٩٤)، ٢/ ١٧٠.

(٢) عبد الكافي، الموسوعة الميسرة، ص١٦١؛ الكيالي، الموسوعة السياسية، ٢/ ١٧٠.

(٣) الجغرافية العسكرية، (بغداد : ١٩٣٨)، ص ٦ .

(٤) العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، (بيروت: ١٩٨٣)، ١/ ٨٥-٨٦.

(٥) مقدمة ابن خلدون، تحقيق،عبد الواحد الوافي، (القاهرة: ٢٠١٤)،ص ٢٤١.

(٦) مقدمة،ص٢٤١ .

٤- الغضب للملك وقتال الخارجين عليه[(١)].

بين ابن خلدون أن النوعين الاولين من تلك الحروب هي المعروفة بحروب البغي والعدوان وهي التي تقوم دون وجه حق، في حين أن الصنفين الأخيرين هما حروب الجهاد والعدل. وإن الحروب لا تخرج في صفتها القتالية عن وجهتين الاولى اتبعت الزحف والهجوم على طريقة الصفوف المتراصة المترابطة وهي الطريقة الاكثر شجاعة وخوفاً للعدو، والثانية التزمت بصفة الكر والفر وذكر بأن الحالة الثانية أكثر ما توجد كانت عند العرب والبربر ولاسيما من سكان المغرب[(٢)].

ويعد سون تزو الصيني (ت ٤٩٦ق.م) هو رائد علم فن القتال والحرب، لأنه اول من وضع كتاباً عن الاستراتيجيات العسكرية - قبل ما يزيد عن ألفي عام[(٣)]- التي ينبغي على القادة اتباعها لتحقيق النصر بأبسط الوسائل المكنة، وهو الذي ذكر بأن الحرب ليست حالة عشوائية، وإنما للحرب نظمه وقوانينه والذي يحافظ على تلك القوانين والنظم هو الجيش أو العسكر الذي يقع القتال على أكتافه[(٤)]، وفي الوقت نفسه أشار إلى أن هناك عوامل عدة يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار عند الاستعداد للحرب ألا وهي:

١- القانون الأخلاقي، أي الثقة التي يوليها الجند لقائدهم دون مناقشة لأية قرارات.

٢- السماء والارض ما يتعلق ببيئة القتال.

٣- القائد.

٤- المنهج أي التنظيم العسكري.

٥- الضبط والالتزام بالقوانين والخطط[(٥)].

في حين ان الشيزري (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، أشار أيضا إلى عوامل عدة على السلطان أو القائد أن يتبعها قبل خوض غمار أية معركة، من أبرزها:

---

(١) مقدمة، ص٢٤١؛ في حين ذكر الهرثمي (ت ٢٠٠هـ/ ٩٠٦م) في كتابه مختصر سياسة الحروب، الى ان الحروب تقع بين البشر لسببين فقط: ١- الغارة والهجوم والغزو من اجل السلب والنهب والحصول على المغانم. ٢ - السيطرة على العالم، من خلال محاربة المخالفين من الأمم الأخرى للطامع بالسيطرة والاستيلاء على أراضي الغير. تحقيق عبدالرؤوف عون، (القاهرة : ١٩٦١)، ص ٦٧.

(٢) مقدمة،ص ص٢٤١-٢٤٢.

(٣) ينظر ترجمته: سون تزو، فن الحرب (مقدمة المترجم)، ترجمة رؤوف شبايك، (القاهرة: ٢٠٠٦)، ص ١١-١٢

(٤) سون تزو، فن الحرب، ترجمة: هشام البطل، (الجيزة: ٢٠٠٩)، ص١٠٩-١٣٢.

(٥) فن الحرب، ص١١.

١- استعراض العساكر واستكمال النواقص الواجبة قبل الانطلاق إلى ساحة المعركة.

٢- الإحاطة بالوضع العام للجيش من حيث الضعف والقوة بين الجند وبالتالي الحرص على الاعتدال في المسير إلى المعركة.

٣- مراعاة فئات الجيش المشارك في أية معركة والاهتمام بأصنافه سواء أكانوا من الجيش النظامي المسجلين بالديوان ويؤخذون رواتبهم باعتدال، أم المقاتلون المتطوعة من غير المسجلين بالديوان وتخصيص رواتب خاصة بهم من ديوان الصدقات.

٤- أن يعين على كل فرقة أو سرية عرفاء ونقباء من بينهم ليتم ضبط العناصر القتالية، فضلاً عن الاهتمام بمشاكلهم و توعيتهم للقتال.

٥- أن يخصص لكل قائد من قادته رمزا أو شعاراً خاصا به، يختلف عن غيره من القادة، حتى يستطيع القائد التميز بينهم إبان اشتداد المعارك، لأن معرفة أسماء كل القادة أو النقباء أو العرفاء أثناء القتال والاختلاط في المعارك مع العدو سيكون أمراً صعباً.

٦- على القائد أن يقوم بالتحقق مع كل امرائه وقادته وجنده قبل المسير لساحة المعركة، والعمل على إبعاد من يتوسم فيه الخذلان والجبن ومن يعمل على تثبيط همم الجند.

٧- ان لا يظهر أي موقف مضاد لمن يخالفه من الجند أو القادة في العقيدة أو المذهب، أو لمن لا يشاركه في آرائه الخاصة، أو ليس مقرباً منه، لأن ذلك سيؤدي إلى التفرقة والتشاحن وعدم الإخلاص في القتال.

٨- معرفة الأماكن الضعيفة التي سيحاول العدو من التسلل إلى خلف قطعاته العسكرية، وتقويتها بما يجب من الجند والقوات اللازمة.

٩- تهيئة كل ما يسلتزمه الجيش من السلاح والمؤون والاعلاف للدواب، حتى لا ينشغل الجند بالبحث عن تلك المتطلبات في وقت ينبغي أن يكونوا في ساحة المعركة يجاهدون العدو.

١٠-التحسس من أخبار أعدائه بواسطة الاعتماد على العيون والجواسيس الذين يجب أن يكونوا من الثقات والمقربين منه أو من قادته، لينقلوا الاخبار بدقة وإخلاص.

١١- المشاورة مع أصحاب الخبرة والتجربة من قادته ومستشاريه، وكبار رجال السياسة في الدولة، فيما أشكل عليه من أمر أو رأي أو اتخاذ قرار مصيري، حتى لا تقع المسؤولية على القائد لوحده[١].

كما إن الهروي (ت ٦١١هـ/ ١٢١٤م)، لم يعدم التأكيد على البعض من تلك العوامل قبل المسير إلى المعركة، حيث أكد على القائد أن يهتم بهذه الأمور:

١- الاهتمام بالجواسيس والعيون ومن ينقل له الاخبار، بشرط أن يكونوا من الثقات.

٢- توفير اللازم من الآلات الحربية والأسلحة وما يتعلق بها من الذخائر، وأن يهتم بكل العناصر المشاركة في القتال مهما كانت مناصبهم أو أساليب عملهم مع الجيش وأن لا يهمل أية فئة، وأن يوفر لهم كل احتياجاتهم اليومية.

٣- في حالة تقدم العدو نحوه على القائد أن يسير باتجاهه وينقل المعركة إلى خارج البلد، وأن يرسل الجواسيس والفرق الاستطلاعية أمام العساكر ليستكشفوا أحوال العدو.

٤- على القائد أن يحتاط بأموره الحربية، وأن يكتم ما عزم عليه من الخطط، ولا يباشر إلى نشرها، وعليه المشاورة فقط مع من يثق فيهم ويجدهم أهلاً للمسؤولية.

٥- عندما يرسل بعض قواته كمدد أو مساندة لقوات أخرى، ينبغي أن ينتقي القادة والأمراء من ذوي الخبرة والتجربة ومن لهم معرفة بأصول الحرب والمكائد، ووضع الكمائن، وأن لا يعين على رأس تلك القوات من ليس لهم خبرة، أو ليس مرغوباً من قبل بقية الجند[٢].

ووفقاً لما سبق، ينبغي الإشارة إلى أن الحرب تتكون من فروع ثلاث أساسية وهي:

أ- الاستراتيجية[٣].

---

(١) المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق علي عبدالله الموسى، (الزرقاء: ١٩٨٧)، ص ص٥٩٦ -٦١٣؛ وازنه مع الطرطوشي، سراج الملوك، (مصر: ١٨٧٢)، ص ص١٣٢، ١٧٣، ٢٠٦.

(٢) التذكرة الهروية في الحيل الحربية، (بور سعيد : د/ت)، ص ص١٥-١٩

(٣) الاستراتيجية: إنها علم وفن وضع الخطط العامة المدروسة بعناية في الحرب، أي أنها نظرية استخدام المعارك لتحقيق الهدف السياسي للحرب فعلاقتها بالهدف هي علاقة الوسيلة بالغاية، وإن مصطلح الاستراتيجية يوجد في مختلف اللغات الأوربية والإغريقية، وفي كل لغة تعني مفهوماً ومعنىً مختلفاً يلائم مع ظروفهم وإمكانياتهم العسكرية، وفي كل دولة من الدول يعطي تحليلات واشتقاقات عديدة في عصور مختلفة. صلاح نيوف، مدخل إلى الفكر الاستراتيجي، (الدنمارك: ٢٠٠٦)، ص١٥-١٦؛ منير شفيق، الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب، (بيروت: ٢٠٠٨)، ص٣٥؛ الكيالي، الموسوعة السياسية، ص١٦٩.

ب- التكتيك[1].

ج- فن العمليات الحربية[2].

من ملاحظة الأفكار الواردة أعلاه فإننا عندما نصل للحقبة موضوع الدراسة، ومن خلال التفاصيل التي دوّنها لنا المؤرخون المعاصرون للاحداث الحربية وما تخللتها من معارك برية وبحرية، نجد بأن الأيوبيين، لم يكونوا بمنأى عن معرفة الأصول القتالية، والأساليب الحربية التي كانت سائدة أوانئذ، بل إن السلاطين الأيوبيون وملوكهم وأمراء وقادة الجيش كانوا على علم بمعرفة الكثير من الخطط القتالية المتبعة[3]، بل إنهم طوروا بعض تلك الخطط والاستراتيجيات بما يتوافق مع مجاراة العدو في خططه وأساليبه التي كان يستخدمها الصليبيون في التعرض للمدن والقلاع والحصون الإسلامية لاسيما في بلاد الشام ومصر[4]، حيث كان التكتيك المتبع في المعارك البحرية يختلف عما يتبع في المعارك البرية[5]، والاساليب المتبعة لفتح القلاع الداخلية اختلفت عن تلك التي سلكت لفتح القلاع البحرية للمدن الساحلية، فضلاً عن الاختلاف السائد في استخدام الاسلحة من قبل الجيوش البـرية نوعاً ما عن تلك التي استعملت فـي

---

(١) التكتيك: استخدام القوات العسكرية في المعركة عن طريق تحصين القوات ضد الهزيمة وتأمينها وذلك باتخاذ التدابير اللازمة ووضع التكتيكات الدفاعية، والتكتيك السياسي لا يختلف عن التكتيك العسكري لأن لكل منهما أساليب وأشكال ومنهاج لتحقيق مهمات معينة، ويعتبر السلام من أبرز الوسائل التكتيكية وأكثرها حركة وتغييراً في مجرى التاريخ العسكري. سون تزو: فن الحرب، ص٤٩؛ فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، (عمان: ٢٠٠٣)، ١/ ٥٧؛ شفيق، الاستراتيجية والتكتيك، ص٣٨.

(٢) فن العمليات: يعني تحديد فكرة العملية أو العمليات وضع المخططات اللازمة لاستخدام القوى والوسائط وحشد الإمكانيات الضرورية لتنفيذ فكرة العملية، اقتضاء الأساليب والأشكال المرتبطة باستخدام التشكيلات الكبرى (الجيوش والجبهات) ثم بتنظيم وتعاون بين القوى المختلفة والأسلحة الاستراتيجية والتكتيك في الحرب. العسلي: فن الحرب، ١/ ١٣؛ شفيق، الاستراتيجية والتكتيك، ص٣١.
V. K. Trianda Fillov, The Nature of Operations of Modern Armies, (London: 1994), P. xi.

(٣) الفيلد مارشال مونتجمري، الحرب عبر التاريخ، ترجمة: فتحي عبد الله النمر، (القاهرة: ١٩٧١)، ٣/ ٢٥٦؛ أحمد ميرزا ميرزا: استراتيجية صلاح الدين في تحقيق انتصاراته (٥٧٠-٥٨٢هـ/ ١١٧٤-١١٨٦م)، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، ٢٠١٦، مج٢()، ع (٧)، ص٤٥٤-٤٧٢.

(٤) بسام العسلي، فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية، (بيروت: ١٩٨٨)، ١١٧/٤؛ ر. سي. سميل، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧-١١٩٣م)، ترجمة محمد وليد الجلاد، (دمشق: ١٩٨٥)، ص٤٠؛ مرفت عثمان: التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي لمصر والشام زمن الحروب الصليبية، (القاهرة: ٢٠١٠)، ص١٣٣؛ خالد سليمان حمد بني عبد الرحمن، إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، (عمان: ١٩٩٧)، ص ص١٨٨-١٨٩.

(٥) قاسم عبده قاسم، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، (الجيزة: ٢٠١٠)، ص ص٩٣-٩٩؛ وفيق بركات: فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، (حلب: ١٩٩٥)، ص ص١٤-١٥؛ بيل فاوست، كيف تخسر معركة، ترجمة، هشام عبد الحميد نور، (القاهرة: ٢٠١٧)، ص ص٤٧-٤٩.

المعارك البحرية[1]. فضلاً عن إدارة الأيوبيين لسياسة الكتمان ونقل المعلومات بسرية ومسائل التجسس ونقل الأخبار بواسطة العيون كلها اتبعت طرقا خاصة بها[2]، ظهرت فائدتها خلال مراحل مختلفة من الصراع الأيوبي-الصليبي، وكان لها أكبر الأثر في الكثير من الأحيان في ترجيح كفة الأيوبيين على الصليبيين.

كما إن هدم وبناء العديد من الحصون والقلاع كان لها مبرراتها القتالية، في عهد كل سلطان ربما اختلفت حول ذلك وجهات نظر القادة والأمراء[3]. ناهيك عن أن بعض الاساليب القتالية كانت معروفة في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهو الذي بدوره استمد تلك الأفكار والاستراتيجيات المتعلقة بفن الحرب وأصوله من الزنكيين الذين اعتمدوا بدورهم على النظام الحربي السلجوقي، حيث كان الاتابكة الزنكيين من المحسوبين سياسياً وإدارياً على السلاجقة بصورة مباشرة، بل كانوا جزءاً من نظامهم السياسي، قبل أن تضعف الدولة السلجوقية وتستقل الاتابكيات بسلطتها في المناطق التي كانت تخضع لهم، ومن بينها الأتابكية الزنكية في الموصل وبلاد الشام حيث كان صلاح الدين من قادة تلك الدولة بفرعها الشامي فطوَر تلك الاساليب

---

(١) عامر إبراهيم داود الجبوري، الأسطول الحربي في العصر الأيوبي والمملوكي (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م/ ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ،جامعة الموصل (الموصل: ٢٠١٢)، ص ص٣٥-٤٤؛ محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، (أربيل: ٢٠٠٢)، ص٢٢٨؛ محمد ياسين الحموي، تاريخ الأسطول العربي، (دمشق: ١٩٩٥)، ص ص٦٦-٧١.

(٢) عبد الله عبد كمال سيد، التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧-٩٢٣هـ/١١٧١-١٥١٧م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة المنصورة، (المنصورة: ٢٠١١)، ص ص٥٧-٧٩؛ علي حسين علي وعلي سلطان عباس، الدبلوماسية في عصر الحروب الصليبية (٤٩١-٥٨٩هـ/١٠٩٧-١١٩٣م)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية لسنة ٢٠٠٩، مج٤، ع٢، ص ص٩٩-١٠٢؛ فتحي أحمد محمد، العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي (٥٢٢-٦٤٨هـ/١١٢٨-١٢٥٠م)، ص ص٥٠-٧١.

(٣) ومن الأمثلة على ذلك أنه بعد أن خضع صلاح الدين بعلبك وهزم الصليبيين فقد خطط أن يهدم حصن بيت الأحزان حتى لا تتقوى به الفرنج ولكي تكون منطقة طبرية تحت رحمته، فسار بجيشه إلى الحصن وبدأ النقابون في الهدم وأشعلوا النار في النقوب وأنقذوا ١٠٠ مسلم من الأسر وأسروا من الصليبيين ٧٠٠ أسير= =وذلك في سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م. وكذلك في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م بعد أن دخل الصليبيون عكا وبدأ زحفهم نحو حيفا وقيسارية واحتلوا يافا فقد اضطر صلاح الدين إلى أن يأمر بتدمير عسقلان حتى لا يستفيد الصليبيون من تحصيناتها إذا ما دخلوها، وقد عمل ذلك كرهاً ؛لأنه قال لئن أفقد أولادي خمستهم أحب إلي من أن أهدم منها حجراً واحداً ؛ولكنه اضطر إلى ذلك لأنه لا يستطيع حفظها، ويريد أن يحفظ مصلحة المسلمين بذلك. بهاء الدين ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، (القاهرة: ١٩٩٤)، ص ص٣٤٩، ٣٥٠؛ البنداري: سنا البرق الشامي، تحقيق ، رمضان ششن، (بيروت:١٩٧١)، ص١٥٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦/ ٣٢٠، ٤٥٦-٤٥٧؛ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،تحقيق،ابراهيم شمس الدين، (بيروت: ٢٠٠٢)، ٣/ ٢٥-٢٦؛ جاسر علي العناني: فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس بين السياسة والحرب، (عمان: ٢٠١٢)، ص ص٢٢٥-٢٧٤.

والخطط وأدخل عليها تحسينات جديدة تتفق والأوضاع الحربية التي كان يعيشها أوانئذٍ.

تغيرت في عهد خلفائه، بعض الأساليب التي كانت موجودة على عهده، بسبب تغير الظروف والفكر القيادي للجيش الأيوبي. فكل سلطان أو ملك أو قائد كانت له خصوصيته القتالية ورؤيته المنفردة في كيفية التعامل مع الصليبيين ومع الكيانات المحلية والإقليمية على حد سواء، من حيث إعلان الحرب أو المشاركة في المعركة أو إحلال المدن أو عقد الاتفاقيات الطويلة الأمد أو القصيرة الأجل، ونشر السلام في المنطقة، وبالتالي فإن استيعاب أصول فن الحرب ومبادئه وكيفية تنفيذ اسسه وفق الطرق الصحيحة من عدمها، كان له دور مؤثر في اضعاف المؤسسة الحربية الأيوبية، ذلك الضعف الذي أدى في النهاية إلى سقوط الدولة الأيوبية.

مخطط رقم (١)

أصول فن الحرب



الفصل الأول

عناصر المجتمع الحربي الأيوبي القتالية

الفصل الأول
عناصر المجتمع الحربي الأيوبي القتالية

مدخل:

الحرب هي إحدى المآسي الكبيرة التي تعرضت لها الدول والكيانات السياسية ؛فضلا عن التكوينات البشرية الأصغر حجما من الدول أو المدن، كالعشائر والقبائل على مر التأريخ، فبعض الحروب تشن من أجل الدفاع والبعض الآخر من أجل السيطرة والاحتلال، وإن اختلفت أساليب خوض المعارك بين دولة وأخرى أو قائد وآخر، كل حسب تفكيره ومدى استيعابه لأبجديات فنون الحرب والقتال.

خلال العصور الوسطى وتحديداً في حالة الدولة الأيوبية، التي فرضت عليها الظروف التصدي للاحتلال الصليبي لبلاد الشام ومصر ومن ثم العمل بجد من أجل استعادة ما سيطر عليه واحتله الصليبيون ومنعهم من التوسع اكثر في الساحتين الشامية والمصرية، كانت تحتاج إلى عناصر قتالية ومجموعات بشرية لها الكثير من الخبرة والشجاعة والمهارة في الحرب، لتتمكن من الحفاظ على الهوية المكانية والعقائدية للمنطقة، بل وتدفع بالمسيطرين إلى خارج الحدود الاصلية لتلك المنطقتين المشار اليهما قبلا.

عليه فقد توفرت للدولة الأيوبية ابان عصرها الممتد بين (٥٧٠-٦٥٢هـ/ ١١٧٤-١٢٥٢م) هرم بشري متسلسل وتاقلم متواصل مع مسالة الحرب والقتال، بحكم امتداد النظم العسكرية الأيوبية لكل من السلاجقة والاتابكية الزنكية، ومعظم من برزت أسماؤهم من الرجال أو القبائل أو الفرق العسكرية في المرحلة المبكرة لتأسيس الدولة الأيوبية، كانت قد كسبت الخبرة في فن الحرب زمن الزنكيين، نمت تلك الخبرات في عهدالسلطان صلاح الدين الأيوبي شيئاً فشيئاً لدى الجيل المعاصر له، لتزداد مهاراتهم في الفترة اللاحقة من عمر الدولة الأيوبية، ويأخذ الجميع دوره في تقوية المؤسسة العسكرية الأيوبية متضمنة المراحل التي استهلكت فيها قوى الرجال وخبراتهم في المعارك الداخلية أو الإقليمية فضلا عن الحرب الواسعة ضد الصليبيين. وكانت الظروف تضطر البعض من السلاطين إلى منح الثقة لبعض الفئات والعناصر دون الأخرى حسب المصلحة الراهنة، وبالتالي كانت القوات الأيوبية تتكون من تدرج مناصبي منظم تضم مختلف التكوينات العسكرية القتالية، وفق ما ورد في مباحث الفصل.

المبحث الاول

السلاطين الأيوبيون

تعد القيادة والإدارة من الأهمية بمكان سواء في اوقات السلم أو الحرب، لانه بفضل القيادة الحكيمة والإدارة الجيدة، يستطيع القائد ان يحافظ على الأسس الحياتية التي من شانها ان تساهم في تنمية مختلف مجالات الحياة العامة في الدولة، فضلا عن انه سيكون المعول عليه في الدفاع عن البلد اذا ما داهمته اخطار خارجية، وبالتالي ان من يتمكن ان يوازن بين الحالتين لابد ان تتوفر له الأرضية المناسبة، والاتباع المخلصين، ناهيك عن الخصائص الشخصية القيادية التي تولد الثقة لديه بان له من الإمكانيات ما تساعده في تحقيق الهدف الذي يسعى للوصول اليه ويمنع المعتدين من نشر الظلم والعدوان وهو ما اكد عليه ابن خلدون في مقدمته قائلا: ((فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لايصل أحد إلى غيره بعدوان))[1].

لذا عند الوقوف على هرمية التكوين الحربي للجيش الأيوبي، نرى بأن السلطان[2] يأتي على قمة ذلك الهرم، كون أن السلطان هو الذي يعقد لواء الحرب، و ينظم الجيوش، ويوفر الامدادات اللازمة لقواته، ويحرص على اختيار أفضل السبل لتحقيق النصر ضد الأعداء، ويدرس بتؤدة شروط الصلح ووقف القتال مع الطرف المقاتل له، لكن في حالة الدولة الأيوبية، علينا أن نميز بين فئتين من السلاطين الذين قادوا جيوش تلك الدولة في حروبها ضد الصليبيين أو تحقيق الوحدة الداخلية للجبهة الإسلامية، فئة تميزت بالفعالية الإدارية والقيادية وفئة من السلاطين لم يعدُ أن يكونوا سوى أسماء حفظتها متون النصوص التأريخية، فيقف على قمة الفئة الاولى السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهو الذي اكتسب خبرة عسكرية وإدارية كبيرة قبل أن يحظى أو يحصل على لقب

---

(١) ص٤٠.

(٢) ذكر نظام الملك السلجوقي، أنه قبل أن يتبوأ الأمير محمود الغزنوي السلطنة أي وجود للقب السلطان، وأنه يعد أول من تلقب به في الإسلام وثم أصبح حمل اللقب سنه بعده، ينظر سير الملوك أو سياست نامه، ترجمة يوسف بكار، (بيروت: ٢٠٠٧)، ص٨٧، في حين أن ابن جرير الطبري استخدم لفظة السلطان أكثر من مرة في عهده مشيراً إلى الموفق بالله أبو أحمد طلحة (٢٢٧–٢٧٨هـ/ ٨٤٢–٨٩١م)، عندما كان قائداً لجيش أخيه الخليفة المعتمد على الله العباسي (٢٥٦–٢٧٩هـ/ ٨٧٠–٨٩٢م)، ولم يكن يقصد بذلك الخليفة تحديداً. ينظر، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة: ١٩٧٩)، ٩/ ٥١٦.

السلطنة، وذلك من خلال مشاركاته العسكرية مع عمه أسد الدين شيركوه إبان الحملات النورية الثلاث على مصر خلال الأعوام (٥٥٩-٥٦٤هـ/١١٦٣-١١٦٨م)[١].

إثر وفاة عمه شيركوه تولى صلاح الدين الوزارة الفاطمية سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م)[٢]، فنمت مواهبه الإدارية جنبا إلى جنب مؤهلاته العسكرية، فاصبح اكثر دراية في التعامل مع القيادات العسكرية المحيطة به[٣]، فضلا عن حُسن إدارته للمعارك التي شارك فيها فقد اثنى عليه وليم الصوري قائلا: ((ما أن مات شيركوه حتى تولى الأمر من بعده السلطان صلاح الدين وهو ابن أخيه نجم الدين وكان هذا الحاكم الجديد رجلاً شديد الذكاء وبطلاً مغواراً في الهيجاء ومعطاء إلى اقصى حدود العطاء))[٤]، في حين أن كلود كاهن حاول أن يقلل من قيمة وشخصية السلطان صلاح الدين من خلال طرحه لأفكار تثير الجدل حوله ، وذيوع أخباره بتلك الصورة المثالية في العالمين الإسلامي والصليبي، فقال ما نصه: ((ان شخصية صلاح الدين هي أكثر شعبية من بين كل الشخصيات الإسلامية إبان العصور الصليبية نظراً للاهمية التي كانت لسياسته والتي لم تشهدها سياسة نورالدين ولأنها انتهت إلى استعادة القدس وتفكيك الشرق اللاتيني ومقاومة قادة الحملة الصليبية الثالثة ولأن الحظ قد حالفه... في العثور على مؤرخين كبار يشيدون به، ولأن الصليبيين قد حملوا عنه في أذهانهم... صورة ستجعل منه... بطل رواية... في الغرب المسيحي))[٥].

وقد انتقد محمد مؤنس عوض، كلود كاهن على طروحاته تلك، وذكر بأن الموازنة بين السلطان صلاح الدين وخلفه نورالدين زنكي ليست من الموضوعية بشيء وإن ما حققه صلاح الدين يعد استكمالاً لما بدأ به نورالدين زنكي، فضلاً عن أنه رفض فكرة

---

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق، عبد القادر أحمد طليمات، (القاهرة: ١٩٦٣)، ص ص١١٩، ١٢٢، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٣، أبو شامة: الروضتين، ٣/ ٥٦-٥٧ ؛ الرهاوي المجهول،تاريخ الرهاوي المجهول، عربه ووضع حواشيه، الاب البير أبونا، (بغداد: ١٩٨٦)، ١٩١/٢-١٩٤، مهدي صالح سليفاني، الايوبيون في كتابات المؤرخين السريان، (أربيل: ٢٠١٢)، ص ص٥٦—٧١.

(٢) حول ظروف تولي صلاح الدين الأيوبي الوزارة الفاطمية، ينظر، ابن الأثير: الكامل في التاريخ،، ٩/ ٢٢٢—٢٢٤؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تحقيق جمال الدين الشيال، (القاهرة: ١٩٩٤)، ص٨١؛ ابن واصل، التاريخ الصالحي، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، (بيروت: ٢٠١٠)، ٢/ ٢٠٩؛ علي بيومي، قيام الدولة الايوبية في مصر (القاهرة: ١٩٥٢)، ص ص١٤٨—١٥٧.

(٣) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص١٤١-١٤٣.

(٤) الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة: ١٩٩٥)، ٤/ ١١.

(٥) الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، (القاهرة: ١٩٩٥)، ص١٨٥.

الحظ التي لازمت صلاح الدين بل أشار إلى أن صلاح الدين تمكن بما امتلكه من خصائص قيادية أن يصنع تأريخه[1].

تميزت خصوصية السلطنة الأيوبية بالأصالة في عهد السلطان صلاح الدين، كونه المؤسس للدولة الأيوبية وبقية افراد البيت الأيوبي وكبار القادة من الكرد والترك والعرب يتمركزون حوله في مسألة تنفيذ الأوامر وتقديم المساعدة في حال إن طلبها منهم، ومع ذلك نجد بأن السلطان صلاح الدين كثيرا ما كان يقود العساكر بنفسه كما حدث عندما سار من مصر إلى الشام سنة (٥٧٠ هـ/ ١١٧٥م)، وتمكن بخبرته وحسن إدارته للأمور أن يضم دمشق وجعلها عاصمة لدولته[2]، ومن بعدها حمص وحماة إلى ممتلكاته، وأن يقارع الصليبيين والزنكيين على السواء، ويحصل على التقليد بالسلطنة من قبل الخلافة العباسية بعد معركة قرون حماة سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م)[3]، (وكان ذلك إيذانا بتأسيس الدولة الصلاحية الأيوبية)، أو كما يسميها ابن مماتي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، الدولة... الملكية الناصرية، السلطانية الصلاحية[4]، وهو الذي أثنى عليه ابن جبير بكونه الوحيد الذي استحق ما منح له من الألقاب من بين جميع سلاطين وملوك المنطقة فعندما زار مدينة (دنيسر)[5] سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م)، فقال نصا: ((وهذه البلدة لسلاطين شتى كملوك طوائف الاندلس، كلهم قد تحلى بحلية تنسب إلى الدين، فلا تسمع إلا ألقابا هائلة، وصفات لذي التحصيل غير طائلة، قد تساوى فيها السوقة والملوك واشترك فيها الغني والصعلوك ليس فيهم من اتسم بسمة به تليق، أو اتصف بصفة هو بها خليق، إلا صلاح الدين صاحب الشام وديار مصر والحجاز واليمن، المشتهر الفضل

---

(١) كلود كاهن، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ع(٥٤)، آذار، (القاهرة: ٢٠٢٠)، ص٦٨.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان في أبناء ابناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، (بيروت: ١٩٧٧)، ٧/ ٢٠٠-٢٠١ ؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، (بيروت : ١٩٨٨)، ٣٢٠/١٣ .

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٨٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧/ ١٦٦-١٦٧.

(٤) قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريـال، (القاهرة: ١٩٤٣)، ص٥٢.

(٥) دنيسر، وهي مدينة معروفة في العصور الوسطى وتقع قرب ماردين وضمن بلاد الجزيرة الفراتية تبعد عن ماردين حوالي فرسخين (١٢كم) ولها اسم آخر وهو قوج حصار (قزل ته به)وخلال معاصرة ياقوت الحموي لها قال بأنها كانت قرية صغيرة ثم بعد ثلاثين سنة اصبحت من المدن الكبيرة ولها أسواق عامرة، ينظر: معجم البلدان، (بيروت: ١٩٩٥)، ٢/ ٤٧٨، في حين لسترنج ذكر بأنها تقع تحت ماردين في سهل منبسط على بعد ثلاثة فراسخ إلى الجنوب، وفي موضع آخر لم يشر رقماً إلى أبعاد المسافة، فقد اكتفى بالقول بأنها تبعد عنها بضعة فراسخ فقط، يراجع، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (بغداد: ١٩٥٤)، ص ص١٢٥-١٢٦؛ وللتفصيل عن مدينة دنيسر وتاريخها ينظر، درويش يوسف حسن، مدينة دنيسر عبر التاريخ الإسلامي، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة زاخو، مج٥، ع٤، زاخو، ٢٠١٧، ص١٠١.

العدل، فهذا اسم وافق مسماه ولفظ طابق معناه وما سوى ذلك في سواه فزعازع ريح، وشهادات يردها التجريح ودعوى نسبة للدين برحت به أي تبريح))[١].

اتضح اثناء معركة قرون حماة[٢] أنه كان لديه رؤية عسكرية في قراءة أحوال الرجال ولاسيما العسكريين منهم على وجه الخصوص فهذا ابن الاثير الجزري يشير إلى انه بعد أن انهزمت الجيوش الزنكية في قرون حماة ((ثبت عزالدين اخو سيف الدين بعد انهزام أصحابه، فلما رأى صلاح الدين ثباته، قال: إما أن هذا من أشجع الناس أو أنه لا يعرف الحرب، وأمر أصحابه بالحملة عليه فحملوا فأزالوه عن موقفه وتمت الهزيمة))[٣]، وإنه أصبح المعول عليه من قبل الخلافة وجمهور المسلمين بحماية بلاد الشام ومصر من الهجمات الصليبية وغاراتهم المتفرقة وحفظ كرامة دار الإسلام.

مع ذلك كان أحياناً يقدم على بعض الخطوات العسكرية دون دراية كافية بطبيعة المنطقة التي سينازل القوات الصليبية فيها، كما حدث على سبيل المثال في معركة الرملة سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٤م)[٤] عندما هزم بقسوة أمام الصليبيين[٥]، وحصار مدينة صور عام (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) حيث لم يتمكن من فتحها لحصانتها وتجمع الصليبيين فيها بكثرة مع سوء الأحوال المناخية التي حالت دون استعادتها[٦]، وهو الشيء الذي حمل البعض على انتقاد إدارته لتلك المعارك وعمليات الحصار[٧]، ومن جانب آخر كان السلطان صلاح الدين من أكثر سلاطين الأسرة الأيوبية حضوراً ومشاركةً في ساحات القتال، وليس أدل على ذلك مساهمته الفعالة في تحقيق النصر على الصليبيين في معركة حطين سنة

---

(١) رحلة ابن جبير، (بيروت: د/ت)، ص١٩٤.

(٢) للتفصيل عن معركة قرون حماة ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٨٨-٢٨٩، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل منصور، (بيروت: ١٩٩٦)، ص ص٣٦٧—٣٦٨؛ سليفاني، الايوبيون، ص ص٩٠-٩١ .

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٨٨.

(٤) عن معركة الرملة وتفاصيل أحداثها، ينظر : عماد الدين الاصفهاني، البرق الشامي، تحقيق فالح حسين، (عمان: ١٩٨٧)، ص ص٣٢—٤٥؛ كرفان محمد أحمد وسيبان حسن علي، معركة الرملة حسب رواية عماد الدين الاصفهاني، من خلال كتابه البـرق الشامي، مجلة كان التاريخية، السنة الحادية عشر، العدد ٣٩ آذار، (القاهرة: ٢٠١٨)، ص ص٤٢—٥١.

(٥) عماد الدين الاصفهاني، البرق الشامي، ص٤١- ٤٦، قاسم عبدة قاسم وعلي السيد علي: الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، (الجيزة: د/ت)، ص٤٣—٤٤.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٠٠—٤٠١، وفاء محمد علي: قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، (القاهرة: ١٤٠٧هـ)، ص ص١٤٣—١٤٦.

(٧) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٠٢-٤٠٣؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، (بيروت: ١٩٧٢)، ص٥٥.

(٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)[١]، والأكثر إشادة أنه تمكن من فتح القدس وتحريرها بعد تلك معركة ، ومن ثم فتح بقية المدن والقلاع الصليبية المتفرقة في بلاد الشام[٢]. واتجه اولاً لتصفية المدن والقلاع الساحلية وفتحها، لمنع وصول الإمدادات الصليبية إليها من البحر أولاً ولكي يسهل التواصل بين مصر والشام بحرياً[٣]، وتهديد قلاع الداوية[٤] والاسبتارية[٥] في الأردن مثل الكرك والشوبك[٦] ثانياً، حيث لم يأل جهداً في فتحهما توالياً بعد ذلك بسنة[٧].

---

(١) عماد الدين الاصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، (القاهرة:٢٠٠٤)، ص ص٥٠-٥٣، ابن العبري، تاريخ الزمان، تعريب الأب اسحق حرملة، (بيروت: ١٩٩١)، ص ص٢٠٨—٢٠٩، معالي عبد السلام الحلبي، رسائل القاضي الفاضل السياسية في عصر صلاح الدين الأيوبي، ر. م، غير منشورة، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ،(غزة، ٢٠١٣)، ص ص١٦٤—١٦٥.

(٢) عماد الدين الاصفهاني: الفتح القسي، ص ص٥٢—٦٩، ١٢٧_١٤٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة: ذ/ت)، ٦/ ٣٩—٤٣.

(٣) عادل عبد الحافظ حمزة، العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصلبية، (القاهرة: ٢٠٠١)، ص٩٦.

(٤) الداوية أو فرسان المعبد: كانت هيئة خيرية في البداية ثم تحولت إلى فرقة عسكرية قتالية في القرن الـ (٦هـ/ ١٢م) في عهد ملك بيت المقدس بلدوين الثاني (٥١٢—٥٢٦هـ/ ١١١٨—١١٣١م)، وشاركت في كثير من الحروب التي اختلقها الصلبيون لاحتلال المشرق الإسلامي آبان العصور الوسطى، ولاسيما حقبة الحروب الصليبية. للمزيد عن ذلك التنظيم، ينظر، محمد مؤنس عوض، التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، (الأردن: ٢٠٠٤)، ص ص٤١—٤٢؛ عاشور قمعون، الدور الصليبي لهيئة الدادية في معركة حطين في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الجزائر، ٢٠١١، العدد ١١، ص ص٢٤٩—٢٦٢.

(٥)الاسبتارية: تألفت من بعض المتطوعة لمعالجة الجرحى وكانت بمثابة هيئة صليب الاحمر ثم تحولت الى فرقة عسكرية.للمزيد عن هيئة الفرسان الاسبتارية، ينظر مصطفى محمد الحناوي، عصر الحروب الصليبية- الفرسان الاسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، (رياض: ٢٠٠٤)، ص ص٧٣—٩٨؛ سامية سليماني: النشاط الصليبي لهيئة الاستبارية، رسالة ماجستير منشورة على الانترنيت ولكنها غير مطبوعة ككتاب، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ، ٢٠٠١، ص ص١—٢٥، ٣٣—٧٨.

(٦) لقد توهم المؤرخ البطريرك مارميخائيل السرياني، عندما اعتقد بان الكرك والشوبك تقعان على سواحل البحر الأحمر، لان الواقع الجغرافي يخالف رؤيته تلك؛ لكنه أصاب عندما قال بانهما كانتا السبب في الحرب بين صلاح الدين والصليبيين، باعتبار ان ارناط او رينالد دي شاتيون امير الكرك الصليبي كان العامل الأساسي لنشوب معركة حطين وبالتالي استعادة المسلمين للقدس والقضاء على مملكة بيت المقدس، ينظر : تاريخ مارميخائيل السرياني الكبير، تعريب مارغريغوريوس صليبا شمعون، (حلب: ١٩٩٦)، ٣/ ٣٧١؛ وعن تاريخ قلعتي الكرك والشوبك والمظاهر المعمارية لهما، ينظر عثمان، التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زكن الحروب الصليبية، (القاهرة: ٢٠١٠)، ص ص١٦٥—١٧٥.

(٧) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٢٠؛ أبو شامة، الروضتين، ٤ / ٢٧—٢٨.

كان الدافع الذي يحرك صلاح الدين بالدرجة الأولى هي فكرة الجهاد[1]، أي أن العامل الديني كان المحرك الأساسي له وحتى للصليبيين الذين أطلق مؤرخوهم على تلك الحقبة بعصور الإيمان، وكما قال سعيد عبدالفتاح عاشور: ((إن أية محاولة للإقلال من أهمية العامل الديني في عصر الحروب الصليبية بوجه خاص وفي العصور الوسطى بوجه عام، وإحلال ما عرف في العصور الحديثة باسم العامل القومي، محل العامل الديني يعتبر مخالفاً لروح التأريخ وللواقع التأريخي، بل يعتبر تزييفاً للحقيقة التأريخية))[2].

واختتم السلطان صلاح الدين عهده بأن تمكن من الحفاظ على القدس، وإحلال السلام مع الصليبيين بعد عقد معاهدة الرملة معهم سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)[3]، ولما توفي سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، خلف وراءه مملكة واسعة كان قد قسمها بين أفراد أسرته[4]، لم يتمكن أي فرد من الاسرة الأيوبية سواء من أبنائه أو أبناء إخوته أو حتى إخوته، أن يملأ ذلك الفراغ، لأن صلاح الدين كان حالة شخصية فريدة، حباه الله تعإلى بمواهب حربية وصفات إنسانية، لا نجد لها مثيلاً عند غيره من أبناء البيت الأيوبي، وكان بعيداً عن استخدام العنف في أصعب الأوقات الحربية بل ولينا في التعامل حتى مع الأعداء الذين أراقوا دماء المسلمين[5].

بالتالي فان بقية السلاطين الأيوبيين، كانوا اقل حماساً من رؤية وبعد نظر السلطان صلاح الدين فقد خفت مسألة الجهاد عندهم شيئا فشيئا، وأصبحوا يهتمون بالمصالح الشخصية والاقطاعات اكثر من اهتمامهم بعملية استمرار الجهاد ضد الصليبيين ((بيد أن خلفاء صلاح الدين حاولوا بعد وفاته أن ينتهجوا مع الفرنجة سياسة التعايش السلمي))[6]، فهذا هو الملك الأفضل نور الدين علي (٥٨٩-٥٩٢هـ/ ١١٩٣-١١٩٥م) ابنه الأكبر الذي خلفه في إدارة البلاد وأصبح السلطان مكان والده حيث رسم

---

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص٥٣-٥٦؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق، جمال الدين الشيال، (القاهرة: ١٩٥٧)، ٢/ ٢٧١-٢٧٢، الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: ١٩٩٦)، ٤١/ ٣٢؛ عاشور، مصر والشام، ص٤٥؛ علي، قيام الدولة الايوبية، ص١٤٢.

(٢) البنية البشرية لجيوش صلاح الدين، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج١، ع٣٧، (كويت، ١٩٩٠)، ص١١.

(٣) حول بنود معاهدة الرملة ينظر، عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص ص٣٣٩-٣٤٠؛ أحمد بن إبراهيم الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، (بغداد: ١٩٧٨)، ص ص١٧٧-١٧٨؛ دريد عبدالقادر نوري، سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة، (بغداد: ١٩٧٦)، ص ص٣٥٤-٣٥٧ .

(٤) ابن واصل: مفروج الكروب، ٣/ ٣-٤؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ص١٩٧-١٩٨.

(٥) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، (القاهرة: ٢٠١٨)، ص٣٤١؛ ديورانت، قصة الحضارة، ٣٢٢/١٣.

(٦) كاهن، تاريخ العرب، ص٣٦٣.

حسب تقاليد الدولة الأيوبية من قبل عمه الملك العادل ((فقد امر بحمل الغاشية له والسير بها امام انظار الجميع كما لو كان يقول لهم، انظروا هذا سلطان دمشق))[١].

لم يكن السلطان الملك الأفضل نورالدين على قدر كبير من المعرفة السياسية ولم تكتمل عنده الخبرة العسكرية للحفاظ على الدولة التي أسسها صلاح الدين، بل اتخذ توجها جديدا، في استبدال عمدة الدولة من الإداريين والساسة والقادة الكبار، الذين كان يعتمد عليهم والده في إدارة دفة دولته الناشئة، وعوضا عن الاعتماد عليهم في تقوية الدولة، قام بابعادهم عن مركز القرار[٢]، وعين مكانهم اشخاصا يفتقرون إلى أبسط مقومات ادارة الدولة والسياسية؛ لأن من مهام السلطان ((أن لا يصحب من أعوانه كذاباً ولا مطبوعاً على شر، لأن الكذاب إذا حدث كذب... والمطبوع على الشر غير تارك طباعه))[٣].

وليس أدلّ على ذلك توظيفه لضياء الدين ابن الاثير الجزري (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)[٤]، الذي أبعد عنه كل من له شأن وتقدير في أيام أبيه[٥]، وخطط بتأن من أجل تفكيك مملكته وهذا ما حصل فعلاً، بل الأدهى أن الصليبيين تجرأوا كثيراً على التوغل أكثر فأكثر داخل العمق الاستراتيجي الأيوبي، حيث نادراً ما كان يجاهد الصليبيين، كما حصل في سنة (٥٩٠هـ/ ١١٩٣م) عندما استعاد جبلة واللاذقية منهم[٦]، مما ولدت أساليبه في

---

(١) مؤلف مجهول: ذيل تاريخ وليم الصوري، ترجمة وتحقيق، حسن حبشي، (القاهرة: ٢٠٠٢)، ص٢٩٥.

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، تحقيق موسى مصطفى الهسنياني، (دهوك: ٢٠١٠)، ص ص٢١٥-٢١٦؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ٣/ ١٠-١١؛ العيني، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان (العصر الايوبي)، تحقيق محمود رزق محمود، (القاهرة: ٢٠٠٧)، ٣/ ٨؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٣٦.

(٣) عبد الرحمن الشيزري: النهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، (بيروت: ٢٠٠٢)، ص١٥٧.

(٤) ضياء الدين ابن الأثير، ولد في جزيرة ابن عمر سنة (٥٥٨هـ/ ١١٦٢م)، توفي في الموصل سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، وهو المشهور بتصانيفه الأدبية الكثيرة وأبرزها المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، حاول الوصول إلى بلاط السلطان صلاح الدين الأيوبي فتحقق له ذلك سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، فانتدبه للعمل مع ابنه الملك الأفضل علي الذي تسلطن بعد وفاة والده، فاستغل ابن الأثير قلة خبرته في الأمور الإدارية والسياسية وانفرد بإصدار القرارات وإساء السيرة، ودفع الملك الأفضل إلى أبعاد أبرز رجالات عهده ممن كانت لهم الحظوة في عهد والده واساء السيرة كثيرا، للمزيد عن سيرته ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥/ ٣٩٠-٣٩١، ٣٩٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب فغي أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، (بيروت: ١٩٩١)، ٧/ ٣٢٨—٣٣٠؛ عيسى متقي زاده، محمد كبيري، ابن الأثير من العبقرية إلى النرجسية، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، إيران، ٢٠١٢، العدد ١٠، ص ص٨٨—٩٠.

(٥) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ٢١٥-٢١٦؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٣٦.

(٦) ابو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بـ(الذيل على الروضتين)، تحقيق، ابراهيم شمس الدين (بيروت: ٢٠٠٢)، ص٤.

التعامل مع الصليبيين نوعاً من المعارضة السياسة بين الأيوبيين أنفسهم، لترفع الدعوات بإسقاط السلطنة عن الملك الأفضل الذي كان يدير الدولة من دمشق وهو الذي لا نجد أية خصال حربية تشفع له في عهد سلطنته. ولتنجح بعد ذلك المعارضة الأيوبية بقيادة عمه الملك العادل الأيوبي، بتنحيته عن السلطنة وإحلال أخيه الملك العزيز عثمان مكانه (٥٩٢-٥٩٥هـ/ ١١٩٥-١١٩٨م)(١).

وكان الملك العزيزأكثر شبهاً بأبيه صلاح الدين من حيث الشجاعة والصبر وحسن التعامل مع كبار قادة وساسة الدولة فحاول احتوائهم وقد اكتسب خبرة إدارية وميدانية منذ عهد والده عندما كان نائباً عنه بمصر، وفي ذلك يقول ابن تغري بردي: ((ولي سلطنة مصر في حياة والده صورة، ثم تسلطن بعد وفاته استقلالاً باتفاق الأمراء وأعيان الدولة بديار مصر؛ لأنه كان نائباً عن أبيه صلاح الدين بها لما كان أبوه مشتغلاً بفتح السواحل بالبلاد الشامية))(٢)، ووقف بجد ضد التغلغل الصليبي وهادنهم أحيانا أخرى(٣)، من أجل أن يعيد ترتيب وتنظيم أولوياته في الدولة وينهي المشاكل الأسرية العالقة، وساهم في تقوية الدولة؛ لكن استمرار فقدان الثقة بين أبناء الاسرة الأيوبية ومطامع الملك العادل الأيوبي لم تمنح السلطان العزيز عثمان الوقت الكافي ليقدم ما كان يؤمل منه، فمات بصورة مفاجئة عام (٥٩٥هـ/ ١٢٠٣م)(٤) ولتعلن الأسرة تنصيب إبنه الملك المنصور ناصر الدين محمد ذي العشر سنوات سلطاناً على الدولة الأيوبية.

يعد العام الذي استلم فيه ذلك الصبي السلطنة نقطة تحول كبيرة في تأريخ الدولة الأيوبية، كون أن الصراع الأسري قد اشتد أكثر فأكثر(٥)، وباتت المصالح الخاصة تبرز على السطح بصورة أكثر وضوحاً، فضلا عن أن الملك العادل الأيوبي قد احتوى أبناء أخيه وبدأ يوجههم الوجهة التي ستسنح له بإجراء عملية انتقال سلمية للسلطة من بيت أخيه صلاح الدين إلى أسرته، فقد هيأ كل الظروف لإتمام خطته تلك، وعبأ الرأي العام المتمثل بالفقهاء والأمراء الكبار حينئذ(٦)، ليعلن بأن الدولة غير قادرة على مواجهة

---

(١) ابو شامة: الروضتين، ٤/ ٢٥١-٢٥٣؛ نعيمة عبد السلام الساحلي التوجيهات السياسية للدولة الأيوبية الداخلية والخارجية، (دمشق: ٢٠٠٩)، ص ص٩١-٩٣.

(٢) النجوم الزاهرة، ٦/ ١٢٠.

(٣) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٥١١؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/ ٢٥١ - ٢٥٣.

(٥) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٥ ؛ ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، (الرياض، ١٩٨١)، ص ص١١-٢٥.

(٦) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٢٤٩؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/١١١-١١٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: ١٩٦٨)، ٢/ ٢٢.

الأخطار الخارجية ولاسيما التصدي للصليبيين، في حال ترأس الدولة سلطان صغيرالسن ليس له من الخبرة ما يعول عليها في إدارة البلاد وحفظها من الأعداء، فنحى الصبي عن عرش السلطنة، وتولى الأمر رسمياً سنة (٥٩٦ هـ/ ١٢٠٤م)[١].

كان السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب بن شادي[٢]، على النقيض من أخيه صلاح الدين، فقد غير استراتيجية الحرب من الهجوم إلى الدفاع والحفاظ على ما بيده من الأراضي، ومهادنة الصليبيين قدر الإمكان[٣]، حتى وصف من قبل الذهبي بأنه: ((خاف من الفرنـج فصالحهم وهادنهم وعطاهم (واعطاهم) مغل الرملة ولد وسلم اليهم يافا فقويت نفوسهم))[٤]. وعوض أن يستكمل خطة السلطان صلاح الدين في قتال الصليبيين وفتح بقية الأراضي التي كانت لاتزال بيدهم، انشغل كثيراً بمسألة النزاعات الأسرية بين أبناء أخيه، وعلى حد إشارات طقوش، فقد استطاع أن يحرض أولاد صلاح الدين ضد بعضهم البعض ومن ثم تسنى له إزاحتهم جميعاً من طريقه ويقضي على كل واحد منهم وينفرد بالسلطة[٥]، وصرف الكثير من الوقت والجهد في الصراعات الاسرية والمحلية من أجل أن يستولي على الحكم، وبسبب ذلك انتقده الذهبي قائلا: ((ولو كان ذلك التعب والحرب جهاداً للفرنـج لأفلح))[٦].

ولكن مع ذلك حاول أن يعمر الكثير من الحصون والقلاع التي تقع على خط التماس مع الصليبيين وشارك في بعض الغارات العسكرية على مواضعهم ،دون أن تكون لها نتائج ملموسة او التأثيركبير على مقياس العلاقة الحربية بين الطرفين؛ وإنما كانت

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٥٢٢-٥٢٣؛ سبط ابن الجوزي، مراة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق، ابراهيم زيبق، (دمشق: ٢٠١٣)، ٦٨/٢٢-٦٩؛ ابو واصل، التاريخ الصالحي، ٢/ ٢٦٢.

(٢) وحول الخطوات التي خطاها الملك العادل الايوبي لتنحية السلطان الصبي المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان سنة (٥٩٦هـ/ ١٢٠٤م)، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٥٤٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٢/ ٨٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ١١٠-١١١؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: ١٩٦٨)، ٢/ ٢٢.

(٣) توهم بيبرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٦م)، عندما قال بان اسمه ابوبكر بن أيوب بن شيركوه، ينظر، مختار الاخبار تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، (القاهرة: ١٩٩٣)، ص٥.

(٤) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، تحقيق محمد حسن الشماع، (البصرة: ١٩٧٠)، مج٥، ج١، ص١٠٧.

(٥) سير اعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، ومحيي هلال السرحان، (بيروت: ١٩٩٦)، ١١٨/٢٢؛ وهذا ما اكد عليه ابن الساعي الخازن أيضا، عندما قال بانه بدلا من التصدي للفرنـج، هادنهم، مبررا ذلك بمنعهم من ايذاء الناس، ينظر: الجامع المختصر في عيون التواريخ وعيون السير، تحقيق مصطفى جواد وانستاس ماري الكرملي، (بغداد: ١٩٣٤)، ص٢٤٢.

(٥) تاريخ الايوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، (بيروت: ٢٠٠٨)، ص٢٣٣ -٢٣٧.

(٦) سير اعلام النبلاء، ١١٩/٢٢ . .

فقط بقصد الاستظهار أمام الرأي العام، إذا كان السلطان صلاح الدين، قد واجه الحملة الصليبية الثالثة بقوته العسكرية، فإن السلطان الملك العادل تمكن بخبرته الدبلوماسية من تحويل مسار الحملة الصليبية الرابعة من مصر إلى القسطنطينية[١]، ومع ذلك فقد اصطدم بمجيء الحملة الخامسة التي داهمت مصر ولاسيما مدينة دمياط، حيث لم يتمكن من احتمال مسألة سقوط المدينة، التي كانت تعد حينئذ البوابة الأمامية للوصول إلى القاهرة، فأصيب بجلطة قلبية توفي على إثرها سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)[٢]، ليتولى السلطنة الأيوبية، السلطان الملك الكامل محمد ابن الملك العادل (٦١٥- ٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٧م).

على أية حال، برز دور السلطان الملك الكامل بقوة إبان الحملة الصليبية الخامسة، حيث وفق مع إخوته في إفشال تلك الحملة ومخططات ملك بيت المقدس والبابوية، وتمكن من انقاذ مدينة دمياط[٣]، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على خبرته السياسية وقدراته الحربية الكبيرة، حيث عرف كيف يتعامل مع الاحتلال الصليبي لدمياط، وأن يوظف موارد الدولة البشرية والاقتصادية على أحسن صورة في حربه ضدهم؛ ولكنه لم يكن على قدر المسؤولية عندما غلبت المصالح الشخصية على المصلحة العامة، فبسبب النزاع الاسري مع إخوته، لم يتوان لحظة في الاستعانة بالصليبيين لحفظ عرشه، فقد تحالف مع الامبراطور الألماني وليم فردريك الثاني، واتفق معه لقاء الحصول على مساعدته بالتنازل له عن بيت المقدس وهو ما حصل فعلا وتنازل لهم عن بيت المقدس[٤] سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)[٥]، بعد أن عقد معهم اتفاقية مهينة لمدة عشر سنوات عرفت بمعاهدة يافا[٦].

---

(١) هـ. أ. ل. فيشر، تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ترجمة ترجمة محمد مصطفى زيادة، والسيد الباز العريني، (القاهرة، ١٩٥٠)، ١/ ٢٤٤-٢٤٥؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، (القاهرة، ٢٠١٠)، ٢/ ٩٣٢-٩٣٣.

(٢) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ٢٢/ ٢٣١؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ٢/ ٢٣.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/٦٥٦-٦٥٩؛ ابن واصل، التاريخ الصالحي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: ٢٠١٠)، ٢/٢٨٤.

(٤) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٢٦١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق،علي شيري، (بيروت: ١٩٨٨)، ١٣/١٤٤-١٤٥؛ عن تسليم بيت المقدس وتداعيات تنازل السلطان الملك الكامل الأيوبي عن المدينة للصليبين، يراجع، ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسين محمد ربيع، (القاهرة: د/ت)، ٤/ ٢٤١-٢٥١؛ رافت عبدالحميد، الملك الكامل الايوبي، موسوعة الثقافة التاريخية، التاريخ الوسيط، ع١٩، (القاهرة: ٢٠٠٨)، ص ص٥، ١٢-١٧، ٢٢-٧٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٧٨١؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ٢٤٣-٢٤٤؛ عادل عبد الحافظ حمزة، العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، (القاهرة: ٢٠٠١)، ص ص٣٢٠-٣٢٤؛ في حين ذكر بيبرس المنصوري، ان الامبراطور الألماني تسلم القدس صلحا وذلك في سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨٢م) وهو رأي يخالف بقية المصادر الإسلامية من حيث تاريخ التسليم، ينظر، مختار الاخبار، ص٧.

(٦) عن بنود هدنة يافا وموقف القوى الإسلامية والاوربية منها، ينظر، حمزة، العلاقات السياسية، ص ص٣١٤-٣٢٤.

التفت الملك الكامل خلال بقية السنوات من حكمه إلى توسيع مملكته على حساب إخوته وأبناء بيته، وهو الأمر الذي لم يشذ عنه بعده إبنه الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ١٢٣٩-١٢٤٩م) أيضا، فبعد تسنمه لعرش السلطنة، على اثر نزاعه مع أخيه من أبيه الملك العادل الثاني (٦٣٥-٦٣٧هـ/١٢٣٧-١٢٣٩م)، السلطان الذي لم تكن له أية فضائل حربية بسبب صغر سنه، فضلاً عن ان الظروف لم تسنح له ليؤدي دوره كما ينبغي أن يكون، إنشغل الملك الصالح أيوب بالصراعات الداخلية[1]، ونادرا ما كان يجابه الصليبيين الا عندما كانوا يهددون سلطته مباشرة، لنرى بأن الصليبيين قد هددوا مصر ثانية، وتغلغلوا في بعض أراضيها، وعندما حاول السلطان التصدي لهم، أصيب بمرض أقعده عن القيام بدوره كقائد ميداني يباشر إدارة العمليات العسكرية بنفسه[2]، فأدارت زوجته شجرة الدر[3] المعركة بمساندة كبار قادة الجيش الأيوبي من الكرد والمماليك، حتى وصل الملك المعظم توران شاه وتسلم عرش السلطنة، وقاد الجيش الأيوبي وحقق النصر على الصليبيين وأسر الملك لويس التاسع (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)[4].

ولكن بسبب قلة خبرته وسوء تعامله مع من حوله من الأمراء والقادة، انتهت حياته بمأساة على حد قول المقريزي: ((مات جريحاً حريقاً غريقا))[5]، وعلل أحد المستشرقين تصرفات توران شاه تلك لأنه؛ كان قد تربى ونشأ خارج مصر لذا لم يكن

---

(١) للمزيد عن هذا الموضوع ينظر، الساحلي، ص ص١٩٣-١٩٤؛ موسى مصطفى الهسنياني، السنوات الأخيرة من حياة دولة الكورد الايوبية في مصر وبلاد الشام، (أربيل: ٢٠٠٧)، ص ص١٠٤-١٢٧

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، تحقيق، عبد السلام التدمري، (بيروت: ٢٠٠٤)، ٦/ ٧٤-٧٦؛ الهسنياني، السنوات الأخيرة، ص٣٨٠؛ وان كان ابن عبدالظاهر يذكر بانه لم يكن لتورانشاه أي دور في قتال الصليبيين ابان الحملة الصليبية السابعة، وعلى اغلب الظن انه أراد بذلك مجاملة المماليك وإظهار دورهم في تحقيق الانتصار عليهم سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) ولاسيما بيبرس البندقداري االذي تسلطن باسم الملك الظاهر بيبرس لاحقا، ابرز مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب وهو الذي الف له المصنف المذكور كتابه تمجيدا لاعماله، ينظر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، (الرياض: ١٩٧٦)، ص ص٤٦-٤٧، ٤٩.

(٣) حول شجر الدر وسيرتها وعلاقتها بتوران شاه الأيوبي، ينظر، محمد عبدالله عودة، دور شجر الدر في قيام دولة المماليك في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القديس يوسف، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، بيروت، ١٩٩٦، ص ص٣٤-٥٥؛ كرفان محمد أحمد، السلطان توران شاه الأيوبي دراسة تحليلية لسيرته وعلاقته بشجر الدر، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مج١٣، ع٣، الموصل، ٢٠٠٦، ص ص٨٤-١١١.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ١١٩-١٢٠.

(٥) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: ١٩٩٧)، ١/ ٤٥٨؛ وازنه مع ماذكره بيبرس المنصوري، ((قتلته المماليك وقطعوه واحرقوه بالنار وغرقوه في بحر المنصورة))، مختار الاخبار، ص٨؛ للتفصيل عن ظروف اغتياله ينظر: ابوشامة، الذيل على الروضتين، ص١٨٥.

على دراية بأحوالها العامة[1] لتتولى ارملة ابيه شجر الدر السلطنة الأيوبية لأكثر من شهرين الأمر الذي لم يرق للخلافة العباسية فاضطرت إلى التنازل عن العرش بالزواج من عزالدين ايبك المملوكي (ت ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)[2] حيث اتفق هذا مع بقية الامراء على ضرورة تنصيب أحد أبناء البيت الأيوبي سلطانا ليتمكنوا من إدارة البلاد بصورة شرعية فتم تنصيب الصبي الملك الاشرف مظفر الدين موسى ابن الملك المسعود ابن الملك الكامل (٦٤٨-٦٥٢هـ/١٢٥٠-١٢٥٤م)[3]، الذي بقي في السلطنة دون أن تكون له في الحكم سوى الاسم في الخطبة وعلى السكة، لتنتهي شرعية الدولة الأيوبية الرسمية في سنة (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) عندما تم خلع السلطان الملك الاشرف عن السلطنة من قبل المماليك[4]. ولتبدأ بعدها حكم دولة جديدة هي الدولة المملوكية البحرية[5].

ونخلص إلى القول بأن:

١- إن السلاطين الأيوبيين لم يكن كلهم على وتيرة واحدة من الخبرات والمهارات الحربية، كون ان البعض منهم تبوأ منصب السلطنة بعد أن مرّ بالكثير من التجارب العسكرية واكتسب الكثير من المعرفة في مجال القتال والأساليب المتعلقة بفنون الحرب.

٢- أثبتت الفقرات السابقة أن بروز قوة الدولة الأيوبية كانت في عهد السلاطين الكبار من ذوي الخبرة وممن امتد بهم العمر في قيادة الدولة، وممن عرف كيف يوجه الظروف المحيطة به لصالح حكمه، وكانوا على دراية في توظيف الخبرات العسكرية للامراء والقادة الكبار في الدولة، وتوجيههم الوجه الصحيحة.

٣- أفرز التدرج التأريخي لتراجم السلاطين الأيوبيين، أسماء العديد من سلاطين الدولة الأيوبية بعضهم كان خليقا بحمل الألقاب التي منحت له وجديرا بها، والبعض الآخر كان فقط حاملا للمعاني المجازية للألقاب التي منحت له.

---

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، (بيروت: ١٩٨٦)، ص٣٦٣.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٦/٤٧ ؛ المقريزي، السلوك، ١/ ٤٦٣ -٤٦٤ .

(٣) العيني ، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، تحقيق محمد محمد امين ، (القاهرة :٢٠٠٩) ، ١/ ٣٥ .

(٤) المقريزي، السلوك، ١/ ٤٨٥ ؛ العيني، عصر سلاطين المماليك، ١/ ٥٣ .

(٥) عن نشاة دولة المماليك البحرية، ينظر: ابن ايبك الداواداري، كنز الدرر في جامع الغرر ، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، (القاهرة: ١٩٧٢)، ٨/ ٢٦-٣٥، ٤٠-٦٥، ٨٠-١٦٧؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن، (القاهرة: ١٩٩٥)، ص ص٤١-٥١؛ الهسنياني، السنوات الأخيرة، ص ص٢٣٢- ٢٤٥.

المخطط رقم (٢)

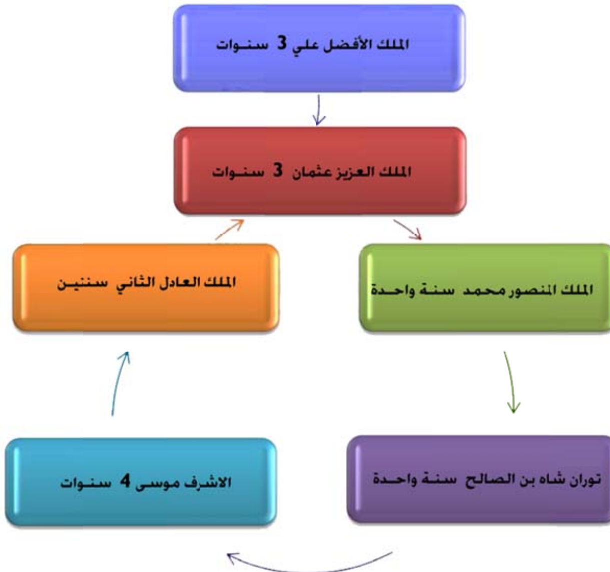
سلاطين الدولة الأيوبية

سلاطين الفئة الاولى





سلاطين الفئة الثانية



المبحث الثاني
الملوك الأيوبيون

العنصر الثاني المؤثر في تراتيبية الجيش الأيوبي بعد السلطان وكان له بصمة واضحة في تقوية مواقف الأخير في الكثير من الحالات الحربية هم الملوك الأيوبيون من أبناء السلاطين الأيوبيين واخوتهم من أفراد الأسرة الأيوبية، وبما أن صلاح الدين الأيوبي قد سار على نسق الدولة السلجوقية والأتابكية الزنكية في إدارة الدولة من حيث السلطة والحكم، لذا نجد بانه عندما أصبح سلطاناً، فإن بقية أبنائه واخوته وأبناء أخيه، تلقب بلقب الملك[1].

اختلفت أدوار اؤلئك الملوك الأيوبيين، من حيث توظيف خبراتهم وطاقاتهم العسكرية بين المشاركة في قتال الصليبيين في بلاد الشام ومصر وبين الصراعات الاسرية والإقليمية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية والتوسع في كل من اليمن وشمال افريقيا، فضلاً عن ان المصادر لاتشير بوضوح حول كيفية تنمية الخبرات الحربية لأولئك الملوك فبعض النصوص التأريخية تلقي الضوء على أسماء بعض الملوك الأيوبيين وفعالياتهم العسكرية في مناطق مختلفة من الدولة قد أسندت إليهم مهمات قتالية من قبل السلطان كون أنهم على جانب من الخبرة الحربية والإدارية فهذا ابن الاثير الجزري يشير في حوادث سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٦م) إلى عودة الملك الأيوبي شمس الدولة توران شاه من اليمن إلى دمشق[2]، بعد أن أدى الواجب الذي كلفه به السلطان صلاح الدين على اكمل وجه، وفي السنة التالية وبدافع رد إحدى غارات الصليبيين على أعمال دمشق، يشتبك معهم في معركة قوية غير متكافئة؛ لكنه هزم أمامهم، وأسر من جنده جماعة من أعيان جند دمشق[3]، بينما يلاحظ أن البعض الآخر من ملوك الأيوبيين يسطر مواقف جريئة في ساحات القتال، كما حدث مع الملك المظفر تقي الدين عمر ودفاعه المستميت عن السلطان صلاح الدين مع أحد أبنائه في معركة الرملة سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٥م)[4]، يظهر من خلال بعض الروايات القيمة التي سجلها مؤرخو العصر، أن هناك من ملوك بني أيوب من كان على دراية تامة بفنون الحرب وطرق القتال وعلى معرفة باستخدام أسهل

---

(١) أسامة نجيب علقم، تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جماعة آل البيت كلية الآداب، قسم التاريخ، (عمان: ٢٠٠٥)، ص٣٥.

(٢) الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٠٠ .

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٠٤.

(٤) عماد الدين الاصفهاني، البرق الشامي، ٣/ ٣٩ -٤٦.

السبل للإيقاع بالعدو[1]، بدليل ما حققه الملك المنصور عزالدين فرخشاه بن شاهنشاه الأيوبي من نصر كبير على الصليبيين في معركة مرج عيون سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٨م)[2].

وردت بعض الإشارات على أن السلطان كان يعتمد على بعض الملوك من أسرته أكثر من غيرهم ولاسيما ممن أسند إليهم نيابة المدن، مثل ناصر الدين محمد بن أسدالدين شيركوه، والملك المظفر تقي الدين عمر، فضلاً عن عزالدين فرخشاه، عندما أرسل إليهم للمشاركة في حصار بيت الأحزان وتخريبه في السنة المشار إليها سابقاً أعلاه[3].

في أحايين أخرى، ساهم بعض أولئك الملوك في إعادة الامن والاستقرار إلى بعض المناطق التابعة لسلطنة الأيوبيين، فعلى سبيل المثال، ان السلطان صلاح الدين امر اخاه سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين ((أن يمضي إلى اليمن ليقطع دابر الفتن بها فسار إليها سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م))[4] ونجح في إتمام مهمته تلك، فضلاً عن أنه تمكن من تأمين المسالك البحرية إلى مكة المكرمة، ومنع بعض المتجاوزين على المال العام من أمراء اليمن زيارة الحرم الشريف وفي الوقت نفسه صادر منهم كل ما نهبوه وجمعوه من أموال الدولة وذلك في سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٣م)[5]،

من الملوك الايوبيين من ضحى بنفسه في سبيل تحقيق توحيد المسلمين التي كان السلطان صلاح الدين ينشده قبل الاقدام على مشروع استعادة بيت المقدس، وهذا ما ظهر بشكل جلي عندما حاصر السلطان مدينة حلب للمرة الخامسة[6]، ونشب قتال بين المحاصرين والمدافعين، وعلى أثر ذلك أصيب تاج الملوك بوري أخو السلطان بسهم جرحه بصورة مؤثرة، توفي على إثرها، وذلك في سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)[7].

---

(١) أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٢٩٧.

(٢) عمان الدين الاصفهاني، البرق الشامي، ٣/ ١٦٠-١٦٥؛ ابن شاهنشاه الأيوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، (القاهرة: ١٩٦٨)، ص ص١٦-١٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٧٧.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٨٠-٨١.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١٠٥.

(٥) بن جبير: رحلة ابن جبير، ص ص١٣٦، ١٤٨.

(٦) من خلال الروايات التي رصدها ابن العديم الحلبي عن عدد المرات التي حاصر فيها السلطان صلاح الدين مدينة حلب، فأن الاحصاء العددي رقمياً يصل إلى خمس مرات (المرة الأولى، ٥٧٠هـ، المرة الثانية ٥٧١هـ، المرة الثالث، ٥٧١هـ، المرة الرابعة، ٥٧٨هـ، المرة الخامسة والأخيرة ٥٧٩هـ)، للمزيد ينظر، زبدة الحلب، ص ص٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٢، ٢٨٨، ٣٩١.

(٧) ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص ص١٤١؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ص٣٩٤؛وقد اثنى عليه عماد الدين الاصفهاني في خريدة العصر وجريدة القصر/ قسم شعراء الشام، تحقيق شكري فيصل، (دمشق: ١٩٥٥)، بانه كان ذو شعر ونظم لطيف، ينظر: ١/ ١٣٦.

ليس مغالاةً القول انه في مرات عدة، كان واحدٌ أو اكثر من اؤلئك الملوك، يصبحون مصدر قلق للدولة ولاسيما للسلطان مثلما حدث مع الملك المظفر تقي الدين عمر عندما أراد التوسع غرباً من مصر والتغلغل داخل أراضي بلاد المغرب، بقصد تكوين مملكة خاصة به، سنة (٥٨٢هـ/ ١١٨٦م)(١)، وكان في فترة سابقة قد أرسل مملوكه الأميرشرف الدين قراقوش(٢)، للسيطرة على تلك المناطق فحقق الكثير من الانتصارات لكنه أخيراً اصطدم بالدولة الموحدية(٣) وهذا الامر أقلق السلطان صلاح الدين كثيراً، فأرسل الفقيه عيسى الهكاري (ت ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)، يستدعي ابن أخيه تقي الدين عمر إلى دمشق حيث طلب منه إدارة مملكته في حماة ومنحه مناطق أخرى مضافة إلى ما معه لئلا يثير المشاكل داخل الدولة(٤) في والوقت الذي كان صلاح الدين يوحد الجهود ويضم السلاطين والأتابكة والأمراء إلى جانبه بقصد الاستعداد لفتح بيت المقدس لاحقا.

بقدر تعلق الأمر بأولاد السلطان صلاح الدين قبل معركة حطين، يوجد ما يشير على مشاركاتهم في الحياة العسكرية، باستثناء بعض الإشارات التي وردت حول تكليفه قبيل حطين ولده الملك الافضل نورالدين علي القيام ببعض المظاهر العسكرية في منطقة طبرية من أجل الاستطلاع وتأمين الطريق التجاري المار منها باتجاه دمشق(٥)، ولما وقعت معركة حطين برز دوره أكثر فقد لازم والده السلطان صلاح الدين، وعن قرب تعرف على كيفية التصرف مع الظروف الطارئة في أوقات المعارك، وكان شاهداً على سقوط مقر الملك الصليبي جاي دي لوزينيان، تلك الحادثة التي كانت إيذانا بهزيمة الصليبيين في المعركة، وانتصار صلاح الدين وعسكره(٦). بعد سنة من ذلك الحدث أي في (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) يبدو انه؛ منح الفرصة لابنه الملك الظاهر غازي أيضا ليزداد خبرة في اكتساب بعض فنون الحرب والقتال، فأشركه معه في فتح قلعة صهيون(٧) وجعله قائداً لسلاح المنجنيقات(٨) أما بقية أبنائه ففي تلك المرحلة فأغلبهم كان يافعاً ولم يصل إلى

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤١/ ٢٧٣.

(٢) حول مشاركة شرف الدين قراقوش المظفري في أحداث أفريقية والمغرب، ينظر، ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص ص١٦٤-١٦٦، ٢٠٢.

(٣) ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص٢٠٢.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤١/ ٢٧٣.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٨١-٣٨٢

(٦) ابن الاثير،الكامل في التاريخ،٩/٣٨٦.

(٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٦٠ -٢٦١ .

(٨) حول صناعة المنجنيقات وأنواعها، والطرق الحربية التي ينبغي فيها استخدامها لدك مدن وحصون وقلاع الأخرين ولاسيما الأعداء الصليبيين، ينظر: فضل مرضي الطرسوسي، الذي ذكر بأن من أشهر انواعها هي، العربي والتركي والفرنجي، كان يحث الراغب في تعلم الرمي بالمنجنيق أن يحوط بكل الطرق الواجبة لذلك. تبصرة ارباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، تحقيق، كلود كاهن، (بيروت: ١٩٤٨)، ص ص١٦-١٧.

مرحلة البلوغ، بل جعل بعضهم ملوكاً على بعض المدن الممنوحة لهم لكن في وصاية أمراء آخرين، أكبر منهم سناً.

لا ينسى دور اخيه الملك العادل الأيوبي كملك من الأسرة الحاكمة الأيوبية، في مدة ملازمته لأخيه السلطان صلاح الدين اذ لعب دوراً مشهوداً في العديد من المعارك والاحداث العسكرية والسياسية، فضلا عن انه كان يعتمد عليه كثيرا[١]، حتى إن بعض الوقائع الحربية سميت باسمه[٢]، بسبب سماته القيادية وشجاعتة في إدارة المعركة وتمكنه من تحقيق النصر، وكان ملماً بخطط الحرب وفنون القتال ونصب الكمائن ووضع المكائد للعدو بدليل النص الذي وصل إلينا من المقري فعند الحديث عن خصاله أورد قائلاً: ((وكان صلاح الدين وهو السلطان، يأخذ برأيه، وقدم له أحد المصنفين (على أغلب الظن إنه المرضي الطرسوسي ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) كتابا مصوراً في مكايد الحروب ومنازلة المدن، وهو حينئذ على عكا محاصراً للفرنج، فقال له، ما نحتاج إلى هذا الكتاب ومعنا أخونا أبو بكر (يعني الملك العادل)، وكان كثير المداراة والحزم))[٣]، ومن الملاحظ إن أغلب ملوك بني أيوب ظهر دورهم السياسي والعسكري بصورة أوسع بعد وفاة السلطان صلاح الدين، في عهد سلطنة أخيه الملك العادل وابنه الملك الكامل، فخلال المدة (٥٩٠-٥٩٨هـ/ ١١٩٤-١٢٠١م)، انشغل معظم ملوك البيت الأيوبي، بتصفية المنازعات الداخلية بين أفراد الأسرة، سواء من أبناء صلاح الدين أو أبناء السلطان الملك العادل، وبعد تلك المرحلة بان دور الأسرة العادلية التي بدأت تطفو على السطح، لان الملك العادل الأيوبي عندما أصبح سلطانا، قسم ممتلكات الدولة من جديد بين أبنائه.

على أية حال فإنه بعد وفاة السلطان الملك العادل سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، نجد بأن بعض ملوك تلك الأسرة شعروا بالمسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقهم، في خضم ازدياد العدوان الصليبي على أراضي بلاد الشام بشكل عام وعلى مصر على وجه الخصوص، فعندما توغل الصليبيون داخل الأراضي المصرية بين السنوات (٦١٦-٦١٨هـ/ ١٢١٩-١٢٢١م) واستولوا على دمياط، وحاول الأمير عماد الدين ابن المشطوب الانقلاب على السلطان الملك الكامل و إقامة أخيه الملك الفائز إبراهيم مكانه، تدخل الملك المعظم عيسى، وقضى

---

(١) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٦٨.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٩٧-١٩٨؛ وحول دور الملك العادل الايوبي في عهد صلاح الدين ينظر على سبيل المثال لا الحصر، ابن ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٧٠، ٣٧٥، ٤٣٦، ٤٤٦، ٤٥٩، ٤٧٧، ابوشامة، الذيل على الروضتين، ص١٦٨، الحنبلي، شفاء القلوب، ١٠٢، ١١٧؛ عرب دعكور، الدولة الايوبية، تاريخها السياسي والحضاري، (بيروت، ٢٠٠٦)، ص ص١٤٥، ١٥٨-١٥٩.

(٣) نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، (بيروت: ١٩٦٨)، ٢/ ٢٩٦).

على تلك المؤامرة[1]، ومن جانب آخر، عندما اشتد الامر على السلطان الملك الكامل من قبل الصليبيين وبدأوا يهددون أمن مصر، وصل إليه كل من الملكين الأشرف موسى والمعظم عيسى بعد أن استنجد بهم، وقدموا له كل مساندة ممكنة من الناحية العسكرية والمعنوية، وبالتالي تمكنوا من هزيمة الحملة الصليبية الخامسة[2].

تعليل مسألة سرعة تلبية إخوة السلطان الملك الكامل الأيوبي لاستغاثته، بضرورة الوصول بسرعة إلى مصر ودعمه في قتال الصليبيين، هي: أنهم قد وعوا ووفق معطيات العصر أوانئذ إذا ما وقعت دمياط بيد الصليبيين الذين كانوا يهاجمون بكل قسوة براً وبحراً، فإن الطريق كان سيصبح سهلاً جداً ومفتوحاً لهم حتى الوصول إلى القاهرة، وإذا ما تحققت تلك الخطوة للصليبيين، واحتلوا القاهرة، فإن بقية مصر لن تكون عاصية على احتلالهم وهي المفتاح والبوابة على حد سواء نحو بلاد الشام، وبالتالي فأن كل التضحيات التي قدمها السلطان صلاح الدين ومن بعده أبناؤه واخوه السلطان الملك العادل، ستذهب سدى، فضلا عن أن العالم الإسلامي بمشرقه ومغربه سيكون عرضة للغزو الصليبي، ناهيك عن الفكرة الأضيق ألا وهي فقدان أولئك الملوك لمالكهم ومصالحهم الشخصية، لذا فإن الوعي بفقدان الوجود المكاني والعقدي والإنساني، دفع أبناء الملك العادل في بلاد الشام إلى طي المراحل والمسير بقواتهم إلى حيث إحتاج السلطان الكامل محمد إلى كل مساندة ممكنة، وهو ما تيسر وتحقق له.

مع ذلك وفق ما نقلته لنا النصوص التأريخية، فإن اولئك الملوك لم يكونوا دائما على وفاق، بل دخلوا فيما بينهم في منازعات كثيرة من اجل السيطرة والتملك والتوسع خلال السنوات (٦٢٢-٦٣٧هـ/ ١٢٢٥-١٢٣٩م) وكونوا تحالفات داخلية وعقدوا اتفاقات خارجية، أثرت بصورة كبيرة على تفكيك الوحدة الداخلية، فضلا عن منح الفرصة للاعداء الخارجيين على التدخل في شؤون الدولة الأيوبية[3].

عند الوقوف بتؤدة على الاوضاع في الحقبة الأخيرة من عمر الدولة الأيوبية (٦٣٧-٦٥٢هـ/ ١٢٣٨-١٢٥٤م)، يلاحظ بأن أغلب ملوكها، عوضاً أن يكونوا أداة مساعدة لتقوية الدولة وإجراء الإصلاحات العامة على مختلف الأصعدة، يُبان بأنهم إنهمكوا أكثر فأكثر في إدخال الدولة في مصاعب ومشاكل سياسية وعسكرية أكثر تعقيداً، وكان لكل

---

(١) حول مؤامرة عماد الدين ابن المشطوب وما تبعتها من معطيات، ينظر، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١٠ /٣٧٦ - ٣٧٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ٨٠/١٣ .

(٢) ابن العبري، تاريخ الزمان، ٢٦٠ -٢٦١ ؛ ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص٩٢.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ص ص٤٧٠-٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٠٤/٤، ٢٠٧، ٢٣٣-٢٣٤-٢٣٦؛ الدواداري، كنز الدرر، ٧/ ٢٨٤، ٢٩٢-٢٩٣، ٢٤١، ٢٤٣.

من الملك الصالح نجم الدين أيوب -قبل أن يتولى السلطنة- والملك الصالح إسماعيل (ت ٦٤٨هـ/ ١٢٤٩م) إلى جانب الملك الناصر داود (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) والملك المنصور إبراهيم امير حمص (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م) والملك المظفر محمود صاحب حماة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)، بصمة واضحة في إنهاك الدولة الأيوبية من خلال إثارة الفوضى السياسية والعسكرية في بلاد الشام ومصر، مما أثر سلباً على بقاء تلك الدولة قوية مثلما كانت الحال في الفترة التي سبقتها بصورة أو بأخرى، وحتى عندما تولى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، ومن بعده إبنه توران شاه السلطنة فإنهم تصرفوا كما تصرف بقية ملوك بني أيوب الباحثين عن توسيع ممتلكاتهم الشخصية ومصالحهم الضيقة، ولم يسلكوا سلوك السلاطين الكبار، مثل صلاح الدين أو العادل وابنه الكامل الأيوبي بنسبة أقل، وأهدروا الكثير من طاقاتهم الحربية وخبراتهم السياسية في مواجهات شخصية، أفقدت الدولة هيبتها، وجعلتها عرضة للأطماع من قبل الآخرين ولاسيما المماليك لينقضوا في النهاية على الحكم.

لم تسعف الأيوبيين ما قامت به المعارضة الأيوبية من قبل بقايا ملوكهم في الشام من أمثال الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز امير حلب في محاولة استعادة استرجاعية للعرش الأيوبي سنة(٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)(١)، كون أن الضعف كان قد تغلغل بعمق بين الأيوبيين هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن المماليك كانوا قد أصبحوا الجماعة الأكثر قوة في المنطقة ولهم اليد الطولى في اجتذاب الخبرات ومن ثم توظيف جهودهم للسيطرة على كل من مصر وبلاد الشام وهذا ما تحقق لهم في النهاية.

وفي نهاية هذا المبحث نشير إلى أنه:

١- ظهر من خلال ما اطلعنا عليه من النصوص أن الملوك والأمراء الأيوبيين كان لهم مساهمات وجهود كبيرة في إسناد السلاطين خلال أغلب حقب تأريخ الدولة ولاسيما من الناحية العسكرية والمشاركة المباشرة في ميادين القتال.

٢- تبين من خلال مضان الروايات التأريخية أن العديد من الملوك الأيوبيين، كانوا عالة على السلطة السياسية والمؤسسة العسكرية بفعل قيامهم بإدخال الدولة في مشاكل داخلية لا حصر لها ليس من أجل شيء سوى توسيع دائرة طموحاتهم، حتى وإن كانت النتائج عكسية على مستقبل الدولة.

---

(١) ابن واصل، ٦/ ١٥٤-١٦٧؛ ابن ايبك الدواداري، كنز الدرر، ٨/ ١٧-١٨؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ص٤١٣-٤١٤؛ لمعرفة المزيد عن تلك المحاولة الايوبية العسكرية، ينظر: الهسنياني، السنوات الأخيرة، ص ص٢٠١-٢١٧.

٣- عند الاطلاع على سير الملوك الأيوبيين، أسماء العديد منهم بعضهم كان جديراً بحمل الألقاب التي منحت له، والبعض الآخر كان فقط حاملاً لمعاني تلك الألقاب الملوكية دون أن يكون مستحقاً لها فقط لأنه من البيت الحاكم، والحال ذلك ينطبق على أبناء الاسرة الأيوبية عموماً سواء من أولاد السلطان صلاح الدين الأيوبي أو أخيه السلطان الملك العادل الأيوبي وأبناء إخوتهم أو أبناء عمومتهم، فبعضهم سطر إسمه بوفاء وشجاعة في متون مصادر التأريخ والبعض الآخر، لم تتح له الفرصة أو أنه لم يكن يمتلك تلك الصفات في نفسه.

المبحث الثالث
القادة والأمراء والعناصر القتالية

الفئة الأخرى الأكثر تأثيراً في الحروب هي فئة القادة والأمراء- من أولئك الأشخاص المؤهلين لقيادة غيرهم من الأفراد في المعارك الحربية ومن الذين كان سلاطين الدولة الأيوبية يعولون عليهم بصورة واضحة في تنفيذ خططهم العسكرية وتطبيق أساليب فن الحرب المتنوعة ضد القوى المعارضة والاعداء على حد سواء وما يتبعهم من أفراد عشائرهم وقبائلهم-، من الجدير بالذكر أنه اختلفت أعداد المقاتلين الذين قادوهم (أي الجند) من أمير إلى آخر حسب مرتبته في الدولة أو قوة قبيلته[(١)].

استناداً الى نظام الحربي السلجوقي تنوعت عناصر الجيش وفئاته إذ اورد الوزير نظام الملك السلجوقي بأنه على السلطان أو الأمير ان لا يعتمد في تكوين جيشه على عنصر واحد بعينه لأن ذلك سيؤدي إلى التخريب والفساد والتهاون في القتال أثناء المعارك لذا عليه أن يكوّن جيشاً مؤلفاً من أجناس مختلفة[(٢)]، وقد اكد على ذلك لاحقا الحضرمي أيضا بقوله: ((ويستحب للسلطان أن يكون جنوده أجناساً مفترقة وقبائل شتى، لا يتهيأ لها الاتفاق على رأي واحد في الخلاف، وأن يسوس جنده سياسة تخرج شيوخه وقادته عن الاتفاق والصداقة وعن الخلاف والعداوة، فإن الأمرين جميعاً يعودان عليه بالمضرة))[(٣)].

خلال رصد معطيات الرأيين السابقين حول ضرورة وجود تنوع بشري في المؤسسة الحربية للدولة، يطرح هذا السؤال، هل كان السلاطين الأيوبيون يمتلكون توجها عسكريا خاصاً بهم يدفعهم إلى جذب كل المكونات الإثنية في الدولة للمشاركة في تكوين المؤسسة الحربية الأيوبية وتحقيق أهدافهم المخططة لها، أم أن الواقع الموجود أوانئذ كان يفرض نفسه على سلاطين الدولة بضرورة دمج كل الفئات في النظام الحربي الأيوبي؟

للإجابة على هذا الطرح، يبدو بأنه من خلال رؤية استرجاعية للنظم الحربية السائدة في القرن الـ(٦هـ/ ١٢م) ولاسيما عند دولة السلاجقة بأن تلك النظم تميزت بالشمولية السكانية لتوظيف القدرات القتالية ذات الخبرة في المؤسسة العسكرية السلجوقية والاستفادة القصوى من مهارات الرجال ممن دخل السلك الحربي وأصبح

---

(١) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بـ(الخطط المقريزية)، وضع حواشيه، خليل منصور، (بيروت: ١٩٩٨)، ١/ ١٧٨.

(٢) سير الملوك، ص١٣٨.

(٣) كتاب السياسة في تدبير الامارة، (بيروت: ٢٠٠٢)، ص٣٧.

جزءاً لا يتجزأ منها، مع أن السلاجقة قد منحوا الثقة بالدرجة الأولى للعنصر التركي، وقد تبعهم بعد ذلك أتابكة الزنكيين في الموصل وحلب، وجعله نور الدين محمود مبدأ أساسياً في دولته؛ ولكن مع ذلك لم يهمل إدراج العناصر البشرية الأخرى في قواته وتوظيف جهودهم لخدمة مملكته من كرد وعرب.

ولما انتهى عصر الدولة الزنكية وتحولت السلطة إلى الأيوبيين متمثلة بشخص السلطان صلاح الدين، فإنه لم يخرج عن مبدأ سياسة السلاجقة والزنكيين، ولكن بصورة معكوسة أي جعل العنصر الكردي هو الغالب على جيشه، ومثله فعل بقية سلاطين الدولة الأيوبية، مع تمكين العناصر الأخرى في التعايش مع نظرائهم من القادة والجند الكرد، وإن حدثت أحياناً بعض المنافرات العنصرية بين الكرد والترك إلا أنه لم يؤثر على الجانب العام للنظام الحربي الأيوبي، وصولاً إلى عهد السلطان نجم الدين أيوب (٦٣٧- ٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م) الذي غير موازين التواصل التأريخي لغلبة العناصر البشرية التركية أو الكردية على المؤسسة العسكرية للدولة منذ عهد السلاجقة، بأن أدخل مكونات عسكرية جديدة في عمق النظام الحربي الأيوبي، ألا وهم المماليك، وكانوا من التنوع السكاني مما يجعل معه السيطرة على توجهاتهم من السهولة بمكان من قبل السلطان ولكنهم عندما شعروا بقوتهم تولد الشعور لديهم بالغربة في البيئة التي احتوتهم مادياً ومعنويا لسنوات، فعبروا عن تلك الغربة بالانقلاب على الاوضاع السياسية السائدة وتكوين خصوصية سياسية وعسكرية تنتمي لهم تحديداً وليس للاجناس الأخرى.

بناءاً على ما سبق إتضح، بأن الثقة المرتبطة بوجود الاصول المشتركة، هي كثيراً ما كانت تدفع بالسلاطين إلى إعلاء شان من يشتركون معهم في النسب الإقليمي أو القبائلي أو القومي، في بيئات شهدت الكثير من التناحر والاضطراب وفقدان الثقة السياسية والعسكرية على مدى حقب تأريخية مختلفة، ومن ثم فإن السلاطين الأيوبيون بدأ من مؤسس الدولة وصولاً إلى الصالح أيوب، كانت لديهم توجهات منظمة وهادفة للاستفادة من الخبرات والمهارات القتالية لبقية العناصر التي كانت موجودة في بلاد الشام أو مصر، ولاسيما في مجتمع متداخل حضارياً.

على أية حال، كانت جيوش الدولة تتكون من عناصر قومية متعددة ومن مناطق جغرافية مختلفة، من بينهم الكرد والترك والعرب والتركمان، وكانت نسبة تلك العناصر غير متوازنة نسبيا خلال الحقب المتتالية لعمر تلك الدولة، لذا نرى بأنه على مدى العصر الأيوبي برزت أسماء العديد من القادة والامراء الكبار الذين كانت لهم أدوارا

مؤثرة في المعارك وعمليات الحصار التي شاركوا فيها، ومَثل القادة الكرد النسبة الأكبر من بين بقية أمراء الجند منذ عهد صلاح الدين إلى بدايات حكم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب حيث استبدلهم بالمماليك الأتراك، بسبب تخاذلهم عن مساندته وانحيازهم إلى منافسيه عند محاولته الاستيلاء على دمشق و تركهم له في الغور أيضا(١)، والمعروف عن الكرد بأن ((فيهم الشجاعة والنجدة والحمية فرسانهم ورجالاتهم، وهم يتعصبون لبعضهم بعض على كل حال... وليس فيهم حيل ولا مكر... وربما كان فيهم غدر في بعض الاوقات ولا يكون سببه الا التعصب والحمية))(٢).

من الممكن التعرف على أسماء تلك التراجم من خلال نصوص تأريخية نقلها مؤرخوا الدولة الأيوبية وغيرهم من المعاصرين لهم أو الذين ادركوا نهايات تلك الدولة، ويورد عماد الدين الاصفهاني مؤرخ اليوميات الصلاحية في الفتح القسي أسماء بعض العشائر الكردية التي كان لها وقع كبير في عهد صلاح الدين، عندما قال ما نصه: ((وكل حميدي في الروع حميد وبالحرب عميد، وكل هكاري على القرن عكار وفي الوغى كرار، وللقنا جرار، وكل زرزاري بالاسد زار وللبسالة كاس ومن العار عار، وكل مهراني في القتال ماهر وللرجال قاهر وعلى الأبطال ظاهر))(٣)

كما كان للقبيلة الهذبانية(٤)، أيضا شأن كبير لا يقل عن بقية القبائل التي ذكرها عماد الدين الاصفهاني في النص السابق، إلى جانب الكرد القيمرية(٥)، الذين ظهر دورهم بصورة تدريجية منذ أواخر عهد الملك العادل الأيوبي، ليرتفع شأنهم شيئا فشيئا أواخر عهد الملك الكامل محمد، والبروز في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، ويستمر حتى يصل ذلك الدور إلى قمة القوة بقضائهم على الدولة الأيوبية(٦).

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ٨٢.

(٢) الحسن بن عبدالله العباسي، اثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبدالرحمن عميرة (بيروت: ١٩٨٩)، ٢/ ٢٩٢.

(٣) ص١٧٨.

(٤) عن جغرافية وتاريخ الامارة الهذبانية وتطور أوضاعها السياسية وابرز امرائها وعلاقتها بالقوى الأخرى، ينظر، أحمد عبدالعزيز محمود، الامارة الهذبانية الكردية في اذربيجان واربيل والجزيرة الفراتية، (اربيل: ٢٠٠٦)، ص ص٢٩-٤٥، ٦١-١١٦؛ زرار صديق توفيق، القبائل والزعامات القبلية الكردية في العصر الوسيط، (أربيل: ٢٠٠٧) ص ص١٧٣-١٨١.

(٥) عن الكرد القيمرية وتطور تاريخهم ومشاركاتهم في رسم احداث المنطقة ينظر، جوتيار تمر صديق، الكرد القيمرية (٧-٨هـ/ ١٣-١٤م)، (دمشق: ٢٠١٦)، ص ص٣٧-٦٧، ٦٩-١٢١.

(٦) الفاخري، تاريخ الفاخري، تحقيق عمر عبدالسالام تدمري، (بيروت: ٢٠١٠)، ص ص٨٤-٩٣.

تشير بعض الروايات إلى استخدام الأيوبيين للجند الشهرزورية[١] أيضاً، حيث جَنّد الملك الناصر يوسف الثاني (٦٣٤-٦٥٨هـ/ ١٢٣٦-١٢٦٠م) امير حلب، حوالي ثلاثة آلاف منهم في جيشه النظامي، وأغدق عليهم الأموال ومنحهم الكثير من الاقطاعات[٢].

وأورد الفارقي رواية لها مغزاها التأريخي في التعرف على تراجم بعض القادة الكرد ممن كانوا قد وفدوا من المناطق الكردية قبل تأسيس الدولة الأيوبية إلى بلاد الشام ومصر، فذكر بأن أحد أمراء االدولة المروانية[٣]، وهو الأمير مسعود بن إبراهيم قد تنقل في خدمة نورالدين محمود ومن ثم إنتقل إلى مصر فخدم شاور السعدي (ت ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)، وعندما وصل شيركوه إلى مصر إلتحق بخدمته، وبعد وفاة شيركوه إنضم إلى صلاح الدين وخدمه على أكمل وجه[٤].

يعد سيف الدين علي بن أحمد الملقب بالمشطوب [٥] (ت٥٨٨هـ/ ١١٨٩م)[٦]، من أشهر القادة الذين رافقوا السلطان صلاح الدين في أغلب معاركه وسانده بقوة في الاوقات العصيبة، وهو الذي وُصِف من قبل ابن شداد؛ بأنه: ((من كبار ملوك الاكراد ومقدميهم))[٧]، وأظهر شجاعة فائقة أيام حصار عكار وقاتل ببسالة وبقي محاصراً في المدينة حتى احتلال الصليبيين لها، فوقع في الأسر سنة (٥٨٧ هـ/ ١١٨٩م) وبقي معتقلاً لدى الصليبيين إلى أواخر سنة (٥٨٨هـ/ ١٢٩٠م)، حيث أطلق سراحه وعاد إلى نابلس.

(١) جماعة من الاكراد ينتسبون الى شهرزور وهي كورة واسعة في الجبال بين اربيل وهمدان، واهلها كلهم اكراد يتميزون بالبطش والشدة،للمزيد عن اسم وجغرافية شهرزور، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان؛ االقزويني، اثار البلاد واخبار العباد، (بيروت: د/ت)، ص٣٩٧؛ القلقشندي صبح الاعشى في صناعة الانشاء، (بيروت: ١٩٧٨)، ٣٦٩/٤؛ درويش يوسف حسن،الاسرة الشهرزورية ودورها السياسي والحضاري (٤٨٩-٦٣٠هـ/١٠٩٥-١٢٣٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، قسم التاريخ، جامعة صلاح الدين، (اربيل: ١٩٩٨)، ص ص٣٤-٣٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ٥٠٠/١؛ منذر الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، (دمشق: ٢٠٠٦)، ١٥٧/١.

(٣) حول الدولة المروانية الكردية، ينظر، ابن الأزرق الفارقي، تاريخ ميافارقين، تحقيق كريم فاروق الخولي ويوسف بالوكن، (إسطنبول: ٢٠١٤)، ص ص٤٥٣-٦٦١؛ كرفان ئاميدي، الكرد في كتابات المؤرخ ابن الاثير الجزري، (أربيل: ٢٠٠٦)، ص ص١٧٧-١٩٢. قيس عبد إسماعيل، الأمير نصر الدولة المرواني، ودوره في ازدهار امارة بني مروان، مجلة الجامعة العراقية، بغداد، ٢٠٢١، العدد ٥٠، ج٣، ص ص٤٤٤-٤٥٤.

(٤) تاريخ ميافارقين وامد ص ٥٤٠.

(٥) سمي بذلك، لشطبة في وجهه، ابن الفرات، مج٥، ج١، ص٢٤٨. عن المشطوب الهكاري ينظر، نبز مجيد امين، المشطوب الهكاري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين، كلية الاداب، قسم التاريخ، (أربيل : ١٩٩١)، ص ص٥٩-٧٠؛ محسن محمد حسين، المشطوب الهكاري سيرة مجاهد، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨١، مج٨، ع١، ص ص٣٢٤-٣٣٠).

(٧) النوادر السلطانية، ١٧٢.

لم يقل دور الأمير الاسفهسلار[1] حسام الدين بن ابي الهيجاء الهذباني الملقب بالسمين (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م) عن دور المشطوب في عهد السلطان صلاح الدين من الناحية العسكرية وإن لم يكن في درجته من الناحية الإدارية فقد نجح المشطوب في إدارة كل من صيدا ونابلس بينما لم يستطع أبو الهيجاء السمين من القيام بالأمر نفسه عندما أدار مدينة نصيبين ومن بعدها القدس، ولكنه عرف بالكرم والشجاعة[2]، فضلاً عن عيسى الهكاري (ت ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)، فإلى جانب كونه قائدا عسكرياً فقد كان فقيهاً عالماً، مع أخيه ظهير الدين الهكاري حيث كانت لهم أياماً مشهودة في قتال الصليبيين، كما أن هناك أسماء أخرى برزت في مواضع أخرى مثل حصار عكا والدفاع عنها مثل، خشترين الهكاري والجناح أخو المشطوب، وحسام الدين بن باريك المهراني والأمير عزالدين موسك بن جكو الهذباني، ويضاف إليهم شيركوه بن باخل الزرزاري وأياز المهراني أولئك جميعاً وضعوا خدماتهم العسكرية ومهاراتهم الحربية في القتال في خدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي[3]، بعضهم طال بهم الزمن ليسطروا ببسالتهم عناوين بهيجة لفنون الحرب والقتال، والبعض الآخر قتل في ميادين الوغى وهم بين مقاتل مدافع أو مهاجم مثل الأمير إبراهيم بن حسين المهراني[4]، الذي استشهد على عسقلان بعد أن أثبت جدارته كقائد حربي ذو كفاءة وخبرة كبيرة في القتال وجمال الدين شروين بن حسن الزرزاري، الذي غامر بنفسه وبمقاتليه عندما تقدم دون أن يأخذ الاحتياطات اللازمة في الحسبان فوقع مع جنده في كمين للصليبيين سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) عند أبواب مدينة القدس فقتل مع رفاقه[5]، والأمير مجلي بن مروان والحاجب خليل الهكاري، وظهير الدين أخو

---

(١) الاسفهسلار، ومعناها قائد الجيش واليه ترجع امر الجنود، وهي تطلق على أصحاب السيوف دون الأقلام، وتحديدا يخاطب به أي القائد العام للجيش، ينظر، محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الاعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣، ص٣٢؛ محمد احمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠، ص١٦؛ حسان حلاق و عباس الصباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الايوبية والمملوكية والعثمانية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩، ص٨.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ٢٠٤.

(٣) عن أدوار ومساهمة أولئك القادة الكرد في مساندة السلطان صلاح الدين الايوبي ينظر، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص١٦٩، ١٧٢، ٢٢٤، ٢٥٥، ٢٦٠-٢٦١؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٥٢-٥٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٤٨، ٣٥٨، ٣٦٣.

(٤) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٣٨.

(٥) أبو شامة، الروضتين، ٣/ ٢١٦؛ من الجدير بالذكر الإشارة الى ان ابن الاثير الجزري، عند سرد مرويات الخبر المذكور يهمل التصريح باسم الأمير الكردي الزرزاري ويكتفي بالقول: ((تقدم امير في جماعة عن أصحابه غير محتاط ولا حذر فلقيه جمع من الفرنج قد خرجوا من القدس ليكونوا يزكا فقاتلوه وقاتلهم فقتلوه وقتلوا جماعة ممن معه))، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٩٥.

الفقيه عيسى الهكاري في سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) إبان حصار عكا[(١)]، وفي سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) استشهد الأمير نصر الحميدي بعد ان استبسل في القتال في حصار عكا أيضا[(٢)]، ومن العناصر القتالية البارزة في تلك المرحلة الأمير الكردي حسام الدين عمر بن لاجين ابن أخت السلطان، وتمكن من فتح نابلس سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، وظل مرافقاً للسلطان في معاركه وطلعاته القتالية وكان له مساهمة فعالة أيضا بعد ذلك سواء في عكا أو غيرها من المناطق، حتى وفاته سنة (٥٨٧هـ/ ١١٨٩م)[(٣)].

ظهر في المرحلة التالية لعهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ولاسيما في عهد أبنائه وأخيه الملك العادل، فقد ظهر على الساحة العسكرية للدولة الأيوبية أمراء وقادة كرد آخرون، شاركوا بمهاراتهم الحربية في الصراعات الداخلية للأسرة الأيوبية والقتال ضد الصليبيين، والبعض الآخر كان مساهماً في استتباب الأمن خارج بلاد الشام ومصر. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يصادفنا اسم الأمير الكردي هكندري الذي عد من أكبر الأمراء الحميدية، وكان له موقف إيجابي من السلطان الملك العزيز لما تخلى عنه بقية القادة ومالوا إلى عمه الملك العادل إبان الفترة الأولى للصراع الأسري الأيوبي[(٤)]، بينما ساعد مجد الدين الهكاري والأمير شجاع الدين يونس الكردي الملك العادل في الاستيلاء على مدينة دمشق، في حين انضم في خضم تلك الأحداث مع عدد من الأمراء المهرانيين إلى جانب العادل الأيوبي منهم، طغرل، وعز الدين درباس المهراني[(٥)]، وهو الذي كان قد أسر الملك الصليبي جاي دي لوزجنان ملك بيت المقدس سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)[(٦)]، وحسام الدين عيسى بن خوشترين، مما كان لهم أبرز الأثر في تغيير موازين القوى في تلك الحرب الأهلية الأيوبية لصالح الملك العادل على حساب الملك الأفضل علي[(٧)].

---

(١) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص١٦٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص١٧٠-١٧٢.

(٢) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٤٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٤٨.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٤٦٢/٩؛ سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ٣٩٦/٢١؛ ابن واصل، التاريخ الصالحي، ٢٦٥/٢ - ٢٦٦.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ٥١.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٩٦/٣-٩٧ .

(٦)، أبو شامة، الروضتين، ١٩٢/٤؛ ويعرفه المؤلف المجهول، بـ(ابن مم)، ينظر: تاريخ دولة الاكراد، ص١٤٥؛ في حين ان ابن الاثير عند رصد أسماء بعض كبار الاسرى الصليبيين في حطين يهمل الإشارة الى من اسر ملك بيت المقدس، ينظر: الكامل في التاريخ، ٩ / ٤٠٠ .

(٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ٩٨/٣.

من جهة أخرى عند الاطلاع على بعض مصادر العصر الأيوبي، والتي سجلت أحداث ما بعد عهد صلاح الدين، مثل ابن نظيف الحموي يمكن العثور على تراجم عابرة لقادة كرد كان لهم بصمة محفورة في قلب موازين القوى وتغيير الحكم في بعض الأقاليم التابعة للدولة الأيوبية مثل اليمن، حيث ذكر في حوادث سنة (٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م) بأن عدداً من كبار قادة الكرد وعلى رأسهم شمس الدين الدُقَيْق، تمكنوا من قتل الملك المعز إسماعيل ابن سيف الإسلام طغتكين (ت ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢)[(١)]، بعدما كان قد خطب لنفسه بالخلافة وادعى الانتساب إلى الأمويين وأهان كبار قادته وحاول غزو مكة المكرمة[(٢)].

فضلاً عن كل ذلك، ان بعض القادة الكرد، شاركوا بفعالية في قتال الصليبيين إبان عهد الملك العادل الأيوبي وضحوا بأنفسهم في سبيل الله وخدمة أهداف الدولة في الدفاع عنها، وخير دليل على ذلك عندما هاجم الصليبيون الطور[(٣)]، وحاولوا الاستيلاء عليها تصدى لهم الأمير بدرالدين بن ابي القاسم الهكاري مع القوات الأيوبية، وقتل في المعركة مع بعض الأمراء الآخرين[(٤)].

يستثني من اولئك القادة المخاصين للدولة الايوبية بعض القادة الهكاريين إذ شذ البعض منهم في المحافظة على استتباب الأمن داخل الدولة الأيوبية والمساهمة الفعالة في المعارك الحربية ضد الصليبيين، بل أصبح وبالاً على الدولة ومآلاً للتفكك والتفرق، فهذا

---

(١) حول ترجمته ينظر، الذهبي، العبر، ٣/ ١٢١؛ العيني، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق محمود رزق محمود، القاهرة، ٢٠٠٧، ٣/ ١٦٥-١٦٦ وللمعرفة التاريخية؛ فان العيني يخالف بقية المصادر التاريخية ويجعل وفاته سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)؛ عبدالله حاتم خالد المخلافي، الايوبيون في اليمن، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الاداب، قسم التاريخ، دمشق، ٢٠٠٩، ص ص١٠٩-١٣٠.

(٢) التاريخ المنصوري، ص ص٢٨-٢٩، ٣١.

(٣) الطور ومعناه الجبل، وهو جبل يطل على مدينة طبرية في الأردن على بعد أربعة فراسخ (٢٤ كم) والطريق بينه وبين (بحر القلزم - الأحمر) مسلوك وتستخدم المدارج للوصول الى قمته، بنى عليه الملك المعظم عيسى قلعة حصينة، ولكن الملك العادل قد اقلقه ذلك خوفا من استيلاء الصليبيين عليه فامر ابنه بهدم الحصن، فامتثل الملك المعظم لاوامر والده فخربه سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، للمزيد عن جغرافية قلعة الطور وموقعها ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٧/٤؛ الادريسي،نزهة المشتاق في اختراق الافاق،(بيروت:١٤٠٩هـ)، ٥/ ٣٤٩؛ بينما يسميه القزويني، طور هارون، اثار البلاد،ص٢٠٧؛ وحسب ابن الاثير، فان الملك العادل هو الذي بنى قلعة الطور، ٩/ ٦٥٣؛ بينما يخالفه كل من سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ٢٢٧/٢٢؛ وابوشامة، الذيل على الروضتين، ص١٦٥، بأن الذي بناها كان الملك المعظم عيسى ابنه، سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧م).

(٤) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٣٠٩؛ سبط ابن نالجوزي، مراة الزمان، ٢٢/ ٢١٨، ٢٢٦؛ ابوشامة، الذيل على الروضتين، ص١٥٦.

عمادالدين احمد ابن المشطوب الهكاري ((وكان معظما عظيماً في الاكراد الهكارية))[1]، بدلاً من ان يسخر مهاراته في فنون الحرب لصالح الدولة، حاول أن ينتهزها لتحقيق مآربه الشخصية، والعمل من أجل إسقاط الدولة وإحداث انقلاب غير مبرر في وقت كان السلطان الأيوبي الملك الكامل في أشد الحاجة إلى مساندته وخبرته القتالية، ففشلت مؤامرته لتغيير السلطة سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٩م)[2]، عندما ألزمه الملك المعظم عيسى (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦)، بترك مصر والذهاب إلى بلاد الشام، وهناك أيضا لم يألُ جهداً في الاستمرار بخططه المعادية للسلطة الأيوبية، فأراد صاحب حماة توظيفه لخدمته في الاستيلاء على بعض الممتلكات لما كان يعرفه من انقياد الكرد الهكارية له ومهاراته القتالية وما علم عنه من الشجاعة، لكنه في النهاية اصطدم بحليف الملك الاشرف الأيوبي بدرالدين لؤلؤ[3]، الذي قبض عليه ثم سلمه إلى الملك الاشرف فسجنه في جب وكان آخر العهد به سنة (٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)[4].

مع وجود قادة طموحين وميالين لخلق الاضطرابات في الدولة، مثل ابن المشطوب المذكور فقد كان هناك أمراء آخرين لم يتوانوا لحظة في وضع مهاراتهم وخبرتهم العسكرية في خدمة الدولة والملوك الأيوبيين الذين عملوا معهم أو كانوا يناصرونهم في أهدافهم، وخير إشارة إلى ذلك هي في نموذج الأمير حسام الدين أبي علي الهذباني[5]، الذي انضم إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٥م)[6]، ولازمه بقية عمره بل كان أحد المقربين منه، وأناب عنه في أكثر من مرة عن دمشق والقاهرة، وله مشاركات

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ١٦.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٦٦٦-٦٦٧.

(٣) يراجع عنه، الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق ابو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، (بيروت، ١٩٨٥)، ٣/ ٢٨٦-٢٨٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢١٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٧/ ٤٩٩-٥٠٠.

(٤) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٢٠؛ ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ٢٧٩؛ كرفان محمد احمد اميدي، الملك الاشرف موسى بن الملك العادل الايوبي-دوره واثره في الدولة الايوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين، كلية الاداب، قسم التاريخ، أربيل، ١٩٩٩، ص٨٧.

(٥) حول ترجمته ينظر، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٧/ ٥١٢؛ الشيء الغريب في الامر، هو ان ابن واصل الحموي، صاحب الأمير حسام الدين والذي سجل الكثير من الملاحظات والمعلومات عن خدمته للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، اهمل الإشارة الى وفاته، مفرج الكروب، ٦/ ٢٥٩-٣١٤؛ اما ابو شامة المعاصر له، فقد اكتفى بالإشارة الى وفاته في حوادث سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) دون ان يفصل في الحديث عن سيرته وخدماته للدولة الايوبية، الذيل على الروضتين، ص٢٠٨.

(٦) ابن واصل، مفرج الكروب ٥/ ٢٠٨.

فعلية في المعارك الداخلية بين الملوك الأيوبيين ومقارعة الصليبيين على حد سواء[1]، وكان أحد الأمراء الكرد الموثوقين من السلطان الملك الصالح، ومن بعده لم يزل مركزه مرموقاً في عهد السلطان توران شاه ابن الملك الصالح حيث أكرمه وقربه واعتمد عليه في تدبير أمور دولته إلى ان حصلت بعض المنافرة بين الجانبين فتم تجميد حسام الدين الهذباني عن القيام بالكثير من الوظائف التي كانت قد أسندت اليه سابقا، وبالتالي فإن ذلك الإهمال قد أضر كثيرا بالسلطان توران شاه وأبعد عنه الأمير حسام الدين فلما حاول المماليك قتله لم يسعفه حسام الدين بأية وساطة أو تدخل لمنع قتله[2]، وكان حسام الدين قد تنبأ باستبداله وتنحيته عن السلطة بسبب التصرفات التي كان يقوم بها توران شاه[3].

من الجدير بالقول أن الأمير حسام الدين الهذباني، ظل مقامه رفيعا حتى عندما تولى المماليك السلطنة بعد الأيوبيين ،فقد قدره المماليك البحرية كثيرا بسبب شجاعته وحنكته وإخلاصه في تدبير أمور الدولة على عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب[4]، وقد ترك الخدمة طوعا وطلب من الملك المعز آيبك السماح له بالرحيل إلى بلاد الشام، فمنحه الاذن بالسفر فذهب إلى دمشق حيث أكرمه الملك الناصر يوسف وقربه كثيرا[5]، وليس كما ذكر أحد مؤرخي العصر بأن المماليك كانوا قد عزلوه عن كل مهامه فترك مصر ورحل إلى الشام[6]، وإن كان المقريزي ينفرد بذكر أخباره في حوادث سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) حيث قال، بأنه جاء من الحجاز إلى معسكر في السانح بالصالحية، ووافق مجيئه وصول رسول الخلافة العباسية نجم الدين البادرائي من أجل التوسط بين الملك المعز ايبك والملك الناصر امير حلب ودمشق[7].

---

(١) اليونيني، ذيل مراة الزمان، ٢/ ٨٠-٨١.

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٤٨٥.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ١٢٧.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ١٣٨-١٣٩.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ١٧٥.

(٦) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٥١٢. وقد انتقد الباحث موسى مصطفى الهسنياني الأمير حسام الدين الهذباني كثيرا وجعله المسؤول الأول عن سقوط الدولة الايوبية ومقتل السلطان توران شاه واتهمه بالتخاذل كونه كان نائبا للسلطنة في مصر واكبر أمرائها أوانئذ؛ لكنه لم يقم بمهامه كما ينبغي ان تكون الأمور، ينظر، تحقيقه لكتاب تاريخ دولة الاكراد والأتراك (تاريخ دولة الاكراد) للمؤلف المجهول، هامش (٣)، ص٥١٢.

(٧) السلوك، ١/ ٤٧٧، وحسب رواية ابن واصل فانه عندما وصلته بعض الاخبار بان بعض الجنود المرابطين في غزة من انصار الملك الناصر يوسف صاحب دمشق سيحاولون رصد طريقه ومن ثم القبض عليه وتسليمه للملك الناصر، ترك الحجاز متجها الى مصر خوفا من ذلك (مفرج الكروب، ٦/١٧٣)، وليس كما اعتقد الباحث احمد

ترد في النصوص التأريخية إشارات متفرقة عن عدد آخر، من القادة الكرد ممن سجلوا مآثر حربية ومواقف سياسية كثيرة، ساهموا بجهودهم العسكرية في إحلال التوازن في العديد من المرات بين الأطراف المتنازعة، بل كانوا الفيصل في منع تجاوزات بعض الأمراء والقوى المتحاربة على سلطان الدولة الأيوبية، بل إن البعض منهم كان ميالاً إلى ضرورة الحضور الأيوبي في مناطق بعيدة عن مركز حكمهم في بلاد الشام ومصر، مثلما فعل الأمير عزالدين بن بدر الحميدي سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) فعلى أثر وفاة الاتابك مظفر الدين كوكبري حاول الأمير المذكور تسليم أربل إلى الملك الكامل الأيوبي ولكن بسبب الاختلافات بين الأمراء الموجودين في أربل وتدخل بدرالدين لؤلؤ وعدم رغبته في التواجد الأيوبي بقربه، لم تنجح خطة ابن بدر الحميدي، واستولت جيوش الخلافة العباسية على أربل وقلعتها[١].

ظهرفي بلاد الشام ومصرعدد اخر من القادة الكرد من أبناء الأسرة القيمرية وأمرائها الكبار، من أمثال حسام الدين وسيف الدين القيمريين، اللذين كانا مواليان لسلطان سلاجقة الروم علاء الدين كيقباد الاول (٦١٧_٦٣٤هـ/١٢٢٠_١٢٣٧م)في اول امرهما، وقاتلا لاجله التحالف الأيوبي سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م)، ثم انضموا إلى الدولة الأيوبية مع مقدم الجيش ناصر الدين القيمري الذي ترك الخدمة لصالح السلاجقة والتحق بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب أول أمره فاقطعه نابلس سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)[٢]، ثم أناب مملكة دمشق عن الملك الصالح إسماعيل وقدم له خدماته الحربية[٣]، ليعود من جديد إلى خدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)، وأصبح أولئك الأمراء من المعولين عليهم من قبل السلطان في الاستفادة من خبراتهم القتالية ضد معارضيه والقوى التي كانت تنافسه على السلطة[٤]. كما انهم أصبحوا من المقربين من ابنه السطان توران شاه فيما بعد[٥]. وبعد مقتله في سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، هاج الأمراء

=عبدالعزيز محمود بانه كان موفدا من قبل الخلافة للتوسط بين الشام ومصر، الامارة الهذبانية، ص٩٩، باعتبار ان المقريزي يؤكد بان الصلح تم بين الجانبين في سنة (٦٥١هـ/ ١٢٥٣م) بوساطة رسول الخلافة البادرائي، دون اية إشارة الى الأمير حسام الدين الهذباني، (السلوك، ١/ ٤٧٩).

(١) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص ٣٩٩.

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٤٢٤.

(٣) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٤٢٥.

(٤) مؤلف مجهول ٤٣٥-٤٣٨.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/١١٠، ١٢٧.

القيمريون في الشام وطالبوا بالانتقام له من المماليك الترك، وتصرفوا بقسوة مع العنصر التركي هناك، وأساؤوا إليهم وإلى أسرهم كثيراً دون ان يردعهم رادع[١].

كما برز في تلك الفترة قادة كرد آخرون، ضمن حدود مملكة حلب وأطرافها، مثل الامير عزالدين عمر بن مجلي الهكاري (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) الذي قتل والده أيام عكا[٢]، فأصبح ابنه اميراً بأمر السلطان صلاح الدين منذ صغره، وخدم سلاطين مصر إلى أيام السلطان الملك العادل، ثم أبعد إلى الشام حيث استقر به الحال في مملكة حلب، فخدم ملكها الملك الظاهر غازي، وأوقف مهاراته الحربية في فنون القتال في صالح مملكة حلب، وترقى في المراتب حتى أصبح من الأمراء الكبار هناك[٣].

وتفحصاً لمرويات المؤلف المجهول، تردنا ترجمة الأمير عمادالدين داود بن عزالدين بن موسك المعروف بان جلو أو جكو، الذي خدم لدى الملك المعظم الأيوبي في بداية عهده ثم انتقل إلى خدمة الملك الاشرف موسى فقربه وعهد إليه قيادة الجيوش وتدبير أمور دولته ووصف بانه ((جمع بين الاصالة والجلالة والفتوة والمروءة والعصبية والنفس الطاهرة))[٤]، كما كانت له مواقف قتالية مشهورة، ولِعِلةٍ اجتماعية ترك دمشق وانتقل إلى الكرك فقدم خدماته للملك الناصر داود، الذي حفظ له مكانته العالية[٥]، إلى أن ساءت الأمور بينهما، فاتهم بمعاضدة الملك الصالح نجم الدين أيوب فقبض عليه وسجنه، ولما أطلقه لم يطل به الأمر فمات بسبب مرض ألم به سنة (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م)[٦].

من الأسر التي برز أبناؤها بشكل ملفت للغاية إبان العصر الأيوبي في ميادين القتال ومواضع الدفاع وكانت لهم شهرة في فنون الحرب ومقارعة الأعداء، أسرة ابن أبي ذكري الحكمية - الهذبانية الكردية في كل من مصر وبلادالشام على حد سواء، فقد أشارت بعض النصوص إلى أن أول ظهور لافراد تلك الاسرة في نصوص التأريخ تعود إلى

---

(١) مؤلف مجهول، تاريخ ادولة لاكراد، ص٤٩٢-٤٩٤.

(٢) الحنبلي، شفاء القلوب، ص١٦١.

(٣) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٤٤٥.

(٤) تاريخ دولة الاكراد، ص٤٥٠.

(٥) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٤٥٠.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٣/ ٢٠١) ويفهم من كلام سبط ابن الجوزي اتهامه للناصر داود بقتله عمدا، فضلا عن انه دافع عنه بانه لم تكن له اية علاقة بالملك الصالح نجم الدين أيوب وشدد على براءته، ينظر، مراة الزمان، ٢٢/ ٤٠٠. في حين اكتفى أبو شامة بايراد اسمه فقط (الأمير عمادالدين داود بن موسك بن جكو) ضمن وفيات تلك السنة، ينظر، الذيل على الروضتين، ص٢٧٥.

أيام معارك عكا وحربها التي استمرت سنتين، وتحديداً في عام (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) عندما جاء بعض أبناء ابن أبي ذكري للمشاركة في دفع الصليبيين عن عكا وإفشال حصارهم[١].

ثم برزت أسماء أخرى في الفترة اللاحقة ولاسيما إبان الحرب الأهلية الأيوبية، حيث ورد اسم الأمير سيف الدين بن كهدان (كهدار) يظهر بصورة جليةمع محاولات الملك العادل الأيوبي استمالة القادة الموالين للملك الأفضل الأيوبي ابن أخيه صلاح الدين. في حين كان الملك الكامل الأيوبي قد قرب بعض أمراء تلك الاسرة إلى بلاطه واعتمد عليهم في الحرب الدائرة ضد الصليبيين في المنصورة سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) مثل فخرالدين أبو علي بن ابي زكري الذي مات في تلك السنة بعد أن شارك في عملية تحرير دمياط وتحقيق النصر في المنصورة. إلى جانب اؤلئك الامراء الزكريين هناك كل من القائدين العسكريين، زين الدين بن أبي ذكري الذي تألق نجمه في عهد الملك الصالح وحارب به أعراب مصر سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، ثم الأمير الكبير فخرالدين بن أبي زكري وكان من خواص الملك الصالح نجم الدين أيوب، الا ان ابنه توران شاه أبعده عن الخدمة مع مجموعة أخرى من النخبة العسكرية ،لعدم ثقته بهم.

أكثر الأمراء شهرة واوسع أخباراً في المصادر التأريخية من أبناء تلك الاسرة هو الأمير مجيرالدين إبراهيم بن أبي زكري (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، الذي كان من أتباع الملك الصالح نجم الدين أيوب حيث خدمه أولاً في الشرق[٢]، ثم إبان الأزمة الأيوبية على السلطة بين المدة (٦٣٤-٦٣٧هـ/ ١٢٣٦-١٢٣٩) وفي مرحلة التصدي للصليبيين الذين حاولوا احتلال مصر سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) وإلى أن توفي السلطان بقي ملازماً له، كان خلال المرحلة الانتقالية وتوطيد السلطة للملك الصالح ونزاعه مع الملوك الأيوبيين في بلاد الشام فقد تعرض مجيرالدين للكثير من المضايقات من قبلهم كونه من الموالين للصالح نجم الدين أيوب، مع ذلك صمد أمام الكثير من العقبات ووظف مهاراته الحربية ومعرفته بفنون القتال لصالح السلطنة الأيوبية سواء مع الملك الصالح أو ابنه توران شاه الأيوبي، وليخدم بعدها امير حلب الملك الناصر يوسف الأيوبي الذي ولاه مدينة نابلس وأعمالها إلى نهاية الأخير بيد المغول[٣].

---

(١) ذكر مؤلف مجهول، بانه وصل الى السلطان المدد من مصر كان من بينهم ((أولاد ابن ابي زكري ودرباس المهراني))، تاريخ دولة الاكراد، ص١٩٣؛ وللمزيد عن دور تلك الاسرة في الدولة الايوبية ينظر، شوكت عارف محمد ودرويش يوسف حسن، اسرة ابن ابي زكري الكردية ودورها السياسي والعسكري خلال العصرين الايوبي والمملوكي، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة زاخو، ٢٠٠٧، مج ٥، ع٣، ،ص ص٢٢٨-٢٣٩.

(٢) اليونيني، ذيل مراة الزمان، (القاهرة: ١٩٩٢)، ٨/٢.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب ١٨٧/٦.

المؤسف إن أغلب المؤرخين وإن لم يكن جلهم قد ركزوا في تسجيل الاحداث التأريخية على الكبار من القادة الكرد وأهملوا الإشارة إلى الافراد من الجند وذكر أسمائهم إلا فيما ندر ،كما فعل كل من ابن شداد عندما أشار في حوادث سنة (٥٨٧هـ/ ١١٨٩م) إلى استشهاد بدوي وكردي، من الافراد أيام معارك عكا[١]، وأيضا لما حاول الصليبيون اقتحام أسوار عكا في السنة عينها، والدخول إليها، تمكن ستة من مقدميهم الدخول بعد هدم الباشورة[٢]، وحاول أحدهم التفاوض مع الجند، لكن أحد الجنود الكرد قتله والخمسة الآخرين ومنعهم من دخول البلد[٣]. ورصد لنا المنذري اسم جندي كردي من أهالي عقرة عرف بالاطروش ابي الحسن بن أبي الجيش الحميدي الكردي، برز دوره في عهد السلطان صلاح الدين وبعده، وكان له مشاركات ومواقف شجاعة في الساحل الشامي[٤]، كما إن ابن واصل، أشار في حوادث سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) إلى جندي فقيه كردي، هو شهاب الدين ابن شيخ الإسلام، وذكر بأنه وأخوه كانا من المقربين من الملك الناصر وأخص أجناده، أوكل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما كان معتقلاً عند الملك الناصر داود أمير الكرك[٥].

إلى جانب الكرد ومآثرهم القتالية في المعارك والأحداث الداخلية، فقد كان للترك والتركمان[٦]، مساهمة فعالة أيضا في العصر الأيوبي مع أقرانهم الكرد في عمليات التصدي والحصار والدفاع والهجمات المباشرة وهم الذين وُصِفوا بأنهم ((ذوو شجاعة وحمية وغلظة وقساوة على غير جنسهم وفيهم انقياد لمشايخهم وكبرائهم مع أنه ليس فيهم عصبية كما في الكرد وأخلاقهم عسِرَة... ولهم في الفروسية، رمي النشّاب والضرب بالدبوس))[٧].

---

(١) النوادر السلطانية، ص٢٤٧.

(٢) وهي مداخل تنعرج يمينا ويسارا أي انها في الأصل تمثل مداخل منكسرة تنعطف مرة او اكثر من مرة، امام كل باب حتى لا تستولي عليه الجند بسهولة، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٩/٤، هامش ٢؛ عثمان، التحصينات الحربية، هامش ٣، ص١٤٥.

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية، ص٢٥٤.

(٤) التكملة لوفيات النقلة،تحقيق،بشارعواد معروف، (بيروت:١٩٨١)، ٣/ ٤١٧-٤١٨ .

(٦) مفرج الكروب، ٢٤١/٥.

(٦) وهم من جنس واصل واحد وكثيري الفظاظة والتجوال في بدايات ظهورهم على والذين نالوا شهرة وذاع صيتهم عرفوا بالترك، اما الذين احتفظوا بأسلوب حياتهم الخشنة فعرفوا باسمهم الأصلي وهو التركمان . وليم الصوري، الحركة الصليبية، ١/ ٧٦، ٧٩ .

(٧) العباسي، اثار الأول، ٢/ ٢٩١.

وبرز في صفوف الترك نخب عسكرية، عديدة خلال المدة (٥٧٠-٦٥٢هـ/ ١١٧٤-١١٥٤م) سجلت مواقف إيجابية متنوعة على مختلف الصعد الحربية المشار إليها سابقاً، ومن أكثر الأسماء وضوحاً في متون الروايات التأريخية، هي للامراء والقادة الكبار لإمارة أربل وأتابكية الموصل وإمارة ماردين وحصن كيفا وآمد، فضلاً عن بعض التراجم ذات الحظوة في العصر الأيوبي ممن خدم سلاطينها في كل من بلاد الشام ومصر وكان البعض منهم مصدر إعجاب وايجاب في الدولة والبعض الآخر مصدر قلق وسلب، ومع كل من تلكم الفئتين سلك السلاطين والأمراء الأيوبيين طرقا تتفق وعقلية أولئك الأمراء من أجل تسخير مهاراتهم و تجاربهم العسكرية الميدانية لصالح السلطنة الأيوبية.

من أشهر أولئك الأمراء يأتي الأمير زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك (ت ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) أمير أربل، وأخوه مظفر الدين كوكبري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) وكان لهما دور كبير ومساهمات كثيرة في الصراعات الداخلية(١)، والحروب الصليبية(٢)، وخدم الإثنان السلطان صلاح الدين الأيوبي في حياته، وإن تعكر صفو العلاقة بينه وبين كوكبري في بعض الأحيان بسبب ظروف لم يفسرها المؤرخين إلا أنه كان على الرغم من ذلك يقدر ويحترم صهره كوكبري كثيراً بفعل شجاعته وإخلاصه للسلطان وكان مصدر ثقته في الكثير من المواقع الحربية(٣)، ووصفه ابن شداد بالأمير ((الأجل الكبير))(٤)، ولما توفي صلاح الدين كان مظفر الدين كوكبري مستقلاً بإمارة أربل وفي الوقت نفسه ظل موالياً للأسرة الأيوبية.

بينما كان لأمراء الموصل أيضاً حظ كبير في تقديم خدماتهم لصالح الدولة الأيوبية، وجدير بالإشارة إلى أن الموصل بعدما تصالحت مع السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م)شرط على أتابكتها ((المعونة بعسكرهم في غزواته، والخروج عن المظالم، فما زاد على أن قال: سالموا مسلماً وحاربوا كافراً واسكنوا لتكون الرعية ساكنة))(٥). وإن أمرائها كانوا من أكثر الامراء العسكريين مساندة ومعونة له وليس أدل على ذلك إرسال الملك المسعود عزالدين أتابك الموصل لأخيه عمادالدين زنكي أمير سنجار في سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) ثم ابن أخيه معزالدين سنجر شاه في سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)(٦)،

---

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١١٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ١/ ١٦٤-١٦٥.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٨٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص١٨٢.

(٣) ابن شداد، النوادر السلطانية،ص ١٤٤

(٤) النوادر السلطانية،ص ١٦٤

(٥) ابوشامة،الروضتين، ٣/ ١١٧.

(٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ١٧٩، ١٨٧.

ومن بعدهما إبنه علاء الدين خرمشاه نائبا عن أبيه سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) تباعا إلى عكا للمشاركة في منع الصليبيين من احتلالها وفك حصارها من قبلهم. وعندما وصلوا إلى عكا إلتقاهم السلطان ورحب واحتفل بمقدم كل واحد منهم في وقته على أفضل ما يكون وكانت لهم مساهمات فعالة في المعارك التي شاركوا فيها[١].

كما أن أتابك الموصل أرسل أحد قادته الآخرين مع ابنه علاء الدين خرمشاه ألا وهو ظهير الدين ابن البلنكري مقدما لجيش الموصل من أجل مساعدة السلطان صلاح الدين في كسر الحصار على عكا. كما أن أمير سنجار انتدب من قبله أيضا قائدا محنكاً للمشاركة في حرب عكا يدعى مجاهد الدين يرنقش (ت ٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، وكان أمير العساكر السنجارية ومقدمها[٢].

من جملة الأمراء التركمان الآخرين الذين كانت لهم جهود واضحة في العصر الأيوبي، سعد الدين مسعود بن معين الدين انر (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، صهر السلطان صلاح الدين حيث كان من أمرائه الكبار وقدم خدمات جليلة للدولة عسكريا وإدارياً جعله السلطان أميراً لسنجار بعد الاستيلاء عليها في سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)[٣]، والأمير البحري جمال الدين محمد بن أركز (ت ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) أثناء قتال بحري بين الاسطول الإسلامي والصليبي أمام عكا سجل موقفاً بطولياً أثنى عليه المؤرخون كثيراً[٤] والأمير بدرالدين دلدرم بن ياروق (ت ٦١١هـ/ ١٢١٥م)، حيث ساند السلطان مع جنوده من التركمان سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) في عمليات فك حصار عكا ومحاولات استعادتها بعدما استولى عليها الصليبيون[٥]، وعزالدين جرديك النوري (ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م) خدم صلاح الدين وشارك معه في معظم معاركه[٦] وغيرهم كثير.

منهم محمد بن قراطاي الأربلي (ت ٦٣٤هـ/١٢٣٦م)) التركماني، وكان من أمراء الملك مظفرالدين كوكبري ومن سكنة أربل وبعد وفاة أمير أربل انتقل إلى حلب وخدم أميرها الملك العزيز ابن الملك الظاهر غازي وكانت له معه مواقف عسكرية مشهودة[٧]، ناهيك

---

(١) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص ص١٢٠، ٢٣٣-٢٠٣؛ ابن شداد، النوادر السلطانية،ص ص١٩٩، ٢٢٠، ٢٢٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص ص١٨٣-١٨٤.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٧٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الأكراد، ص١٧١.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٤٦/٩ .

(٤) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٤٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب ٢/، ٣٤٨؛ يورد مؤلف مجهول تلك الحادثة في سنة (٥٨٦ه / ١١٨٩ م) ويسميه ابن اوككر، ينظر : تاريخ دولة الاكراد، ص ١٨١ .

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٥٩.

(٦) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٢/ ٥٩،

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٦/ ٢١٦-٢١٧،

عن الأمير بهرام ابن الأمير ابي حفص عمر بن بهرام التركماني وكان من قادة السلطان الملك الكامل الأيوبي توفي في بلبيس سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م)[١]، كما يرد اسم الأمير التركي الطنبوغا ابن عبدالله التركي عند المنذري في سياق أحداث وفيات سنة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) كأحد الأمراء المتقدمين في عهد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، ومن الذين اعتمد عليهم عسكريا وإدارياً في الوقت نفسه[٢]، وغيرهم ممن تزخر كتب التأريخ بأسمائهم وقدموا خدمات جليلة للدولة الأيوبية ولاسيما في المجال الحربي وفنون القتال.

إلى جانب كل من العنصرين الكردي والتركي، كان لبعض القادة والأمراء العرب أيضا مشاركات عديدة ومؤثرة في الحروب والمعارك على اختلاف توجهاتها الداخلية والخارجية، وإن لم تكن مساهماتهم توازي مساهمات العنصرين السابقين ،كون أن السلطة الحاكمة أولاً كانت تركية ثم تبدلت إلى كردية، فكانت الفئات القتالية لهذين العنصرين هي المسيطرة على توجيه الأحداث فضلاً عن أن المؤرخين المعاصرين للعصر الأيوبي ركزوا بصورة واضحة على العنصرين الرئيسين في جيش وإدارة الدولة التركية والكردية وأهملت نوعاً ما تسجيل المعلومات المتعلقة بالعرب إلا ما كان عرضياً أو أن الإلزام التأريخي كان يفرض نفسه على المؤرخين لكي يهتموا ببعض تلك الأخبار التي كان القادة أو الامراء العرب طرفاً فيها مع أبناء قبائلهم، ولكن على الرغم من كل ذلك فإن الفئات العربية كانت لها أدوار حربية مؤثرة في المعارك التي خاضوها وأسفرت تلك المشاركات عن خبرات عسكرية جيدة في مجال الهجوم والمحاصرة والمقاومة والتسلل وراء خطوط الصليبيين. وقد صنف ابن شداد، العرب في أواخر عهد صلاح الدين إلى صنفين عرف الأول بعرب الإسلام (المُصلحين) وهم الذين شاركوا بقوة في عملية الجهاد ضد الصليبيين، وسمى الثاني بالعرب المفسدين وهم الذين كانوا يمالئون الصليبيين ويخلقون المشاكل للسلطان وقواته[٣].

ويعد شمس الدين محمد بن عبدالملك ابن المقدم (ت ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) من أبرز التراجم العربية لقائد مخضرم عمل مع ثلاث سلاطين على التوالي، اعتمد عليه نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي وكان موضع ثقتهما، وكان له تواجد كبير في

---

(١) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ٣/ ٥٨٩.

(٢) التكملة لوفيات النقلة، ٣/ ٦٤٣.

(٣) النوادر السلطانية، ٣١٥-٣١٨.

الحرب ضد الصليبيين في أكثر من موقعة ولاسيما في عهد صلاح الدين الأيوبي[١]، ووصف بانه كان ((بطلاً شجاعاً محتشماً عاقلاً شهد في هذا العام الفتوحات))[٢].

كما كان لعَلَم الدين سليمان بن جندر (ت ٥٨٧ هـ/ ١١٩١م) مواقف عسكرية مشهورة في عهد السلطان صلاح الدين[٣] والآراء السديدة في تغيير بعض الظروف التي أشكلت حلها على السلطان ومجلس حربه، فكان هو الذي اقترح على السلطان وقادته بتخريب عسقلان والتفرغ كليا لحماية بيت المقدس[٤]، وأثنى عليه أحد المؤرخين بالقول: ((كان من الأمراء الموصوفين بالشجاعة))[٥].

ولم يشذ عن أبيه الأمير سيف الدين علي ابن علم الدين بن جندر (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٧م) فقد كان من كبار أمراء حلب وأعيانها[٦]، وله أدوار معروفة في عهد الملك الظاهر غازي وما بعده حتى وفاته، في الدفاع عن حلب والمشاركة في مع جيوشها في التطورات التي حدثت على الساحة الشامية أوانئذ.

مع الإشارة إلى تلك الأسماء الحاضرة في سجل المشاركات الحربية خلال العصر الأيوبي، كان للعرب حضور في الكثير من المواقف العسكرية سواء بصورة قبلية أو كأمراء مشاركين في رسم صورة الحدث الآني للأحداث العسكرية والتواجد المباشر في ساحات القتال، فقد

أشار وليم الصوري في سياق أحداث سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٥م) إلى وجود محاربين (غلاظ- أقوياء) في أعمال دمشق وجبال عكا، استمروا في خلق المشاكل للصليبيين، ولم تفلح كل محاولات الصليبيين للقضاء عليهم، بل على العكس من ذلك إزدادوا قوة يوما بعد يوم[٧]، ورجحت إحدى الباحثات بأن أولئك المقاتلين كانوا من عرب ربيعة الطائيين[٨]، كما أن السلطان صلاح الدين الأيوبي كلفهم سنة (٥٧٤هـ/ ١١٧٦م) ببعض المهام الخاصة[٩]، فضلاً عن أن دورهم كان واضحاً في موقعتي أرسوف ويافا سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)[١٠].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤١/ ١٦١-١٦٢.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، تحقيق عبدالقادر الارناؤوط،(بيروت : ١٩٨٦)، ٤٥٤/٦.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١٨٤.

(٤) أبو شامة، الروضتين، ٢/ ١٦٣؛ النويري، نهاية الارب، ٢٩/ ٩٩،

(٥) ابن الفوطي، مجمع الاداب في مجمع الألقاب،تحقيق،محمد الكاظم، (طهران: ١٤١٦هـ) ١/ ٥٢٠.

(٦) الذهبي، تاريخ الاسلام، ١١٩/٤٥.

(٧) الحركة الصليبية، ٤/ ٢٢٧.

(٨) موضي بنت عبدالله السرحان، الدور العسكري لعرب المشرق ضد الصليبيين في بلاد الشام خلال عهد الدولتين الزنكية والايوبية، حوليات اداب عين شمس، ٢٠١٧، مج٤٥، جامعة عين شمس، القاهرة، عدد يناير-اذار، ص ٣١٤.

(٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٧٤.

(١٠) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٨٥.

وفي سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، أثناء محاولة استعادة بيت المقدس من الصليبيين استشهد الأمير عز الدين عيسى بن شهاب بن مالك العقيلي بعد ان قاتل ببسالة[١]، كما قاتل إلى جانب السلطان في معركة حطين الأمير عبدالعزيز بن شداد بن باديس الصنهاجي[٢]، ومن جدير بالذكر أن الشريف عزالدين أبو فليتة القاسم بن مهنا صاحبَ السلطان في كل معاركه حتى سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، فضلاً عن مشاركة الشاب غازي ابن سعد الدين بن البصار في معركة صور سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) حيث استشهد فيها[٣]، من الأمراء الآخرين الذين استبسلوا أيام عكا الأمير زامل من بني ربيعة وأربعة من أمراء قبيلته لكن الصليبيون كمنوا لهم وقضوا عليهم جميعاً في ذلك الكمين[٤].

إبان الصراع الداخلي الأيوبي-الأيوبي، ظهر الأمير فخرالدين أياس البانياسي في إشارة إلى تمكن الملك العادل الأيوبي من استمالته إلى جانبه بعدما كان من أنصار الملك الأفضل الأيوبي وذلك في سنة (٥٩٥هـ/ ١١٩٩م)[٥]، ساعد ذلك الانضمام على تقوية جانب الملك العادل على حساب ابن أخيه وساهم ممالاة البانياسي للعادل على انضمام بقية جنده من العرب إلى الجانب الأقوى في ذلك الصراع. وإن كانت الروايات التأريخية تؤكد على أنه أصبح بعد ذلك من الأمراء المقربين للسلطان الملك الكامل الأيوبي[٦].

أورد ابو شامة نصاًقيماً اشار فيه الى مشاركة احد الفقهاء من الجند العرب عرف بشهاب الدين ابن البلاعي، تدرج في المناصب العسكرية بموقف مؤثر وشجاع عندما هاجم الصليبيون مدينة حماة سنة (٦٠١هـ/ ١٢٠٦م) فأظهر شجاعة كبيرة في القتال حيث أسر على يد الصليبيين فاخذ إلى طرابلس، لكنه تمكن من الهرب والوصول إلى بعلبك سالماً[٧].

بعيداً عن قتال الصليبيين وجد أن الملوك الأيوبيين اعتمدوا في الكثير من مهماتهم على الأمراء العرب والقبائل العربية لتحقيق بعض أهدافهم خلال الصراعات المحلية مع الأطراف الأخرى، بدليل اعتماد الملك الاشرف موسى عليهم إبان صراعه مع سلاجقة الروم حيث أشار مؤلف مجهول إلى أنه ((قدم العرب بين يديه))[٨]، وأردفهم بقادة

---

(١) البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق رمضان ششن، (استانبول: ٢٠٠٤)، ص٣٩٥ .

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١٩٧.

(٣) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص ص١٦٧ -١٦٨ .

(٤) عمادالدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص ١٥٩ .

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ٩٨.

(٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٣٠.

(٧) الذيل على الروضتين، ص٧٧.

(٨) تاريخ دولة الاكراد، ص٣١٤.

آخرين وتمكن من الانتصار على سلاجقة الروم عند بزاعة واستعاد رعبان وتل باشرسنة(٦١٦هـ/١٢١٩م)[١]، كما ذكرت بعض الروايات أن الملك المعظم عيسى تمكن من استمالة أمير شيزر إلى جانبه سنة (٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)، كما أنه أرسل العرب إلى حماة وأطرافها وطلب منهم منع دخول المواد الغذائية والاحتياجات اليومية وقطع السبل على كافة العساكر التي تحاول الوصول إلى المدينة لإنجاد أميرها المعارض لسياسة الملك المعظم عيسى وذلك في سنة (٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)[٢]. لم يشذ عنه أيضا أخوه الملك الاشرف موسى الذي كان يعتمد كليا على نائبه الأمير والقائد العسكري، الحاجب حسام الدين علي الموصلي من عرب الموصل، الذي قدم خدمات حربية جليلة للملك الأشرف[٣]، لكنه في النهاية انقلب عليه وأمر أحد مماليكه الكبار بسجنه[٤]، فأمر بقتله، في سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)[٥]، وقد انتقد ابن الأثير الملك الأشرف لسماحه بقتل الحاجب ،لأنه حسب رأيه كان وفياً مخلصاً ناصحاً للملك الاشرف حفظ بلاده ودافع عنها بكل بسالة[٦].

رصد ابن واصل بعض المواقف التأريخية لتكتل بعض الأمراء العرب أثناء الصراع بين الملك الصالح نجم الدين أيوب وأخيه الملك العادل الثاني، حيث تمكن الأمير نورالدين علي بن الأمير فخرالدين عثمان ابن الداية، من جمع عدد آخر من الأمراء العرب ومن معهم من الجند وسار بهم إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب بقصد الانضمام إليه وذلك في سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)[٧].

في سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٣٩م) ساهم الأمير العربي علي بن حديثة يرافقه أخاه مانع بن حديثة مع عدد كبير من العرب من آل الفضل في معركة البيرة مع جيش حمص ومن تحالف القوات الخوارزمية ضد جيش حلب، فأظهر إبني حديثة ومن معهم من العرب دوراً مؤثراً في تغيير موازين القوى في تلك المعركة عندما باغتوا القوات الحلبية من الوراء على حين غفلة وبمساندة الخوارزميين هزم الحلبيون من التحالف الحمصي الخوارزمي[٨].

---

(١)،تاريخ دولة الاكراد، ص٣١٥.

(٢) ابن واصل،مفرج الكروب، ٣ ١٢٠، ١٢٦.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٧٧١، ٧٧٢؛ مظفر زنكنة، ددومان اريائي،(تهران، ١٣٤٣هـ)، ١/ ١١١.

(٤) حول أسباب اعتقال الحاجب علي الموصلي، ينظر، اميدي، الملك الاشرف الايوبي، ص١٢٧.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٧٨٣_٧٨٤.

(٦) الكامل في التاريخ، ٩/ ٧٨٣.

(٧) مفرج الكروب، ٥/ ٢١١. قارنه مع المقريزي، السلوك، ١/ ٣٩٢.

(٨) ابن العديم، زبدة الحلب، ص ٥٠٢ - ٥٠٣ ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٢٨٣-٢٨٤.

سجل المنذري نصا قيماً عن ترجمة لأحد الأمراء العرب البحريين ممن كان لهم بصمة واضحة في ميدان الحرب البحرية في مصر ولاسيما دمياط، حيث أشار في حوادث وفيات سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) إلى أحد أمراء الحرب البحرية الأيوبيين فقال عنه: ((توفي الرئيس الأجل الموفق أبي الفتح منصور بن الرئيس الأجل أبي عبدالله محمد بن إسحاق الكناني الأرسوفي الأصل الدمياطي المولد والدار بدمياط... وكان أحد المقدمين في غزو البحر العارفين به وبيتهم مشهور بذلك))(١). ثمة قرينة أخرى، تؤكد المشاركة الفعالة للعرب في القتال ضد الصليبيين وإن لم تؤت ثمار جهودهم العسكرية سوى بالوبال عليهم، ففي حوادث سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، ذكر ابن واصل بأن عدداً من العرب الكنانية الشجعان، كانوا في دمياط مرابطين أمام العدو، ولكن خذلتهم قوتهم، ففروا وتركوا المدينة عرضة للاحتلال الصليبي، ولما علم بذلك السلطان الملك الصالح نجم الدين أمر بشنقهم جميعا(٢)، في حين أورد ابن العبري محاورة لطيفة بين السلطان وأولئك المحاربين من بني كنانة، ليعلل بها سبب قتلهم من قبل السلطان، وذكر بأن عدد الذين شنقوا من بني كنانة كانوا أربعة وستين أميراً(٣)، صلبوا على اثنين وثلاثين صليبا(٤)، جزاء تهاونهم وتخاذلهم.

من أبرز الأمراء العرب الذين خدموا الدولة الأيوبية وكانت مهاراتهم العسكرية على مستوى عال من الخبرة والتجربة هم أبناء الشيخ صدرالدين بن حموية (فخرالدين، وعمادالدين، ومعين الدين، وكمال الدين) وكل واحد منهم أمر على الجيوش وتدرج في المناصب حتى اصبح كل واحد منهم في وقته مقدما للعساكر، ولهم حضور فعلي وشجاع في قتال الصليبيين، والمساهمة أيضاً في الازمات الداخلية التي عصفت بالدولة الأيوبية منذ عهد السلطان الملك الكامل الأيوبي إلى نهاية عهد ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب(٥).

---

(١) التكملة لوفيات النقلة، ٥٩٢/٣.

(٢) مفرج الكروب، ٦/ ٧٤-٧٥.

(٣) بينما أشار النويري بان عددهم كان يزيد على الخمسين شخصا، نهاية الارب، ٢٩/ ٣٣٥.

(٤) تاريخ الزمان، ص ص٢٩٣-٢٩٤.

(٥) عن دور اسرة شيخ الشيخ ابن حموية في العصر الايوبي، ينظر، نضال حاج ابوبكر، اسرة شيخ الشيوخ ابن حموية في العصر الايوبي، ٥٦٩-٦٦١هـ/ ١١٧٤-١٢٦٣ وعلاقتها بالصليبيين رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، دمشق، ٢٠٠٨، ص ص٨٠-٩٢، ٩٤-١٢٠، ١٢٢-١٨٨.

المبحث الرابع
الفرق الأيوبية الخاصة والمرتزقة

تعود فكرة إنشاء القوات الخاصة الأيوبية التي تنتمي بمبادئها وتكوينها العسكري إلى قائد أعلى كبير ألا وهو الكردي أسد الدين شيركوه الذي أسس فرقة خاصة ترتبط به ارتباطاً غير محدود، عندما أنشأ الفرقة الأسدية التابعة له لما انتدبه السلطان نورالدين زنكي لمساعدة الوزير الفاطمي شاور السعدي باستعادة منصبه سنة (٥٥٨هـ/ ١١٦٤م)، ثم قدمت تلك الفرقة مع مقدميها خدماتها إلى صلاح الدين الأيوبي بناء على رغبة أسدالدين شيركوه ووصيته في مرضه قبل أن يتوفاه الأجل سنة (٥٦٤هـ/ ١١٧٠م)، واستمرت تلك الفرقة العسكرية الخاصة حيث أغلب أفرادها من كبار القادة ومقدمي الجيوش والأمراء الماهرين بفنون الحرب والقتال في مساندة السلطان صلاح الدين الأيوبي إبان مرحلة تحقيق الوحدة في بلاد الشام واستمالة أمراء الأطراف إلى جانبه، ناهيك عن المشاركات غير المحدودة في قتال الصليبيين سواء في بلاد الشام أو مصر.

وبرز منهم مقدم الأمراء الأسدية جاولي الأسدي، الذي ظهر دوره في أيام هدم حصن بيت الأحزان سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٧م)[١]، والأمير الكردي أبو الهيجاء السمين كان أيضا من كبار الأمراء الأسدية وله أداور ومساهمات عسكرية معروفة أيام صلاح الدين وإبان الصراع الأسري الأيوبي[٢].

أسند السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)مهمة حصار قلعة الكرك إلى الأمير الاسدي، سعدالدين بن كمشيا، فأظهر صبراً طويلاً في تشديد الحصار، حتى ألزم الصليبيين بمراسلة الملك العادل الأيوبي والموافقة على تسليم القلعة، فأوعز الأخير إلى كمشيا الأسدي بتسلم القلعة منهم بعد أن يأسوا من الخلاص[٣].

ورصد ابن واصل أحداث سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، بأن العساكر المصرية قد أتت لنجدة السلطان على عكا وقد داهمتها القوات الصليبية بكثرة وهي عازمة على الاستيلاء عليها وكان يقود تلك القوات الأمراء الاسدية علم الدين كرجي وسيف الدين سنقر الدووي وغيرهما من الأمراء الأسدية[٤].

---

(١) عمادالدين الاصفهاني، البرق الشامي، ٣/١٧٧-١٧٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٢٠.

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص ص ١٨٠، ١٨٨، ١٩٦، ٢٠٥،٢٢٠.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٧١؛ في حين ذكر ابن الاثير ان عيسى الهكاري (ت ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) أيضا كان من اعيان قدماء الاسدية، الكامل في التاريخ، ٩/٣٠٩، ٤٣٧.

(٤) مفرج الكروب، ٢/ ٣٥٤.

ظهر دور الفرقة الأسدية أكثر فأكثر في المرحلة اللاحقة لوفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي، ولاسيما خلال أحداث الصراع الأسري الأيوبي، فعندما أساء الملك الأفضل التصرف في التعامل مع قادة أبيه، تركه أولئك وانضموا لأخيه الملك العزيز في مصر، وطلبوا منه التوجه إلى الشام والاستيلاء على السلطة التي لم يحسن أخوه القيام بها هناك، فسارت القوات الأسدية معه، وذلك في سنة (٥٩٠هـ/ ١١٩٤م)[١]، وبعد سنة من ذلك التأريخ رافقته الأسدية مرة أخرى من أجل فرض الحصار على دمشق، في وقت حاول الملك العادل أن يستخدم سياسة فرق تسد، فخوف الملك العزيز من الأسدية وخوف الأسدية منه، وبالنتيجة تركته الأسدية ومالوا إلى عمه الملك العادل، ووقعت الوحشة بين الجانبين، حتى إن الملك العزيز لم يتجسر أن يدخل القاهرة خوفاً من تآمر الأسدية هناك عليه، لكنه تم تطمينه من قبل نائبه هناك الأمير بهاءالدين قراقوش الأسدي، حيث بقي على العهد مخلصاً له[٢].

بعد وفاة الملك العزيز عثمان، لم يكن سيف الدين يازكوج مقدم الاسدية من أنصار استمرارية الملك المنصور الذي تسلم السلطنة الأيوبية بعد وفاة والده، بحجة كونه لايزال صبياً غير قادر على إدارة الدولة وهو الرأي الذي تبناه بعد ذلك الملك العادل الأيوبي واتخذه حجة للسيطرة على مقاليد السلطة الأيوبية، والأسدية هم الذين حسنوا له الاستقلال بالأمور وخلع ابن السلطان العزيز عثمان وذلك في سنة (٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م)[٣].

في سنة (٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م) ورد مرة أخرى اسم إبن كمشيا الأسدي، وقد رافق الملك المعظم عيسى في بعض استعراضاته العسكرية لمقاتلة الصليبيين ومراقبة تحركاتهم في بعض معسكراته التي كان يقيمها لتتبع أخبارهم و تلقف حركاتهم[٤]، بعد ذلك التأريخ قلت إلاشارة إلى الفرقة الأسدية حيث يختفي دور قادتها وأمرائها شيئاً فشيئاً على الساحة السياسية في مصر وبلاد الشام.

أما الفرقة الأخرى التي كان لها أثر كبير في تحريك الأحداث وصنعها أحيانا هي الفرقة الصلاحية التي أسسها السلطان صلاح الدين الأيوبي وحملت اسمه وارتبطت به، وشاركت معه في معظم معاركه الحربية وعرف أيضا ((بالجيش السلطاني أو الجيش النظامي مهمته ملازمة السلطان... وعليهم تقع الحروب والغزوات والاعمال الحربية

---

(١) المقريزي، السلوك، ١/ ٢٣١ .

(٢) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ٢٢/ ٣٥.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ١١٤/٣؛ المقريزي، السلوك، ٢٦٥/١ .

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ٢١٧.

الهامة))[١]، كان لتلك الفرقة دوراً كبيراً في الاستيلاء على دمشق وحماة ومن ثم حمص وبعلبك وذلك خلال الحقبة (٥٧٠-٥٧٢هـ/ ١١٧٤-١١٧٦م)، وتعرضت قواته الخاصة تلك للهزيمة معه في معركة الرملة سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٨م)، عندما لم يحسن بعض جنده مسألة تغيير الأماكن والانتقال بسرعة إلى مواقع أخرى أكثر استراتيجية، فغلبتهم القوات الصليبية وأفلت السلطان بصعوبة من القتل[٢].

واستناداً الى معطيات الأحداث العسكرية وإنْ لم يصرح بذلك المعاصرون من المؤرخين أو أشاروا إليهم بصورة عامة، فإن القوات الصلاحية كانت ملازمة للسلطان في بقية غزواته مثل حصاره لحلب والموصل و مدن ميافارقين وآمد وحصن كيفا خلال (٥٧٨-٥٨١هـ/ ١١٨٣-١١٨٥م)، وبرز دور تلك الفرقة بصورة واضحة في معركة حطين وفتح بيت المقدس سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) [٣] كون أن تلك القوات كانت خاصة بالسلطان نفسه فأينما يذهب للقتال، فإن تلك الفرقة تلازمه في حله وترحاله.

خلال مرحلة الفتح الكبير لبقية القلاع والحصون والمدن التي كان الصليبيون قد احتلوها بين (٥٨٣-٥٨٥هـ/ ١١٨٧-١١٨٩م)، شاركت تلك الفرقة ببسالة مع السلطان في استعادة معظم قلاع ومدن بلاد الشام عدا صور التي لم يتمكن السلطان وقواته من استعادتها[٤].

وينبغي الإشارة إلى أن بعض الأمراء الصلاحية أظهروا شجاعة كبيرة في رصد تحركات الصليبيين والاجهاز على قوافلهم التجارية وبالتالي الاستفادة من حمولاتها المختلفة مثلما حدث في سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، عندما كمن الأمير فارس الدين ميمون القصري (ت٦١٠هـ/ ١٢١٣م) من كبار الأمراء الصلاحية لبعض قوافل الصليبيين التجارية ونجح في الاستيلاء عليها[٥].

يستمر اشتراك الصلاحية في رسم الصورة العسكرية للجيش الأيوبي في المرحلة التالية لوفاة السلطان صلاح الدين، فقد أصبحوا إحدى القوتين اللتين رسمتا خارطة التوجه السياسي لدولة الأيوبية بين المدة (٥٨٩-٦٣٦هـ/ ١١٩٣-١٢٣٨م)، وأشد ما ظهر فيه دورهم العسكري كانت في فترة النزاع الاسري الأيوبي تحديداً، حيث حاول كل سلطان أو

---

(١) عبدالله سعيد محمد الغامدي، صلاح الدين والصليبيون، (مكة المكرمة: ١٩٨٥)، ص١١٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٠٨/٩؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٩٤.

(٣) عبد الجبار محمود السامرائي، معركة حطين دراسة تاريخية عسكرية، مجلة المورد، الجمهورية العراقية، (بغداد: ١٩٨٧)، مج(١٦)، ع(٤)، ص٢٢.

(٤) عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي، ص ص٦١-٧١؛ أبو شامة، الروضتين، ٣/ ٢٦٦-٢٦٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٦٣/٩.

ملك أيوبي تطلع إلى السلطة أن يعتمد عليهم وعلى نظرائهم من الفرقة الأسدية في تحقيق توجهاتها السياسية.

لما آل أمر السلطنة إلى الملك الأفضل علي بعد وفاة والده، ومن ثم إساءته للسيرة مع كبار قادة أبيه فارقه، عدد من الأمراء الصلاحية إلى مصر ولجأوا إلى الملك العزيز عثمان من أمثال، فخرالدين جهاركس أبو منصور الناصري الصلاحي مقدم القوات الصلاحية وكبيرهم[(١)]، وشمس الدين سنقر الكبير الصلاحي الذي عد من الأمراء المجاهدين[(٢)]، إلى جانب أكبر أمراء الدولة الصلاحية صارم الدين نجم الدين قايماز، فضلاً عن أنه كان يتواجد مع الملك العزيز في مصر أغلب العساكر الصلاحية، ممن كانت تؤيده بضرورة الاستيلاء على السلطنة وعزل الملك الأفضل علي.

لم يشذ عن أولئك الأمراء عزالدين أسامة أمير عجلون وكوكب ((وهو من أجلاء الأمراء الصلاحية))[(٣)]، حيث هرب إلى مصر وانضم بدوره إلى الملك العزيز عثمان، لنرى بعدها حسب الروايات التأريخية أن تلك الفرقة مع أمرائها تتحرك لولبيا حسب الظروف المستجدة على الساحة السياسية المصرية-الشامية، وكيفما اتفقت مصالحهم العسكرية[(٤)].

لما اشتد الصراع بين الملك العادل وأبناء أخيه على دمشق بين السنتين (٥٩٧-٥٩٨هـ/ ١٢٠٢-١٢٠٣م) آل معظم القوات الصلاحية إلى جانب الملك الظاهر غازي ملك حلب، وبعد سلسلة من المناوشات والمفاوضات عم الصلح بين الأطراف المتنازعة، وانضم أولئك الأمراء الصلاحية بصورة نهائية إلى جانب ملك حلب فمنحهم الكثير من الامتيازات تقديراً لجهودهم كما اشتهر من أمراء الفرقة الصلاحية، الأمير زين الدين قراجا الذي كان له باع طويل في ساحات القتال واشتهر بالشجاعة والاقدام وظل موالياً لابناء صلاح الدين إلى أواخر حياته، وتوفي مرابطاً أمام الصليبيين سنة (٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م)[(٥)]. ضعف بعد ذلك التأريخ مشاركات الفرقة الصلاحية في الحروب بموت وقتل أبرز أمرائها، بدليل ما أشار إليه ابن واصل في نص قيم عن نهاية عهد الفرقة الصلاحية قائلا: ((وانقضى أمر الصلاحية بانقضاء زين الدين قراجا والأمير فخرالدين جهاركس وعزالدين أسامة، وصفت حصونهم للملك العادل والملك المعظم بعده))[(٦)]. وإن كان فارس الدين ميمون

(١) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٥، ق١، ص١٠٧-١٠٨.

(٢) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٠١.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ٣٩.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ١١٤.

(٥) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ص ٩٤-٩٥.

(٦) مفرج الكروب، ٣/ ٢٠٩

القصري الصلاحي هو آخر من وافاه الأجل من تلك الفرقة من الأمراء الصلاحية حيث قضى أواخر أيامه في حلب بعد أن قدّم كل ما هو جدير بالقائد العسكري من فنون القتال ومهارات الحرب في ميادين المعارك على اختلاف أنواعها وتوفي سنة (٦١٠هـ/ ١٢١٢م).

يعد المماليك الذين نمت قوتهم تدريجيا شيئا فشيئا، من الجماعات والقوى العسكرية المهمة من التي اعتمد عليها الأيوبيون، فقد كانوا قد خدموا الدولة كافراد وأمراء متفرقين لدى السلطان صلاح الدين وأبنائه وبني أسرته واشتهر العديد منهم داخل الفرقتين الأسدية والصلاحية نفسها، ومن ثم زاد السلطان صلاح الدين من أعدادهم لكي يساندوا الجيش الذي كان أغلب عناصره من الكرد والترك في حرب الاسترداد ضد الصليبيين، واهتم بهم أيضا السلطان الملك العادل الأيوبي وغيره من الملوك الأيوبيين وأصبح لأغلبهم قوة من المماليك يعتمدون عليها في الكثير من المهام القتالية ، لهذا ظهرت عدة فرق خاصة منهم تسمى كل منها باسم السلطان أو الملك الذي ينتمون اليه، مثل العزيزية والعادلية والمعظمية والأشرفية[١]، والكاملية[٢]، في نهايات عصر الدولة ظهرت أيضا المماليك الصالحية[٣]، والتي اشتهر من قادتها الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، الذي أصبح سلطانا للمماليك البحرية فيما بعد[٤]، وهو غير ركن الدين بيبرس الصالحي الآخر الذي تواطأ مع الخوارزمية ضد السلطان، فاستدرجه الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى مصر سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) واعتقله في سجن القلعة بالجبل وكان آخر العهد به[٥].

أصبح المماليك قـوة لا يستهان بهـم، وظهـر دورهم الـمؤثر علـى الساحة العسكرية والسياسية للدولة الأيوبية خلال التنافس الأيوبي-الأيوبي على بلاد الشام ومصر بين السنوات (٦٣٥-٦٤٧هـ/ ١٢٣٧-١٢٤٩م)، حيث استمال الـملك الصالح نـجم الدين أكـثرهم إلى جانبه وزاد من شـرائـهم، بسبب تخلـي العنصر الكـردي عن مساندته

---

(١) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد،ص٤٢٥.

(٢) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص٢٠.

(٣) الداواداري، كنز الدرر، ٧/ ٣٨٦؛ النويري، نهاية الارب، ٢٩/٣٦٠؛ اليونيني، ذيل مراة الزمان، ٢/ ٤٣٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/ ٥، ٢١.

(٤) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص ص٤٦-٤٧، ٧٠-٧٢؛ الكتبي، فوات الوفيات،تحقيق،احسان عباس،(بيروت: ١٩٧٤)، ١/ ٢٣٥-٢٣٧.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٣٥١.

وانضمامهم إلى الطرف المعارض لسياسته[1]، وكون منهم فرقة خاصة عرفت بالمماليك البحرية[2]، وكانوا على جانب كبير من المهارة والشجاعة وملمين بكل فنون القتال، وأصبح لهم اليد الطولى في توجيه مسار المعارك التي حدثت على الحدود وداخل أرض مصر[3].

كان للمماليك دوراً كبيراً ومساهمة فعالة في التصدي لقوات الملك الفرنسي لويس التاسع، إبان الحملة الصليبية السابعة[4]، وتمكنوا من هزيمة الصليبيين وإنقاذ مصر من الوقوع في احتلالهم، وفي الوقت نفسه عندما شعروا بتنامي قوتهم وبدى لهم إنهم القوة الوحيدة التي لها الامكانية في تحريك الأحداث العسكرية والسياسية في مصر، انقلبوا على السلطان الأيوبي توران شاه سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، وقتلوه بصورة ماساوية[5]، ليتبوأ المماليك عرش مصر في شخصية امراة هي زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب المشهورة بشجر الدر، لكنهم اضطروا أمام معارضة الخلافة العباسية إلى تنحيها عن العرش وإسناد الأمر إلى الأمير عزالدين أيبك الصالحي، الذي لم يتوانى مع نظرائه من الأمراء لكي يسبغوا الشرعية على حكمهم بإشراك أحد أبناء البيت الأيوبي في الحكم كسلطان، وهو الأمير الملك الأشرف موسى حيث بقي سلطاناً إلى سنة (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م).

كان من اهم عناصر القتال في اواخر العصر الأيوبي وأعنفها إلى جانب الفرق المذكورة سابقاً، هي القوات الخوارزمية التي تعد من أقوى الفرق القتالية في العصر الأيوبي لانهم اشتهروا بالقوة والصلابة وتحمل الصعاب في المعارك، فبعد هزيمة جلال الدين خوارزمشاه منكبرتي[6]، أمام المغول ومن ثم اغتياله في إحدى قرى ميافارقين سنة (٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)، تشتت جيشه في الأرجاء وبدأوا يعملون لصالح أمراء المنطقة في بلاد الشام والجزيرة واسيا الصغرى كمرتزقة ،لقاء الحصول على الأموال والمغانم والاقطاعات

---

(١) ابن واصل،مفرج الكروب، ٨٢/٦.

(٢) حول تسميتهم بالبحرية والمناقشات التي اثيرت حول المصطلح، ينظر: احمد مختار العبادي، في التاريخ الايوبي والمملوكي، (الاسكندرية، د/ت)،ص ص ٨٥-٨٧.

(٣) فاضل جابر ضاحي، الولائم في دولة المماليك، (دمشق: ٢٠١٥)، ص ص١٦-١٧.

(٤) جوانفيل، مذكرات جوانفيل—القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة: ١٩٦٨)، ص ص١٠٩، ١١٤-١١٩، ١٢٢.

(٥) جوانفيل، مذكرات جوانفيل، ص ص١٤٠—١٦٣.

(٦) حول سيرته وحروبه، ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ احمد حمدي (القاهرة: ١٩٥٣)، ص ص٧٢، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٦-١٣٣، ١٥٢-١٧٥؛ حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، (القاهرة: د/ت)، ص ص١٦٧-١٩١.

وبدؤا يعيثون الفساد في الأرض ويغيرون على ممتلكات الآخرين[1]، وكانوا أول أمرهم قد خدموا سلطان سلاجقة الروم علاءالدين كيقباذ ابن كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقي (ت ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) ثم ساءت العلاقة بينهم، فتركوا آسيا الصغرى متوجهين إلى بلاد الجزيرة الفراتية[2]، فاتصل بهم الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) وضمهم إلى قواته بعد أن أذن له السلطان الملك الكامل على ذلك بقصد مساندته ضد أطماع المجاورين له فأقطعهم العديد من الأماكن في الجزيرة[3]، وبرز منهم بعض كبار القادة مثل، حسام الدين بركةخان، كشلوخان، بردي خان، وصاروخان[4].

وكانت لهم مواقف مشهودة في إظهار مهاراتهم القتالية على الصعيد الداخلي من أجل احتلال الأراضي التابعة لملكة حلب أو حصن كيفا وعاثوا في الأرض فساداً كبيراً بين السنوات (٦٣٦-٦٣٨هـ/ ١٢٣٨-١٢٤٠م) وبرروا هجماتهم تلك بأنه رد اعتبار للسطان الملك الصالح نجم الدين من خصومه من البيت الأيوبي[5]، فضلاً عن أنه كانت بينهم وبين عساكر حلب ومن ثم حمص مناوشات حربية كثيرة انتهت بخسارتهم الأولى سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، على يد التحالف الأيوبي ولاسيما أمير حمص الملك المنصور الأيوبي[6]، فابتعدوا إلى عانة وكانت من أعمال الخليفة حيث احتموا فيها من هجمات القوات الحلبية[7].

تطور الأحداث بين مصر وبلاد الشام ومحاولة بعض الملوك الأيوبيين إقامة تحالف أسري ضد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، هادنهم السلطان مرة أخرى واستمالهم إلى جانبه ثانية، ليستفيد من شجاعتهم ومهاراتهم القتالية ضد الملك الصالح إسماعيل امير دمشق، وساءت الأمور أكثر عندما تنازل الملك الصالح إسماعيل عن القدس للصليبيين مقابل مساندته في حربه ضد السلطان الشرعي الملك الصالح[8]، فتحركت الخوارزمية بقيادة أمرائها الأربعة، متجهين إلى قتال تحالف دمشق وذلك سنة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) ولما وصلت الاخبار بمسيرهم انفرط عقد التحالف فانسحب جيش دمشق راجعاً ورحل الملك الناصر داود إلى الكرك، وتركت القوات الصليبية القدس فراراً من

---

(١) ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ٢٢٩، ٢٥٩.

(٢) ابن العديم، زبدة حلب، ص٤٩١.

(٣) المكين ابن العميد، اخبار الايوبيين، (بور سعيد: د/ت)، ص٢٤.

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ص ص٤٩٧، ٥٠٢؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٢٧٨.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٨٨/٥-٢٩٠؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، (القاهرة: د/ت)، ٣/ ١٦٨.

(٦) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٤٣٢؛ الهسنياني، السنوات الاخيرة، ص٢٨١.

(٧) ابو شامة، الذيل على الروضتين،ص ٢٧٣؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ص٥٠٨.

(٨) ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٣٢١، ٣٢٢-٣٢٣؛ ابن تغري بردي؛ ٦/ ٣٢١.

الخوارزمية[1]، وعلى الرغم من ذلك وقعت المعركة الفاصلة في تلك السنة نفسها فانتصرت الخوارزمية في معركة غزة، بعدما أبهروا قوات التحالف الدمشقي-الصليبي بمهاراتهم في فنون الحرب وأجبروا قوات التحالف على التقهقر والانسحاب إلى مناطقهم[2].

مع كل تلك الخدمات الحربية التي قدمتها الخوارزمية للدولة الأيوبية، فإن تلك الفرقة كانت صعبة المراس في التعامل معها فقد كانت طموحات قادتها غير محدودة الملامح، ولم تكن هناك أطر مكانية تستطيع دفعهم للاستقرار والتأقلم مع الأوضاع الآنية، لذا انفصلوا ثانية عن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ومالوا إلى أمير الكرك الأيوبي، وحاولوا السيطرة على دمشق سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، وعلى أثر تطور الأحداث وازدياد فضائع الخوارزمية سارع الحلبيون والحمصيون إلى مساندة السلطان ضد خروقات الخوارزمية المتكررة وساروا لقتالهم، ولما علم هؤلاء بذلك تركوا حصار دمشق وتحركوا للقاء التحالف السلطاني[3].

وفي السنة نفسها وقعت المعركة الأخيرة بين الفرقة الخوارزمية المرتزقة والقوات الأيوبية بالقرب من مدينة حمص ((فانهزمت الخوارزمية هزيمة قبيحة تبدد بها شملهم وانقطع دابرهم فلم تقم لهم بعدها قائمة وقتل مقدمهم حسام الدين بركة خان قتله مملوك من مماليك الأمير سعدالدين بن الدربوش أحد أمراء حلب الكبار))[4]، في الوقت نفسه أسر كشلوخان مع عدد كبير من أفراد الفرقة الخوارزمية واقتيدوا إلى حلب حيث أودعوا في سجونها[5]. ويشير مؤلف مجهول، إلى أن أمير الكرك الناصر داود كان قد اتفق مع من بقي من الخوارزمية الهاربين على مساندته في قتاله ضد السلطان، لكن تحالف السلطان أجبروا أمير الكرك على الهرب ومعه الخوارزمية والعودة إلى الكرك ثم اجبروه إلى تسليم بقية الجند الخوارزمية إلى الأمير فخرالدين ابن شيخ الشيوخ وذلك في سنة (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م)[6]، وبذلك انتهت مرحلة الحراك الخوارزمي في بلاد الشام والجزيرة الفراتية.

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٣٣٧.

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٤٣٨؛ ابن العميد، تاريخ الايوبيين، ص٣٢-٣٣، وعن دور الخوارزمية في المنطقة يقول علي محمد علي عودة الغامدي: ((لعبت الخوارزمية في تاريخ بلاد الشام دورا مزدوجا ومتناقضا في الوقت نفسه، فمن ناحية نشروا الخراب والدمار في بلاد الشام والجزيرة، وكانوا معول هدم... ومن ناحية اخرى ساعدوا الصالح ايوب على توحيد الدولة الايوبية من جديد فاستردوا بيت المقدس نهائيا من أيدي الصليبيين)) ينظر، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي (مكة المكرمة: ١٩٨٨)، ص٣٤٧.

(٣) النويري، نهاية الارب،، ٢٩/ ٢٠٧.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٥٩/٥.

(٥) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص٣٤.

(٦) تاريخ دولة الاكراد، ص٤٤٨.

من الفرق العسكرية الماهرة في القتال هناك فرقة السلطان الخاصة وهي التي كانت تعرف بجند الحلقة السلطانية وكان لهذه القوة خصوصية تميزها عن بقية الفرق من أنها كانت تلازم السلطان في كل تحركاته الحربية منذ عهد صلاح الدين إلى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب[١]، وعلى حد قول جوانفيل: ((إذا ذهب السلطان بنفسه إلى الحرب إختار من بين فرسان الحلقة أشجعهم وأحسنهم إدارة وجعله مقدماً عليهم جميعاً))[٢]، فضلاً عن قوة الاستطلاع الأساسية في المعارك والتي كانت تعرف باليزك، الفرقة الخاصة بوضع الكمائن، ورصد تحركات العدو أينما كانوا وذلك بأوامر عليا من السلاطين الأيوبيين أو كبار القادة والأمراء.

إستناداً الى النصوص التأريخية، تواجدت قوة حربية أخرى من القادة والجند المتفرقة، لم تكن أعدادها كبيرة موازنة ببقية الفرق والقوات، وكانت توكل إليهم مهمات متنوعة، عرفت بالمفاردة[٣]، وكان إذا ما تقاعد قادتها عن الخدمة ينعتون بالمفاردة الكبار[٤]، وأشهر من حفظت المتون اسمه من الجند المفاردة هو شهاب الدين غازي بن اياز، المشهور بابن المعمار، وصف بأنه أحد المفاردة المجردين وكان جندياً شاعراً، وعمل حاجباً للأمير جمال الدين بن يغمور (ت ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)[٥]. فضلاً عن بعض التشكيلات الأخرى الملحقة بالقوات الحربية، مثل المنجنقيين، والفعلة والنقابين، والعوامين، والزراقين وغيرها من فرق الخدمات العامة.

بالاضافة الى كل تلك الفرق فإن الأيوبيين اعتمدوا على جماعات وأفراد غير مسجلين في ديوان الجيش رسمياً مثل المتطوعة من عامة الناس[٦]، والفقهاء والصوفية[٧]،

---

(١) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢١٩؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص١٤٧، ١٧٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص ص٤٦٥-٤٦٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٧٩/٥.

(٢) مذكرات جوانفيل، ص١٣٨.

(٣) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص ص ٤١٧،٤٢٣، ٤٢٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ٩٨، ٢٣٩.

(٤) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٢٩٥.

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠٥/٢٩؛ الكتبي، فوات الوفيات، ٣٥٢/٤-٣٥٣.

(٦) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٣٠٥-٣٠٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١٠/ ١٨١-١٨٢؛ جوانفيل، مذكرات جوانفيل، ص١٢٢، ١٣١.

(٧) للمزيد عن دور الفقهاء والصوفية في المنظومة الحربية الايوبية غير الرسمية، ينظر، اسيا سليمان نقلي، دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الادنى في الجهاد ضد الصليبيين، (الرياض: ٢٠٠٢)، ص ص١٢٤-٢٢٢؛ رياض صالح علي حشيش، الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، كلية الاداب، قسم التاريخ، (غزة: ٢٠٠٥)، ص ص٥٩-٨٠؛ شوكت عارف محمد واحلام عابد حسين، الدور السياسي والجهادي للصوفية في العصر الايوبي، مجلة جامعة زاخو، مج٣، ع١، (زاخو: ٢٠١٥)، ص ص١١٧-١٢٩.

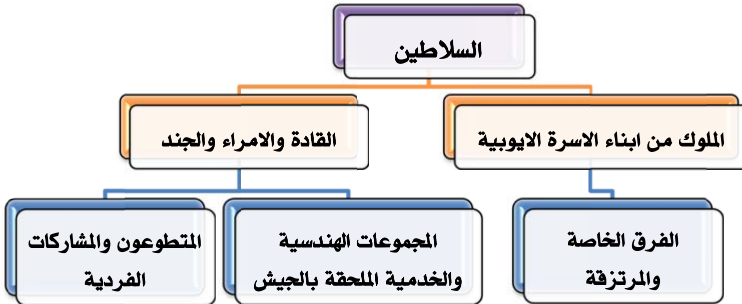
والحرافيش[1] أيضا[2].

وكان مما ينظم عمل اغلب تلك القوات ويرتب امورها ويوفر لها احتياجاتها القتالية من السلاح والمؤون وكل مايتعلق بالمستلزمات العسكرية ويتابع التزام الجند وقادته بالاوامر الحربية ويحدد مقدار الاعطيات الممنوحة لكل رتبة دون أخرى حسب االترتيب المناصبي، كما يسجل اعداد الجند المسجلين في الديوان لكل إقليم أو منطقة أو معسكر، هو ديوان الجيش وناظره[3].

لكن الشيء الذي ينبغي الإشارة اليه، أن الدولة الأيوبية في كل مراحل تأريخها الحربي، ومتمثلة بسلاطينها ولاسيما الأكفاء منهم، كانوا ملتزمون كثيراً بمسألة الشورى وعقد المجلس الحربي في أحلك الظروف لكي يقرروا القيام بعمل عسكري أو يخططوا لمعركة قادمة، أو يناقشوا أمراً متعلقاً بنتائج معركة سابقة مع العدو، لهذا كان للمجلس الحربي الأيوبي دوره المؤثر في توجيه الإمكانيات البشرية الوجهة الصحيحة، وتوظيف الجهود في بيئاتها المناسبة، وتدبير الخطط الحربية على أحسن ما يمكن بغية تحقيق النصر وبأقل جهد وخسائر على حد سواء، وكان لذلك المجلس دوراً كبيراً في عهد السلطان صلاح الدين، ولكن قلت أهميته في العهود التي تلته بسبب، المشاكل الداخلية والصراعات المستمرة على المصالح الضيقة لسلاطين وملوك الدولة.

المخطط رقم (٣)

تراتبية الهرم االعام للجيش الأيوبي (البري)



---

(١) ومفردها حرفوش أي اهل الفساد من العامة، سعيد عبدالفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، (القاهرة: ١٩٩٢)، ص٤٤، هامش (١) ص٣٧٦؛ بينما ورد معناها لدى باحث اخر بأنه الرجل من الطبقة الدنيا؛ عثمان، التحصينات الحربية، هامش ٦، ص٣٧٠.

(٢) علم الدين سنجر المسروري، المختصر من الكامل في التاريخ وتكملته، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، (بيروت: ٢٠٠٢) ص١٧٣؛ اما ابن ايبك الدواداري فقد ذكر في حوادث سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) أيام معارك المنصورة كان الصليبيون يخافون من الحرافيش اكثر من خوفهم من العساكر النظامية، كنز الدرر، ٣٧٦/٧.

(٣) عثمان بن إبراهيم النابلسي (ت ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)، لمع القوانين المضيّة في دواوين الديار المصرية، (القاهرة، د.ت)، ص ص٢٣-٢٤؛ هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ت: احسان عباس وآخرين، (بيروت:١٩٧٩)، ص ص١٠٠-١٠٣.

الفصل الثاني
الأسلحة وأدوات الحرب الأيوبية

الفصل الثاني
الأسلحة وأدوات الحرب الأيوبية

توطئة:

لم تكن المعارك المحلية والإقليمية ناهيك عن الحروب بين الدول، بمنأى عن استخدام السلاح، وبالتالي فإن كل المجتمعات الإنسانية، ومن أجل حماية مصالحها العامة والخاصة، كانت مضطرة بصورة أو بأخرى إلى إيجاد السبل والوسائل الكفيلة لحماية تلك المنافع والمصالح، لذا كانت الأسلحة من أبرز تلك الوسائل التي ابتكروها وتفننوا في صناعتها، لكي تكون أقدر وأقوى وأيسر لتحقيق النصر في المواجهات القتالية.

ورثت الدولة الايوبية الكثير من النظم الزنكية والفاطمية في الشام ومصر، ومنها خزائن السلاح التي تحتوي على الأسلحة التي تمتلكها، والتي يتم الاستيلاء عليها من الأعداء، فضلاً عن الدور أو المصانع الخاصة بصناعة الاسلحة حيث عينوا لها مراتب عسكرية متنوعة، لتشرف على عمل تلك المصانع أو الخزائن كما كانت تسمى أوانئذ، اهتم السلاطين الأيوبيون بصناعة الأسلحة على اختلاف أنواعها الخفيفة والثقيلة، البرية والبحرية، وأسلحة الهجوم والدفاع، وتطويرها بما يتلائم والوضع السياسي والعسكري الذي عاشته الدولة، ولاسيما مرحلة الجهاد الأساسية ضد الصليبيين الذين كانوا قد احتلوا الكثير من القلاع والمدن والحصون الشامية منذ الحملة الصليبية الاولى، من أجل استرداد ما استولوا عليه، ومن ثم دفعهم إلى خارج الاطار الجغرافي لأراضي الخلافة الإسلامية، إلى جانب أن الصراعات المحلية، بين أبناء البيت الأيوبي على السلطة وتوسيع نطاق ممتلكاتهم، والقوى الإسلامية المحلية المتفرقة في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، كل تلك القوى كانت تستكين إلى الأسلحة في حروبها ومعاركها، والطرف الذي امتلك الأسلحة الجيدة والمتطورة، مع وجود قادة أكفاء وجنود أوفياء، كان يحقق النصر بأيسر السبل وأسهل الطرق وبأقل الخسائر الممكنة في ساحة القتال.

في متن هذا الفصل، سيتم التطرق إلى أبرز الأسلحة التي استخدمتها القوات الأيوبية في معاركها، وأهم أنواعها والمبتكرة منها، أو التي تم تعديلها، وتطويرها على أسس جديدة لتتوافق مع استخدامه بالطريقة المثلى من قبل الجند الأيوبيين، إبان العصر الأيوبي موضوع الدراسة.

المبحث الاول

الأسلحة وأدوات القتال الخفيفة

اولاً: أسلحة الهجوم

١- القوس والنشاب:

يعد القوس[١] من أبرز الأسلحة الخفيفة التي استخدمت منذ القِدم[٢]، ليس فقط لغرض الحروب؛ ولكن في السلم أيضاً فقد استعملت لصيد الحيوانات والطيور[٣]، وأن المهارة في استخدامه تعود إلى معرفة الشخص بفنون الرماية[٤]، أي السلاح الرئيسي لصنف الرماة[٥].

القوس في الأصل عود من الشجر صلب، يحنى طرفاه بقوة ويشُد فيها الوتر من الجلد أو العصب وكان العرب يسمونه الذراع؛ لأن في طوله ذراع، ولذك كانوا يتخذون منه وحدة القياس، وكانت القوس تصنع من أشجار صحراوية كالشوحط والنبع والسدر والصال والنشم (وهذه الأخشاب لينة ومتينة ويقوسونها كالهلال ويثبت فيه الوتر لغرض رمي السهام أو النبال)، وإذا أريد الرمي بها فعلى الرامي أن يمسك وسط القوس باليد اليسرى ثم يثبت السهم في وسط الوتر باليمنى ثم يجذبه إليه مساوياً مرفقه الأيمن بكتفه، مسدداً نظره إلى الهدف، فإذا بلغ الوتر نهايته تركه من أصابعه فاندفع إليه وضعه الاول دافعاً أمامه السهم نحو الهدف[٦]. وأجود أنواع القوس كما يقول

---

(١) هناك آيات قرآنية وأحاديث نبوية ذكر فيها القوس وتبين أهميتها كما في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ النجم: ٩، وجاء في الحديث: (منتهى المؤمن القوس والنبل) وقوله أيضاً (ما مد الناس أيديهم إلى شيء من السلاح إلا وللقوس عليه فضيلة (فضلة). السيوطي، جامع الأحاديث،(بيروت: ١٩٩٤)؛ ١٩/ ١٠١.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٢٨—٢٢٩ ؛ عبد الرحمن زكي ،السلاح في الاسلام، (مصر: ١٩٥١)، ص٤٧ .

(٣) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، (القاهرة: ٢٠١٢)، ١/ ١٩٢؛ محسن محمد حسين: الجيش الايوبي في عصر صلاح الدين، (أربيل: ٢٠٠٢)، ص١٧٣؛ عبد الحميد حسين حمودة، الحضارة العربية الإسلامية، (القاهرة: ٢٠١٢)، ص١٤٥.

(٤) هناك آراء مختلفة حول عدد أصول الرمي وفروعه وما يحتاج الرامي إلى تعلمه. للمزيد حول ذلك ينظر، الطرسوسي، تبصرة أرباب، ص٧—٨؛ حسن الرماح، الفروسية والمناصب الحربية، تحقيق، فاروق سليم، (أبو ظبي: ٢٠٠٧)، ص٢٤٠—٢٤٥؛ ابن قيم الجوزية، الفروسية المحمدية، تحقيق، رائد بن أحمد النشيري، (جدة: ١٤٢٨هـ)، ص ص٣٩٩—٤٠٥؛ ابن منكلي، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، تحقيق، نبيل محمد عبد العزيز أحمد، (القاهرة: ٢٠٠٠)، ص ص٦٧—٨٠.

(٥) يقول ابن هذيل الأندلسي: ((وأعلم أن الرماية صنعة، والغرض سعد، فضرب الغرض من السعود))، ينظر: حلية الفرسان وشعار الفرسان، تحقيق، محمد عبد الغني حسن، (القاهرة: ١٩٤٩)، ص٢١٨.

(٦) الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص٦—٨؛ عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، (القاهرة: ١٩٦٠)، ص١٣٠؛ خالد جاسم الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، (بغداد: ١٩٨٦)، ص١٤٦.

العباسي: ((ما كثر قرنها، وقل خشبها، وصح لحائها، واشتد جفافها، وثقل وزنها وقوي صلبها))[(١)].

وللقوس نعوت (صنوف) عند الرمي مثل الطروح والضروح والطحوم وهي أقواس شديدة الدفع والحفز للسهم، الطحور والمطحر هاتان القوسان بعيدة الرمي، والزفيان وهي قوس سريعة الإرسال للسهم[(٢)].

اشتهرمن الاقواس القوس الفارسي[(٣)] والتركي[(٤)] والعربي[(٥)]، ولما جاء الإسلام أصبح العرب من المهارة في الاستعمال العسكري للقوس[(٦)]، حيث يذكر الجنابي: ((ونتيجة للتطور الذي أحدثه العرب على القوس ظهر منها نوع يسمى ((القوس العربي))[(٧)] ويعد الترك من المتميزين في الرمي بالقوس والنشاب، حيث كانوا على مقدرة كبيرة في حملها، وإنهم معروفون منذ القدم على أنهم رماة ماهرون[(٨)] واعتمد عليهم كثيراً في الحروب عبر التأريخ[(٩)].

أما أجزاء القوس الرئيسية فهي:

١- السهم: ويسمى أيضاً النبل أو النشاب وهو الجزء الذي ينطلق من القوس ليصيب الهدف[(١٠)]، وتصنع من أنواع معينة من عود الشجر الصلب وأفضل خشب عملت منه خشب الجراصب، فان لم يعثر عليه، فأنها تعمل من خشب قريب من العقد كالأرز وما

---

(١) آثار الأول في ترتيب الدول، ص٣١٥.

(٢) للمزيد ينظر: ابي عبيد القاسم بن سلام، كتاب السلاح، تحقيق، حاتم صالح الضامن، (بيروت: ١٩٨٥)، ص٢٣؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، تحقيق، نبيل محمد عبد العزيز، (القاهرة: ١٩٨٧)، ص٤٠—٤٦؛ حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي، الإفصاح في فقة اللغة، (القاهرة: ١٩٦٤)، ١/ ٦٠٣—٦٠٤.

(٣) يروي الطبري : ((أنه بلغ من مهارة الفرس في الرماية أن أحدهم كانت ترفع له الكرة فيرميها ويشكها بالنشاب))، تاريخ الرسل ، ٣/ ٥٧٧.

(٤) حسن الرماح ، الفروسية، ص٢٤٠؛ حمودة: الحضارة، ص١٤٥؛ عون: الفن الحربي، ص١٣٣—١٣٤.

(٥) الطرسوسي، تبصرة أرباب، ص٨؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٤٠؛ عون: الفن الحربي ، ص ١٣٠.

(٦) العباسي، آثار الأول، ص٣١٥؛ زكي، السلاح، ص٢٤٨؛ السامرائي، تقنية السلاح عند العرب (الأسلحة الجماعية)، مجلة المورد، (بغداد: ١٩٨٧)، مج١٦، ج١، ص٥١—٥٢.

(٧) تنظيمات الجيش، ص١٤٧؛ نعمان ثابت ، الجندية في الدولة العباسية، (بغداد: ١٩٥٦)، ص١٥١.

(٨) عن مهارة الأتراك في الفروسية ورمي القوس ينظر: عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: ١٩٦٤)، ١/ ٤٥-٤٦؛ العباسي: اثار الأول ، ص٢٩١.

(٩) على سبيل المثال، ينظر، أبن مسكوية، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم أمامي، (طهران: ٢٠٠٠)، ٦/ ٨٣؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، (دمشق: ١٩٨٣)، ١/ ٢٨٤؛ ابوشامة: الروضتين، ٩٤/٢ ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ١٤٠؛ ر. س. سميل، فن الحرب عند الصليبيين، ترجمة وتحقيق، سامي هاشم، (بيروت: ١٩٨٢)، ص٧٧.

(١٠) الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٤٧؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٧٣.

شاكله[١]، بالإضافة إلى ذلك فأن العرب أعدوا من خشب النبع حيث يقطعون عيدانه ويشدونها ثم تلحي عنها القشور وتصلي بالنار حتى تلين[٢]، ولا تستعمل السهم إلا مع القوس لأنها تكمله[٣].

الأصل في السهام أن يريم بها عن بعد سواء أكان في ميدان مكشوف أو من وراء الأسوار والحصون وهو سلاح قتال فتاك في العصور الوسطى[٤].

إضافة إلى الخسائر البشرية التي تحدثها السهام فأنها كانت تؤدي إلى خلق التوتر والقلق النفسي بين صفوف العدو، وتحرض الأخير على الهجوم،وترك تشكيلاتهم عن طريق رماة السهام[٥].

كذلك فأن القوس والسهم (النشاب) من أهم الأسلحة المستخدمة في الأسطول ؛لأنها تقذف عن بعد على العدو، ولا تحتاج إلى صدام مباشر معهم، وكان تأثيرها مباشراً[٦].

استخدمت في بعض الأحيان السهام كأداة للتخاطب يكتب عليها راميها ما يريد، ثم يرميها لمن شاء حفظاً للسرية، وأكثر ما يحدث هذا في حصار الحصون، فإذا أراد المهاجم أن ينشر الذعر بين المحاصرين كتب لهم على السهم، أو على رقعة مربوطة به، أخباراً تحطم روحهم المعنوية أو أخباراً وأمنيات، تجعلهم يميلون إلى التسليم ثم يرمي به إليهم، وقد يكون من في الحصن يرغبون في التسليم فيطلبون الأمان مكتوباً، ثم يرمون به في سهم إلى من في الخارج[٧]. كما حدث في سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) عندما فتح صلاح الدين آمد، وهي في غاية الحصانة والمناعة بها وبسورها يضرب المثل[٨]، أمر صلاح الدين أن يكتب على السهام ويرميهم إلى أهل البلد يعدهم بالخير والإحسان إن أطاعوه ويتهددهم إن قاتلوه[٩].

---

(١) الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص٩؛ ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص٨١.

(٢) أمين خولي، الجندية والسلم، (القاهرة: ١٩٦٠)، ص٢٧؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص٧٤.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ١٢٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٧٥٧؛ ابن الجوزي، المنتظم في اخبار الامم والملوك،تحقيق،محمد عبد القادرعطاومصطفى عبد القادر عطا،(بيروت:١٩٩٢)، ١٦/ ١٢٥.

(٤) عون، الفن الحربي، ص١٤١.

(٥) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٥٣، ٢٦٢؛ سميل، فن الحرب، ص١٣٩.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ٩/ ١٣٢؛ بركات، فن الحرب البحرية، ص١٣٨؛ الجبوري ، الأسطول الحربي ، ص٤٠.

(٧) عون، الفن الحربي، ص١٤١.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٥٠.

(٩) عماد الدين الأصفهاني، البرق الشامي، ٥/ ٩١؛ ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق، ص١٣٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٥٠؛ أبو شامة، الروضتين، ٣/ ٩٥.

وفي بعض الأحيان كانت تدبر المؤامرات والمكائد ضد بعض القادة، وتجري المخاطبات بين أتباعه مراسلة بالسهام فتتم المؤامرة في جو من السرية[1].

وللسهم أسماء وصفات ونعوت عديدة مشهورة، حسب شكلها وهدفها وصفاتها،وأنها تتراوح بين أكثر من خمس وثلاثين منها، على سبيل المثال (أقذ) السهم الذي لا ريش به، (اهزع) الذي يبقى في الكنانة[2] وحده، لأنه أردأ ما فيها، (حظاء) سهام صغيرة، (دابر) وهو الذي يخرج من الهدف، (عصل) السهام المعوجة، (عائر) وهو السهم الذي لا يدري من أين أقبل، (فالج) هو السهم الفائز، (شاخص) الذي يعلو من الهدف، (زاحف) وهو الذي يقع دون الغرض ثم يزحف إليه[3]. ولاهمية السهام في المعركة، قال ابن منكلي: ((ومن لوازم الجندي والأمير: الاستكثار من السهام الحربية))[4].

ومن أقسام السهم الأساسية:

أ- النصل[5]: وهي عبارة عن حديدة ملساء مسطوحة جارحة تقع في مقدمة السهم (الرأس) حيث كان يطرق هذا الحديد،ويلوحه على الجمر،ويجعلون له أشواكاً حادة جانبية مما يجعل نزعة صعباً إذا أصاب به الجسم[6] وأحياناً تسقى هذا النصل بالسم كما كان يفعل رماة الروم بسهامهم[7].

ب- القدح: وهو جسم السهم المصنوعة من الخشب ويختلف في طولها وسماكتها[8].

جـ- القعب[9]: وهو القسم الأخير من السهم ثبت فيه الريشة حيث يربط الريش بواسطة خيوط من الجلد أو يلصق بالغراء إذا كان بلا حزوز، وكان عددهم في الغالب

---

(١) عون: الفن الحربي، ص١٤١، صفاء عبد الله عبد الرزاق سعيد الهندي: تقنية الأسلحة الأيوبية والمملوكية وتطورها، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، قسم الآثار، سنة ٢٠٠١، ص٣٧.

(٢) ينظر تعريفها ، ص٨٦ من هذا المبحث.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٣١—٢٣٣؛ سلام: كتاب السلاح، ص٢٧؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص ص٤٧—٥٥؛ الصعيدي ، الافصاح في فقه اللغة، ١/ ٦٠٩—٦١١.

(٤) التدبيرات السلطانية في سياسية الصناعة الحربية، تحقيق، صادق محمود الجميلي، مجلة المورد، مجلة تراثية فصلية تصدرها جمهورية العراق، العدد (٤)، أكتوبر: ١٩٨٣، ص٣٦٤.

(٥) للنصل أسماء عديدة حسب شكلها وحجمها، للمزيد ينظر: النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٣٤؛ الصعيدي، الافصاح في فقه اللغة، ١/ ٦٠٦.

(٦) ابن سيده، المخصص، تحقيق، خليل إبراهيم جفال، (بيروت: ١٩٩٦)، ٢/ ٣٨؛ صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٣٥؛ عون، الفن الحربي، ص١٤١؛ زكي: السلاح، ص٣٣؛ الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٤٧.

(7) V. Kermer: The orient under the caliphs. P 331.

(٨) ابن سيده، المخصص، ٤/ ١٧؛ صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٣٥؛ الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٤٧.

(٩) أشار اليه ابن سلام باسم (العقب)، ينظر: كتاب السلاح، ص٢٤.

أثنان أو ثلاث، وأجود أنواع الريش،هي ريش النسر ثم ريش العقاب، أما وظيفتها فكانت لحفظ توازن السهم، وعدم اضطرابه عند الانطلاق نحو الهدف[١].

٢- الوتر: وهو الخيط المنحني الذي يصل بين طرفي القوس ويصنع من خيوط مفتولة، أو شراك الجلد[٢]، وفي وسط الوتر يقع مقبض الرامي وليس المجس[٣]. أما موضع الوتر من السهم تسمى الغوق[٤]، والاوتار على أنواع يختلف من بلد إلى آخر حسب حالة الطقس[٥].

٣- الكنانة (التراكيش)[٦] وتسمى الجعبة، وهي الوعاء الذي يحمله المقاتل، وتوضع فيها سهامه، ويعلق على كتفه، ويصنع من الجلد، يشق ويخاط ليصل الهواء إلى الريش؛ لكي لا يفسد. أو يصنع احياناً من قوائم خشبية يوصل ما بينها بالجلد[٧]، وقد استعمله جيش الملك الكامل سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣١ م) يقول ابن واصل ((وأطلق الجاليش عقائل التراكيش))[٨]، وهناك نوع آخر اوسع من الكنانة ويسمى (الجفير)[٩].

يذكر ابن شداد أنه في معركة حطين: ((أحاط أهل الإسلام بأهل الكفر والطغيان من كل جانب وأطلقوا عليهم السهام))[١٠]، كما أشار عماد الدين الأصفهاني أيضا إلى استخدام السهام في أرسوف بقوله: ((ولم تزل السهام إلى مقاتلهم مصوبة مسددة))[١١].

٤- السيّة: هي ما عطف من طرفي القوس، وعلى النحو يكون لكل قوس سيتان، عليا وسفلى، ويوجد في كل سية حزوز يلف عليها طرف الوتر المعقود لكي يثبت الوتر[١٢].

---

(١) ابن سيده، المخصص، ٢/ ٣٧؛ عون: الفن الحربي، ص١٣٩—١٤٠؛ زكي: السلاح، ص٣٣.

(٢) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٢٢٨؛ ابن سيده: المخصص، ٢/ ٣٢؛ الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٤٧.

(٣) ابن سلام، كتاب السلاح، ص٢٣؛ موسى، الافصاح في فقه اللغة، ١: ٦٠٣؛ الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٤٧.

(٤) ابن سلام، كتاب السلاح، ص٢٤؛ زكي: السلاح، ص٣٣؛ الصعيدي، الإفصاح في فقه اللغة، ١/ ٦٠٦.

(٥) للمزيد ينظر، حسن الرماح، الفروسية، ص٢٤٨—٢٤٠؛ ابن هذيل لأندلسي، حيلة الفرسان، ص٢١٧؛ ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٨٤—٨٥.

(٦) التراكيش، لفظ فارسي معناه جعبة أو كنانة. أدي شير، معجم الألفاظ، ص٣٦.

(٧) ابن سلام: كتاب السلاح، ص٢٥؛ صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٣٦؛ الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٤٧؛ زكي: السلاح، ص١٩.

(٨) مفرج الكروب، ٥/ ٢١.

(٩) الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، (بيروت: ١٤١٢هـ)، ٤/ ٢٣٧؛ النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٣٥؛ زكي، السلاح، ص١٩؛ الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٤٧.

(١٠) النوادر السلطانية، ص١٢٨-١٢٩.

(١١) الفتح القسي، ص٢٨٧.

(١٢) ابن سلام، كتاب السلاح، ص٢٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ٨/ ١٢١؛ صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٣٤.

أنواع القسي

كثرة استخدام القوس والتفنن في صناعتها بلغت مستوى كبير من التطور لم تبلغها صناعة أي سلاح من الأسلحة الفردية الأخرى، حيث خرجت من إطارها البسيط وصارت لها اشكال جديدة مستحدثة[(١)]، ومن هذه الأنواع:

١- القوس الرجلي أو القدمي:

يسمى بقوس الرجل (القدم) ؛لأنه يطلق بإحدى رجلي الإنسان أو بالأثنين معاً[(٢)]، يقول صاحب كتاب حلية الفرسان، القسي جنسان: قوس اليد، وهي العربية[(٣)]، وتنقسم إلى أنواع، وقوس للرجل، وهي الأفرنجية وتنقسم كذلك إلى أنواع[(٤)].

أما طريقة استخدامه هذا النوع من القوس يكون بدفع رجلي الإنسان مع جذب ظهره. وهذا الجذب يلزم الإنسان أن يجعل في وسطه حزاماً من الجلد البقري الجيد، ويجعل الوتر القوسي في كلابين من حديد، ويجعل الرامي رجليه في بطن القوس جاذباً بظهره الكلابين إلى أن يحصر الوتر في القفل الذي في المجراة[(٥)]، ويترك المفتاح فيها، ثم يأخذ القوس بيده. ويجعل السهم في المجرى ويضم المفتاح عن القفل إلى باطن المجراة، فيدور القفل لأنه كالبكرة في محور جديد مسر في جانبي فتحة المجراة، فإذا أدار المفتاح عنه دارت البكرة وانفلت الوتر فيدفع السهم (النبلة) فيخرج بحدة[(٦)].

من مميزات قوس الرجل، أنه طويل وإطلاقه سهل، ويمكن الإفادة منه في عمليات الحصار والمراكب البحرية، بالإضافة إلى أنه أكثر نكاية بالعدو لقوة وتره وغلظ سهمه، وبعد رميه،وخلال العمليات الحربية فأن قوس اليد (العربية) أنسب للفارس؛ لأنها أسرع وأقل معونة، أما قوس الرِجل (الافرنجي) يكون أنسب للراجل؛ لأنها أبلغ وأكثر معونة[(٧)].

ومن عيوب قوس الرجل ثقل وزنها، وأن جذبها واتيانها فيه مشقة، كما أنها أضعف رمياً من قوس اليد[(٨)].

---

(١) حسين، الجيش الأيوبي، ص١٧٤؛ صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٣٧.

(٢) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٤٠.

(٣) ينظر، الطرسوسي، تبصرة أرباب، ص٨.

(٤) ابن هذيل الاندلسي، ص٢١١.

(٥) الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص٨.

(٦) ينظر الطرسوسي، تبصرةارباب، ص٨.

(٧) ابن هذيل الاندلسي، حلية الفرسان، ص٢١١؛ صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٣٧.

(٨) أبن قيم الجوزية، الفروسية، ص١٤٢—١٤٥؛ عبد الله بن محمد بن عبد الله النايل، صناعة الأسلحة الثقيلة والنارية في الدولة المملوكية، (الرياض: ٢٠٠٦)، ص٢١٤.

٢- قـوس الـزيــار:

عبارة عن آلة ثابتة ثقيلة تعمل على مبدأ القوة الدافعة كالقسي الأخرى، أي قوة شد الوتـر الضخم ثم تركه يعود إلى حالته الطبيعية قاذفاً ما يحمله، إلى مسافة تتناسب مع قوة الشد، أي مع اعوجاج أو ميل (تربير) الوتر[١].

سميت بقوس الزيار؛ لأنـها تحتوي على زيــارات أو حبال مصنوعة من الشـعر وكانت ترمي سـهماً هـائل الحجم يتـراوح طوله بين ٦٠-١٨٠سـم، ووزنه ٢- ٣كغـم[٢]، وقد بلغـت قـوة هذا القوس[٣] بحيث بلغ مقدار حيلها جر عشرين رجلاً يجرها بحيلة رجل واحد، ويرمي عنها أشد رماية وانكأها وبأرتب حالة وأهنأها، فيبلغ منها غاية الأرب، وتنتهي إلى نهاية الطلب[٤].

يقول زكي أن زيار نوع من القسي الذي يرمي به البندق[٥].

أما عن صناعة قوس الزيار فقد شرحها الطرسوسي بشكل مفصل. ووصفها بأنها ((أشدها رمياً وأعظمها جرماً وانكأها سهماً، ويحتاج ايتاءها إلى عدد من الرجال. وتركيب هيولاها من أصناف من الأخشاب، وتنصب على الأبراج وما شاكلها، ولا يكاد أحد يقف لهـا))[٦].

استعمل الجيش الأيوبي القوس بشكل عام وقسي الزيار بشكل خاص، ويستدل على ذلك من خلال المصادر المعاصرة للايوبيين، فقد ذكر عماد الدين الأصفهاني في حوادث سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧ م)، أنه بعد استعادة القدس، ومشاركة الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين فيها رجع إلى مصر، ترك خزانة سلاحه كلها بالقدس، ((وكانت أحمالاً بأموال، وأثقالاً كجبال وذخائر وافية، وعددا واقية، و... وجفاتي وجنويات، و...، وآلات وزيارات وزراقات))[٧]. وقد وصى أحد المصنفين في الكتابات الحربية، السلاطين بضرورة الإنفاق على الزيارات ورماتها والاستكثار منها[٨].

---

(١) إحسان هندي، الحياة العسكرية عند العرب، (دمشق: ١٩٦٤)، ص١٢٣؛ حسين: الجيش الايوبي، ص١٧٤.

(٢) أرنبغا الزردكاش، الأنيق في المجانيق، تحقيق، إحسان عباس، (أبو ظبي: ٢٠١٣)، ص١٢٤—١٢٥؛ إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص١٢٤—١٢٦.

(٣) عرفت قوس الزيار في الفترة المتأخرة بسبب قوتها وصعوبةحملها باسم (منجنيق السهام)، حسين، الجيش الأيوبي، ص١٧٥؛ ماهر، البحرية ، ص١٢٥؛ السامرائي: تقنية السلاح، ٣/ ٥٢؛ إحسان هندي: الحياة العسكرية، ص١٢٢.

(٤) الطرسوسي، تبصرة ارباب ،ص٦.

(٥) السلاح، ص٣٠.

(٦) تبصرة ارباب، ص٦.

(٧) الفتح القسي، ص٨١.

(٨) الهروي: التذكرة الهروية، ص١٦—١٧، ص٢٧—٢٨.

٣- قـوس الـحسبان:

وهي تسمى قوس العربية تطلب سهاماً سريعة صغيرة، أي أنها ترمي عاصفة من السهام بطلقة واحدة، وسرعتها متأنية من أنبوب القوس يسع مجموعة من السهام الصغيرة[(١)] لا يقل عددها عن خمسة[(٢)] يقول الطرسوسي ((فإذا دفعها الوتر خرجا كالجراد المنتشر في دفعة واحدة، فشبهت هذه السهام بالجراد،وسميت القوي كذلك قوس الحسبان))[(٣)].

مما تجدر الإشارة إليه أن سهام هذا النوع من القسي صغيرة الحجم بحجم الاصبع الواحد[(٤)]. وتسمى سهامها الناوكات[(٥)]، وهي كلمة فارسية تعني السهام الصغيرة[(٦)] فقد ذكرها عماد الدين الاصفهاني بقوله:((وتطير الناوكات النواكي من مقاتل العدو إلى الوكنات))[(٧)].

كان السلاح المفضل لدى الرماة ؛بسبب قوة تأثيرها،وخفة وزنها،بالإضافة إلى كثرة سهامها فلابد أن يصيب واحد منها العدو[(٨)]. ومن فوائدها أيضاً أن العدو لا ينفع بها ولا يستطيع ردها بالرمي[(٩)].

ذكر المقريزي هذا النوع من القسي وسمي سهامها أو نشابها بالجراد، ووصف مدى فعاليتها بقوله: ((والنشاب الذي يقال له الجراد طوله شبر يرمي به عن قيس في مجار معمولة برسمها، فلا يدري به الفارس أو الراجل إلا وقد نفذ))[(١٠)].

٤- قســي الـجـروخ:

الجرخ آلـة حربية لرمي السهام والنفط والحجارة، وجمعها الجروخ يشبه منجنيق

---

(١) الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص٨؛حسين: الجيش الأيوبي، ص١٧٥؛ الجنابي: تنظيمات الجيش، ص١٤٧.

(٢) لذلك سماها ابن منكلي بقوس البنجكان، والتي –تعني بالكردية والفارسية– خمسة أسهم، حيل الحروب، ص٩٩؛ السيد أدي شير: معجم الألفاظ الفارسية المعربة، (القاهرة: ١٩٨٨)، ص٢٨.

(٣) تبصرة أرباب، ص٨–٩.

(٤) صفاء الهندي: تقنية الأسلحة، ص٣٨؛ السامرائي، تقنية السلاح، ٣/ ٥٢.

(٥) مفردها الناوك: هو قوس الحسبان التي هي سهام صغار ،تقي الدين ابن الصلاح: شرح مشكل الوسيط، تحقيق، عبد المنعم خليفة أحمد بلال (سعودية: ٢٠١١)، ٤/ ٢٥٥.

(٦) محمد موسى هنداوي: المعجم في اللغة الفارسية، (القاهرة: ١٩٥٢)، ص٣٢٠.

(٧) الفتح القسي، ص١٨٦.

(٨) الجنابي: تنظيمات الجيش، ص١٤٧؛ صفاء هندي: تقنية الأسلحة، ص ٣٨.

(٩) ابن منكلي: التدبيرات السلطانية، ص٣٤٨؛ مؤلف مجهول: خزانة السلاح، ص٤٩.

(١٠) الخطط المقريزية ، ٢/ ٣٠٦؛ أنظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ،٢ /١٣٣

السهام؛ ولكنه أخف منه[١]، مع استبدال السهم بقارورة نفط[٢] في بعض الأحيان، وفيها كفة يحملها الساعد يشد بواسطة وتر عادي أو حبال من الشعر والابريسم، ويثبتها بواسطة جورة (أي قفل) فإذا حرر الرامي الوتر، اندفع الساعد يحمل الكفة إلى الأمام قاذفاً قارورة النفط باتجاه الهدف لتحطم وغرق مما حولها[٣].

الجروخ التي تستعمل في داخل السور للدفاع عن قلاع المدن المحاصرة، كانت تصنع من القرون أما قسي الجرخ المستعمل في مراكب البحر،تصنع من الخشب؛ لأن هواء البحر يضر القرن ويفسده[٤].

أثناء الحروب كان رماة قسي الجرخ متفننين إلى حد كبير قلما يخطئون في تحديد الهدف؛ لأن راميها يكون عارفاً حاذقاً[٥]. ويقال لمستخدمها حِرِفي[٦].

كانت هذه القسي في البداية معروفة عند الفرنج والمغاربة،ثم أدخلت إلى المشرق الإسلامي أيام الحروب الصليبية فاستعملها المسلمون في حروبهم، وأن الصليبيون كانوا أكثر استخداماً لهذا السلاح، واستعمله الجيش الأيوبي أيضاً أثناء فتوحاتهم للمدن[٧] فقد ورد اسم هذا السلاح في العديد من المصادر المعاصرة لتلك الفترة[٨].

وصف عمادالدين الأصفهاني قسي الجروخ ابان معركة حطين: ((ورمت القسي ونحنت الاوتار،...، وضايقتهم السهام، فحطموا على حطين مضاربهم، وفلت حدود الرماة الكماة (رمح وسهم) مضاربهم...، وتجالدوا فجرفهم السيف جرف السيل))[٩].

وفي سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) عندما نصب الفرنج على عكا المنجنيقات وتواترت حجارتها على سور عكا، فأخذ الأيوبيون سهمان من سهام الجرخ وأحرق نصلاهما حتى

---

(١) زكي: السلاح، ص١٩؛ إحسان الهندي: الحياة العسكرية، ص١٢٧.

(٢) قارورة نفط: وهي عبارة عن إناء مملوء بالنفط بعد أن يخلط فيها المركبات الأخرى كالدهن والزيت والكبريت وغيرها لكي يشتد التهابه ولزوجته أو يزيد سرعة اشتعاله، فكانت عنصراً أساسياً من عناصر الأسلحة النارية في العصور الوسطى، وبذلك فقد كان يعبأ هذا المركب في قوارير وترمى بها بمجانيق أو توضع في قراطيس (فشكات) وتشد على السهام ليرمى على العدو. كولان، البارود عند المسلمين، ترجمة، إبراهيم خورشيد، وآخرون، (بيروت: ١٩٨٤)، ص١١-١٢؛ دوزي، تكملة، ٨/ ٢١٠.

(٣) إحسان هندي: الحياة العسكرية، ص١٢٨؛ السامرائي: تقنية السلاح، ٣/ ٥٣.

(٤) العباسي: آثار الأول، ٢/ ٣١٥.

(٥) العباسي: آثار الأول، ٢/ ٣١٥؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٧٦.

(٦) البستاني، محيط المحيط، ص١٠٠.

(٧) العباسي: اثار الاول، ٢/ ٣١٥؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٧٦.

(٨) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٠٧؛ عمادالدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٦٠، ص٢٢٩؛ ابو شامة، الروضتين، ٤/٩٦؛ ابن واصل: مفروج الكروب، ٢/ ٣٣٧؛ النويري: نهاية الأرب، ٢٨/ ١٢٨.

(٩) الفتح القسي، ص٥٠.

بقيا كالشعلة في النار ثم رمياً على المنجنيق الواحد فعلقا واشتعل فيها النار وهبت ريح شديدة فأكثر اشتعالاً واشتد ناراهما بحيث لم يقدر أحد أن يقرب مكانهما لإطفائهما[١]، وعندما تم حرق برج الذبان[٢] أطلق عليهم أهل البلد الجروخ أيضاً[٣].

كما أشار إليها عماد الدين الأصفهاني في إحدى مخاطباته مرة اخرى عندما هدم الأيوبيون عسقلان سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م) فقال ما نصه: ((وحيث داخلها الرعب من خروج الجروخ للجروح، وتفريق السهام منها بين الجسم والروح))[٤]، وفي معركة أرسوف يذكر: ((ونبال معمية لبان الخصم))[٥].

وورد اسمها عندما هاجم الخوارزمية سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) شيزر، اعتصم أهل البلد بالربض التي تحت القلعة، وأطلق عليهم أهل القلعة الجروخ والحجارة فقتلوا منهم جماعة كثيرة[٦].

وعندما هنأ أحد الشعراء الملك الكامل وإخوته بفتح دمياط سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) فقد مدح بها السلطان الملك المعظم عيسى بقوله:

فما برحت شمر الرماح تنوشهم ... بأطرافها حتى استجاروا بنا منا[٧].

٥- قــوس العقـــار:

وهو قوس صغير يشبه منجنيق السهام،ولكن حجمها أصغر منه وجريت بعض التحويرات عليه لاحقاً فأصبح صغيراً في الحجم، بحيث يمكن لرجل واحد أن يرمي به، أو يحمله متنقلاً به من مكان إلى آخر[٨]. وهو بهذا يشبه (صاروخ ستنقر أو قذيفة الآر بي جي في الوقت الحاضر)، وهو نوع مصغر من قوس الزيار وأقل قوة منه[٩].

كانت هذه القسي معروفة في المغرب[١٠] أما صناعته فكانت تصنع من خشب طري، مستقيم بطول ستة أشبار (١٢٠سم) وغلظة شبر (٢٠سم) وطول مجراه اربع أشبار

---

(١) أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٩٤.

(٢) برج الذبان: وهو برج مبني من الصخر في ميناء عكا، لحراستها من الأعداء وهو محمي بالرجال والعدة، عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي، ص٢٢٥؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢١١.

(٣) عماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص٢٢٦؛ ابن العديم، زبدة حلب، ص٤٢٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٣٧.

(٤) الفتح القسي، ص٢٩٠.

(٥) الفتح القسي، ص٢٨٥.

(٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٢٩٠.

(٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ١٠٠.

(٨) إحسان هندي: الحياة العسكرية، ص١٢٦؛ السامرائي: تقنية السلاح، ٣/ ٥٢.

(٩) النايل: صناعة الاسلحة، ص٢١٦.

(١٠) مؤلف مجهول: خزانة السلاح، ص٤٣.

(٨٠سم) وخذب وتره يتم بلولب لطيف يعمل له[١] بواسطة محور الشد، أو بواسطة دولاب متصل بخطاف يعلق فيه الوتر ويثبت بمفتاح له مقبض وجوزة، وعند الإطلاق يضغط المقبض فينخفض الخطاف وينفلت الوتر من الجوزة دافعاً السهم مسافة تتناسب مع قوة الشد، ولهذا القوس حامل خاص به؛ يوضع عليه وفق الاستخدام[٢].

٦- أقواس الأبراج (القوس المتعددة الاتجاه):

وهي عبارة عن أقواس كانت تنصب على الأبراج في كل جهة من البرج الواحد يوضع قوس واحد، وكل قوس لها مجراة للسهام، وفي كل مجراة ثلاثة سهام أو اربعة يتصل بعضها مع بعض بواسطة مفتاح مرتبط مع أقفال لتثبيت السهام فيخرج منه ستة عشر سهماً[٣].

يعد المفتاح نقطة الاتصال المركزية في هذا النوع من القوس وعند فتحه تنطلق مجموعة السهام بالاتجاهات الأربعة، فيظن الأعداء أن في البرج رجالاً كثيرين بينما هي في الحقية لا يديرها سوى رجل واحد[٤]. أي أنها عبارة عن برج يقام في القلاع المحاصرة ويرمي عدداً كبيراً من الأسهم في وقت واحد[٥].

٧- قـوس الـزنبورك[٦]:

وهو نوع من القسي التي ترمي عنها السهام وقد يعني نوعاً من السهام ذاتها[٧]، ويذكر عبد الرحمن زكي؛ بأنها نوع من أنواع السهام فارسية الأصل وسماها زنبوري[٨].

ومن الأمم التي اشتهرت باستخدامها هي الروم (البيزنطيون)حسب قول العباسي: ((إنّ الروم كانوا أهل الصنائع والحرف وحكم، وفيهم صبر وخدمة، ولهم حيل في السياسات ووضع الآلات الحربية، وحظهم في الفروسية قليل، ولهم ضرب السيف ورمي بالجرخ والزنبورك))[٩].

---

(١) الطرسوسي: تبصرة أرباب، ص٨؛ إحسان هندي: الحياة العسكرية، ص١٢٦.

(٢) الزردكاش: الانيق في المجانيق، ص١٢٩ - ١٣١.

(٣) الطرسوسي: تبصرة ارباب، ص١٠؛ صفاء الهندي: تقنية الأسلحة، ص٣٩.

(٤) الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص١٠؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٧٩.

(٥) إحسان هندي: الحياة العسكرية، ص١٢٧؛ السامرائي، تقنية السلاح، ٣/ ٥٢.

(٦) الزنبورك: بضم الزاء وإسكان النون وضم الباء وفتح الراء وهي الآخر كاف -وجمعها زنبوركات- وهي كلمة فارسية مخضة ومختومة بكاف التصغير الفارسية وتكون للتكبير أيضاً، تعني نوابض حديدية تركب في بعض الآلات كالساعات. الكرملي: أغلاط اللغويين الأقدمين، (بغداد: ٢٠١٠)، ص١١٩؛ طوبي الحلبي العنيسي، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، (القاهرة: ١٩٣٢)، ص٣٢؛ النايل، صناعة الأسلحة، ص٢٢٢.

(٧) للمزيد ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٤٤، هامش (١)، حسين: الجيش الأيوبي، ص١٧٧.

(٨) السلاح، ص٣١.

(٩) الآثار الأول، ٢/ ٢٩١.

ذكردوزي أن الزنبورك، سهم من سّمك الإبهام وفي طول الذراع، وله أربعة أوجه وطرفه من الحديد، وهو مريش ليكون انطلاقه أكثر ثباتاً، وحيثما سقط فإنه مؤكد الإصابة، وقد يخترق في رمية واحدة جسمي رجلين وقف أحدهما خلف الآخر، وأخذت في نفس الوقت درع الجندي وملابسه، ثم نفذ بعد ذلك واستقر في الأرض، وقد يصيب كذلك أحجار الأسوار[1].

وردت أيضاً في بعض إشارات ابن العديم، وتحديداً في حوادث سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)، عندما حاصر صلاح الدين حلب فقال ما نصه: ((عندما هاجم تاج الملوك بوري بن أيوب على عسكر حلب فضرب نشاب زنبورك فأصاب ركبته))[2]، في حين ربط عماد الدين الاصفهاني بين ((الزنبوركات والناوكات))[3] أي أنهما ضربان من السهام.

كما قال ابن الأثير، وجعلوا يرمونه بسهام الزنبورك[4]، ويفهم من قوله هنا أن الزنبورك أحد أنواع السهام؛ ولكن في رواية أخرى أوردها في حوادث سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، يبين على أنها أحد أنواع القسي، بدليل قوله: ((ودام رشق السهام من قسي اليد والجرخ والزنبورك،والزيار، فخرج اكثر من بالحصن))[5].

أما أبو شامة، فقد أوردها في حوادات (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، عندما هاجم الصليبيون مملوك للسلطان صلاح الدين عرف باسم آيبك الساقي فذكر قائلاً: ((فرموه بالزنبورك حتى كثرت فيه الجراحات، وظنوا أنه قد مات))[6]. بينما نجد إبن واصل يشير إلى الزنبورك ضمن أحداث سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)، وذلك عندما هاجم الصليبيون بعض أعمال بعرين بأكثر من أربعمائة فارس وكان يصحبهم ((الجرخية[7] ورماة الزنبورك))[8].

---

(١) تكملة المعاجم العربية، ترجمة، محمد سليم النعيمي، (بغداد: ١٩٨٢)، ٥/ ٣٦٤، وقد شبهها دوزي بالزنبور الصغير وهي حشرة صغيرة، تحدث طنيناً يشبه وتر الزنبورك عند انطلاق سهمه

(٢) زبدة الحلب، ص٣٩١.

(٣) الفتح القسي، ص٩١.

(٤) الكامل في التاريخ، ٩، ٤٢٩.

(٥) الكامل في التاريخ، ٩/ ٤١٣.

(٦) الروضتين، ٧٧/٤

(٧) وهو جمع جرخي يقال للذي يرمي عن قوسه السهام أو النفط. ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١٥٠، هامش (١)؛ النويري، نهاية الإرب، ٢٨/ ٤٤٣.

(٨) مفرج الكروب، ٣/ ١٤٨

٨- قوس قاذفة النفط:

إن كثرة استخدام القوس والتطور في صناعتها أدى إلى تطور مهامها؛ فإنها لم تعد تقتصر على رمي السهام فقط بل استخدمت لرمي قارورة النفط[١]، إنها تشبه قوس الرِجل لأن سهامها مجراة مكملة بفعلها وجوزتها[٢]. وهي إحدى قطع الإيتار التي يوضع فيها الوتر، ثم يخرط وعاء خشبي يسع تجويفه قارورة النفط أو البيضة المفرغة من محتواها والمملؤة بالمواد النفطية الحارقة، وتبطن الجوزة بقطعة اللباد للحماية فإذا أريد الرمي يشد الوتر ويوضع في الجوزة ويقفل بالمفتاح، فإذا أفلت حررت الجوزة مع الوتر دافعة القارورة التي تخرج كالسهم، وتنتهي إلى الهدف المطلوب فتنكسر، وتحرق ما تلاقيها من الاجسام[٣]؛ لأن القارورة ((تخرج منها كالسهم بقوة قاذفها))[٤].

عندما حاول الأيوبيون إحراق الأبراج في عكا سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) و كان العمل صعباً على الجيش، ودام القتال ثمانية أيام متتابعة ليلاً ونهاراً، وسئم الفريقان من القتال ، وإنهم كما يقول ابن الأثير: ((لم يتركوا حيلة إلا عملوها))[٥]، دون جدوى، ولكن في النهاية تمكن الأيوبيون من النصر وإحراق الأبراج بفعل شاب من أهل دمشق المعروف بجمع آلات النفاطين وتكوين تركيبات لتقوية عمل النار، حيث رمى على الأبراج عدة قدور من النفط وجعل فيها النار فاشتعل البرج، وألقى قدراً ثانية وثالثة، فأضرمت النار في جميع نواحي البرج فاحترق البرج ومن فيها[٦].

وحول استخدامها يقول ابن واصل: ((ولازم السلطان القتال صباح ومساء وفرق العساكر فرقتين،...، ورميت بكل قارورة نفط فلم يؤثر فيها شيء))[٧].

٩- الـــرمـــح:

يعد من أهم أسلحة الحرب[٨]، ويستخدمها المقاتل لغرض الطعن[٩]، يتكون من عود طوله يتراوح ما بين ثلاثة وعشرة أذرع وفي رأسه حربه يطعن بها، يحمله الفارس؛ لأنه

---

(١) صفاء الهندي: تقنية الأسلحة، ص٣٩؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٨٠.

(٢) حسين: الجيش الأيوبي، ص١٨٠.

(٣) الطرسوسي: تبصرة ارباب، ص٩؛ النايل: صناعة الأسلحة، ص٢٢١

(٤) عون: الفن الحربي، ص١٤١.

(٥) الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٣٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٣٩-٤٤٠؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٨٦؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٧٤.

(٧) مفرج الكروب، ٢/ ٣١٥.

(٨) استعمله العرب قبل الإسلام وأجادوا في استخدامه. زكي، السلاح، ص٢٨؛ عون، الفن الحربي، ص١٤٤-١٤٥.

(٩) مؤلف مجهول: خزانة السلاح، ص٣٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/ ١٤٩.

يستعمله بشكل أيسر من استعمال الرجال له[١]، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعإلى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾[٢].

كان الرمح بصورة عامة سلاح الفرسان[٣]، ولكن هناك نوع أقصر من الرماح تسمى المزراق[٤] يحمله المشاة في المعارك وكانوا يجيدون في استخدامها للرمي والطعن[٥].

وقد وصف حسن الرماح البطل في الحروب الشديدة ينبغي أن يكون معه الرمح والسيف فيقول: ((هذا ما تقدمت به الأبطال الأوائل في الحرب الشديدة، والفعل الأكبر، والطعن الطويل (يقصد الرمح)، والضرب بالقصير[٦] (يقصد السيف)))[٧].

وفي معركة حطين أيضاً استعملت الرماح، فقد ذكر الشاعر:

اوردت أطراف الرماح صدورهم فولغن في علف النجيع الأحمر[٨].

وفي سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) عندما استولى الفرنج على عكا، أشار إليها عماد الدين الأصفهاني بقوله: ((ويتساقون بصفاح الصفاح، ويتماشون بمراح الرماح، ويستحلون ضرب الضراب))[٩].

استعمل الجيش الأيوبي في معركة أرسوف الرماح ((.... ولما أشرعت إليهم الرماح أشرعوا))[١٠].

وللرماح بعض الأنواع الأخرى الخاصة من أبرزها:

١- الزوايل: يصنع هذا النوع من الرماح من خشب كالزان وتسمى بهذا الاسم ليبسها ولصوق نشرها[١١].

---

(١) ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق، علي سامي النشار، (بغداد: ١٩٧٧)، ١/ ١٥٩؛
David Nicolle, Arms and Armour of the Grusading Era, 1050-1350, (London: 1999), p. 274.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٤؛ حسن الرماح، الفروسية، ص٤٩؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٦٩؛ زكي: السلاح، ص٢٨.

(٣) حسن الرماح، الفروسية، ص٤٩؛ حسين، الجيش الايوبي، ص١٦٩؛ زكي ،السلاح، ص٢٨

(٤) الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص١١؛ ابن الأزرق، بدائع السلك، ١/ ١٥٩.

(٥) ثابت: الجندية، ص١٧٤.

(٦) الفروسية ، ص٤١؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص٢٧٢.

(٧) يقول الجاحظ: ((والفارس ربما زاد في طول رمحه ليخبر عن فضل قوته، ويخبر عن قصر سيفه ليخبر عن فضل نجدته)) البيان والتبين،(بيروت:١٤٢٣هـ)، ٣/ ٢٦.

(٨) أبو شامة، الروضتين، ٣/ ١٩٥.

(٩) الفتح القسي، ص٢٧٣.

(١٠)عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي، ص٢٨٥.

(١١) ابن سيده: المخصص، ٢/ ٢٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/ ١٤٩.

٢- القناة: يتخذ من القنا وهو قصب مسدود من الداخل[١] ينبت ببلاد الهند خاصة، يقال للواحد قناة فان كان قد نشأ نباته مستقيماً بحيث لا يحتاج إلى تثقيف قيل له الصعدة، وأن احتاج إلى تقويم قيل له مثقف[٢]، ويوصف القنا بالخطى[٣]، نسبة إلى الخط وهي بلدة بالبحرين يجلب إليها الرماح من الهند وتنقل منها إلى بقية ديار العرب[٤].

لما ضرب السلطان حصن بيت الأحزان (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) امتدحه جماعة من الشعراء من أهلها فقال أحدهم:

بحدك أعطاف القنا تتعطف وطرف عادي دون مجدل يطرف[٥].

عندما وصل رسول دار الخلافة إلى السلطان صلاح الدين سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) جاء ومعه ((حملان من نفط الطيار، وحملان من القنا الخطى الخطار،... وخمسة من الزراقين النفاطين المتقنين في صناعة الإحراق بالنار))[٦]، وهذا دليل على أن الدولة الأيوبية قد استعملته في حروبها، وهذا ما ورد لدى ابن واصل أيضا في حوادث سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) عند محاربة الجيش الأيوبي للصليبيين في أحد المواضع يقول: ((وكل من للضرب في جبينه شامة، وللطعن في جبينه علامة، على خيل كأمثال القنا تحمل القنا))[٧].

سنة (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) مدح أحدهم الملك المظفر صاحب حماة فقد ذكر في إحدى الأبيات:

فطاعنتهم حتى تحطن القنا وضاربت حتى فل حد الحدائد[٨].

وعندما توفي الملك المعظم سنة (٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م) قال الشاعر في رثائه:

أوكان ينجي عنك دفع بالقنا الـ خطى غادرات الوشيج مقصداً[٩].

---

(١) مؤلف مجهول: خزانة السلاح، ص٣٣.

(٢) ابن سيده: المخصص، ٢/ ٢١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ص/ ١٤٩؛ النويري: نهاية الأرب، ٦/ ٢١٦؛ إحسان هندي: الحياة العسكرية، ص٨٧.

(٣) يقول ابن هذيل الأندلسي: ((الخطى من قصب الفارس منسوب إلى الخط من أرض الفارس تنبت بها))، حلية الفرسان، ص٢٠٣، اما النويري فيقول بان: ((الخط موضع باليمامة))، ينظر: نهاية الأرب، ٦/ ٢١٥.

(٤) حسين: الجيش الأيوبي، ص١٦٨؛ عثمان: التحصينات الحربية ، ص٢٥١.

(٥) ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق، ص٣٠؛ أبو شامة، الروضتين، ٣/ ٢٦.

(٦) عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي، ص١٩٦.

(٧) عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي، ص٢٦٥.

(٨) مفرج الكروب، ٥/ ٩٦.

(٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ٢٢١.

٣- رمح قنطارية وقنطرية:

سمي بهذا الاسم لأنه يصنع من نوع من الخشب يحمل هذا الاسم باليونانية[(١)]، وقد شاع استعماله في الفترة الأيوبية[(٢)]، كما كان معروفاً لدى الصليبيين[(٣)] ومن خلال كلام الطرسوسي يتبين لنا أن القنطاريات كانت من الأسلحة الخاصة بغير المسلمين ((وبنو الأصفر ومن جالسهم من الروم يعتمدون رماحاً من الخشب الزان والشوح وما شاكله ويسمونها القنطاريات، ليست بالطويلة، ويطعنون بها، ومن فرسانهم من تقربص بها، وهو أن يجعل طرفي قربوص[(٤)] سرجه ويطعن وأسنتها قصار عراض كهيئة البلطية وما جرى مجراها))[(٥)].

أبدع المسلمون في فنون الطعن بالرماح، وصار لهم طرق في اللعب بها وفي الاستعراضات العامة، وصاروا يهتمون بأبطال اطعان الخصم. في سنة (٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م) عندما هاجم الخوارزمية الشام ،تصدى لهم الملك الأشرف والشاميون ، مستخدمين الرماح و السيوف في قتالهم بدليل ما أشار اليه مؤلف مجهول بقوله: ((فركب الشاميون أكتافهم ضرباً وطعناً فألقوا الأكثر منهم في الوادي، وتوإلى عليهم القتل والأسر،... ولم يزل الرماح تقضي منهم اوطارها، والسيوف تبرد اوارها))[(٦)].

٤- رمح الأصـــم:

هذا رمح قصير وهو نوع حسن طعنات، يكون سنانه في صورة بلطية في التحديد والتدوير، صغيراً أصغر ما يكون[(٧)]، كان هذا النوع معروفاً في السنوات الأخيرة من الحكم الفاطمي إذ ان الطرسوسي يقتبس معلوماته من أبي حسن الأبرقي الأسكندراني[(٨)] الذي صنع هذا الرمح بنفسه لوزير الخليفة الفاطمي الأخير ضرغام الذي قتل في سنة (٥٥٩هـ/ ١١٦٣م)[(٩)].

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، هامش (٢)، ١ / ١٨٣ ؛ زكي: السلاح، ص٤٧؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٧٠.

(٢) ينظر: أسامة بن منقذ، الاعتبار، تحرير، فيليب حتي، (القاهرة: ١٩٩٨)، ص ص٤٤، ٤٧، ٥٧، ٩١، ١٠٦، ١١٠، ١١٣.

(٣) ينظر: البنداري: سنا البرق الشامي، ١/ ١٥٠؛ ابو شامة: الروضتين، مج١، ج٢، ص٩٤؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ١/ ١٨٣؛ الذهبي: العبر، ٣/ ٦٧؛ السبكي: طبقات الشافعية، ٧/ ٣٦٦.

(٤) قربوص والصواب قربوس بالسين وفتح الراء يعني حنو السرج أي قسمه المقوس المرتفع من قدام المقعد ومن مؤخره. وهما قربوسات، دوزي: تكملة، ٨/ ٣٩٧؛ معلوف: المنجد، ص ٦١٧.

(٥) تبصرة ارباب، ص١١.

(٦) تاريخ دولة الأكراد، ص٣٨٤.

(٧) الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص١٠.

(٨) وما يعرف عنه أنه كان شيخاً للطرسوسي ونقل عنه أكثر من مرة، وماعدا ذلك لا نعرف عن ترجمته. ينظر: الطرسوسي، تبصرة أرباب، ص ص١١، ١٣، ١٧، ١٨.

(٩) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،١٨٥/٩؛ ابن خلكان،وفيات الاعيان،٤٤٤/٢؛ الدواداري ،كنز الدرر،٢٦/٧.

يبدو أن هذا النوع من الرمح كان يرمي بشدة عظيمة كما يشد السهم بتوتيره حيث يجعل فيه قطعة من وتر القطان، لكي يرمي إلى مسافة أبعد من الرمح العادي، وكان هذا الوتر يثبت في قفل، وعند الاستعمال يفتح الرأس فـ((يطلق ويخرج ذلك السهم بقوة شديدة))[١].

يعد هذا النوع من أجود أنواع الرماح ؛لأنه كان صلداً غير أجوف معتدل ليس فيه اعوجاج،ولا تنوء ويكون صلباً غير يابس[٢] لذلك كان المسلمون يهتمون بها من خلال دهنها بالزيت للمحافظة على مرونتها ولذاتها[٣].

٥- الحــربــة:

جمعها حراب وهي الرمح القصير وتمتاز بعرض سنانها ويرمي بها باليد[٤] وفيها أسنان عريضة[٥].

أن الحرية تستخدم مرة واحدة فقط لذلك إذا أخطأ الرامي في إصابة هدفه، وبذلك سيستفاد العدو منها لذا فإن الحرب تتطلب صناعة الكثير منها وهذا سيحمل خزينة السلاح تكاليف مالية، وكذلك الحال بالنسبة للمقاتل؛ لأن الأخير لا يقدر على حمل الكثير منها، وبذلك فإن استخدامه كان نادراً وفي بعض الحالات منها كانت تستخدم عند مطاردة الهاربين، وكذلك في حالة عندما كان الفارس يخاف الطعن بالرمح لقوة المطعون والخوف منه[٦].

ثانياً: أسلحة الالتحام في المعركة

١- السيف:

يعد السيف من الأسلحة الأكثر شهرة،واستخداماً في كافة المعارك البرية أو البحرية على مر التأريخ. ذكرابن منكلي قائلاً:((ومن لوازم الجندي: التعلم في عمل الضرب بالسيف فارسا وراجلا))[٧] وهو آخر الأسلحة استعمالاً في المعركة بعد القوس والرمح[٨].

---

(١) الطرسوسي، تبصرةارباب، ص١٠؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٧٠.

(٢) صفاء الهندي: تقنية الأسلحة، ص٣٢.

(٣) الجاحظ: البيان والبنين، ٣/ ٩٦.

(٤) مولف مجهول: خزانة السلاح، ص٣٣؛ صفاء الهندي: تقنية الأسلحة، ص٣٢.

(٥) ابن هذيل الاندلسي: حيلة الفرسان، ص٢٠٢؛ زكي: السلاح، ص٢١.

(٦) عون: فن الحربي، ص١٤٥؛ ثابت: الجندية، ص١٧٤؛ صفاء الهندي: تقنية الأسلحة، ص ٣٢ .

(٧) التدبيرات السلطانية، ص٣٦٤.

(٨) عون: الفن الحربي، ص١٤٨.

للسيف أسماء عديدة منها غمد، جفن، جريان، جلبان، القلع[١] وبسبب عشق العرب للسيف فقد كان لهم أنواعا متنوعة، واطلقوا عليه أسماء عديدة جاوزت المائة[٢]، وأن كثرة الأسماء والصفات تعني المزيد من العناية والتغني بمحامده وآثاره[٣].كتبت على نصل السيوف آيات قرآنية، أو عبارات تشير إلى قوة السيف وصولته وعلى بعضها نقشت زخارف[٤]. كما كان للسيف أسماء وصفات وأنواع، فإن طريقة استخدامه وطريقة حمله في المعارك له عدة حالات[٥]. وتعد بلاد الهند موطن صناعة السيوف، ومنها كانت تصدر إلى البلاد الإسلامية، صنعوها من الحديد[٦] والفولاذ[٧].

شهدت الدولة الأيوبية تطوراً كبيراً في صناعة السيوف،حيث وصلت إلى مستوى عالي من التعقيد والرقي فقد دخل في تركيبها مواد متنوعة ومتعددة سواء منها مواد نباتية أو كيمائية، ذكره الطرسوسي بشكل مفصل تلك المواد[٨] وقال: ((حتى أن منه ما يركب فيفعل فعل المغناطيس في جذب الحديد))[٩].

نظراً لقيمته وأهمية السيوف في ذلك العصر؛ فإنها كانت تهدى من قبل السلاطين والملوك والأمراء إلى نظرائهم من الدول، فمثلاً سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) عندما طلب السلطان صلاح الدين الأيوبي من سلطان المغرب أن يقدم له المساعدة في حربه ضد الصليبيين، أرسل إليه عدداً من الهدايا، وكانت من ضمن هداياه عشرون سيفاً[١٠]

---

(١) ينظر: الكندي: رسالة الكندي في عمل السيوف، تحقيق، فيصل دبدوب، (بغداد: ١٩٦٢)، ص٣٥—٤٥؛ ابن هذيل الاندلسي: حلية الفرسان، ص١٩٢؛ النويري: نهاية الأرب، ٦/ ٢٩.

(٢) يورد صاحب كتاب خزانة السلاح ما يقارب من مائة وستين اسماً ونوعاً للسيف، مؤلف مجهول، ص٢٤-٣٣.

(٣) للمزيد عن ذلك ينظر ابن جماعة الحموي: مستند الاجناد في الآت الجهاد، تحقيق، إسامة ناصر النقشبندي، (دمشق: ٢٠٠٨)، ص٦٣؛ ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، (بيروت: ١٤١٨)، ١/ ١١٣—١١٦؛ الاندلسي: حلية الفرسان، ص١٨٥—١٩٠؛ محمد فرج: المدرسة العسكرية الإسلامية، (القاهرة: ١٩٦٩)، ص٣٩٣؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٦٦.

(٤) الطرسوسي: تبصرة أرباب، ص٤؛ زكي: السلاح، ص٣٣.

(٥) للمزيد عن كيفية حمل السيف والعمل به ينظر، الأندلسي، حلية الفرسان، ص١٩٨—١٩٩؛ الرماح، الفروسية، ص١٠٥—١٠٨.

(٦) عن الحديد التي تطبع منه السيوف وسقايتها.... ينظر الكندي: رسالة الكندي، ص٣٢—٤٥؛ وكان السيف التي يصنع من الحديد يسمى (السيف الأنيث)، النويري: نهاية الأرب، ٦/ ٢٠٢.

(٧) حسين: الجيش الأيوبي، ص١٦٦؛ عبد الرحمن زكي: صناعة السيوف الإسلامية في شرق الأدنى في العصور الوسطى، مجلة التاريخية المصرية سنة ١٩٥٦، مج٢، ص٧٥.

(٨) المواد التي تدخل في صناعة السيوف مواد غريبة في اسمائها، مثل اهليلج كابلي الشابرقان، ذراريخ وهي سموم قاتلة، سقمونيا، بليلج مغنيسيا... الخ، للمزيد ينظر، تبصرة أرباب، ص٤؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٦٩.

(٩) الطرسوسي، تبصرة أرباب، ص٤—٥.

(١٠) أبو شامة: الروضتين، ٤/ ١١٩؛ زكي: السلاح ، ص٣٥.

ذات النصول الهندية[1].

وقد أشار ابن شداد في إحدى معارك الجيش الأيوبي مع الفرنج سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)إلى السيف قائلاً: ((وبقي في الخندق خلق عظيم، وقع فيهم السيف ويحمل الله بأرواحهم إلى النار))[2].

وفي سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) في معركة المنصورة عند قتال الأيوبيين للصليبيين، قال المقريزي: ((وضعوا السيف في الناس فلم يعرف عدد من قتل لكثرتهم))[3].

تنوعت طرق حمله فقد كانت تحمل على الأكتاف في العصور الإسلامية الاولى؛ ولكن حصل تغيير على طريقة حمله ابتدعه سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) طريقة شده في الاوساط[4] ثم صار تقليداً سار عليه الجميع. وبما أن ورث الأيوبيون أنظمة الزنكيين العسكرية حتى قلدوهم في مسألة حمل السيف في الوسط وساروا على ذلك.

كان الابطال والفرسان يفضلون استخدام السيف القصير؛ لأنه يدل على الشجاعة والاستبسال في القتال، والمبارزات الفردية رجالة وفرساناً[5]. يتوقف مصير المعركة على السيف؛ لأنه آخر الأسلحة استعمالاً في المعركة بعد القوس والرمح، وبذلك فإن السيف يحدد مصيرها وعلى حسن بلائه تتوقف[6] نهايتها حيث يقول رسول الله ﷺ في بيان فضله ((الجنة تحت ظلال السيوف))[7].

يتكون السيف من ألاجزاء التالية:

١- قائم السيف، وهو مقبضه وموضع اليد منه[8].

٢- النصل، وهو جسم السيف كله ما عدا القائم[9].

٣- السيلان، وهو أصل المقبض من نهايته وهو عبارة عن قطعة حديدية عريضة تعلو القائم وقد تكون كروية الشكل[10].

---

(١) أشهر السيوف في التاريخ هي سيوف اليمانية والهندية والخراسانية والسلمانية والشامية، مؤلف مجهول: خزانة السلاح، ص٢٤؛ العباسي: آثار الأول، ٢/ ٣١٦؛ زكي: السلاح، ص٣٤.

(٢) النوادر السلطانية، ص٢١٦.

(٣) السلوك، ١/ ٣١٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٥٥؛ ابو الفداء: مختصر، ٤/ ٣١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١/ ٢٢٧؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٦٨.

(٥) الجاحظ: البيان والتبنين، ٣/ ٢٧؛ الجنابي: تنظيمات الجيش، ص١٤٤.

(٦) عون: الفن الحربي، ص١٤٨.

(٧) البخاري ،صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، (دمشق: ١٩٩٣)، ٥/ ٥٣.

(٨) ويسميه النويري (النصاب) ينظر: نهاية الأرب، ٦/ ٢٠٧.

(٩) الهندي: تقنية الأسلحة، ص١٦.

(١٠) عون: الفن الحربي، ص١٤٨؛ زكي: السيف في العالم الإسلامي، (القاهرة:١٩٥٧)، ص١٢٣؛ ويسميه النويري (القبيعة)، نهاية الأرب، ٦/ ٢٠٧.

٤- الكلاب: وهو الجزء المستعرض في نهاية القائم، مما يلي السيف، فالقائم يكون محصور بين السيلان والكلاب ويكون بارزاً من الجانبين ولذا سموه أيضاً (الشاربان) لأنه في صورة الشارب[(١)].

٥- الشفرة، وهي جسد السيف الذي يرفق ويشحذ، ويقال له (الغرار) أيضاً[(٢)].

٦- المتن، وهو ظهره المقابل للشفرة، ويكون أغلظ منها وأقوى[(٣)].

٧- المضرب، وهو الجزء الذي يضرب به منه، وهو نحو شبر من طرفه[(٤)].

٨- الذؤابة، وهي كرفة المدبب من أعلى، ويقال لها الذبابة أيضاً[(٥)].

وصف المقريزي ا،ستخدام الجيش الأيوبي للسيف في معركة المنصورة سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) بقوله: ((ومازال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل فيوحل بهم الخزي والويل))[(٦)].

٢- الخنجر:

من الأسلحة الفردية الخفيفة[(٧)] يشبه السيف المقوس، والسكين الكبيرة[(٨)]، ويعتبر من الأسلحة الفولاذية الصغيرة يحمله المحارب عادة في وسطه،او يحمله في جيبه أو تحت ثيابه[(٩)]. ويستعمل عند الالتحام المباشر والطعن خلسة[(١٠)]. وينفرد ابن منكلي باستعمالين (فائدتين) للخنجر ويؤكد على ذلك؛ أنه لابد من أن يضع المقاتل داخل ترسه خنجراً بشكل دائم، وفي ذلك فوائد، وهي إذا سقط سيف المقاتل من يده،او أخذ منه قهراً فيجد الخنجر مهيأً في مكانه فيستعمله، ويتقدم إلى خصمه، والفائدة الأخرى إن العدو (الخصم) لا يدري ماذا في باطن الترس فيستعمله بغتة، وهو لا يشعر[(١١)]، لذلك فقد شبه الخنجر أو السكين مع المقاتل ((كرفيق يعينه))[(١٢)].

---

(١) عون، الفن الحربي، ص١٤٩؛ صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص١٦؛ زكي، السيف، ص ١٢٥.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٠٨.

(٣) عون، الفن الحربي، ص١٤٩؛ زكي: السيف، ص ١٢٦.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٠٨؛ السامرائي، تقنية السلاح، ١/ ٧.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٠٧؛ عون: الفن الحربي، ص١٤٩.

(٦) السلوك، ١/ ٤٥٦.

(٧) حمودة، الحضارة، ص١٤٦؛ عثمان: التحصينات الحربية، ص٢٥٠؛
David Nicolle, Armies of the Muslim Conquest, (London: 1993), p. 37.

(٨) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٨٦؛ إحسان الهندي: الحياة العسكرية، ص١٢.

(٩) قتيبة الشهابي، صمود دمشق أمام الحملات الصليبية، (دمشق: ١٩٩٨)، ص٧٦؛ السامرائي، تقنية السلاح، ١/ ١٢.

(١٠) عون، الفن الحربي، ص١٤٥؛ قتيبة الشهابي،صمود دمشق،ص٧٦

(١١) التدبيرات السلطانية، ص٣٤١.

(١٢) التدبيرات السلطانية، ص٣٥٦.

يتكون الخنجر من نصل قصير ذي حدين يصنع من الحديد أو الصلب، أما مقبضه فييصنع عادة من قرن الحيوان أو من العاج[1]، كما كان للخنجر غمد يحفظ به،وكان يصنع من المعدن أو العاج أو الأبنوس[2].

الخنجر على نوعين الطويل والقصير، حيث أن النوع الطويل يمسك كمسكة السيف، أما القصير كانت تحمل تحت الثياب، وكانت النساء تحمل الخنجر القصير أحياناً للدفاع الشخصي[3]. ولايزال هذا النوع من الأسلحة تستخدم في بعض البلدان خصوصاً الجبلية وسكان البوادي ولدى العشائر[4]. ومن أسماء الخنجر[5] الصلت والشفرة والرميض والخنجر والمدية[6]. وهناك سلاح شبيه بالخنجر سمي النيمحاه أو النيمحة ويعني بالفارسة والكردية (نصفي)[7] أي نصف السيف وهو خنجر مقوس يشبه السيف القصير[8]، ويقال أيضاً نمجا ونمجه، ونمجاه[9]. ففي سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) انتقم صلاح الدين من أرناط صاحب الكرك، فضربه بنمجاة فحل كتفه، وتمم عليه من حضر من الخدم[10].

فضلاً عن كون الخنجر سلاحاً، فهي صلبة خاصة بالرجال، تعبر عن شخصية حاملها ومكانته من خلال المقابض الثمينة، والأغماد المصنوعة من الذهب والفضة، والمرصعة بالأحجار الكريمة أحياناً، ونلمس هذا النوع في التأريخ المعاصر، في أشكال الخناجر وأنواعها في أنحاء الجزيرة العربية كاليمن ونجد وعمان، حتى باختلاف القبائل التي تستخدمها[11].

---

(١) زكي، السلاح ، ص٢٣.

(٢) محمود سليمان عواد، الجيش والقتال في صدر الإسلام، (الأردن: ١٩٨٧)، ص٣٦٦—٣٦٩.

(٣) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٢٨، عواد: الجيش والقتال، ص٣٦٧؛ عون: الفن الحربي، ص١٥٤.

(٤) حسين: الجيش الأيوبي، ص١٦٩؛ إحسان الهندي: الحياة العسكرية، ص١٢٠؛ السامرائي: تقنية السلاح، ١/ ١٢.

(٥) الخنجر فارسيتها خنجر وهي مركبة من خون ومن كار وهي أداة تلحق بأواخر الأسماء فتفيد معنى الفاعلية وهي خنجر بالتركية والسريانية الدارجة والكردية والأرمنية، أدي شير: معجم الألفاظ الفارسية، ص٥٧.

(٦) مؤلف مجهول: خزانة السلاح، ص٨٦؛ زكي: السلاح، ص٢٣أ؛ حمد محمد سعود الزيادنة: بنية الجيش الأيوبي والجيوش الفرنجية خلال الحروب الصليبية (٤٨٨-٥٨٩هـ/ ١٠٩٥-١١٩٣م)، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة آل البيت، ٢٠١٨، ص٤٤.

(٧) معجم الألفاظ الفارسية، ص١٥٦.

(٨) مؤلف مجهول: خزانة السلاح، ص٨٦؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ٢/ ١٩٥؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٦٩.

(٩) دوزي: تكملة، ١٠/ ٣١٢.

(١٠) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٣١؛ أبو شامة، الروضتين، ٣/ ١٩٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١٩٥.

(١١) للمزيد ينظر محمد عبد الستار البلعوط: الأسلحة الإسلامية، (رياض: ١٩٩٠)، ص٢٩.

٣- الفأس أو الطبر أو البلطة[١]:

من الأسلحة الخفيفة والقديمة جداً، ذات يد قصيرة ورأس حاد مصنوع من النحاس أو الحديد أو الفولاذ[٢]، نصله مدبب من ناحية ورقيقاً مشحوذاً كالسكين من ناحية أخرى[٣]. وهي على شكل هلال نصف دائرة، وله مقبض مصنوع من الحديد أو الخشب، ويضعها الفارس في حلقة من سرج فرسه[٤].

٤- الخطاف واللت:

وهي أدوات شبيهة بالفأس والطبر وتقوم بنفس مهمة الفأس؛ ولكن الخطاف يكون رأسه أقل استدارة وأصغر حجماً من رأس الفأس أو الطبر وهو تقليد لهم[٥]. أما اللت فهو العمود المصنوع من الحديد وفي أعلاه مستطيلة مضرسة[٦]، وقد عرفه الطرسوسي؛ بأنه فأس عظيم[٧]، وقد استعملت هذه الأسلحة المصنعة بكثرة لدى الأيوبيين[٨].

٥- الدبوس:

من أسلحة الهجوم الخفيفة والفردية تشبه الابرة[٩] صنع رأسه من الحديد ونصابه من الخشب المحكم الدقيق التقدير والتدوير[١٠] وتسمى بـ(المقمعة)[١١] وكان

---

(١) الطبر أو الطبرزين: هو أداة للقتال تشبه الفأس، لفظة فارسية وكان حامله سمي طبردار هو الحارس الشخصي للسلطان وكان يحمل السلاح بين يديه وكان رئيس الطبردارية يلفت بأمير الطبر الطبردارية يلقب بأمير الطبر، والذي يحمل الأسلحة المتنوعة البسيطة يسمى طبرزين هؤلاء كانوا نسخة الذين يطوفون حامليه حماية لأنفسهم ورهبة لهم في نفوس اللصوص وقطاع الطرق، ويعتبر من أسلحة الضرب والتهشيم ويستخدم للقتال القريب للمزيد ينظر ابن واصل: مفرج الكروب، ٢/ ٣٤٤؛ العمري: التعريف بالمصطلح الشريف،تحقيق،محمد حسين شمس الدين،(بيروت: ١٩٨٨)، ص٢٦٥؛ السبكي: معيد النعم ومبيد النقم (بيروت: ١٩٨٦)، ص٣٥؛ أدي شير: معجم الألفاظ الفارسية، ص١١١؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٧١؛ عبد الرحمن: إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي، ص١٨١؛ قتيبة الشهابي: صمود دمشق، ص٧٧.

(٢) إحسان هندي ، الحياة العسكرية، ص١١٦؛ قتيبة الشهابي: صمود دمشق، ص٧٦ — ٧٧؛ بطرس البستاني: دائرة المعارف،(بيروت:١٨٨٧)، ١٦/ ٦٩٦.

(٣) عون، الفن الحربي، ص١٥٥؛ السامرائي: تقنية السلاح، ص١٢.

(٤) إحسان هندي: الحياة العسكرية، ص١١٦؛ عون: الفن الحربي، ص١٥٥؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص٢٥٥.

(٥) ثابت: الجندية ، ص١٨٨؛ إحسان الهندي: الحياة العسكرية، ص١٨٨؛ السامرائي: تقنية السلاح، ص١٣.

(٦) سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، (القاهرة: ١٩٩٦)، ص١٧٩.

(٧) تبصرة ارباب، ص١٢.

(٨) ابن الاثير: الكامل، ٩/ ١٨٦؛ ابو شامة: الروضتين، ١/ ٣٥٩؛ أبن الوردي: تاريخ ابن الوردي،(بيروت:١٩٩٦)، ٢/ ٦٦.

(٩) دوزي: تكملة، ٤/ ٢٨٦؛ عثمان: التحصينات الحربية، ص٢٥٨.

(١٠) الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص١٥؛ إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص١١٤؛ البستاني، دائرة المعارف، ١٦/ ٦٩٦.

(١١) زكي: السلاح، ص٢٦؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٧٢ وبعضهم يسميها (المطرقة)، السامرائي: تقنية السلاح، ص١٢.

الفرسان يحملونها في سروجهم ويتقاتلون بها عند الاقتراب[1].

كان للدبوس[2] تأثير فعال ؛لأنه كان يستخدم لتهشيم رأس العدو بعد تهشيم الخوذة المعدنية[3]، وكانت الفرسان يستعملونها بعد حربهم بالسيوف والرماح ؛لأنها كانت شديدة النكاية بالعدو[4] وقد نقله العرب من الفرس[5].

وصف الطرسوسي الدبوس بقوله ((تهلك ما تضرب... ويقاتل به الأعداء، كما يقاتل بالسيف... وله النكاية العظيمة في الأشباح والأرواح))[6]. وقد عد اصنافاً من هذه الآلة، تختلف من حيث شكل الرأس واللون وتحديد الأضراب وشكل الخرزة وطرق صنعها وتلبيسها بمواد صلبة قاتلة، مثل الماس وغيرها[7].

وقد أشار ابن واصل إلى استخدام الجيش الأيوبي للدبوس في قتاله ضد الصليبيين عند محاولته فك الحصار على عكا سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠م) ١١٩٠م) فقال مانصه : ((فأثخنوا فيهم الضرب باللتوت والدبابيس والنشاب والرماح))[8].

٦- العمود:

من الأسلحة الفردية الخفيفة، (((وهو آلة من الحديد ذات اضلاع ينتفع بها في قتال لابس البيضة ومن في معناه))[9]، وكان يعلقه الجندي في سرجه عند ركبته اليمنى[10].

هناك من يقول أن العمود والدبوس آلة حربواحدة[11]، معللا قوله بان الآلة في البداية كانت تسمى العمود ثم أطلق عليها اسم الدبوس[12]، الا أن الطرسوسي ذكرقائلاً:

---

(١) محفوظ: فن الحرب، ص٧٢؛ سعود الزيادنة: بنية الجيش الأيوبي، ص٤٥؛ عون: الفن الحربي، ص١٥٤.

(٢) تشبه اللتوت إلا أن رؤوسها مدورة ومضرسة، ينظر عاشور: دراسات، ص١٧٩.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ١٥١؛ إحسان الهندي: الحياة العسكرية، ص١١٤؛ عثمان: التحصينات الحربية، ص٢٥٨.

(٤) حسين، الجيش الأيوبي، ص١٧٢؛ إحسان الهندي: الحياة العسكرية، ص١١٤.

(٥) أدي شير، الألفاظ الفارسية، ص٦٠.

(٦) تبصرة أرباب، ص١٥—١٦.

(٧) تبصرة أرباب، ص١٥—١٦؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٧٢—١٧٣؛ عثمان: التحصينات الحربية، ص٢٥٨.

(٨) مفرج الكروب، ٢/ ٣٤٤.

(٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ١٥١؛.

(١٠) حسن الرماح، الفروسية ،ص١١٣؛احسان هندي ،الحياة العسكرية،ص١١٥

(١١) القلقشندي، صبح الاعشى،١٥١/١؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٧٢.

(١٢) زكي، السلاح، ص٢٦؛ ثابت: الجندية، ص١٨٩.

((العمود لا يكون إلا من الحديد، والنكاية به أقوى من نكاية الدبوس[١] وما شاكله من الآلات الموضوعة التحديد))[٢].

٧- النبوت:

عبارة عن عصا غليظة الرأس، رفيعة من طرف ((ثقيلة من الطرف الآخر، هذا بالإضافة إلى أن رأسها بها مسامير حادة لتصبح أكثر تأثيراً وهي من الأسلحة الأكثر استخداماً لدى الفرسان))[٣]. وهناك من يسمي هذه الآلة بالعصا[٤] فقد عرفها القلقشندي على أنها ((آلة من خشب تفيد في القتال نحو إفادة الدبوس))[٥].

ثالثاً: الملابس ومعدات الحماية الشخصية للجند

١- ملابس الجند:

يقصد بملابس الجند، معدات و أدوات الوقاية التي كان الجنود يلبسونها، حتى لا يصل إليهم شيء من السلاح[٦]، فالإنسان بطبعه يحاول أن يدافع الخطر عن نفسه بدافع غريزة حبه للبقاء[٧] وبذلك فهو يستخدم مسائل دفاعية خاصة حتى يقي بها جسده من ضربات العدو وتسمى هذه الأدوات (بالأسلحة الدفاعية)[٨] وتشمل:

اولاً: واقيات الرأس

يوجد نوعان من الأدوات التي تلبس على الرأس لوقايتها وهما:

١- المغفر:

عبارة عن نسيج من الحديد[٩] يغطي بها الرأس والوجه[١٠] حيث يتدلى جزء منه على الوجه ويكون لها فتحتان أمام العينين لتأمين الرؤية الجيدة لذلك فأن لابس المغفر لا يظهر من وجهه إلا عيناه[١١] ويكون المغفر في العادة متصل بالجوشن[١٢].

---

(١) العمود والدبوس يستعملان للغرض نفسه، وهي تهشيم رأس العدو حتى لو كان لابس الخوذة المعدنية؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/ ١٥١؛ سان هندي: الحياة العسكرية، ص١١٥.

(٢) تبصرة أرباب، ص١٥.

(٣) إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص١١٥؛ عثمان: التحصينات الحربية، ص٢٥٦.

(٤) ابن سيده: المخصص، ١/ ١٩٦؛ دوزي، تكملة، ١٠/ ١٥٦.

(٥) صبح الأعشى، ٢/ ١٥١.

(٦) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٢٣٠.

(٧) عون، الفن الحربي، ص١٧٥؛ Nicolle, Armies of the Muslim, p. 40

(٨)عثمان، التحصينات الحربية، ص٢٩٢.

(٩) يقول زكي (في الأصل كانت مصنوعة من الجلد ثم صنعت من المعدن)، السلاح، ص٥٦.

(١٠) ابن هذيل الاندلسي: حيلة الفرسان، ص٢٣٠.

(١١) النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٤٠؛ الجنابي: تنظيمات الجيش، ص١٥٤.

(١٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ١٥١؛ إحسان هندي: الحياة العسكرية، ص٦٥.

٢- البيضة[1]:

وهي آلة من الحديد توضع على الرأس لحمايته من الضربات ولتمنع تأثيره، ولضمان ذلك كانت تحشى باسفنج[2] وهي عادة تكون فوق المغفر، ويضعها المقاتل على رأسه كغطاء من الحديد أو الفولاذ[3] أشبه بالخوذة[4]، وعلى البيضة تلبس العمامة أو القلنسوه[5] ولها ثمانية أسماء[6]. فعندما تعرض السلطان صلاح الدين إلى عملية الاغتيال سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) من قبل الباطنية الإسماعيلية: دخلوا خيمته في زي الأجناد وضرب رأسه بسكينة، فلولا المغفر الزرد الذي كان تحت القلنسوة لقتله[7].

ثانياً: واقيات البدن

١- الدرع[8]

هو جبة من الزرد[9] المنسوج، يلبسها المقاتل في الحرب ليقي الصدر، والظهر ونصف الذراعين من ضربات السيوف والسهام والرماح[10]. وكان الجنود يلبسونه تحت الدرع غلالة من الثوب تسمى الشليل، قد يكون مصنوعاً من الكتان السميك أو تكون درعاً صغيراً[11].

---

(١) سميت البيضة بهذا الاسم لأنها على شكل بيضة النعام، ومفردها بيض وتجمع على البيضة، ويقال ابتاض الرجل أي لبس البيضة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ١٢٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ١٦/ ١٠٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ١٥٢.

(٢) مؤلف مجهول: خزانة السلاح، ص٥٩—٦٠؛ ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ق١٥- ص٧٨؛ الزيادنة: بنية الجيش، ص٤٥؛ Nicolle, Armies of the Muslim, p. 46

(٣) النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٤٠؛ عون: الفن الحربي، ص١٨٤.

(٤) الخوذة: هي بيضة من الحديد تغطي الرأس والقفا ويسمى مقدمها القونس، ومؤخرها الدائرة الأندلسي: حلية الفرسان، ص٢٣٠؛ إحسان الهندي: الحياة العسكرية، ص٦٣—٦٤.

(٥) الزبيدي، تاج العروس، ١٦/ ١٠٥؛ عثمان: التحصينات الحربية، ص٢٩٣؛ زكي، السلاح، ص٥٦.

(٦) لمعرفة المزيد عن تلك الأسماء ينظر، مؤلف مجهول: خزانة السلاج، ص٥٦—٦٠. ابن هذيل الاندلسي، حلية الفرسان، ص٢٣٠؛ ابن سيده: المخصص، ٢/ ٤٦.

(٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٤٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٢٨١.

(٨) يقول ابن سيده، أن الدرع زرد يشد بالبيضة فيطرحه الرجل على ظهره، المخصص، ٢/ ٤٥.

(٩) الزرد: حلق المغفر والدرع، والزردة حلقة الدرع والسرد ثقبها، والجمع زرود، وزراد صانعها، ومنه الزرخ بالتركية والفارسية، الاندلسي: حلية الفرسان، ص٢٢٧؛ ابن منظور: لسان العرب، ٣/ ١٩٤؛ أدي شير: معجم الألفاظ، ص٧٧.

(١٠) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/ ١٥٢؛ إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص٦١؛ Nicolle, Armies of the Muslim, p. 45

(١١) ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٣٦٢؛ ابن سيده: المخصص، ٢/ ٤٤؛ زكي، السلاح، ص٢٧.

ذكر أحد الباحثين، أن الدرع غالباً ما كان مكوناً من قطعة واحدة يغطي البدن من العنق إلى الركبتين، أو ما دونهما، وتشبه إلى حد ما الثوب الذي يلبسه جنود الفرسان المسمى بالإنكليزية (أوفرأول overall)(١).

نظراً لأهمية الدرع ودوره الرئيسي في الدفاع،ومن أهم الوسائل للوقاية ؛لذلك فأن لها اسماء ونعوت وأصناف كثيرة(٢)، هذا وقد حذر العباسي، أن يضرب المقاتل بسيف درع خصمه فقال: ((ولا تضرب الخصم إلا في المكان الذي لا سلاح فيه، وعليك بالأطراف، فقليل الجراح فيها كثير، ولا تضع الضرب في الدرق أو التروس، فربما نبأ السيف أو النشب أو التوى))(٣).

وصلت صناعة الدروع(٤) إلى أوجها في زمن الحروب الصليبية، ونقلت صناعته إلى أوروبا على أيدي الصليبيين، وبذلك يمكن القول أن صناعة الدروع كانت مزدهرة في العصر الأيوبي(٥). وأشار بعض الباحثين، إلى أن صناعة الدروع في الغالب هي من صنع الروم أو الفرس، وأن العرب لم يقتنيهم غالباً إلا الفرسان(٦).

يتكون الدرع من عدة أجزاء منها الجزء التي تقي الرأس البيضة والمغفر، وقد سبق الحديث عنها(٧) وهناك أجزاء أخرى لوقاية الساقين والكفين، ولكل منها اسم خاص(٨)، بالإضافة إلى الجوشن وهو الجزء الذي يقي الصدر اي أنها الصدرية -بلا ظهر- مؤلفة من ألواح صغار من الحديد، أو القرن أو الجلود، وتكسي بالثياب، وتسمى الدروع المضاعفة لتزداد أحكاماً ومنعة(٩).

---

(١) عون، الفن الحربي، ص٥١.

(٢) مثلاً ورد للدرع أربع وأربعون اسماً، للمزيد عن ذلك ينظر: مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٠ -٦٣؛ ابن هذيل الاندلسي، حلية الفرسان، ص٢٢٦—٢٢٧؛ ابن سيده: المخصص، ٢/ ٤٤.

(٣) آثار الأول، ص ١٦١.

(٤) يقال للرجل دارع أي ذو درع، ودراع هو صانع الدروع، أبن منظور: لسان العرب، ٣/ ١٩٤؛ زكي: السلاح، ص٢٧؛ وأن فكرة الدرع مقتبسة من الدروع الطبيعية التي تكسوا اجساد بعض الحيوانات كالسلاحف وما إليها، قتيبة الشهابي: صمود دمشق، ص ص٦٩—٨٠.

(٥) للمزيد ينظر: الطرسوسي، تبصرةارباب، ص ص١٤—١٥؛ ابن المنكلي، الحيل في الحروب، ص ص٢٢٥—٢٢٦؛ زكي: السلاح، ص٢٧.

(٦) زيدان، تاريخ التمدن، ١/ ١٩٥؛ إحسان هندي: الحياة العسكرية، ص٦١.

(٧) ينظر، ص١٠٦، هامش ١.

(٨) زيدان، تاريخ تمدن، ١/ ١٩٥؛ زكي، السلاح في الإسلام، ص٢٧.

(٩) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٠؛ عون: الفن الحربي، ص١٧٨؛ إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص٦١.

تحدث الطرسوسي عن صناعة الدروع، فاشار إلى أن الجواشن (الدروع) كانت تصنع من الحديد احياناً ومن القرن ومن الجلود[١] احياناً اخرى[٢] وقال أيضاً ((ركبوا لها اخلاطاً إذا عجنت واتخذت جواشناً منعت السهام أن ينفذ فيها، واثنت السيوف بل فللت أو كسرتها إذا اشرعت إليها)[٣]. هذا وقد فصل الطرسوسي في الحديث عن صفة عمل الجواشن[٤].

ثمة دروع يقي بها المقاتلون خيولهم، وتسمى التجفاف[٥] وهو لباس يغطون به جسم الفرس[٦] يقيه من الجراح في الحرب[٧] وهو لفظ فارسي أصله (تن بناه) اي حارس البدن[٨].

د بسط الطرسوسي الكلام عن كيفية صنع التجافيف فقال مانصه:((وهو أن تأخذ مبطة باللبود فيكسى بها الخيل بعد أن تطليها بالطلاء المانع من أطراف النار))[٩]، بالإضافة إلى أنه شرح طريقة تحضير المواد التي تطلي بها التجافيف بالتفصيل[١٠].

٢- الترس[١١]

إحدى الآت الدفاع التي يستتر بها المقاتل ويقي بها نفسه وجسده من ضربات السيف، والرمح والسهم والحجارة وغيرها[١٢]. وهي على شكل صفحة من الفولاذ مستديرة وبعض الأتراس دائرية على هيئة قرص وبعضها على هيئة مستطيل أو

---

(١) وقد يعمل من جلود الجاموس، حسن الرماح، الفروسية، ص١١٢.

(٢) تبصرة ارباب، ص١٤.

(٣) تبصرةارباب، ص١٤.

(٤) تبصرة ارباب، ص ص١٤—١٥.

(٥) وجمعه تجافيف. والمجفف من الخيل يعني عليه التجافيف وتجفيف الفرس أن تلبسه التجفاف. ابن الجوزي: غريب الحديث، تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي (بيروت: ١٩٨٥)، ١/ ١٠٤؛ ابن منظور: لسان العرب، ٩/ ٣٠؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص١٩٣.

(٦) ورد في بعض الروايات ان المقاتلين قد استخدموه احياناً، ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤/ ١٠١؛ الزبيدي، تاج العروس، ٢٣/ ١٩٣؛ الصعيدي، الافصاح في فقه اللغة، ١/ ٦١٣؛ رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس ، في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث (القاهرة: ٢٠٠٢)، ١/ ١١٣.

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ٢٣/ ١٩٣؛ عاشور، دراسات، ص٣٤٩؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩٩.

(٨) أدي شير، الألفاظ الفارسية، ص٣٤.

(٩) تبصرةارباب، ص٢٢.

(١٠) تبصرة ارباب، ص٢٢.

(١١) ويقال تراس لصاحب الترس، ومعنى الترس أو التترس أو التتريس يعني التستر به اي الوقاية. ابن سيده: المخصص، ٢/ ٤٧؛ ابن منظور: لسان العرب، ١٣/ ٩٤.

(١٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ١٥٢؛ عون، الفن الحربي، ص١٨٦، ص ٣٨٧؛ عواد، الجيش والقتال، ص٣٨٧.

مستطيل ذي رأس مدور أو ثابت[١]، يوجد في ظهر الترس حلقة أو موضع يدخل المحارب يده فيه ليمسك به ويسمى الصنارة[٢] ويتصل به حبل أو سلسلة لتعليق المحارب به الترس على جسمه[٣]. والترس على اصناف كل صنف يصلح لشيء[٤]، أما الترس الذي كان شائعاً في العصر الأيوبي كان مستدير الشكل[٥].

من الملاحظ ان التروس كانت تصنع من الحديد في الغالب، وكذلك من الخشب ومن الجلود السميكة مثل جلود الجمال والبقر،وبعض أنواع الاسماك والحيوانات الوحشية ذوات الجلود الغليظة[٦]. لقد تفنن المسلمون في صناعة الأتراس، وقد نقشوا عليها الآيات والحكم والأشعار وتميزت أتراس كل بلاد بشكل خاص منها،الترس الدمشقي والعراقي والغرناطي وغيرها[٧].

نظراً لأهمية الترس في القتال؛ لذلك كان لبس المحارب الذي ليس لديه ترس في القتال اسم (اكشف)[٨] ويقول العباسي: ((لا ينبغي أن يدخل في حرب بسيف إلا ومعه ترس إلا عن ضرورة...))[٩].

بسبب تلك الأهمية ظهر للترس أسماءً عديدة أخرى مثل المجسن، وليس المجن لأنه يُستجسَنُ[١٠] به، والبصيرة وهي الترس اللامع[١١]، والجحفة هي الترس الصغير تصنع من الجلود بلا خشب ولها عدة اشكال وجمعها جحف ومجاحف وهو صاحب الجحفة في القتال[١٢].

---

(١) علي، المفصل، ١٠/ ١٠٢؛ زكي، السلاح، ص١٦.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٤٠.

(٣) ابن هذيل الاندلسي، حلية الفرسان، ص٢٣٢؛ حسن الرماح، الفروسية، ص١٢٢.

(٤) للمزيد عن ذلك ينظر، حسن بن عبد الله، آثار الأول، ٢/ ٣١٧؛ الرماح، الفروسية، ص١١١؛ ثابت، الجندية، ص١٧٩.

(٥) حسين، الجيش الايوبي، ص١٩٥؛ عون" الفن الحربي، ص١٨٨؛ Oman,The art of war, P. 190 .

(٦) ابن سلام، كتاب السلاح، ص٣٠؛ ابن سيده، المخصص، ٢/ ٤٧؛ ابن هذيل الاندلسي، حلية الفرسان، ص ص٢٣١– جواد علي، المفصل، ١٠/ ١٠٢.

(٧) زكي، السلاح، ص١٦؛ إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص٦٩؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص ١٩٥.

(٨) سليمان عواد، الجيش والقتال، ص٣٨٨.

(٩) آثار الأول، ٢/ ٣١٧.

(١٠) ابن سلام، كتاب السلاح ، ص٣٠؛ ابن سيده، المخصص، ٢/ ٤٧.

(١١) الزبيدي، تاج العروس، ١/ ٢٠٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ١٥٢.

(١٢) ا بن سلام، كتاب السلاح، ص٣٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ٣٩؛ النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٤٠.

الطارق من انواع التروس، وهي كلمة لاتينية (تاركا Targa)[١]، استعملها الفرنج والروم، وكانوا يتباهون في حسن إذهابها، ودهانها وتلوينها بأنواع الأصباغ، وتصويرها وإتقانها وهي مستطيلة الشكل[٢]، وقد أخذتها الجيوش الإسلامية منهم نظراً للاحتكاك الحربي المستمر بينهم[٣].

والجنوية[٤] نوع آخر من التروس وكانت بيضوية أو مستطيلة الشكل، وكان واسعاً بحيث كانوا يحملون عليها الجرحى أحياناً[٥].

ذكر الطرسوسي بأن: ((الجنويات كالطوارق إلا أنها غير محددة الاواخر، بل مقطوعة لتقف على الأرض، وهي التي تزحف بها الرجالة للقتال، وتكون للصنف كالحصن المنيع من النبال))[٦]، واكد ان هذا الترس من القوة، بحيث لا يؤثر فيه شيء من السلاح، ولا سهام قسي الزيار[٧].

ثمةنوع آخر يسمى الدرقة، وهو الترس المصنوع من الجلد وصنع أحياناً من عيدان مضمومة ولفت عليها خيوط القطن المغزول[٨] وجمعه الدرق والأدراق ودراق، ويقال الرجل دارق[٩].

قال ابن هذيل الأندلسي: ((إن العمل بالدرقة كالعمل بالترس سواء، لكن الدرقة تحبس الرمح لركوبتها واستواء جرمها، فيجب استدامة والتورية بها عنه، لئلا تنقل في اليد فيعذر العمل بها))[١٠].

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب هامش (٣)، ٢/ ٣٢٤ ؛ للمزيد ينظر دوزي، تكملة ، ٧/ ٤٦.

(٢) الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص١٢.

(٣) حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩٥؛ عون: الفن الحربي، ص١٨٨.

(٤) يسمى جُنة أيضاً بالضم يعني سترة والجمع الجنن يقال استجن بجنة أي استند بسترة، وقد أخذ الجنة من الاجتنان وهو الاخفاء ما اتقى بها كالترس والبيضة والدرع. ابن منظور: لسان العرب، ١٣/ ٩٤؛ النويري: نهاية الأرب، ٦/ ٢٣٩—٢٤٠؛ قلقشندي: صبح الأعشى، ٢/ ١٥٢.

(٥) إحسان هندي: الحياة العسكرية، ص٧١؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص١٩٦.

(٦) تبصرة ارباب، ص١٢.

(٧) تبصرة ارباب، ص١٢.

(٨) تبصرةارباب، ص١٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/ ١٥٢.

(٩) ابن سيده، المخصص، ٢/ ٤٧؛ زكي: السلاح، ص١٧.

(١٠) حلية الفرسان، ص٢٣٣.

المبحث الثاني
أسلحة القتال الثقيلة

اولاً: المنجنيق وانواعه وكيفية استخدامه

من أشهر الأسلحة الثقيلة وأشدها تأثيراً في الحروب وتعتبر من الآلات الجماعية لانها تحتاج إلى عدد من الجند لكي يديروها، ويستخدموها لثقل وزنها وصعوبة نقلها، ودقة في توجيهها. فقد وُصِفت بأنها أعظم الآلات نكاية وأشدها فتكاً[١]، ولها تسميات مختلفة ؛ولكنها تدل على نفس الآلة مثل المنجنيق أو المنجموق، المنجميق وجمعها مجانيق ومناجيقات[٢]، تحت كل تلك التسميات يمكن أن نعرفها على إنها عبارة عن آلة (القاعدة) من الخشب السميك لها دفتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف، وفي رأسه كفة لوضع المقذوفات فيها كالحجر مثلاً، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه ويشد عمودها بأقواس أو لوالب متينة، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فاذا أريد الرمي به سحب العمود إلى الأسفل بواسطة اللوالب أو الأقواس ثم يفلتها فجأة يخرج الحجر منه فما أصاب شيئاً إلا أهلكه[٣] ويلتحق بالمنجنيق الزيارات، وهي اللوالب والحبال التي يجذب بها المنجنيق حتى ينحط أعلاه ليرمي به الحجر[٤].

يعد المنجنيق من الأسلحة القديمة[٥] ومكانه بين الأسلحة الثقيلة، كمكانة السيف بين الأسلحة الفردية نظراً لأهميتها الكبيرة[٦].

---

(١) العباسي، آثار الأول، ٢/ ٣٦٥.

(٢) ابي منصور الجواليقي، المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق، ف. عبد الرحيم، (دمشق: ١٩٩٠)، ص ص٥٧١–٥٧٢ ؛ صفاء الهندي، تقنية الاسلحة، ص٥٧.

(٣) الزردكاش، الانيق في المجانيق، ص١٩، زكي، السلاح، ص٥٩؛ عون، الفن الحربي، ص١٥٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ١٥٢/٢.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ١٥٣.

(٥) هناك آراء مختلفة حول قدمها واول من استعملها، فمثلاً هناك من يقول انه استخدم لأول مرة لدى ملك الحيرة ،والبعض يقول عند أهل الحضر، واخر يقول ، أن الفينيقيين قديماً استعملوها ،ومنهم أخذت اليونان ومن خلالهم انتشرت إلى بقية الجهات، واستخدمتها عدة دول كالبيزنطين والفرس والترك والعرب، وهناك رأي يقول ان الرسول ﷺ استخدمه اثناء حصار الطائف سنة (٨هـ/ ٨٦٧م) وصنعه له الصحابي سلمان الفارسي ﷺ للمزيد ينظر، ابن قتيبة الدينوري، المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، (القاهرة: ١٩٩٢)، ص٥٥٤، ابن جماعة الحموي، مستند الأجناد، ص٨٥، الجواليقي، المعرب، ص٥٧٢، الزردكاش، الأنيق في المجانيق، ص ص١٤–١٨، زيدان، تاريخ التمدن، ١/ ١٩٨، صلاح حسين العبيدي، المنجنيق في الحضر مقال من مجلة سومر مج٣٢، ج١ +٢، سنة ١٩٧٦، ص١٢٢.

(٦) حسين، الجيش الأيوبي، ص١٨٦.

اختلفت المصادر في كيفية نقل المنجنيق إلى المسلمين،فالبعض يقول أنها انتقلت بشكل مباشر عن طريق البيزنطيين[١]، والآخر يقول عن طريق الفرس وصلت إلى المسلمين،ودليلهم على ذلك أن أصل كلمة المنجنيق أعجمية، وليست عربية؛ لأن الحرفان الجيم والقاف لا يجمعان في كلمة احدة في اللغة العربية[٢]، وأن المنجنيق لفظ فارسي جاء من جه نيك ومركبة من (منك جنك نيك) أي اسلوب جيد للحرب وأصلها (منجك نيك) ومعناه الارتفاع إلى فوق[٣].

بغض النظر عن أصل المنجنيق فقد تم استخدامها بشكل واسع في حروب العصور الوسطى بشكل عام. وفي العصر الأيوبي بشكل خاص فقد استخدمها الأيوبيون، والصليبيون على نطاق واسع في حروبهم[٤].

كان ابن شداد شاهد عيان لما حاصر صلاح الدين صفد (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) حيث قال: ((ولقد رأيته ليلة على صفد وهو يحاصرها وقد قال لا ننام الليلة حتى تنصب لنا خمس مناجيق ورتب لكل منجنيق قوماً يتولون نصبه وكنا طوال الليل في خدمته،... والرسل تتواصل تخبره بأنه قد نصب من المنجنيق الفلاني كذا، ومن المنجنيق الفلاني كذا، حتى أتى الصباح وقد فرغ منها،ولم يبق إلا تركيب خنازيرها عليها...))[٥].

إن بعض الحصون كانت من القوة والمنعة، بحيث كان من الصعوبة بمكان أن يستولي الجيش عليه إلا باستخدام المنجنيقات لدك الأسوار، وهذا ما نقف عليه بوضوح في سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) فعندما حاصر الجيش الأيوبي حصن بيت الأحزان، وأيقن بصعوبة فتحه، تم نصب المنجنيقات عليه من أجل تسهيل مهمة الجيش المهاجم، لذلك أشار عماد الدين الاصفهاني إلى ذلك الموقف بضرورة استخدام المنجنيقات قائلاً: ((ولابد من نظم ستائر لنصب المنجنيقات))[٦].

استعمل الجيش الأيوبي كثيراً المنجنيق، وخاصة في عهد صلاح الدين حيث كان يعرف جيداً متى ينصب المناجيق، ففي سنة (٥٧٨هـ/ ١١٩١م) عندما حاصر السلطان

---

(1) Von Kremer, the Orient under the Caliphs (Calcutta: 1920), p. 327, Omen: A history of the art of war in the Middle Ages, (New York: 1953), p. 219.

الزردكاش، الأنيق في المجانيق، ص١٢، زيدان، تاريخ التمدن، ١/ ١٩٦.

(٢) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: ١٩٨٧)، ٤/ ٤٥٤.

(٣) الجوهري، الصحاح، ٤/ ٤٥٥، الجواليقي، المعرب، ص٥٧٢، القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ١٥٣، الزردكاش، الأنيق في المجانيق، ص١٢، أدي شير، الألفاظ الفارسية، ص١٤٦.

(٤) سوف نتحدث عنها لاحقاً في فصول الكتاب.

(٥) النوادر السلطانية، ص٦٠؛ في حصار يافا أيضاً نصب صلاح الدين المناجيق، ينظر ص٣٣١.

(٦) البرق الشامي، ٣/ ١٧٧.

صلاح الدين مدينة الموصل أشار إليه ابن أخيه الملك المظفر بنصب منجنيق فقال: ((مثل هذا البلد لا ينصب عليه منجنيق، ومتى نصبناه أخذوه...))[1]، ولكنه ألح عليه وقال له ((يخربهم به))، فنصب منجنيقاً ،في الوقت الذي نصب جيش موصل تسع منجنيقات وخرج جماعة من اهل موصل فأخذوه. ولكن في السنة ذاتها (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) عندما نازل سنجار ضايقها وألح في قتالها ونصب عليها المنجنيق، فهدم ثلثاً من سور القلعة فأخذها ووكل عليها من يحفظها[2].

حاصر السلطان صلاح الدين حصن الكرك سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) ونصب عليه سبع منجنيقات وبدأت ترمي الحجارة ليلاً ونهاراً[3]، لذلك وصفها عماد الدين الأصفهاني بحرب المنجنيق بقوله: ((وقامت الحرب من المنجنيق على ساق وأقمنا من نصر الله على اوكد ميثاق وكانت سبعة قد فتحت لأهل جهنم سبعة أبوابها وفغرت أفواهها وكشرت عند أنيابها))[4].

وعند فتح حصن بكاس والشغر سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) ((لم ير السلطان طريقاً غير الرمي من المنجنيق ودوامها بالحجارات أياماً))[5].

استولى الملك العزيز اميرحلب على شيزر[6]سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) ،بعد ان نصب عليها منجنيقات عدة من جهة الجبل من الشرق، ونصب منجنيقاً في جهة الغرب مقابل بابها.

وفي سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) وصل إلى السلطان الملك الصالح الأسلحة، ومن ضنمها المجانيق ووصل من دمشق منجنيقاً مغربياً هائلاً، ونصب المنجنيق المغربي قبالة القلعة ورمى ثلاث أحجار فتقيعق (مرحلة سابقة للانشقاق)، ونصبوا باقي المجانيث مفرقة[7].

إن الاستخدام المتكرر للمنجنيق من قبل شعوب عديدة، جعلهم يبتدعون أنواعاً واصنافاً متنوعة ذات تراكيب مختلفة، والدليل أن الطرسوسي عندما يتحدث عن المنجنيقات يصفها بالقول: ((فمنها العربي وهو أتقن مصنوعاتها واوثق معمولاتها، ومنها

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١٢٠.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ٣/ ٨٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١٢٣.

(٣) ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق، ص ص١٥٣، ١٥٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٥٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢/ ٩١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٣/ ٥٤.

(٤) البرق الشامي، ٥/ ١٥٤.

(٥) عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي، ص١٤٣.

(٦) شيزر: قلعة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٣٨٣.

(٧) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الأكراد، ص ص٤٦٠-٤٦١.

التركي، وهو أقلها كلفة وأحصرها مؤونة، ثم الفرنجي))[1]، ثم يتابع الطرسوسي فيشير إلى كل نوع من تلك الأنواع بشكل مفصل ويعين نوع الخشب الجيد الذي يدخل في تصنيعه، وكيفية نصب أجزاء كل نوع، وبالتالي يصور لنا شكل المنجنيقات المتعددة[2]. بصورة عامة هناك ستة أنواع من المنجنيقات تختلف باختلاف الأهداف المراد رميها سيتم الاشارة إليها باختصار[3]:

١- مجانيق الأحجار:

يعد من أقدم الأنواع وشاع استخدامه ، نتيجة تطور أساليب القتال وأهداف الحرب فظهرت الأنواع الأخرى لها. وتقذف هذه المناجيق الأحجار الضخمة باتجاه الهدف[4]، وقد استخدمها الجيش الأيوبي كثيراً[5].

٢- منجنيق السهام:

توضع عدة سهام في منجنيق واحد وترمي عنها إلى مسافات بعيدة عن طريق الأقواس وبقوة خارقة وتسمى باسم (قوس الزيار)،وهذا النوع من القوس الكبير الذي يرمي سهماً هائل الحجم[6]، ويصف الطرسوسي هذا القوس بأنه: ((اشدها رمياً.واعظمها جرماً.وانكأها سهماً))[7].

٣- منجنيق النفط والكرات النارية:

عبارة عن مجانيق عادية مزودة بكفة من الزرد من صفائح الحديد، يوضع اللبود المبلل بالخل لمنع حرق الكفة، توضع فيها قدور مليئة بالنفط وتشعل النار فيها وترمي على الهدف، أو يوضع فيها كرات تصنع من مواد مختلفة وتشرَّبْ بالنفط

---

(١) تبصرة ارباب، ص١٦.

(٢) للمزيد ينظر ،تبصرة ارباب، ص١٦–١٨.

(٣) كان الإنسان القديم يحارب بالحجر بيده فيصيب ويستعمله في الصيد أيضاً ثم اتخذ القلاع بعد ذلك لتكون رميته بعيدة وقوية لذا بدأ يفكر في طريقة ما لرمي حجارة أكبر وعلى مدى أبعد، فهداه تفكيره إلى صنع المنجنيق لكي يحقق له ما يريد. عون، فن الحرب الأيوبي، ص١٥٨، محمود شيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، (قطر: ١٤٠٣هـ)، ص١٦١، صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٥٧.

(٤) الزردكاش، الأنيق في المجانيق، ص٢٦، جمال محفوظ، فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، (القاهرة: ١٩٨٧)، ص٧٣، زكي، السلاح، ص٥٩.

(٥) ينظر مثلاً: عماد الدين الأصفهاني، البرق الشامي، ٥/ ١٤٥؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص٢١٥، ٣٣٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ٣٤١، ٥/ ٩٨، ١٨٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الأكراد، ص٤٦١.

(٦) الزردكاش، الأنيق في المجانيق، ص٢٢–٢٣، عون، فن الحربي، ص١٥٧، عبد الجبار محمود السامرائي، تقنية السلاح عند العرب (الأسلحة الجماعية)، مجلة المورد العراق ١٩٨٧، مج١٦، ع٤، ح٣، ص٥٣.

(٧) تبصرة أرباب، ص٦.

المطبوخ، ثم تشعل النار فيها وتقذف باتجاه العدو وهدفها إحراق المكان الذي يقع فيه[1] استخدمت تلك الكرات بكثرة في الحروب البحرية، كانت تلقى في الماء، وتغرق فيه بدون أن تنطفي ثم تطفو على وجه الماء وتنفجر فيها وتحرق كل ما لقيت من المواد القابلة للاحتراق وتسير في المياه بسرعة[2].

٤- **منجنيق القنابل:**

يشبه هذا النوع من المنجنيق منجنيق الحجارة؛ ولكن يختلف عنه بوضع القنبلة بدلاً من الحجر فيها[3]، ويوجد عدة أنواع من القنابل مثل قنابل الزجاج، قنابل النحاس، قنابل الغازات، تكون ثلاثة أنواع (المضيئة والخانقة والمسيلة للدموع)[4].

٥- **منجنيق الأفاعي والعقارب:**

كانوا يضعون الأفاعي والعقارب والحشرات اللاسعة أو المزعجة في سلاسل من القش أو العيدان أو داخل جرار من الفخار المخرم، ثم يقومون بربط السلاسل أو الجرار بقطع مناسبة من الرصاص لتصبح وزنها ملائماً أثناء قذفها بالمنجنيق، فإذا وقعت على الأرض تقطعت وتهشمت وبالتالي تخرج منها تلك الزواحف والحشرات[5].

إن هذا النوع من المنجنيق يعتبر من أغرب الابتكارات الحربية في ذلك الوقت لما له من تأثير كبير على العدو من خلال نشر سياسة الرعب والخوف في صفوف الاعداء اذ كان المقاتلون يتعرضون للاذى وتسود الفوضى والذعر بين صفوفهم[6]. استخدم هذا النوع من المنجنيق في الأماكن المحصورة أو الضيقة المساحة (قلعة محصورة، موقع معاد صغير، سفن)، أو يقذف قبل ذلك المواد اللزجة أو الشحوم والدهون ثم يطلقون الحيوانات[7].

٦- **مجانيق القاذورات:**

كانت تلك المجانيق قوية المفعول،حيث توضع في كفتها القاذورات والرمم المتعفنة، وقد قذفوا بها جثث الحيوانات الميتة بغية انتشار الاوبئة والأمراض بين صفوف جيش

---

(١) الزردكاش، الأنيق في المجانيق، ص٢٣، الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٤٩، إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص ص١٢٣—١٢٨، عون، فن الحربي، ص١٦٦.

(٢) السامرائي، تقنية السلاح، ١/ ١٥.

(٣) الزردكاش، الأنيق في المجانيق، ص٢٣، إحسان هندي، الحياة العسكرية عند العرب، ص١٣٦، عون، فن الحربي، ص١٥٧.

(٤) للتفصيل ينظر الزردكاش، الانيق في المجانيق، ص٢٣—٢٥.

(٥) إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص١٣٨؛ صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٦١.

(٦) الزردكاش، الانيق في المجانيق، ص٢٥، إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص١٣٨، زكي، السلاح، ص ٥٩، صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٦١.

(٧) عماد الدين الاصفهاني، البرق الشامي، ص٢٢٧، الزردكاش، الانيق في المجانيق، ص٢٥.

العدو مما يؤدي إلى مضايقة العدو، وعرقلة مهام الجند،ويمنعهم من أداء واجباتهم بشكل صحيح، وهذه شبيه بالأسلحة البيولوجية في والوقت الحاضر[1].

يتبين مما سبق أهمية هذا السلاح، وضخامة تأثيره في الحروب،بعد استعماله في مواقف قتالية متعددة بطرق مختلفة، يعد المنجنيق السلاح الاول في حرب الأسوار وحصار المدن، لذا يمكن القول أنه لا يقاتل الجنود في اثناء حصار القلاع او هدم الاسوار دون استعمال هذا السلاح الفعال في تلك العصور، مع ذلك لا يخفى أن هناك عيوباً وصعوباتٍ في بعض الأحيان لاستعمالها،فمثلاً على سبيل المثال، كان الجنود يجرون المنجنيق إلى ساحات المعارك أما عن جر العجل بواسطة الأبقار أو ينقلون أجزاء المنجنيق على ظهور خيولهم[2]، وان طريقة النقل بكلتا الحالتين لم تكن سهلة خصوصاً في فصل الشتاء فإذا سقطت الامطار والثلوج يصبح الطريق وعراً، وتحدث ماساة بسبب جر العجل بواسطة الابقار، فالمسافة التي تقطعها (العجلات) في ألارض الجافة تختلف عنها في الأرض الموحلة، بسبب الأمطار، فضلاً عن ذلك فإن وصول المنجنيق سواء كان كاملاً أو مفككاً إلى ميدان المعركة يكون صعباً، بسبب صعوبة الطريق وعدم تبليطه لكي يسهل سير العجلات، ومرور سريع لها بالإضافة إلى صعوبة عبور الممرات المائية[3]. أما بالنسبة للصليبيين فأنهم كانوا ينقلون معداتهم وآلاتهم الحربية وكذلك قتلاهم أثناء المعارك من ميدان القتال بواسطة العَجَلات ويبدو أن العربة الحاملة لتلك المعدات كانت ضخمة إلى حد كبير[4].

ثانياً: العرادة والدبابة وملحقاتها

العرادة من الأسلحة الهجومية والدفاعية الثقيلة التي تستخدم بشكل جماعي، وتلي المنجنيق من حيث الأهمية، وتستعمل في رمي السهام الكبيرة والحجارة لهدم الأسوار والحصون، أو ضرب المعسكرات أو جند المهاجمين[5]، وكذلك تستخدم لرمي النفط المشتعل على الأعداء وتوضع في الحراقة[6]. ما يميزها عن المنجنيق صغر

---

(١) الزردكاش، الانيق في المجانيق، ص٢٥، إحسان الهندي، الحياة العسكرية، ص١٣٨، عون، فن الحرب، ص١٥٧، زكي، السلاح، ص٥٩.

(٢) حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩٠، عون، فن الحرب، ص١٦١، ثابت، الجندية ، ص١٥٨.

(٣) حسين، الجيش الايوبي، ص١٩٠، محمود محمد حويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، (بيروت: ١٩٧٩)، ص٢٠٤، عثمان، التحصينات الحربية، ص٢٧٩.

(٤) ينظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١١٣، ابو شامة، الروضتين، ٤/ ٥٥؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٨٩، عثمان، التحصينات، ص٢٧٩.

(٥) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٥٨، سالم عبد الله خلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الاندلس، (المدينة المنورة: ٢٠٠٣)، ص٢/ ٥٢٣، الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٤٩.

(٦) محمد ياسين الحموي، تاريخ الاسطول العربي، (دمشق: ١٩٤٥)، ص١٦.

حجمها، لذا عدهاالمسلمون منجنيقاً صغيراً[١] مما ساعد على نقله بسهولة من مكان إلى آخر أثناء الحصار، بالإضافة إلى طريقة نقلها إلى ميدان المعركة أنها كانت تنقل نقلاً كاملاً، وهي أشبه بالمدفعية الخفيفة التي توجه قذائفها نحو مواقع العدو[٢]. واستخدمها الجيش الأيوبي عندما حاصروا سنجار[٣].

كانت الدبابة، من الآت الحرب الهجومية، يدخل فيها الرجال فيدبون إلى الأسوار لينقبوها[٤]، وهيكلها مصنوع من خشب سميك مغلف بالمواد العازلة، وهذه المواد هي اللبود والجلود المنقعة في الخل لمنع احتراقها، وقد تصنع الدبابة من الخشب المصفح بالحديد لوقايتها من قذائف النفط والنار المشتعلة، وتثبت صفائح الحديد بالمسامير، وتعد من أهم الآت الحصار، وهي شبه برج متحرك مكون من أربعة طبقات اولها من الخشب، والثاني من الرصاص وثالثها من الحديد، ورابعها من النحاس[٥]، يتحرك ذلك البرج الهائل على عجلات خشبية، أو حديدية مستديرة ليسهل دفعها أو سحبها، وتصعد إلى طبقاته الجنود لمهاجمة الحصون، وتسلق الأسوار أو يحاربون المحاصرين في أعلى السور[٦]، وسميت الدبابة بهذا الاسم لأنها تدفع فتدب[٧].

الدبابة في تركيبها أقل تعقيداً من المنجنيق، وهي أقدم منها استخدمها المصريون القدامى والآشوريون، فاليونان والرومان والفرس، والعرب المسلمون[٨]، وباختراع المنجنيق

---

(١) ذكر االباحث محسن محمد حسين ،أنه خلال عهد صلاح الدين لم تشر المصادر إلى اسم هذه الآلة، ومن المحتمل انهم استعملوها دون ذكر اسمها ،أو أنهم اعتبروها منجنيقاً صغيراً فعلاً. ينظر :الجيش الأيوبي، ص١٩، ولم تقف الباحثة على أية إشارة لها في عصر خلفائه أيضاً حتى ان الطرسوسي لم يذكرها في كتابه المختص بالأسلحة.

(٢) زكي، السلاح، ص٤٠، إحسان الهندي، الحياة العسكرية، ص١٣٢، حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩٠، عون، الفن الحربي، ص١٦٧.

(٣) عماد الدين الأصفهاني، البرق الشامي، ٥/ ٤٨.

(٤) الطرسوسي، تبصرة أرباب، ص١٨؛ علي بن محمد الخزاعي، تخريج الآلات السمعية على ما كان في عهد الرسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية تحقيق، إحسان عباس، (بيروت: ١٤١٩هـ)، ص٤٩٥؛ خلف، نظم حكم الأمويين، ٢/ ٥٢٤؛ زيدان، تاريخ التمدن، ١/ ١٩٨.

(٥) العباسي: آثار الأول، ٢/ ٣٦٥-٣٦٦، زكي، السلاح ، ص٢٤—٢٥؛ عون، الفن الحربي، ص١٨٦؛ الحموي، تاريخ الأسطول، ص٦٦.

(٦) العباسي، آثار الأول، ٢/ ٣٦٦، زيدان، تاريخ التمدن، ١/ ١٩٨، محفوظ، فن الحرب، ص٢٧٤، إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص١٤٣. أحمد أحمد البدوي، القوة الحربية لمصر والشام في عصر الحروب الصليبية، مقال في مجلة الرسالة، (مصر، ١٩٤٩) عدد ٢٥٤، ص٢٣.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٣٧١.

(٨) استخدمها المسلمون في حصار الطائف سنة (٨هـ/ ٦٢٩م)، ينظر الطبري، تاريخ الطبري، ٢/ ٣٥٤)، الواقدي، المغازي، تحقيق، مارسدن جونس، (بيروت: ١٩٨٩)، ٣/ ٩٢٢، ابن الأثير، الكامل، ٢/ ٢٤١.

صار استعماله مصاحباً لاستعمال الدبابة، أي أن الأخير يشترك مع المنجنيق في القيام بالعمليات الحربية، كما تتعاون المدفعية مع الدبابات الحديثة(١).

أثناء سير الدبابة كان يرافقها عدد من الجنود من أجل الإشراف عليها، وحمايتها وتسهيل مهمتها أثناء تأديتها عملها، وتنقسم إلى ثلاثة اقسام، القسم الاول مهمتهم نقب الأسوار أو الأبواب، أما القسم الثاني مهمتهم القيام بحماية القسم الأول باستعمال القسي والسهام، بينما القسم الثالث من المقاتلين كانت مهمتهم تسهيل سير الدبابة، إذا اعترضها خندق، وذلك إما بوضع الاخشاب على الخنادق فتكون بمنزلة جسر تعبر عليها الدبابة، أو يقومون بردم هذه الخنادق إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلا(٢). استعمل الجيش الأيوبي سلاح الدبابة أثناء قيامهم بالهجمات على القلاع والمدن الحصينة، كما استعملت من جانب الصليبيين أيضاً(٣). وعرفت الدبابة بأسماء أخرى مثل البرج(٤)

وتتبع الدبابة عدد من الملحقات، ابرزها:

أ- الكبش:

عبارة عن خشبة ضخمة مستديرة مركبة على عجل، مصنوعة من الخشب المحكم المغلف باللبود أو الجلود المنقوعة في الخل لمنع الاحتراق، أما طول العمود الخشبي فيختلف حسب حجم الحجرة الخشبية، وقد كان يبلغ أحياناً عشرة امتار أو أكثر(٥).

وصف عبد الرحمن زكي قائلاً : ((وأصل الكبش دبابة له رأس في المقدمة مثل رأس الكبش، ويتصل هذا الرأس في داخل الدبابة بعمود غليظ معلق بحبال تجري على

---

(١) للمزيد ينظر، عون، الفن الحربي، ص١٦٨، حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩٠–١٩١، الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٥٠–١٥١، عبد الجبار محمود السامرائي، تقنية السلاح عند العرب (الآت الحصار)، مجلة المورد العراق ١٩٨٦، مج١٥، ع٤، ج٢، ص٦-٨.

(٢) العباسي، آثار الدول، ص١٩٢؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩١؛ صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٦٤–٦٥؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص٢٨٢.

(٣) عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي، ص٢٥٧.

(٤) تسمى ابراج الحصار أيضاً عبارة عن هيكل مصنوع من الخشب مغطى بالجلد أو اللبود، أو مصفح بالحديد، وكانت تتألف من طبقات يعلو بعضها بعضاً ،ويوصل إليها بسلالم من الداخل ،أو درج يصعد منه الجنود إلى الأعلى، ويستعمل للاقتراب من حصون العدو أو المجن لاقتحامها ،ولقذف السهام والحجارة. الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص١٨–١٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢/ ١٠٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٩/١٢، ١١٩؛ زكي، السلاح، ص١٣–١٤؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩٢؛ صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٦٦؛ الخلف، نظم حكم، ٢/ ٥٢٤.

(٥) عون، الفن الحربي، ص١٧٢؛ زكي، السلاح، ص ص٤٨–٤٩.

Warner: The Medieval Castle life in a Fortress in Peace and War (U.S.A: 1993), P. 167.

عثمان، تحصيان الحربية، ص ٢٨١، الحموي، تاريخ الاسطول، ص٦٦.

بكرة معلقة بسقف الدبابة لسهولة جرها))[1]؛ ولكن الكبش ليس دبابة، وإنما هي آلة متصلة بالدبابة لها رأس ضخم، وقرنان يدفعها الجنود نحو الأسوار لهدمها[2].

أما عن طريقة عملها فلهذه الآلة دور كبير في الحروب، وذلك إذا أراد الجند هدم سور أو باب قلعة ما قربوا منه الدبابة ثم وقفوا داخلها، ويؤرجحون رأس الكبش للخلف والأمام، وهو معلق في السلاسل ويصدمون به السور أو غيره مرات حتى ينهدم، وتنهار حجارته فيعملون على ثقبه وهدمه، أو يدخلون المدينة من بابها بعد ان استطاعوا تهميشه[3]، كما ان لهذا الرأس تأثيراً نفسياً مخيفاً للجيش المحاصر داخل القلعة أو الحصن[4].

استعمل المسلمون الكباش[5] في حروبهم خلال جميع فتراتهم التأريخية وقد كثر استخدامها في العصر الأيوبي، ويدل على ذلك إشارة المصادر التأريخية إليها بكثرة[6] فقد ذكر ابن شداد الدبابة ووصفها وصفاً شاملاً مع كبشها، قائلاً: ((انها آلة عظيمة مخيمة يدخل تحتها من المقاتلة خلق عظيم مليسة بصفائح الحديد، ولها من تحتها عجل تحرك به من الداخل وفيها المقاتلة حتى ينطح بها السور لها رأس عظيم برقبة شديدة من حديد وهي تسمى كبشاً ينطح بها السور بشدة عظيمة، لأنه يجرها خلق عظيم فتهدمه بتكرار نطحها))[7].

كما أشار إليها عماد االدين الأصفهاني في حوادث سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) بقوله : ((فلما استهدفت لهم هذه الدبابة وماجت بالحديد لدتها العبابة، وأطاحت بذلك الكبش))[8].

بالإضافة إلى المسلمين فقد استعمل الصيليبيون أيضاً الدبابة والكبش، من الجدير بالذكر أنهم صنعوا كبشاً مخيفاً مركباً على دبابة ضخمة بدليل الوصف الذي نقله عنها

---

(١) السلاح، ص٤٨؛ ويقول محمود الخطيب ((وهي كالدبابة ولكن رأسها في المقدمة مثل رأس الكبش))، الحياة العسكرية، ص١٦٦.

(٢) صلاح حسين، المنجنيق من الحضر، ص١٢٣؛ عون، الفن الحربي، ص١٧١.

(٣) حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩٣؛ ثابت، الجندية، ص١٨٥، الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٥١؛ Fedden (Robin): Crusades Castled, (London: 1950), P. 38; احسان هندي، الحياة العسكرية، ص١٤٥.

(٤) حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩٣؛ صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٦٦.

(٥) الكبش مفرد، والكباش والأكبش جمعها ينظر، ابن منظور، لسان العرب، ٦/ ٣٣٨.

(٦) ينظر عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٢٧؛ ابن شداد، ص ص١٤٠–١٤١؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ٣٣٤/٢؛ ابو شامة، الروضتين، ٢/ ٩٧.

(٧) النوادر السلطانية، ص ص١٤٠–١٤١.

(٨) الفتح القسي، ص٢٢٨.

عماد الدين الأصفهاني: ((واستأنف الفرنج عمل دبابة هائلة، وآلة للغوائل غائلة، وفي رأسها شكل عظيم يقال له الكبش وله قرنان في طوله رمحان كالعمودين الغليظين، فكم من سور إذا نطحته طحنته، وكم معقل حصنه الدهر حصته وحصنته))(١) واستطرد قائلا: ((وقد سقفوها مع كبشها بأعمدة الحديد، وكملوا لها أسباب الاحكام الشديد ولبسوا رأس الكبش بعد الحديد بالنحاس وكسوها حذراً عليها من النار سائر البأس فلم يبق للنار إليها سبيل ولا للعطب(٢) عليها دليل))(٣).

مما سبق يدل على ان الصليبيين أيضا صنعوا نسخا قوية، ومرعبة من تلك الالات الحربية، وذلك لإدخال الرهبة في قلوب سكان المدن أثناء محاصرتهم لها(٤). ففي حصار عكا(٥) من قبل الصليبيين سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) أحدثت الدبابة رعباً كبيراً لدى المسلمين(٦).

ب- سلالم الحصار:

وهي آلة من آلات الحصار، تعد من الأسلحة الجماعية أيضاً تصنع من الحبال وتنتهي بخطافات يسهل تعلقها بحجارة السور، وكانت تلك الحبال مزودة بكلابين من الحديد وتلقي على شرفات ثم يتسلقها المقاتلون وفي الحقب اللاحقة، اصبحت تصنع من الحبال والخشب معاً، ثم من الخشب والحديد، وهي مزودة بعجلات أو بكر لتتحرك بسهولة من مكان إلى آخر، واستخدمت عند كثير من الأمم في حروبها(٧).

تكمن أهمية السلالم على أنها آلة تساعد المحاصر على اعتلاء الأسوار واقتحام الحصون(٨) الأمر الذي جعل المسلمين يهتمون به وكينونته، فقد استخدمت في القرن ٦هـ/ ١٢م سلالم لها كلاليب حديدية ترمي على شرفات الأسوار فتعلق الكلاليب بالشرفات المسننة، وتثبت الحبال بالأرض ويصعد الجنود إلى داخل الحصن(٩).

استخدمت هذه السلالم بكثرة في الحروب الصليبية أيام صلاح الدين(١٠)، وكان لها أهمية تساوي أو تعادل أهمية المنجنيق أو الدبابة، لأن السلالم المتحركة أو ما يسمى سلم

---

(١) الفتح القسي، ص٢٢٧؛ ينظر أيضاً ابو شامة، الروضتين، ٤/ ٩٧؛ زكي، السلاح، ص٤٩.

(٢) يبدو أن الناسخ قد أخطأ في نقله للكلمة لأن لا يوجد هذه الكلمة في اللغة العربية.

(٣) الفتح القسي، ص٢٢٧.

(٤) صفاء الهندي، تقنية الاسلحة، ص٦٦.

(٥) سوق نتطرق إليها لاحقاً بالتفصيل.

(٦) الزيادنة، بنية الجيش الأيوبي، ص٤٨؛ السامرائي، تقنية السلاح، ٢/ ٩.

(٧) إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص١٤٩؛ عون، الفن الحربي، س١٧١؛ السامرائي، تقنية السلاح، ٢/ ١٢.

(٨) محفوظ، فن الحرب، ص٧٥؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩٤؛ صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٦٧.

(٩) الجناني، تنظيمات الجيش، ص١٥٢.

Waener: The medieval castle life in, P 69.

(١٠) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٤١؛ ابو شامة، الروضتين، ٤/ ٩٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٥٣.

تسلق الأسوار تعد أبسط طريقة للهجوم المباشروبث الرعب في صفوف المحاصرين ، حيث يكلف الجيش العدو (المحاصر) العديد من الأرواح (القتلى)[1].

هناك طريقة معقدة يمكن أن نعوض عنها بدلاً من السلالم المتحركة، تتمثل في تكديس الأتربة على جدار السور حتى يتكون منحدر كبير تستطيع القوة المهاجمة ان تتقدم فوقه؛ لأن الغرض الرئيسي من السلم المتحرك هو وصول الجيش المهاجم بسهولة إلى مستوى حاجز شرفة الحصن[2].

إن الدور الكبير الذي أدته تلك السلالم دفعت المسلمين إلى تطويرها، وإدخال بعض التحسينات عليها، وقاموا بتصميمها بشكل محكم على قاعدة خشبية واسعة تساعد على ثباته، وفي بعض الأحيان صنعوها من سلمين، يلتقيان في ذروتهما يدعم كل منها الآخر، كما ادخلوا على القاعدة بكرات من الخشب أو عجلات كانت ثابتة لكي يسهل نقلها من موضع إلى آخر[3]. من جهة أخرى زاد المسلمون من صناعة السلالم، وأكثروا من استخدامها في حملاتهم العسكرية لاسترداد ما احتله الفرنج من المدن والحصون[4].

مما سبق اتضح لنا دور واهمية السلالم إلا أنها لا تخلوا من بعض العيوب: منها أنها عرضة للكسر أحياناً[5]، و يعرض الجند المتقدمين على المنحدر الترابي لخط النار المدمرة التي تلقي عليهم من شرفات الحصن أحياناً أخرى، مما يؤدي إلى كوارث فادحة، على الرغم من أن الجيش المهاجم كان يستعين بالسواتر النقالة المغطاة بجلد الحيوان[6].

ج- السفود[7]:

عبارة عن أحدى ملحقات الدبابة يصنع من الحديد أو الفولاذ، وهي تختلف عن الكبش في أن رأسها محدد على شكل سكة التي يحرث بها في حين أن رأس الكبش مدور،

---

(1) Fedden, Cruisades Castles, p. 37.

عثمان، التحصينات الحربية، ص٢٨٣.

(٢) السامرائي، تقنية السلاح، ٢/ ١١–١٢؛ عثمان، التحصينات، ص٢٨٣؛ أسامة سيد علي، الظهير الشامي ودوره في الصراع الإسلامي الصليبي في القرن ٦هـ/ ١٢م، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة عين الشمس عام ١٩٩٦، ص٣٢٣.

(٣) إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص١٤٩؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص٢٨٣؛ السامرائي، تقنية السلاح، ٢/ ١٢؛ الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٥٢–١٥٣؛ محفوظ، فن الحرب، ص٧٥؛ عبد الروف عون، فن الحربي، ص١٧١.

(٤) صفاء الهندي، تقنية الأسلحة، ص٦٧، الشهابي، صمود دمشق، ص٧٩.

(٥) ابن شداد، نوادر السلطانية، ص١٤١، أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٩٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٥٣.

(٦) صفاء الهندي، ص٦٧، عثمان، التحصينات الحربية، ص٢٨٣، الحويري، الأوضاع الحضارية، ص٢٠٢.

(٧) كلمة السفود لغة تعني الحديدة التي يشوي بها اللحم، جاء في النوادر، ص٢١٦، باسم سنور، ينظر، الرازي مختار الصحاح، ١/ ١٤٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ٣/ ٣٢٨؛ الزبيدي، تاج العروس، ٤/ ١٦٨.

هذا يهدم بثقله، وتلك تهدم بحدتها وثقلها[1].

وتشير المصادر أنه عندما تم حرق برج الذبان سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) انتشرت نار الكبش بقوتها إلى السفود فاحترق بأكمله[2].

د- الضبـر:

آلة من الخشب مغطى بالجلد في داخلها رجال يهاجمون الحصون لقتل أهله، وكانت بمثابة دروع جماعية ليقوا بها انفسهم من سهام المدافعين، وهي أشبه بالسيارات المدرعة اليوم[3].

عرفها الزبيدي على انها ((جلد يغشى خشباً فيها رجال تقرب إلى الحصون للقتال))[4]، يقول الزمخشري[5] ((ان ضبورة هي الدبابات))[6].

يبدو أن لهذه الآلة اسماء أخرى مثل الجفت[7] أو الستارة[8] أو القفع[9]، وأشار اليها عماد الدين الاصفهاني عند فتح بيروت سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) قائلا: ((ومدت الجفاتي كأنها أعناق النجاتي))[10] وأثناء حصار صور أيضا في السنة نفسها، ذكر تلك الآلات في نص قيم حيث قال: ((وقد قطعوه بخندق في عرضه وعمقوه ونزلوه في أرضه، وكان من إحكام الحزم وإتمام العزم تكميل الآلات وتتميمها، وتحصيل المنجنيقات وتقديمها،

---

(١) ابن شداد، النوادر، ص١٤١، ابو شامة، الروضتين، ٤/ ٩٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ١٦٤؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩٤.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢١٦؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ١٦٤؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٩٦.

(٣) زكي، السلاح ، ص٣٨، إحسان الهندي، الحياة العسكرية، ص١٤٣، حسين، الجيش الأيوبي، ص١٩٢، موسى والصعيدي، الافصاح في فقه اللغة، ١/ ٦١٧، ياسين سويد، الفن العسكري الإسلامي أصوله ومصادره، (بيروت: ١٩٩٠)، ص٢١.

(٤) تاج العروس، ١٢/ ٣٧٨.

(٥) أساس البلاغة، تحقيق، محمد باسل عيون السود، (بيروت، ١٩٩٨)، ١/ ٥٧٣.

(٦) اعتبر بعض المؤرخين ان الدبابة والضبر شيء واحد للمزيد ينظر: إحسان الهندي، الحياة العسكرية، ص١٤٣، عون، الفن الحربي، ص١٦٨، زكي، السلاح، ص٣٨، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (بيروت: ١٩٩٦)، ١/ ١١٧.

(٧) يقول دوزي: ان الجفتا سياج ساتر، تكملة ، ٢/ ٢٢٩.

(٨) الستاير: هي الآلت الوقاية من الطوارئ، وما في معناها مما يستر به على الأسوار والسفن التي يقع فيها القتال، قلقشندي، صبح الاعشى، ٢/ ١٣٨، ويذكر عبد الفتاح عبادة: ان من المبالغة من الاختفاء وضع قلوعاً زرقاء على السفن فلا تظهر من بعيد وهذه القلاع تسمى ستاير سفن الاسطول المصري. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٢٩٦، إحسان الهندي، الحياة العسكرية، ص١٤٢، زكي، السلاح، ص٣١، الحموي، تاريخ الاسطول، ص٧٠.

(٩) الصعيدي ، الافصاح في فقه اللغة، ١/ ٦١٧.

(١٠) الفتح القسي، ص٦٠.

وتركيب الابراج والدبابات وتأليفها، وتقريب الجفاتي والجنويات وتصفيفها وتسوية مناصب المجانيق وتسقيفها...))[(١)].

كما ذكرها إبن واصل أيضاً في حوادث سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) قائلاً: ((فأمر السلطان بنقل الجفاتي إلى هناك وتصفيفها وتكثير ستائرها، وأجلس الرماة من ورائها))[(٢)].

يظهرمما سبق أنها كانت نوعاً من المتراس أو الحاجز (الحائط) الذي يعرقل حركة العدو وتقدمه، يستخدمه المهاجمون للوقاية من قذائف العدو، ويحتمي خلفه الجنود الرماة أثناء القتال[(٣)].

خلاصة الكلام عن الدبابة؛ إنه أدخل عليها تحسينات كثيرة حتى صارت ضخمة كثيرة العجل، فجعلوها برجاً مرتفعاً بارتفاع السور، وبداخلها سلالم تنتهي إلى شرفات فيها، تقابل شرفات الحصن، فيصعد الرجال في أعلاها، ويستعلون على السور، وينقلون عن شرفاتها إليه ثم يطردون منه رماة الأعداء[(٤)]، شرح ابن شداد الدبابة وملحقاتها بالتفصيل قائلاً: ((أنها آلة عظيمة نحيفة، يدخل تحتها من المقاتلة خلق عظيم، ملبسة بصفائح حديد،ولها من تحتها عجل تحرك بها من الداخل، وفيها مقاتلة حتى ينطح بها السور، ولها راس عظيم برقبة شديدة من الحديد، وهي تسمى كبشاً، ينطح بها السور بشدة عظيمة، لأنه يجرها خلق عظيم، فتهدمه بتكرار نطحها وآلة أخرى وهي قبو فيه رجال، يسحب كذلك إلا ان رأسها محدد، على شكل سكة التي يحرث بها، ورأس الكبش مدور وهذا يهدم بثقله، وتلك تهدم بحدتها وثقلها وهي تسمى سنوراً (سفود) ومن الستائر والسلالم الكبار الهائلة))[(٥)].

لاستخدام الدبابة بعض المساويء في الحرب، أنها تتطلب نفقات باهظة في صناعتها، كما أنه من الصعب في الإمكان بناء العديد من الدبابات (الأبراج) طول الواحدة منها ما بين أربعين وستين ذراعاً، بالإضافة إلى صعوبة أخرى ،تمثلت في طريقة (كيفية) تحضير برج الحصار، وتقريبه من الحصن إذ أن المحاصرين كانوا يحفرون الخنادق حول الحصون ،لمنع تقدم تلك الأبراج، وكان على الجنود المهاجمين ردم جزء كبير من الخندق وهو عمل شاق مرهق، ويتطلب كثيراً من الجهد والوقت وكذلك يؤثر في إنجاز المهام

---

(١) الفتح القسي، ص٨٨.

(٢) مفرج الكروب ، ٢/ ٢٥٨؛ وان المؤرخ طرسوسي في كتابه يتحدث عن هذه الآلة الواقية ،ولكن دون ان يذكر اسمها صريحاً. ينظر: تبصرة أرباب، ص١٩.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ٩٦/٤؛ حسين، الجيش الايوبي، ص١٩٢؛ زكي، السلاح، ص٣١.

(٤) الطرسوسي، تبصرة أرباب، ص ص١٧–١٨؛ محفوظ، فن الحرب، ص٧٤؛ الزيادنة، بنية الجيش الأيوبي، ص٤٨.

(٥) النوادر السلطانية، ص ص٢١٣–٢١٤.

العسكرية الحربية بسرعة، إضافة إلى ذلك فإن الدبابات لا تستطيع العمل إلا على أرض مستوية، وبالتالي فإن استكشافها من قبل المدافعين سيكون سهلاً[(١)].

ثالثاً: الاسلحة النارية

يقصد بالأسلحة النارية تلك الأسلحة التي يدخل في تركيبها المواد الكيميائية، مثل النفط والكبريت والمواد الحارقة،التي تتألف من الشحوم والقطران والزيت والنفط،وغيرها من المركبات العديدة، وكانوا يخلطون تلك المواد بشكل صحيح أو توضع في أوعية مختلفة الأحجام والأنواع، ويستعملونها في الحروب من خلال قذفها على تجمعات العدو، وعلى الأماكن المحصنة، وعلى السفن أو البيوت، فتشكل دخاناً خانقاً، أو غازاً أو ناراً تؤثر في الأحياء والعتاد[(٢)]، أي أن الأسلحة لم تعد قاصرة على أسلحة اليد التقليدية التي كانت تستعمل من قبل المحارب بل أدخلت النار في قوامها[(٣)].

إن استعمال النار[(٤)] في الحروب قديمة جداً، وباستمرار استخدامها على مر العصور صار سلاحاً فعالاً، وخلال الحقبة الأيوبية تطورت طرق استخدامها، واعتمدوا على أنواع من المشعلات والقاذفات النارية، وتفننوا في استعمالاتها في حروبهم بشكل عام وحروب الحصار بشكل خاص.

من الأسلحة النارية المستخدمة في العصر الأيوبي قاذفات النفط، المواد الأساسية التي تدخل في تركيبتها حسب ما يتحدث عنه الطرسوسي : ((النفط وكبريت ومسحوق نورة[(٥)] غير مطفأة وزيت الاترج[(٦)] والكتان الدقيق اللين ونخالة الحنطة ودهن البلسان[(٧)]

---

(١) عثمان، التحصينات الحربية، ص٢٨٥؛ علي، الظهير الشامي، ص٣٢٠؛ ا خولي، الجندية والسلم ، ص٣٢.

(٢) صفاء الهندي، تقنية الاسلحة، ص٧٩.

(٣) حسين، الجيش الأيوبي، ص١٨١.

(٤) هناك اختلاف حول تاريخ اختراعها أو بدء استخدامها ولها تسميات متعددة منها النار العربة (الحصرية)—الاغريقية-الرومانية—اليونانية—السائلة—البحرية اللاصقة، المصنعة، ولكن اشهرها النار الاغريقية. للمزيد ينظر: السامرائي، تقنية السلاح عند العرب، ٢/ ١٢—١٤؛ زيدان، تاريخ التمدن، ١/ ١٩٢؛ خولي، الجندية والسلم، ص٣٣؛ إحسان الهندي، الحياة العسكرية، ص١٥٢؛ زكي، السلاح، ص ص٥٩—٦٠؛ ماهر محمد، البحرية، ص٢٣١؛ بطرس البستاني، موجز دائرة المعارف الإسلامية (بيروت: ١٩٩٨)، ٩/ ٧٥؛ Omanm op. cit, p72, ar.m.wikipedia.org.

(٥) مسحوق النورة وهي مسحوق ناعم مركب من الكلس والزرنيخ يرمون بها الاعداء في مراكبهم فتعمى ابصارهم بغبارها وقد تلتهب فيهم التهاباً، كما تستخدم لإزالة الشعر، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ١٣/ ٢٧٩؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٢/ ١٠٩؛ عبد الرحمن بن عبد الرحمن البرقوقي، مجلة البيان، صادر في مصر، ١٩٢٠، ع٥٤، ص٥

(٦) الاترج: شجرة من فصيلة الحمضيات يعطي ثماراً أكبر من الليمون، ذهبي اللون ورائحته ذكية، ابراهيم مصطفى واخرون، معجم الوسيط، (القاهرة، د/ت)، ١/ ٤.

(٧) البلسان: شجرة له زهر ابيض بهيئة العناقيد يخرج منه دهن عطر الرائحة وهو من فصيلة النجوريات، معلوف، المنجد، ص٤٨.

وشحم الدلفين وصمغ السندروس[١] والراتنج[٢]، وقشر البيض وقش التوت، كل هذه المواد تمزج مع بعضها بطرق معينة واوزان محددة لتكوين مركب حارق لها فاعليتها، وقوة تأثيرها في الإحراق هائلة، بعد ذلك يوضع في قرعة ويركب عليه الانبيق (آلة التقطير) وتؤخذ وصلة من القماش توقد تحته نار قوية إلى أن يقطر جميعه، ثم يؤخذ الزيت القاطر وتضاف إليه كمية أخرى من مسحوق النورة غير المطفأة، ويضاف عليه ربع مقدار من النفط، وبهذا الشكل تكون جاهزة، وعند الاستعمال فإنه يحرق إحراقاً قوياً لا مثيل له))[٣].

ثم يتحدث الطرسوسي عن الطريقة الثانية في تحضير النار وهي،((تؤخذ الاترج الاشباه (وهو اترج صغير) وتقشر قشرة الأعلى يترك إلى أن يذبل ويعصر زيته ثم يطبخ على النار إلى أن يغلي غليان عديدة وتأخذ من النار حده وتضاف إليه دهن البلسان، ويستعمل فأنه من العجائب))[٤].

أما الطريقة الثالثة الذي يذكرها الطرسوسي[٥] يكون بإضافة جزء من صمغ السندروس وصمغ الراتنج مع جزء من ملح نفطي إلى زيت الاترج، ويخلط الجميع ويطبخ على النار ويستعمل فإن ناره لا تنطفئ[٦].

نصح الطرسوسي بعدم ذكر الطرق والأساليب والتراكيب، التي يحضرون بها النار لأنه من الأسرار التي ينبغي الاحتفاظ بها للحيلولة دون تسربها إلى العدو، ويؤكد بقوله ((وجعلوها مستوراً إلا لمن يرضونه من الفضلاء))[٧].

اشتهرت هذه القذائف بفاعليتها القوية، واضرارها البليغة لما لها من القوة الكبيرة في الاشتعال في الماء والهواء حتى يقال أنها إذا اشتعلت أحرقت الحديد والجمر، وإنها لا تطفأ إلى أن تأتي على آخر ما تقع عليه وتحرقه، وتظل مشتعلة مدة شهر أو أكثر وكلما أصابها الماء أو التراب إزدادت وقوداً[٨].

---

(١) السندروس: شجرة من طائفة السرو، وهو لفظ يوناني، معلوف، المنجد، ص٣٥٥.

(٢) الراتنج: هو صمغ الصنوبر، الخوارزمي، مفاتيح العلوم،تحقيق،ابراهيم الابياري،(بيروت:١٩٨٩)، ص٢٨١.

(٣) تبصرة ارباب، ص٢٠ -٢١.

(٤) تبصرة ارباب، ص٢٠.

(٥) هناك اربع عشرة طريقة شرحها الطرسوسي في تحضير النارالاغريقية ،تبصرة ارباب، ص٢٠ - ٢٣.

(٦) تبصرة ارباب، ص٢٠.

(٧) تبصرة ارباب، ص٢٣.

(٨) الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص٢١؛ حسين: الجيش الايوبي، ص١٨١؛ صفاء الهندي، تقنية الاسلحة، ص ص٨١–٨٢؛ السنياني، دائرة المعارف، ٩/ ٧٠٥.

يظهرمما سبق مدى التطور الكبير في تركيب الأسلحة النارية ومعرفة الطرق والمواد الجيدة التي تدخل في صناعتها وكذلك على اهتمام ومعرفة المسلمين بها في ذلك الوقت، وتوافر المواد الخام مثل النفط والكبريت وغيرها فمثلاً كان النفط يستخرج من بحر القلزم –البحر الأحمر– في مصر[١] وكذلك الموصل[٢].

وتشير الروايات التأريخية إلى ان الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥–٦٢٢هـ/ ١١٨٠–١٢٢٥م) أرسل مع رسوله إلى السلطان صلاح الدين سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠ م) النفط والاسلحة الأخرى، بالإضافة إلى مجموعة من الخبراء في صناعة أسلحة النفط والنار[٣]، في حين أشار ابن شداد إلى أن رسول الخليفة وصل إلى السلطان و معه حملان من النفط الطيار، وخمسة من الزراقين النفاطين[٤] المتقنين في صناعة الإحراق بالنار[٥]. وأكد ابن واصل على تلك الحادثة أيضا، فذكر بأن الخليفة العباسي أرسل إلى السلطان صلاح الدين، أحمالاً من النفط والرماح، ومعها النفاطين[٦] والنقابين، من ذوي الخبرة والاتقان في حرفتهم[٧].

وتشتهر السواحل الشرقية للبحر الميت بوجود مواد خامة مثل معدن الكبريت ومادة الصمد (نوع من القار) وزفت البحر[٨]، وهي تدخل في تركيب النار الإغريقية التي تعد مزيجاً من مادة سريعة الاشتعال مثل الكبريت والنفط وبعض الراتنجات[٩] ومواد

---

(١) يقول القلقشندي: ((وبها معدن النفط على ساحل بحر القلزم يسيل دهنه من اعلى الحبل قليلاً قليلاً وينزل إلى اسفله فينحصر في ديار قد وصفها له الألون، وتأتي العرب متحملة إلى خزائن السلاح السلطانية))، ينظر: صبح الاعشى، ٣/ ٣١٣.

(٢) تذكر المصادر التاريخية ان الملك عز الدين مسعود بن مودود –اتابك الموصل– أرسل من احمال النفط الابيض إلى السلطان صلاح الدين في عام (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) مع انواع من الاسلحة ((ومن كل جنس احكمه واقومه وأجوده))، وهذا يعتبر جزء من المساعدة والمعونة التي كانت الموصل تبعثها إلى السلطان في حينها. ينظر: عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص١٨٨؛ ابو شامة، الروضتين، ٤/ ٦٢. ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٠٧.

(٣) عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي، ص١٩٦؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٧١.

(٤) الزراقين (الزراق) أو النفاط هو الذي يرمي النفط من الزراقة وهي انبوبة خاصة يزرق بها النفط ثم يرسل من أنابيت تجعل في السفن وتعرف باليونانية باسم (سيفونية) وتسمى عند العرب بالزرافات نسبت منها نار النفط بأرعاد دخان شديد فتحرق السفن، وكان نفاط أو الزراق يرتدي ثوباً خاصاً غير قابل للاشتعال يطلق على لباس النقاطين أما الفرس الذي يحمل النفط فقد كانوا يلبسونه دروع خاصة للوقاية من النار كي لا تتضرر من قطرات النفط التي تسقط عليها. إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص١٥١؛ زكي، السلاح، ص٦٠؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٨١؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص٢٨٧.

(٥) النوادر السلطانية، ص١٨٣، وانظر أيضاً عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص١٩٦؛ أبو شامة، الروضين، ٤/ ٧٢؛ ابن منكلي، الحيل في الحروب،، ص١٣٣.

(٦) النفاطة: هي الآلة التي تقذف النفط، زكي، السلاح، ص٦٠.

(٧) مفرج الكروب، ٢/ ٣١٤، انظر أيضاً، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ١٠٩.

(٨) صفاء الهندي، تقنية الاسلحة، ص٨٢؛ يوسف درويش غوانمة، إمارة كرك الأيوبية، (الأردن: ١٩٨٠)، ص٥٤.

(٩) سبق تعريفها في ص١٢٥، هامش٢.

عضوية أخرى قابلة للإحتراق كالدهون وشحوم الحيوانات، وتوضع هذه التراكيب في اسطوانات نحاسية تسمى (زراقات) أو يكون على شكل كرات، أو قطع الكتان المشبع بالنفط ثم يطلقونها على العدو[١].

وأبرز الأمثلة على ذلك ما حدث في عكا سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) عندما هوجمت المدينة من قبل الصليبيين بواسطة الأبراج المتينة والمغطاة بالجلود والمواد المانعة للاحتراق، ولكن الجيش الأيوبي وبمساعدة شاب دمشقي كيمياوي، تمكن بخلط بعض المواد مع النفط في قدور من النحاس حتى صارت كأنه جمرة نار، ثم ضربت بها تلك الأبراج فاشتعلت من ساعتها وتم إحراقها[٢].

لابد هنا من الإشارة إلى أن هذا التركيب له تجهيزات عديدة في القتال، بسبب وجود الكبريت فيها، وهي مادة تسمح بإشعال المواد القابلة للاحتراق أي المواد العضوية. أما وجود المواد الدهنية والنفطية في ترطيبها؛ فإنها تجعلها تطفوا فوق سطح الماء، بالإضافة إلى تسهيلها عملية الاحتراق يساعد على حماية الشواطئ، فعندما يتم استخدام ذلك المركب يصب المقاتلون التركيب السائل على سطح الماء ثم يشتعل، وبذلك فإن النار تبدأ بالانتشار والاشتعال عند ملامستها الماء، وكانت ترطب بماء قبل إطلاقها، لأنها إن لم ترطب قبل ذلك فإنها سوف تحترق حال إطلاقها، وينبعث منها دخان كثيف يسبب انفجاراً قوياً، وسرعة انطلاقها ولهبها يجعلها ينطلق بقوة إلى جميع الاتجاهات فتحرق كل شيء يلاقيه مما يلحق أضراراً بليغة بالعدو[٣].

إقتصر استعمال النار الإغريقية في المعارك البحرية على الأغلب، وكانت لا تنطفئ إلا باستعمال بعض المواد حيث كانوا يعلقون حول المراكب من الخارج، وهي الجلود أو اللبود المبلولة بالخل[٤] والشب والنطرون، أو الطين المخلوط بالبورت ومواد أخرى للحد أو للتخفيف من النار المشتعلة[٥]. تم تطوير النار الإغريقية في المشرق كثيراً، وادخلوا

---

(١) قتيبة الشهابي، صمود دمشق، ص٨٠؛ زكي، السلاح، ص٥٩؛ إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص١٥٣؛ جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ١/ ١٩٢؛ ثابت، الجندية، ص١٤٦؛ حمودة، الحضارة، ص١٤٩؛ السامرائي، تقنية السلاح، ص١٢.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٧٢.

(٣) للمزيد عن اضرار هذه النار ووصفها ينظر: الطرسوسي، تبصرة الارباب، ص ص٢١–٢٢؛ عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٢٦؛ البستاني، دائرة المعارف، ٩/ ٧٠٥؛ صفاء الهندي، تقنية الاسلحة، ص٨٣.

(٤) يقول الطرسوسي أنه يأخذ لبداً (جلداً) مبللة بخل خمر وترديه على النار بسرعة ؛فأنها تنطفئ بذلك، ينظر: تبصرة ارباب، ص٢٣.

(٥) الخولي، الجندية والسلم، ص٩٩؛ وفيق بركات، فن الحرب البحرية في تاريخ العربي الإسلامي، (حلب، ١٩٩٥)، ص١٤٣؛ قدري حافظ طوقان، الملاحة عند العرب، مجلة الرسالة نابلس، ١٩٤٠،(ع) ٣٣٩٤، ص٧.

عليها العديد من التحسينات، سواء من ناحية تركيبتها الكيمياوية أو من ناحية قوة الاشتعال[١].

أما كيفية الاستعمال فقد تعددت الآلات القاذفة لها، حيث صار لكل نوع من هذه الآلات قذائف نارية خاصة بها؛لأن المسلمين اخذوا يُزودون اساطيلهم بهذه النار على نطاق واسع[٢]، ومن أهم الطرق التي تستخدم لقذف النار بها هي:

١- بواسطة المنجنيق والعرادة:

على الرغم من أن هاتين آلالتين صممتا اصلاً لرمي الصخور، والحجارة وحزم السهام، إلا أنهم استطاعوا تحويرها وتسخيرها لرمي النار الإغريقية[٣] وذلك بعدة وسائل:

أ- بواسطة القوارير

وهي قدور تملأ بالنفط، وتشد فتحاتها ثم ترمي على الحصون والقلاع للإحراق[٤] بالمنجنيق أو العرادة، عندما يقع على الهدف تنكسر فتلطخ المنطقة المضروبة بسائل النار الاغريقية، ثم يؤتي بحجر حُفِرت فيه شقوق وأخاديد عديدة تملئ بالنفط، ثم يشعل النار فيه ويرمي إلى حيث وقعت القوارير، فيلتهب المكان، ولا يطفئ حتى يصير رماداً[٥].

ب- اوعية النحاس

تملأ اوعية النحاس بحجم حجر المنجنيق بسائل النار الاغريقية، فتشعل ثم ترمي على العدو وكانت تسمى هذه الاوعية بالنفاطات[٦].

ج- بواسطة صناديق النحاس

سميت صناديق (المخاسفة)، وتربط إلى مزراق من نحاس (رمح قصير) له أنابيب تنفذ إليه فيملأ الصندوق بسائل النار، ثم يثبت في رأس المزراق قطع لباد فتشتعل، ويقذف المزراق ومعه الصندوق بالمنجنيق، فيشتعل من جرائها وينفجر[٧].

---

(١) السامرائي، تقنية السلاح، ق٢، ص١٣؛ نظير حسان سعداوي، تاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين، (القاهرة: ١٩٥٧)، ص٢٢٣.

(٢) إحسان هندي، الحياة العسكرية، ص١٥٢؟

(٣) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٠٢، حسين، الجيش الايوبي، ص١٨١، السامرائي، تقنية السلاح، ٢/ ١٤.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ٢/ ١٥٣.

(٥) إحسان الهندي، الحياة العسكرية، ص١٥١، السامرائي، تقنية السلاح، ٢/ ١٣، الزردكاش، الانيق في المجانيق، ص٢٣.

(٦) صفاء لهندي، تقنية الاسلحة، ص٨٤؛ السامرائي، تقنية السلاح، ٢/ ١٣؛ زكي، السلاح، ص٦٠.

(٧) إبراهيم أحمد العدوي، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، (القاهرة: د/ت)، ص١٦٥، الجبوري، الاسطول الحربي، ص٤٤، السامرائي، تقنية السلاح، ٢/ ١٣.

د- بواسطة الحجر المحجوف

وهي أحجار كروية الشكل بحجم حجر المنجنيق تحفر فيها خزائن وفراغات تملأ بسائل النار الإغريقية، فتحرق وتقذف بالمنجنيق فيصبح لها تأثيرقوي من ناحية التدمير والحرق(١).

٢- بواسطة الزراقات:

الزراقة: هي الأنبوبة التي يزرق بها النفط.

٣- بواسطة القسي والسهام

وهي من أحسن الطرق؛ لأنها تدفع النار على مدى شاسع وتكون هذه القسي والسهام على نوعين سهام المحابرة وسهام الحريق(٢). ففي وقعة رأس العين سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) عندما حدثت معركة عنيفة بين الأيوبيين والصليبيين استخدمت فيها السهام الحارقة بدليل قول عماد الدين الأصفهاني: ((ويشملهم بجمرات السهام، ويحرقهم ويشويهم))(٣).

٥- بواسطة التوابيت

وهي عبارة عن صناديق مفتوحة،تستخدم لعدة أغراض أثناء القتال منها، كانت توضع في أعلى السواري يصعد إليها الرجال، ومعهم حجارة صغيرة في مخلات (حاويات) معلقة بجانب الصندوق فيرمون العدو بالأحجار وهم مستورون بالصناديق(٤)، وفي المعارك البحرية كان المقاتلون يستعملون قوارير النفط للاشتعال، أو جرر مملوءة بمسحوق النورة يرمون بها مراكب الأعداء فتصيب الرجال بغبارها، وقد تلتهب أو يرمون عليهم قدور الصابون، فتنزلق أقدامهم ويسقطون في البحر، كما كانوا يقذفون منها أكياس الحيات العقارب على سفن الأعداء، لبث الرعب بين صفوفهم(٥).

٦- بواسطة التماثيل:

عبارة عن تماثيل تصور مناظر الحيوانات الضارية كالأسود وغيرها، توضع في مقدمات السفن وتنبعث من أفواهها النار، التي تقذف على سفن الأعداء(٦) وفي سنة

---

(١) السامرائي، تقنية السلاح، ٢/ ١٣.

(٢) السامرائي، تقنية السلاح، ٢/ ١٣؛ الجبوري، الاسطول الحربي، ص٢٤، حسين، الجيش الأيوبي، ص١٨١، صفاء الهندي، تقنية الاسلحة، ص٨٢.

(٣) الفتح القسي، ص٢٣٤.

(٤) الخولي: الجندية والسلم ، ص٩٧، حسين، الجيش الايوبي، ص٢١٥، إحسان هندي، ص١٨٨—١٨٩.

(٥) الحموي، تاريخ الاسطول، ص٧٠، الجبوري، الاسطول الحربي، ص٤٣، عون، الفن الحربي، ص٢٦٦، ماهر، البحرية، ص٢٠٣.

(٦) العدوي، الاساطيل العربية، ص ١٦٥، الجبوري، الاسطول البحري، ص٤٤.

(٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) تم استخدامها من قبل الأيوبيين أثناء حصار صور ((فكأنها الأساود السود، ركبتها الأسود، من كل أفعوان يحمله افعوان... وغراب بشتات العدا ناعق...))[١].

٧- بواسـطـة مـشاعل كـروية

عبارة عن مشاعل كروية صغيرة مملؤة بالنار،يلقى في الماء حيث كانت تغدق فيه بدون ان تنطفئ، ثم تطفو على سطح الماء وتنفجر فتحرق كل ما لقيت من المواد التي لها القابلية للاحتراق وكانت تسير بسرعة وقوة عظيمتين، لقد استفاد منها المسلمون كثيراً في حروبهم البحرية[٢].

وقد استعمل الجيش الأيوبي الأسلحة النارية في العديد من الحروب، من خلال حرقهم مجانيق العدو وأبراجه، وقذفهم القلاع والحصون والمدن، بالإضافة إلى استعمالها الواسع في حروبهم البحرية[٣]. وليس أدل على ذلك، ما رواه عماد الدين الأصفهاني في حوادث سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) قائلاً: ((وإن أصحابنا بعكا رسوا بقدور النفط عدد العدو المدحور، وأحرقوا جميع مالهم من المذخور واحترقت ثلاثة أبراج كانوا قدموها، ودبابات قربوها، ومنجنيقات نصبوها))[٤].

---

(١) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٨٩.

(٢) السامرائي، تقنية السلاح، ٢/ ١٥.

(٣) سوف نتحدث عنها في مواضعها.

(٤) الفتح القسي، ص٢٠٠.

الفصل الثالث
القوات البحرية في العصر الأيوبي

الفصل الثالث
القوات البحرية في العصر الأيوبي

توطئة:

تعرض المشرق الإسلامي للغزو الصليبي في اواخر القرن (٥هـ/ ١١م)، وعلى اثر ذلك الغزو تم احتلال مناطق واسعة في بلاد الاناضول وبعدها تمكنت القوات الصليبية المهاجمة من تأسيس ثلاث إمارات صليبية في بلاد الشام والجزيرة وهي (الرها، انطاكية، طرابلس) فضلاً عن تأسيس مملكة ألا وهي مملكة بيت المقدس، وذلك في غياب الوحدة السياسية بين المشرق والمغرب الإسلامي، ناهيك عن التنافس الشديد بين الخلافتين العباسية والفاطمية حول قيادة العالم الإسلامي أوانئذ، في وقت لم تفتقر كل القوى الإسلامية الموجودة الى القوات العسكرية المدججة بالسلاح، لكن عدم التنسيق بين تلك الأطراف ساعدت الصليبيين على انتهاز تلك الثغرة، والاندفاع بقوة إلى داخل العمق الاستراتيجي الإسلامي وتهديد معظم مناطق بلاد الشام والجزيرة الفراتية، بالإضافة إلى تعرض مصر للتهديدات العسكرية الصليبية المباشرة وغير المباشرة.

على الرغم من المحاولات التي بذلتها الخلافة الفاطمية براً وبحراً على حد سواء إلا أنها لم تتمكن من منع التغلغل الصليبي إلى داخل الأراضي الإسلامية، في الجانب الشامي وإن كانت الدولة الزنكية في الموصل متمثلة بأتابكها عمادالدين زنكي قد تمكنت من استعادة مدينة الرها وإسقاط أول إمارة صليبية كانت قد تأسست مع الغزو الصليبي للمشرق الإسلامي وذلك في سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م)، ليفتح بذلك باب الجهاد والنصر على مصراعيه أمام أمراء آخرين، ممن كانوا يحكمون بعض الكيانات السياسية المعاصرة له للوقوف ضد الأطماع الصليبية في المنطقة، واشتدت عملية التصدي للصليبيين فيما بعد في عهد نورالدين محمود زنكي اتابك حلب، الذي تمكن من تضييق الخناق على التحركات الصليبية في بلاد الشام عندما تمكن من تأسيس دولته في حلب ومن ثم ضم إليها دمشق ومدنا شامية أكثر استراتيجية، وفي الوقت نفسه دعم مسألة تكوين أسطول بحري يأخذ على عاتقه مهمة صد الهجمات البحرية الصليبية على بلاد الشام.

زاد من اهتمام السلطنة الزنكية بالقوة البحرية الناشئة، بعد ان أرسل نورالدين زنكي قواته العسكرية إلى مصر، لمساندة وزيرها المخلوع شاور بن سعدي، والوقوف بتأن على أحوال مصر العامة بين السنوات (٥٥٩–٥٦٤هـ/ ١١٦٣–١١٦٨م)، فوجد إن مصر المهددة بأطماع الصليبيين لذا يجب تقوية أسطولها البحري وجعله اكثر قوة وتنظيماً مما كان

عليه، في العصر الفاطمي، كون أن الصليبيين لا يألون جهدا في الاندفاع بحرا إلى احتلال مصر.

تغيرت الظروف السياسية والعسكرية على الساحة الشامية والمصرية بعد وفاة نورالدين محمود زنكي وتمكن صلاح الدين الأيوبي من تأسيس دولته، واستكمل الجهاد الذي بدأت به الدولة الزنكية ضد الصليبيين، كما عرف بأنه لن يتمكن من هزيمة الصليبيين براً إن لم يمتلك مؤسسة بحرية على قدر من القوة والامكانية القتالية من جانب العاملين فيه، لذلك اهتم بصورة كبيرة بتجديد الاسطول البحري المصري وإنشاء مرافق بحرية خاصة به لينافس بذلك القوة البحرية الصليبية، فأصبح له ما أراد بفضل الإمكانيات البشرية والمادية التي امتلكتها الدولة الايوبية في مصر والشام على حد سواء. ضرب صلاح الدين نفسه مثالاً رائعاً للجهاد البحري وضرورة تقوية الاسطول، فقد ذكر مؤرخه ابن شداد الذي شاهد الكثير من أهوال البحر أن صلاح الدين أفصح له عما يدور في خلده من أمور فيما يتعلق بالقتال في البحر فقال على لسان صلاح الدين ما نصه: ((في نفسي أنه متى ما يسر الله تعإلى فتح بقية الساحل قسمت البلاد، وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم أتتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت))(١).

ومن تلك الرؤية الصلاحية أصبح الالتفات إلى تهيئة قوات بحرية لا تقل مهارة وممارسة عن القوات البرية، من أولويات الدولة، وكما ان قادة البر كانوا يتنافسون في ساحات الوغى لإبراز شجاعتهم، فإن أمراء البحر وقادته أيضاً لم يتاونوا لحظة في إظهار مهاراتهم في فنون الحرب البحرية، ومقارعة الأعداء في عرض البحر وعلى ضفاف الخلجان، وأمام القلاع الساحلية وكل تلك التوجهات ستظهر من خلال مباحث الفصل تباعاً.

(١) النوادر السلطانية، ص٥٥.

المبحث الاول

هرمية المناصب والوظائف البحرية في العصر الأيوبي

من خلال الشواهد النصية في المصادر التأريخية، المعاصرة للدولة الأيوبية والتي أدركت تلك الدولة أم سبقت ظهور تأسيسها السياسي،يلاحظ بأن تلك الدولة استفادت كثيراً من النظم والتراتيب العسكرية البرية الزنكية والبحرية الفاطمية على وجه الخصوص، كون أن تلك الدولة (الفاطمية) كانت في صراع حضاري وحربي مستمر ضد الجيوش الصليبية البرية ومن ثم البحرية نظراً لوجود مساحة شاسعة للسواحل التابعة للخلافة الفاطمية سواء في بلاد الشام أو مصر كانت معرضة للغارات الصليبية، حتى إنهم كانوا قد أفردوا له ديوان خاص عرف بديوان الجهاد أو ديوان العمائر، اشرف على صناعة الإنشاء للأسطول بمصر(١)، وكانوا يمتلكون نظام بحري متطور جداً وتقسيمات قتالية منظمة وترتيب عسكري منسق(٢).

اهتمت تلك الدولة بالاسطول البحري لردح من الزمن حتى الحقبة الأخيرة من تأريخها، حيث أغفلت الاهتمام به وأهملت الالتفات إلى تقوية الأسطول وسفنه ولاسيما في الثغور الاستراتيجية مثل تنيس بدليل إغارة الأسطول الصقلي على المدينة وميناءها في سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) حيث قتلوا وسبوا وغنموا ما شاؤوا، دون أن يكون هناك أسطول بحري فاطمي يدافع عن المدينة(٣) بل إنها عندما اضطربت الأحوال في القاهرة وأُحرقت سفن الأسطول المصري في ميناء الفسطاط على عهد الوزير شاور السعدي، أهمل الأسطول وضعف الاهتمام به بعد ذلك.

تغيرت الرؤية إلى مسألة تجديد الأسطول وإصلاحه لاحقاً عندما أصبح صلاح الدين وزيراً للدولة الفاطمية، وتعرضت دمياط للغزو البحري، وهي المدينة التي كان الصليبيون يعدونها ((بحق مفتاح الدخول إلى أنحاء وربوع مصر))(٤)، فاستشعر الخطر تدريجياً من تلك الناحية، وازدادت مخاوف صلاح الدين الأيوبي من الغارات البحرية منذ سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) عندما بدأت القوات الصليبية تسعى جاهدة للتغلغل إلى السواحل الشامية والمصرية بصورة أقوى مما كان سابقاً مثلما فعلوا عندما تعرضت الإسكندرية في

---

(١) ابن الطوير، المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق ايمن فؤاد سيد، (بيروت: ١٩٩٢)، ص٩٤.

(٢) المقريزي، الخطط، ٣/ ٣٣٨-٣٣٩

(٣) الفارقي، تاريخ ميافارقين، ص٣٠

(٤) جاك دي فيتري، رسائل جاك دي فيتري، ترجمة عبداللطيف عبدالهادي السيد، (ليبيا : ٢٠٠٥) ، ص١٠٩.

عهده للهجوم الصقلي عن طريق البحر[1]، وهو ما أكد عليه إبن أبي طيء الحلبي قوله: ((ولما رأى السلطان المقام بالإسكندرية، ليصوم فيها رأى أنه لا يخلي نفسه من ثواب يقوم مقام القصد إلى بلاد الكفار، والجهاد في المشركين فرأى الأسطول وقد أخلقت سفنه، وتغيرت آلاته فامر بتعمير الأسطول))[2].

من الملفت للنظر؛ أن وليم الصوري عندما يتحدث عن الهجوم البحري على الإسكندرية سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) فإنه يمر عليها مرور الكرام ولا يـدون عن تلك الحادثة إلا بضع سطور، يبدوا انه لم تعجبه تلك الهزيمة القاسية التي تعرض لها الأسطول الصليبـي أمام الإسكندرية، فلم يدون تفاصيل المعركة بموضوعية كما حدث في حالات أخرى كان النصر من حليف الصليبيين حيث أفاض في التفصيل والإسهاب[3].

من المعلوم أن السلطان صلاح الدين، كان أكثر اهتماما، بالجيوش البرية من البحرية، بسبب نوعية المعارك الحربية مع الفرنجة الغزاة حيث االندلعت أغلب المعارك معهم على اليابسة[4]، وهذا الضعف لم يكن يتعلق بالمشرق الإسلامي فحسب، بل شمل المغرب الإسلامي أيضا في وقت من الأوقات، بدليل ما نقله الصفدي من إشارة قيمة إلى بعض الأبيات الشعرية للشاعر أبو العرب الصقلي الزبيري[5] عندما كتب إلى المعتمد بن عباد الاندلسي قائلا:

لا تعـجـبن رأسـي كيف شـاب اسى	وأعجب لآسود عيني كيف لم يشب
البحر للروم، لا تجري السفين به	الا علـى غـَرر والـبـر للعــــــرب[6]

فـي الوقت نفسه أكد إبن جبير على أن الأوربيين كانوا أكثر اهتماما بالمسالك البحرية ولاسيما الـمراكب والسـفن الحـربية والتجارية، بداعـي قلـة السـفن البحرية الإسلامية فـي البحر الـمتوسط أوانئذ واضـطراره إلى ركـوب سفينـة بيزنطية من جزيـرة سردينيـة إلى مصـر[7].

---

(١) دريد عبدالقادر نوري، سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة، (بغداد: ١٩٧٦)، ص٤٦٣؛ اياد احمد محمد عبيد، الحرائق في مصر وبلاد الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية - كلية الاداب، قسم التاريخ والاثار، (غزة: ٢٠١٥)، ص١١٤.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٢٩٥؛ وللمزيد عن الهجوم الصقلي على الإسكندرية وما أفرزته من نتائج ينظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/٢٨٠-٢٨١؛ سالم محمد الحميدة، الحروب الصليبية، (بغداد: ١٩٩٠)، ص ص١٩٨-٢٠١.

(٣) الحروب الصليبية، ٤/ ١٧٦-١٧٧، ٢١٤-٢٢١.

(٤) محمد سهيل طقوش، تاريخ الايوبيين في مصر وبلاد الشام واقليم الجزيرة، (بيروت: ٢٠٠٨)، ص٢٠٩.

(٥) عن ترجمته ينظر، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/ ٣٣٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٥ / ١٤٩.

(٦) نكت الهميان في نكت العميان، وضع حواشيه، مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، ٢٠٠٧) ص١٩٨؛ إبراهيم جدلة، افريقية والغزو البحري في العصر الوسيط، مجلة البحث العلمي، (المغرب: ١٩٩٨)، العدد ٤٥، ص٥٧-٥٨.

(٧) رحلة ابن جبير، ص٨.

من الجدير بالذكر أن الصليبيين لم يركزوا في هجماتهم البحرية على سواحل الشام إلا في مرات معدودة حتى نهايات القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وعندما شعروا بأن مفتاح السيطرة على كل من الإقليمين لا يعتمد فقط على القوى البرية، استعانوا بقوة بأساطيلهم البحرية من أجل تهديد الشام ومصر على حد سواء.

عند اشتداد تلك الغارات البحرية، كان على صلاح الدين أن يعي خطورة تلك التجاوزات، وكما قال علي بن خلف الكاتب: ((والسلطان محتاج عند الحوادث التي تحدث من تطرق المخالفين إلى بعض الثغور أو شن الغارة على أهل الإسلام، أنْ يدعو إلى الجهاد ومقارعة الأعداء، وصون حريم الملة، وحفظ نظام الدولة))[(١)]، حتى إن بعض الفقهاء المسلمين عدوا جهاد البحر أفضل كثيرا من الجهاد على اليابسة، وذلك لعدم تمكن المقاتل البحري من الفرار بحرية، أو النجاة من البحر بسهولة فضلاً عما يعتري الانسان من خوف ارتياد البحر[(٢)].

كل ذلك الضعف الموجود في الأسطول الإسلامي وتعرض المسلمين للغارات الصليبية البحرية حَسّنَ عند السلطان صلاح الدين إلى الالتفات للحفاظ على سواحل، وموانئ الدولة الأيوبية، ووضع القوات الاستطلاعية والبدائل البحرية في أماكنها الصحيحة، ومتابعة التزام كل العناصر التي تعمل على سلامة القلاع والحصون الساحلية[(٣)].

ويقصد بتراتبية المناصب العسكرية البحرية قيادة الأساطيل، التي هي عبارة عن مراتب البحارة حسب الأهمية، والدور الذي يقع على عاتقهم في إدارة مراكبهم (سفنهم)، والأعمال التي يؤدونها من خلال مراسم ومناشير سلطانية، تصدر من قبل ديوان الجيش، ويشرف على تنفيذها ناظر الجيش في الأعم الأغلب، وبمتابعة مباشرة من السلطان أو من ينوب عنه في إدارة الاسطول، لذا أمام كل تلك الأوضاع والظروف المستجدة والحاجة الحربية، أمر بإعادة الاسطول البحري الذي أطلق عليه ابن مماتي ((الاسطول المنصور))[(٤)]، وعهد بقيادته إلى أحد المقربين منه ممن لهم خبرة بأحوال وأهوال البحر، وخصص له ميزانية خاصة للصرف على إعادة بناء الأسطول، وجعل له

---

(١) مواد البيان، تحقيق حاتم صالح الضامن، (دمشق: ٢٠٠٣)، ص٣٤٨.

(٢) ابن النحاس، مشارع الاشواق ومصارع العشاق، تحقيق ادريس محمد علي ومحمد خالد اسطنبولي، (بيروت: ١٩٩٠)، ص ص٢٤٥-٢٦٣؛ ابن الأزرق، بدائع السلك، ٢/ ٥٤.

(٣) القلقشندي،صبح الاعشى، ٧/ ٢٠٤؛ كامل اسود قادر، البحرية الايوبية (٥٦٤-٦٤٨هـ/١١٦٨-١٢٥٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب، قسم التاريخ، جامعة صلاح الدين، (اربيل: ٢٠٠٢)، ص٥١.

(٤) قوانين الدواوين، ص٣٣٩؛ والاسطول كلمة لاتينية وتمثل السفن الحربية المعدة للقتال في البحر والتي تقاتل معا مجتمعة، المسعودي، التنبيه والاشراف، تحقيق عبدالله إسماعيل الصاوي، (بغداد: ١٩٣٨)، ص١٢٢؛ المقريزي، الخطط، ٣٣١/٣.

ديواناً خاصاً وغير إسمه إلى ديوان الأسطول؛ بعدما كان يسمى في العهد الفاطمي بديوان جيش المصريين وكان ذلك تحديدا في عام (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) ؛ لكن المؤسف أن ناقل الخبر لا يصرح باسم القائد الذي أسند إليه السلطان صلاح الدين بتدبير أمر إعادة إعمار الأسطول وقيادته[١]. وأفرد لعمل السفن مصانع خاصة عرفت بصناعة العماير أو صناعة الإنشاء، أي إنشاء وصنع المراكب والسفن البحرية في مراكز معينة مثل الإسكندرية والقاهرة ودمياط وتنيس والفرما[٢]. وكان قد فتحت أسواق خاصة ببيع وشراء المستلزمات البحرية اللازمة من الأخشاب والحديد ومختلف أنواع الاقمشة التي يستخدمها البحارة وعرف بالمتجر السلطاني[٣].

من المهم الإشارة إلى أن السلطان صلاح الدين عندما رتب كل الأمور المتعلقة بإحياء الأسطول الفاطمي القديم والسلطاني الجديد، أرسل الكتب إلى مختلف المدن المصرية يحث الأهالي ولاسيما الرجال، والشبان القادرين على العمل في الاسطول البحري، على تلبية نداء قائد الأسطول الذي عينه ، بغية امداده بالرجال كلما احتاج إليهم، فضلاً عن أنه ألزم القائد المذكور بالمرابطة في البحر، من أجل شن الغارات البحرية على مناطق الأعداء[٤].كان باكورة إعادة بناء الاسطول هو تمكن اساطيل كل من الإسكندرية ودمياط من تحقيق عدد من الانتصارات على الصليبيين في البحر المتوسط والعودة مظفرة، وهي محملة بالاسرى والغنائم، وكان ذلك سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)[٥].

لذا ليس غريبا أن نرى مؤرخا مثل ابن خلدون يركز لى أهمية قيادة الأساطيل في مقدمته حتى وإن كان يقصد بمجمل القول ما تعارفت عليه الأصول في المغرب والأندلس لكن الاستنتاج العام والمعنى الشامل فيما يتعلق بالأمر المذكور لا يختلف بين المشرق الإسلامي ومغربه فأكد ((إن قيادة الأساطيل هي مراتب الدولة وخططها... ومرؤسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الأحوال))[٦]. واستطرد قائلا: ((وكان أساطيلها مجتمعة في سائر المماليك من كل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره إلى قائد من النواتية يدير أمر حربه وسلاحه ومقاتليه، ويتولى تدبير أمر جريه بالريح أو المجاذيف وأمر إرسائه إلى مرفئه، فإذا اجتمعت الأساطيل لغزو محتمل أو غرض سلطاني مهم

---

(١) أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٢٩٥؛ حسنين محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، (القاهرة: ١٩٦٤)، ص٧١.

(٢) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣٤٠ ؛ المقريزي، الخطط ، ٣/ ٣٣١.

(٣) اسمت غنيم، الدولة الايوبية والصليبيون، (الاسكندرية: ١٩٩٠) ، ص١٣٣.

(٤) أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٢٩٥ .

(٥) عماد الدين الاصفهاني، خريدة القصر ، قسم شعراء الشام، ١/ ٤٩١.

(٦) المقدمة، ص ص٢٢٤-٢٢٥.

عسكرت بمرفئها المعلوم، وشحنها السلطان برجاله وإنجاد عساكره ومواليه وجعلهم لنظر أمير واحد من أعلى طبقات أهل مملكته يرجعون كلهم إليه))[١].

ومن هذا المنطلق يمكن أن نذكر أهم تلك الرتب العسكرية البحرية في العصر الأيوبي مع الإشارة إلى أن أغلب تلك المناصب قد ورثتها الدولة الأيوبية من الخلافة الفاطمية، فضلاً عن أن قوة ونشاط البحرية الأيوبية ظهرت بأبهى صورها في العهد الصلاحي ونوعاً ما في عهد الملك العادل الأيوبي، وابنه الملك الكامل ولاسيما إبان الحملة الصليبية الخامسة على دمياط، وبعد تلك المرحلة لا نكاد نقف على أية أهمية ظاهرة للعيان للأسطول البحري الأيوبي حتى أيام السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وابنه توران شاه عندما تصدوا لحملة الملك الفرنسي لويس التاسع على مصر حيث ظهر أوانئذ دور الأسطول المصري ثانية. وكما كانت للجيوش البرية مناصبها، فلم تشذ عنها البحرية أيضا ومن أبرزها:

١- مقدم الاسطول

ويطلق عليه أمير البحر أو وزير البحر[٢] أو رئيس الأسطول[٣] أو والي البحر وعليه انتقلت تلك الرتبة البحرية إلى اللغات الأجنبية بغية الانتفاع منه، فصار في الإنكليزية يسمى أدميرال (Admiral) وفي الفرنسية أميرال (Amiral)[٤]؛ لأنه أعلى مرتبة بحرية، مهمة صاحبه قيادة الحملة البحرية، ويقتدي به الجميع يرسون بإرسائه، ويقلعون بإقلاعه. لأنه من العرف البحري أن يترأس البحارة وأمراءهم أكبر الأمراء من ذوي الخبرة والمعرفة بالبحر[٥]. الذي عرف أحيانا بوالي البحر وكان عليه: ((أن يستجيد المراكب ويستجدها ويكثر تقويتها، وادخار آلاتها، حتى إذا تلف شيء من ذلك وجد ما يخلفه))[٦]؛ ويعرف أيضا بالربان أي رئيس الملاحين[٧].

إن مقدم الأسطول كان يعقد مجلس للحرب مع مقدمي المراكب والسفن التي تخرج للمشاركة في القتال، حتى يتفق معهم على وضع خطة معينة، مستنداً في ذلك على المعلومات التي تتوافر لديه عند تعداد سفن الاعداء ونوعيتها وأسلحتها[٨].

---

(١) المقدمة، ص٢٢٦.

(٢) بركات: فن الحرب البحرية، ص١٦٤.

(٣) المقريزي، الخطط، ٣/ ٣٣٨.

(٤) الحموي، تاريخ الاسطول، ص٤٧؛ ماهر، البحرية، ص٢٧٢.

(٥) المقريزي، الخطط، ٣/ ٣٣٨.

(٦) للمزيد عن مسؤوليات أمير البحر ينظر، أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، (الكويت: ١٩٧٩)، ص٩٠-٩٢؛ إبراهيم حسن سعيد، البحرية في عصر سلاطين المماليك، (د/م: ١٩٨٣)، ص٢٨٣.

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، (القاهرة: ١٩٩١)، ص٣١؛ الفيروزابادي، القاموس المحيط، ص٨٨.

(٨) المقريزي: الخطط، ٣/ ٣٣٨؛ الجبوري: الأسطول الحربي، ص٣٣.

حسب ما سبق ونظراً لمسؤولياته الكثيرة، من الضروري أن يكون مقدم الأسطول من الشخصيات الكبيرة، ومن أعيان أمراء الدولة وأقواهم نفساً[(١)]، فمن أبرز الشخصيات التي تولى هذه المهمة في العصر الأيوبي وهو الأمير الحاجب حسام الدين لؤلؤ الأرمني (ت ٥٦٩هـ/ ١١٩٩م)[(٢)].

٢- القائد أو الرئيس

وهو الذي يعطي الأوامر في كيفية توجيه السفينة بالاستفادة من حركة الرياح أو المجاذيف وكانت مهمته السيطرة على دفة السفينة التي تقوم بتوجيه مسار السفينة[(٣)] بالإضافة إلى مهمة شحن السفينة بالجند وتسليحهم وتموينهم[(٤)]، يبدو أن تلك المرتبة كانت من الوظائف المهمة بين مراتب بحارة السفن لأن متوليها تقع على عاتقه مسؤولية تنظيم وتوزيع المقاتلين على ظهر السفينة وتجهيزهم بالاحتياجات، فضلاً عن امتلاكه الخبرة في المناورة والحركة واختيار الوقت المناسب للهجوم في أثناء القتال، و بناء السفن وأماكن رسوها، ومنع تسرب المعلومات البحرية[(٥)].

وكان تحت إشراف القائد أو الرئيس عدد من البحارة من ذوي الخبرة يُعرَفون بالاعيان، وكان لكل عشرة منهم قائد يقتدي به فيقلعون بإقلاعه ويرسون بإرسائه[(٦)].

٣- الملاحون أو النواتية

النوتي[(٧)] هو الملاح الذي يدير السفينة في البحر وقد نات ينوت نوتا أي تمايل لأنه يميل مع السفينة من جانب إلى جانب[(٨)] لينتفع من الريح[(٩)]، ويقال للملاح (السَّفّانْ) كذلك[(١٠)].

---

(١) للمزيد عن دور حسام الدين لؤلؤ في قيادة الاساطيل الايوبية وجهاده اللامحدود وانتصاراته على الصليبين يراجع المبحث الثاني من الدراسة.

(٢) النويري: الإلمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام، تحقيق عزيز سوريال عطية، (حيدر آباد: ١٩٦٨)، ٢/ ٢٣٦؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١/ ٣١٤؛ الجبوري، الأسطول الحربي، ص٣٤.

(٣) عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية، (بيروت: ٢٠٠٨)، ص٧٩؛ الحموي، تاريخ الأسطول ، ص١٠٧، ١٠٩.

(٤) الجبوري، الأسطول الحربي، ص٣٤؛ علي محمود فهمي، التنظيم البحري في شرق البحر المتوسط منذ القرن السابع حتى القرن العاشر، ترجمة، قاسم عبده قاسم، (لندن: ١٩٤٨)، ص١٥٢—١٥٣.

(٥) بركات، فن الحرب البحرية، ص١٦٤.

(٦) النوتي: جمعها نواتي أصل اللفظة يوناني، وهومن كلام أهل الشام. ابن منظور، لسان العرب، ١٠١/٢؛ رفائيل نخلة اليسوعي، غرائب اللغة العربية، (حلب: ١٩٥٤)، ص١١٧.

(٧) أبو سعادات ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق، طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، (بيروت: ١٩٧٩)، ٥/ ١٢٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ١٠١؛ الزبيدي: تاج العروس، ٥/ ١٣٠.

(٨) دوزي: تكملة ، ١/ ١٢٨.

(٩)العباسي، آثار الأول ، ص٣٧١.

(١٠) الزبيدي: تاج العروس، ٧/ ١٤٣؛ علي: المفصل ،٢٤٥/٣.

مهمة هؤلاء النواتية هي الاشتراك في القتال، بالإضافة إلى توليهم مهمة التجديف على ظهر السفينة، وقد كانوا يشكلون الغالبية العظمى لبحارة السفينة، لذلك كان لاولئك النواتية مميزات بدنية خاصة بهم كقوة الجسم والقدرة على التحمل(١).

٤- العـرفـاء

يقال لهم النقباء وأحدهم نقيب تقتصر مهمتهم على استدعاء الغزاة من دورهم وقت الاستنفار أو الطوارئ(٢).

٥- الـوظـائف الأخـرى

هناك عدة وظائف بحرية مهمتهم سلامة الحملة البحرية كاملة، وهذه الوظائف لا تقل أهمية عن مهمة القيادة. ومن أهم تلك الوظائف (الديدبان) وهو الحارس والرقيب الذي يقف في مقدمة السفينة يستطلع أحوال البحر في حالة السلم وأخبار العدو في وقت الحرب(٣)، ثم (المنادي) ومهمته تبليغ اوامر الربان (رئيس الملاحين) إلى الملاحين والنوتية بصوته المرتفع(٤)، وكذلك وظيفة المرشد البحري الذي كان يعرف بـ(القلاووز)(٥).

عند الوقوف بتؤدة على طبيعة عمل رجال البحرية في العصر الفاطمي، ولاسيما من العاملين على السفن الحربية، فإن أحد الباحثين استنتج أن الأعمال المهنية اليومية هي ذاتها بالضرورة التي كان يقوم بها البحارة في العصر الأيوبي مثل:

أ- قيادة السفينة وتحديد اتجاهها في البحر والقيام بنشر السواري (الاشرعة).

ب- ضبط عملية السيطرة على دفة السفينة.

ج- تعيين بعض الأفراد من البحارة بمثابة المستكشفين أو المستطلعين للحركات الغريبة في البحر من قبل السفن الجارية فيها، وأولئك كان يشترط فيهم أن يكونوا من ذوي الرؤية الحادة والبصر القوي وليست لديهم مشاكل في قِصر العيون.

د- أن يكون المقاتلة البحريين على أهبة الاستعداد للقتال إذا ما داهمتهم سفن الأعداء وأن يستخدموا كافة الأسلحة اللازمة للقتال، مثل، النبال، والعرادات والمنجنيقات المخصصة للسفن، ورمي المواد الحارقة على مراكب الأعداء، فضلاً

---

(١) الحموي: تاريخ الأسطول، ص١١٠ الجبوري: الأسطول الحربي، ص٣٤.

(٢) المقريزي: الخطط، ٣/ ٣٣٨؛ عبد العليم، الملاحة، ص١٠٤؛ بركات: فن الحرب البحرية، ص١٦٤.

(٣) الزبيدي: تاج العروس، ٣٥/ ١٤٥؛ دوزي: تكملة ، ٤/ ١٥٩.

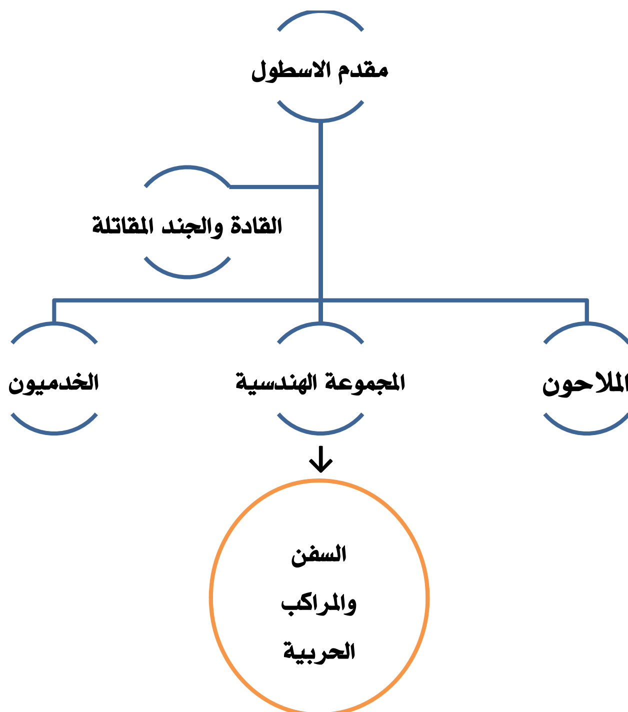
(٤) محمد سلمان الكروي: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، (الاسكندرية: ٢٠٠٨)، ص١٢٠.

(٥) ماهر: البحرية، ص٢٨٣.

عن أن يكون فرسان البحر مؤهلين لخوض المبارزة بالسيوف إذا ما اقتضت الضرورة وحدثت الاشتباكات القريبة[١].

المخطط رقم (٤)

تراتبية الهرم االعام للجيش الأيوبي (البحري)



(١) أحمد مختار العبادي والسيد عبدالعزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، (بيروت: ١٩٧٢)، ص ص١٣٠-١٣١.

المبحث الثاني

التركيب البشري للبحرية الأيوبية

تكتمل إن الصورة عن الجيش الأيوبي عند الحديث عن البحرية الأيوبية، باعتبارها نظير الجيش البري والمعاون للجيش الأيوبي البري الذي قدم الكثير من الانجازات العسكرية طوال تأريخه ،لذلك تجدر الإشارة إلى أن السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد أن تسلم مقاليد الحكم أدرك أنه سيواجه الصليبيين وإن المواجهة ستكون في البحر أكثر من البر لذلك أولى بالأسطول البحري[١] عناية فائقة بعد أن أصابه ضعف في أواخر الحكم الفاطمي[٢]، كما أدرك أهمية الأسطول في تأمين دولته والدفاع عنها لذلك فقد امر منذ البداية القيام بجملة من الأعمال والإصلاحات لتقوية وتطوير أسطوله الحربي.

إختص ديوان الأسطول بالنفقة على شؤون القوات البحرية من السفن الحربية والجند والبحارة والاسلحة والمؤونة بالإضافة إلى الإنفاق على دور الصناعات التي قامت بأعمال الصيانة اللازمة للأسطول وإمدادها بما تحتاج إليه من الاخشاب والالات[٣].

ما يؤكد على اهتمام صلاح الدين بديوان الأسطول البحري ما يلي:

أولاً: خصص لهذا الديوان أموالاً ضخمة من متحصلات الأقاليم[٤].

ثانياً: منح صلاحيات واسعة للمشرفين على الاسطول واختار لتلك المهمة الأشخاص الذين يتميزون بالخبرة والكفاءة والمقدرة[٥].

ثالثاً: جعل السلطان إقطاعاً خاصاً لصاحب الأسطول وكتب يحث الناس على الإقبال عليه ((وأفرد له إقطاعاً مخصوصاً وديواناً مفرداً))[٦].

---

(١) ابن شداد، النوادرالسلطانية ص٢١١؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص٦٣—٦٤؛ عاشور، البنية البشرية، ص٢٢.

(٢) بدأت أوضاع الدولة الفاطمية بالاضطراب في مطلع القرن (٦هـ/ ١٣م) إذ تعاقب على حكمها في العشرين سنة الأخيرة ثلاثة من االخلفاء الضعفاء ، هم (الظافر بالله إسماعيل (٥٤٤—٥٤٩هـ/ ١١٩٤—١١٥٤م) والفائز تبصر الله عيسى (٥٤٩—٥٥٥هـ/ ١١٥٤—١١٦٠م) والعاضد عبد الله (٥٥٥—٥٦٦هـ/ ١١٦٠—١١٧١م) هؤلاء لم يرتق الثلاثة بالسلطة (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/ ٢٣٧، ٣/ ١٠٩—١١٠، ٣/ ١٩١—١٩٢)؛ الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة وعبدالحليم عويس، (القاهرة: ١٩٨٠)، ص١٠٦—١١٠؛ ماهر: البحرية، ص٩٩—١٠٠.

(٣) بركات: فن الحرب البحرية، ص١٦٨؛ الجبوري، الأسطول الحربي، ص٦٥.

(٤) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٣٤—٣٣٧؛ المقريزي، الخطط، ٣/ ٣١٧؛ جميل الخانكي، تاريخ البحرية المصرية، (القاهرة: ١٩٤٨)، ص١٤٤-١٤٥.

(٥) الجبوري، الأسطول الحربي، ص٦٥؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص٢٠٧؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص٣٢٥.

(٦) أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٢٩٥.

رابعاً: قرر صلاح الدين زيادة الدخل المالي لرجال الأسطول والعاملين في صناعة السفن وملحقاتها وذلك من خلال رفع المستوى المعاشي –زيادة أجورهم– لتشجيع الناس على الالتحاق بأسطوله الحربي[(١)].

مما لاشك فيه أن قلة الرواتب التي كانت تدفع للعاملين في الاسطول الحربي، كانت عامل إحجام لإنضمام الناس إلى القوات البحرية، بدليل ما ذكره ابو شامة بأنهم كانوا ((لا يصرف لهم إلا الشيء القليل من الخبز ونحوه))[(٢)].

خامساً: بلغت عدد السفن في أسطول صلاح الدين ما يقارب (٣٠–٥٠) سفينة بحرية[(٣)].

كان هدف السلطان من منح صاحب الاسطول والمشرفين عليه الصلاحيات و الامتيازات من أجل حث الناس على الإقبال على المشاركة والانضمام إلى الأسطول حيث كان الناس يتشاءمون من الانضمام إليه وسبب التشاؤم يعود الى الخوف من البحر وعدم معرفة الكثير من الناس بأسراره وقوانينه. لذلك عندما يختار الرجال للمراكب كانوا من ((ذوي التجربة من أهل النخوة للدين والحمية))[(٤)].

إهتم صلاح الدين بالغابات وذلك لإحياء البحرية فقد جعل غابات مصر ملكاً للدولة وقد خصص لها حراساً يحمونها ولم يسمح لأحد بالتصرف بالأشجار، وذلك من أجل الانتفاع بأخشابها لبناء السفن، فلا يقطع منها إلا ما تدعوا الحاجة إليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد مائة دينار[(٥)] فضلاً عن ذلك حرص صلاح الدين على توفير أخشاب الصنوبر والأرز التي كانت تنبت في جبال لبنان فضلاً عن معدن الحديد الذي كان يستخرج من جبال لبنان بالقرب من بيروت[(٦)] وعقد معاهدات تجارية مع الجمهوريات(دويلات المدن) الإيطالية مثل جنوة وفلورنسا وبيزا حصل بمقتضاها على حاجته من المواد التي تدخل في صناعة السفن من الخشب والحديد[(٧)].

---

(١) الحموي: تاريخ الأسطول، ص١٠٥-١١٠؛ خالد سليمان الشريدة، التنظيمات العسكرية الأيوبية في بلاد الشام (٥٧٩–٦٤٨هـ/ ١١٧٤-١٢٥٠م) مجلة الدارة العلمية، (أبو ظبي: ١٤٣٢هـ)، ع٣، ص١٧٤.

(٢) الروضتين، ٨٨/٣.

(٣) الشريدة، التنظيمات العسكرية، ص١٧٣؛ Regan Geoffrey. Saladin and the fall of Jerusalem, (London, 1978), P69.

(٤) ابوشامة، الروضتين، ٨٨/٢.

(٥) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٤٥؛ المقريزي، الخطط،٢٠٧/١؛ الحموي، تاريخ الاسطول، ص ص٢٥-٢٦.

(٦) المقدسي ،احسن التقاسيم ،ص ١٨٤؛ الحصيني، منتخبات التواريخ لدمشق،(بيروت:١٩٧٩)،٧٨/١

(٧) السيد باز العريني، مصر في عصر الايوبيين، (القاهرة: ١٩٦٠)، ص٦٠؛ محمد جواد المسعودي، القوة البحرية في عهد صلاح الدين، مجلة جامعة كربلاء العلمية، سنة ٢٠٠٧، مج(٥)، ع(٣)، ص١٤٤.

أولى صلاح الدين اهتماماً بالغاً بالبحرية فقد أصدر مرسوماً بهذا الشأن هذا نصه: ((أقتضى الاجتهاد في حفظ السواحل والموانئ والاهتمام بأمرها[١] وإقامة الايزاك[٢] والأبدال[٣] في أوقاتها على العادة وإلزام أربابها بمواظبتها، وكذلك المنورون[٤] بالديدبانات[٥] والمناظر والمناور[٦] في الأماكن المعروفة، وتعهد أحوالها بحيث تقوم أحوالها على أحسن العوائد وأكملها، ولا يقع على أحد درك بسببها))[٧]، وهذا يعني أنه أمر بتقوية أجهزة الدفاع والحراسة الساحلية.

إلى جانب عمله في تقوية الأسطول اهتم السلطان بتحصين الثغور[٨] المطلة على البحر المتوسط مثل دمياط[٩]، حيث أمر بإعادة إعمار أبراجها وأسوارها كما اهتم بأمر السلسلة التي كانت تصل بين برجنس عند مدخل دمياط[١٠]، كما نالت الاسكندرية[١١] اهتماماً خاصاً من قبل صلاح الدين؛ لأنها تضم أهم دار لصناعة السفن في الديار

---

(١) عاشور، دراسات، ص١٨٨.

(٢) مفردها اليزك وهو لفظ فارسي معناه طلائع الجيش وسمو بذلك لاطلاعهم على خبر العدو ويطلق ايضاً على الحارس والجاسوس، الانصاري: تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق، جورج سكانلون، (القاهرة: ١٩٦١)، ص٥١؛ أدي شير: معجم الألفاظ الفارسية، ص١٦٠.

(٣) الابدال: كلمة جاءت من البدل فرقة حربية تقيم في معسكر على السواحل والموانئ لفترة معينة ثم تعود ويحل محلها غيرها بدلاً منها، أبن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٩/ ٤٤٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٧/ ٢١٤، ١١/ ٦٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ٢٨، ٦٥.

(٤) المنورون: مهمتهم اشعال النار أو إشارة الدخان إذا ما كشفوا عدواً مقبلاً إليه، الأنصاري، تفريج الكروب، ص١٢.

(٥) الديدبان: وهو الرقيب (الحارس) أو الطليعة الذي يرقب العدو كلمة فارسية معربة وأصلها كلمتان ديد: أنظر، وبان، صاحب. ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٣٧٣، اليسوعي، غرائب اللغة، ص١٠٥.

(٦) المناظر والمناور: هي قباب عالية متقاربة بين كل بلد وآخر أو كل رباط والذي يليه بحيث يشرف بعضها على بعض، ويرتب فيها الحراس ويجعل بها الوقود فإذا كان التغير ليلاً أوقدت النار في المنارة وأن كان نهاراً دخنوا بالمنائر الشاهقة، فيوقد الذين يلونهم أو يدخنون، الخولي: الجندية والسلم، ص٧٢؛ الانصاري، تفريج الكروب، ص١٢.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ٧/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٨) عبد العليم، الملاحة، ص٨٤.

(٩) دمياط: مدينة قديمة تقع على ساحل بحر المتوسط شمال شرق مدينة القاهرة ، وهي من ثغور الإسلام عندها يصب ماء النيل في البحر، وعليه من جانبيه برجان بينهما سلسلة حديد عليها جرس، لا يدخل مركب في البحر ولا يخرج إلا بالإذن، القزويني، آثار البلاد، ص١٩٣.

(١٠) المقريزي، السلوك، ١/ ١٨٦؛ جمال الدين الشيال، مجمل تاريخ دمياط، (بور سعيد: ٢٠٠٠)، ص١٨—١٩.

(١١) الإسكندرية: مدينة بمصر على ساحل بحر الروم (البحر المتوسط) تقع شمال غرب القاهرة،بناها الإسكندر المقدوني، هي الثغر المحروس والقطر المأنوس لها بنيان أصيلة وبها ما شئت من تحسين وتحصين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٨٣/١، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة،المسماة(تحفة النظارفي غرائب الامصار وعجائب الاسفار)، تحقيق، محمد عبد المنعم العريان، (بيروت: ١٩٩٦)، ص٣٨.

المصرية[1]، حيث أمر بتعمير اسطولها،وجمع له ما يحتاج إليه من الأخشاب والصناع،كما أمر بعمارة أسوارها لتوفير الحماية لها، ضد أي هجوم بحري قد تتعرض له مدينة الإسكندرية[2].

كل هذا الاهتمام والاصلاحات التي قام بها صلاح الدين قد ضعفت[3] بعد وفاته بدليل ما أكد عليه المقريزي: ((قل الاهتمام بالأسطول، وصار لا يفكر في أمره إلا عند الحاجة))[4] ويستطرد المقريزي قائلاً: ((إذا دعت الضرورة إلى تجهيز الأسطول طلب له الرجال وقبض عليهم في الطرقات، وقيدوا في السلاسل نهاراً، وسحبوا في الليل، حتى لا يهربوا ولا يصرف لهم إلا شيء القليل من الخبز ونحوه وربما اقاموا الأيام بغير شيء كما يفعل بالأسرى من العدو، فصارت الخدمة في الأسطول عاراً يسب به الرجال، وإذا قيل لرجل في مصر يا أسطولي غضب غضباً شديداً، بعد ما كان من خدام الأسطول يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة في أعداء الله ويتبرك بدعائهم الناس))[5].

استغل الصليبيون هذا الضعف واستطاعوا إعادة سيطرتهم على بعض ثغور الشام، فقد هاجموا بيروت واستولوا عليها سنة (٥٩٣هـ، ١١٩٧م)[6] ويذكر أبو شامة ان دخولهم كان بغير مقاومة من الأسطول الأيوبي[7] ومنذ ذلك الحين فقدت البحرية الأيوبية هيبته وقوته[8].

أما فيما يتعلق بالتركيب البشري للبنية العنصرية في البحرية الأيوبية ؛فانه يختلف كليا عما هو عليه في الجيش البري، باعتبار أن الفئات الماهرة بأعمال البحر، وكيفية القتال في الماء على ظهر السفن، والمراكب المختلفة هم نخبة معدودة مقارنة بالجيش النظامي، الذي يقاتل على اليابسة، وذلك يعود في الأساس إلى التقاليد الاجتماعية والأعراف المحلية، وطبيعة المعارك في بلاد الشام ومصر على السواء، كون أن

---

(١) كانت أهم وأكبر مراكز صناعة السفن في مصر منذ الفتح الإسلامي، حيث كان مركز الأسطول في العصر الأموي مدينة الإسكندرية، الجبوري: الأسطول الحربي، ص١٢؛ غادة محمد حامد مسعود، صناعة السفن في مصر الإسلامية في ضوء أوراق البردي العربية (٢١—٩٢٣هـ/ ٦٤١—١٥١٧م)، مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة، (القاهرة: ٢٠١٩)، مج٣٦، ع١، ص١٥١.

(٢) أبو شامة: الروضتين، ٢/ ٢٩٤—٢٩٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٢٩٦؛ المسعودي، القوة البحرية، ص١٤٤.

(٣) يقول عبد العليم: ((إن الشيخوخة قد اصابت الأسطول البحري في أواخر دولة الأيوبيين))، ينظر، الملاحة وعلوم البحار، ص٨٦.

(٤) الخطط، ٣/ ٣٤٠.

(٥) الخطط، ٣/ ٣٤٠.

(٦) ابن الأثير، الكامل في الكامل، ٩/ ٥٠٠.

(٧)الروضتين، ٤/ ٢٥٨.

(٨) المسعودي: القوة البحرية، ص١٤٧.

الغارات برياً كانت أكثر شمولاً من الناحية البحرية، ولم تتغير الحالة إلا بعد الحاجة والضرورو العسكرية واقتحام الأعداء للسواحل الإسلامية، لذا جد بأن العنصر الكردي كان غائبا تماماً عن المساهمة في تكوين القوات البحرية الأيوبية، لافتقارهم إلى المعرفة البحرية لابتعاد مناطق استيطانهم الأصلية عن البحار الكبيرة التي كانت السفن البحرية تمخر عبابها من أجل الاستيلاء على مناطق أخرى تستهدفها.

ركزت أغلب المصادر التأريخية في مروياتها على الإشارة إلى كبار القادة، ممن قادوا الأساطيل البحرية أو سجلوا مواقف قتالية مشهودة، ومن خلال تلك المرويات يمكن الوقوف على طبيعة التركيب البشري الأساسي للقوات البحرية الأيوبية، مع ضرورة التعامل بشيء من الحذر مع النصوص المتعلقة بالتكوين الاثنوغرافي للبحرية الأيوبية، كون أن المؤرخين أهملوا الإشارة إلى العناصر القتالية الرئيسية في الأساطيل اابحرية، ولاسيما الجند من الأفراد العاديين، اذا ماتم تعميم فكرة الاتباع الموالين لكل قائد بأنهم من القبيلة أو المجموعة العرقية نفسها، وأحيانا وجد انه لم يكن يبرز من بعض العناصر سوى الشخصية الأساسية لقائد الاسطول أو أحد الأمراء العاملين مع الأسطول.

بخصوص العناصر العربية ولاسيما المصرية في البحرية الأيوبية، فإننا لا نتفق مع الطرح الذي أبداه الباحث نظير حسان سعداوي، عندما ذكر، بأن صلاح الدين الأيوبي لم يعتمد على المصريين لا في القوات البحرية ولا في الجيش البري، بل حدد دورهم في العمل بالمزارع وصناعة بناء السفن البحرية. فضلاً عن أنه جنى على السلطان صلاح الدين لما قارنه بحاكم مصر الألباني، محمد علي باشا، باعتبار أنه اعتمد أكثر على المصريين في عصره، لذلك أصبح لمصر ذلك الشأن العسكري أوانئذ[1].

لمناقشة الرأي الذي طرحه سعداوي، علينا أن نسترجع الذاكرة التأريخية للعهد الفاطمي، لنقف بموضوعية على مصداقية تلك الآراء من عدمها، بعيداً عن العاطفة التي سيطرت بصورة مبالغة على أحكام السعداوي تجاه السلطان صلاح الدين، بدليل أن أغلب النصوص التأريخية المعاصرة للخلافة الفاطمية ودورها في المجال البحري-الحربي تحديدا، تسجل حالة قصوى من الاستناد الفاطمي على عناصر غير مصرية في المجال المذكور، لعدم خبرة المصريين بالقتال في البحر بدليل نص تاريخي قيم سجله عماد الدين الاصفهاني في الفتح القسي الذي ذكر بأن المصريين لم يكونوا يمتلكون خبرة كبيرة في القتال البحري، فذكر في حوادث سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) ما نصه: ((فأبصر ملاحوها شواني الفرنج لمبارزتها مبرزة، وللإجهاز وراءها مجهزة وكانوا رجالاً من بحرية مصر مجمعة،

---

(١) التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الايوبي، (القاهرة: ١٩٥٧)، ص ص(ح ط).

وأصبحت قلوبهم بما جرى على أنظارهم مروعة فتواقعوا إلى الماء وخاوا على دمائهم في الداماء، وخرجوا إلى البر على وجهوهم... وفروا وفاروا... فظفر بذي النوبة الواقعة والبنود الرائعة أن نواب مصر لم يجر منهم بالاسطول احتفال، ولم يرتب فيه على ما يراد رجال، وإنما حشد واليها مجمعة مجهولة غير عارفة ولا معروفة ومستضعفة))[1]، لذلك ليس غريباً إن لم يعتمد عليهم السلطان كقوة أساسية تقاتل في البحر، بل إن معظمهم كانوا يمثلون القوة الداعمة والجنود المجهولين في الخطوط الخلفية للبحرية الفاطمية سواء في صنع السفن، أو توفير المستلزمات المطلوبة لذلك، مع ذلك اعتمد الفاطميون على المصريين ولاسيما السودان ،ممن كانوا يشكلون جزءا أساسياً من التركيبة السكانية للدولة الفاطمية، لذا فإنه عند مجيء صلاح الدين الأيوبي إلى مصر برفقة عمه شيركوه، وتبوئه منصب وزير الفاطميين بعد وفاة شيركوه، ناهضه السودان، ومن كان معهم من جند مصر، فصدهم ووقف أمام معارضتهم المسلحة، وأبعدهم نهائيا عن المشهد العسكري، لعدم ثقته بهم كونهم يمثلون أنصار العهد القديم.

استفاد صلاح الدين من أولئك المصريين والعرب الموجودين في مصر في قسمي جيشه البري والبحري على حد سواء بعد تلك الفترة المضطربة، ولما كان عرب مصر أو الاقباط ومنذ العصر الفاطمي، يفتقرون إلى الخبرة المطلوبة في قيادة الاساطيل، فإن السلطان صلاح الدين أسند إليهم كما كان الحال في العصر الفاطمي، مهمة صنع السفن الحربية وبنائها، وصنع كل ما تتطلبه تلك الصناعة من احتياجات، وبالتالي لم يهمل صلاح الدين الدور المصري في جيشه، بل إن الكثير من النصوص التأريخية تشير الى مصطلح العساكر المصرية أو العسكر المصري، وبالطبع فإن المفهوم لا يقصد به تلك القوات التي جاءت من الشام إلى مصر فقط بل تعني به التشكيلة العسكرية المركبة من الشاميين والمصريين على اختلاف قومياتهم وطوائفهم.

من أبرز القادة البحريين العرب الذين رصدت المصادر أسمائهم، يعقوب الحلبي الذي سجل موقفا تأريخيا وشجاعا قلما نقف على مثيلاته في حقب التأريخ، فأشار مؤلف مجهول في حوادث سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، لما وصلت بطسة إسلامية كبيرة مليئة بالبحارة والمقاتلين والأسلحة والمؤون وبلغ من كان على متنها نحو (٦٥٠) محاربا، اعترضتها السفن الحربية الإنجليزية وحاصروها في الماء من كل جانب، فلم تجد البطسة الإسلامية سوى القتال فحارب االبحارة المسلمون ببسالة واشتبكوا مع العدو، وقتل من الجانبين العديد من المقاتلين، وعندما أيقن المسلمون بأنهم لن ينتصروا في تلك الموقعة البحرية، وكان مقدمهم الأمير يعقوب الحلبي، قرر أن يغرق السفينة وكل من عليها من المقاتلين، وما

---

(١) ص ص٦٧-٦٨.

تحمله من السلاح والأرزاق، فكسروا السفينة بالمعاول وهدموها فامتلأت بالماء على آخرها وغرقت في البحر، ولم يتمكن العدو من أسر رجالاتها أو الاستيلاء على حمولتها[١].

لكن التكوين العنصري الأكثر تأثيراً في الدولة الأيوبية في أغلب عهودها من العرب هم البحارة المغاربة، القوة البحرية الضاربة للدولة الإسلامية، في مشرقه ومغربه ولهم باع طويل في قيادة الأساطيل البحرية[٢]، فالمغاربة كانهم ولدوا بالفطرة ليكونوا قادة وملاحين وبحارة في المجال البحري ودون أن يتمكن أي تكوين بشري آخر في الدولة الإسلامية من منافستهم على خصوصيتهم البحرية وبراعتهم في قيادة السفن والمراكب المتنوعة ونافسوا بذلك الأمم الأخرى[٣]، بعد ان كثرت الغارات البحرية الصليبية على سواحل الشام ومصر، لم يجد السلطان صلاح الدين بدأ من اللجوء إلى السلطان الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصوربالله طالباً منه اأن يمده بالأساطيل والبحارة لمنع سفن الأعداء من التعرض للسواحل الإسلامية وسلبها ونهبها وايقاف الغزو المستمر، الا أن بعض المصادر تشير إلى عدم تمكنه من مساعدة السلطان لانشغاله بحرب الصليبيين حينئذ أو لأن السلطان صلاح الدين لم يخاطبه بلقب أمير المؤمنين[٤]. وقد انفرد الناصري برأي لم أثِقْ به شخصياً كونه استخدم ألفاظاً لا تستعمل الا على سبيل التمني ((ويقال إنه جهز بعد ذلك مائة وثمانين أسطولا، ومنع النصارى من سواحل الشام، والله تعإلى اعلم))[٥]، والملاحظ إن المصادر المعاصرة للحدث والتي كانت على علم بطبيعة المراسلات بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والسلطان الموحدي أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور بالله، لا يذكرون شيئا عن إرساله لتلك المساعدة[٦].

على اية حال فان المغاربة كانوا متواجدين بكثرة في مصر وبلاد الشام، وظهر دورهم اكثر فاكثر في عهد صلاح الدين وبصورة اقل في عهد خلفائه، ولاسيما في مسالة

---

(١) تاريخ دولة الاكراد، ١٩٢.

(٢) المقري، نفح الطيب، ٦/ ٨٢، ٨٤.

(٣) ابن خلدون، المقدمة،ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ص٢٢٥-٢٢٦؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، (الدار البيضاء: ١٩٥٤)، ٢/١٦٣.

(٥) الاستقصا، ٢/ ١٦٣.

(٦) ينظر، مجيرالدين عبدالرحيم البيساني، رسائل القاضي الفاضل، تحقيق علي نجم عيسى، (بيروت: ٢٠٠٥)، ص ص٢٥٩—٢٦٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٣٩—٤٦٠؛ وللمزيد عن العلاقات الايوبية—الموحدية، ينظر، عبد الحسين علي احمد، العلاقات الايوبية الموحدية أيام صلاح الدين، مجلة دراسات التاريخية، السنة ٢٥، اذار—حزيران، العددان ٨٩—٩٠، دمشق، ٢٠٠٥، ص ص١٠٥—١٣٠؛ عبدالحميد حسين احمد السامرائي، علاقات صلاح الدين الايوبي بالمغرب الإسلامي، مجلة سر من رأى، جامعة سامراء، السنة الثالثة، المجلد ٣، العدد ٨، كانون الأول، (سامراء : ٢٠٠٧) ، ص ص١—٢٥.

الجهاد البحري فأول إشارة إلى مشاركتهم في الجهاد تعود إلى سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) عندما اشارالرحالة ابن جبير الى مشاركتهم ضمن حملة الاسطول المصري الذي قاده الحاجب حسام الدين لؤلؤ ضد غزوة رينالد دي شاتيون (أرناط) على الحجاز(١).

بينما ذكر عماد الدين الأصفهاني في البرق الشامي، بأنه في سنة (٥٨٣هـ/ ١١٩٠م) إبان اشتداد الحصار على صور، فإنه طلب (اي السلطان) الاسطول المصري وكان بعكا فأتى الأسطول وكان مكونا من عشر سفن من الشواني، وذلك في وقت كانت السفن الصليبية تمنع اقتراب أية مساعدة من المسلمين عند سواحل صور، فتمكن الأسطول الإسلامي من فتح بعض المنافذ البحرية لإيصال ما يحتاجه السلطان وقواته من المعدات والمؤون(٢)، فضلا عن الإغارة بين الحين والآخر على السفن الصليبية ومهاجمة المدينة نفسها، لكن المؤسف أنه في إحدى الليالي وبسبب الإرهاق والتعب الذي استطال رئيس الأسطول عبدالسلام المغربي الذي قال عنه إبن الأثير بأنه: ((الموصوف بالحذق في صناعته وشجاعته))(٣)، ومتوليه الفارسي الأصل بدران ومن كان معهما من المقاتلين على خمسة شواني راسية أمام الميناء، فإنهم تركوا الحراسة، وفقدوا التركيز والإحاطة بما يمكن أن تفعله السفن الصليبية في حال غيابهم عن المشهد الحربي، فقد فوجئوا بأن الأسطول الصليبي قد أحاط بهم وأسروا السفن الخمسة الإسلامية ومن عليها من البحارة والرؤساء مثل عبدالسلام المغربي والمتولين كبدران الفارسي ،فضلاً عن بقية المقدمين والملاحين واقتيدوا جميعا إلى ميناء صور(٤). وسبب اسرهم يرجع الى مخالفتهم قواعد الحرب كما قيل: ((إذا أبتليت بالحرب، فاذك العيون بالنهار، وبالغ في الحرس بالليل... وحصن مضاربك وليكن جندك عليك حصناً ولأنفسهم حرساً... واخف آثارك عن عدوك))(٥). وفضلاً عن المشاركات البشرية للبحارة المغاربة في الحروب الصليبية، فإنه في الفترة المتأخرة من عصر الدولة الأيوبية؛ استعان السلاطين والأمراء الأيوبيون بالأسلحة المغاربية أيضا مثل المنجنيقات المغربية المشهورة بقوتها وصلابتها، مع أربعمائة حجار عملهم القيام بنقب الأسوار(٦).

---

(١) رحلة ابن جبير، ص٣٢.

(٢) ٥/ ٤٥.

(٣) الكامل في التاريخ، ١٠/ ١٦٠.

(٤) البنداري، سنا البرق الشامي، ص ٤٠٧.

(٥) ابن رضوان المالقي، الشهب االلامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، (الدار البيضاء: ١٩٨٤)، ص٣٩٠.

(٦) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٤٦١؛ سمير صبري شبل، الأنظمة المشرقية والمغربية في العصر الايوبي، (الإسكندرية: ٢٠١٣)، ص٣٤٥.

وجدير بالإشارة إلى أنه في عهد الملك الكامل الأيوبي، برزت دور أسرة عربية كانت لها اليد الطولى في قيادة السفن، والمشاركة في المعارك البحرية، وهي أسرة أبي عبدالله الكناني الأرسوفي، فقد أشار المنذري في حوادث وفيات سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) إلى أحد أمراء الحرب البحرية الأيوبيين فقال عنه: ((توفي الرئيس الأجل الموفق أبي الفتح منصور بن الرئيس الأجل أبي عبدالله محمد بن إسحاق الكناني الأرسوفي الأصل الدمياطي المولد والدار بدمياط... وكان أحد المقدمين في غزو البحر العارفين به وبيتهم مشهور بذلك))[١]. ولم يختص الأمر بالقادة ومقدمي الأساطيل فقط، بل إن البعض من المتطوعين العرب أيضا كان لهم دور مؤثر إبان حصار عكا من قبل الصليبيين، ونخص بالذكر العوام المسلم عيسى الذي كان ينقل الرسائل والأموال والاخبار من وإلى داخل مدينة عكا، الذي غرق اثناء احدى المهمات الموكلة اليه ، بعد ان أوصل ما كان قد اؤتمن عليه من المكاتبات والأموال إلى أصحابها؛ لانه عندما وجد غريقاً على الشاطيء كانت كل الامانات لاتزال مربوطة بحزامه وكان ذلك في سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)[٢]، كما أورد ابن واصل في حوادث سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، -أثناء محاصرة الصليبيين لدمياط- نصاً آخر يدل على أن السلاطين الأيوبيون اعتمدوا كثيرا على العوامين لنقل الأخبار والأوامر والمكاتبات الرسمية منهم إلى المحاصرين من المسلمين سواء اكانوا من الأمراء أو العامة، ومن أبرز من منحه السلطان الملك الكامل ثقته أوانئذ فلاح من عرب حماة كان يعرف بشمايل[٣] فقال: ((وكان يخاطر بنفسه ويسبح في النيل ومراكب الفرنج به محيطة ويدخل إلى دمياط فيقوي قلوب أهلها عن السلطان ويعدهم بوصول النجد، لإزاحة العدو عنهم ثم يأتي السلطان سباحة ويعلمه بأخبار أهلها))[٤].

من الصور التأريخية النادرة من حيث إعادة التأريخ لصورة الحدث بتطبيقاته العملية وسير أحداثه العسكرية، وتقارب نتائجه الختامية، هو التواصل المهني واستمرارية الاحتراف باتقان وشجاعة ،تنم عن مهارة فطرية، ما لُمِسَ من روايتين لمؤرخين إختلفت أزمنة تدوينهما لتلك المقاربة التأريخية بين أخوين أو أفراد من أسرة يحملون إسم الأب نفسه، فهذا المقريزي، عند الحديث عن الظروف الصعبة التي كان

(١) التكملة لوفيات النقلة، ٣/ ٥٩٢.

(٢)ابن شداد النوادر السلطانية، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٣) وهو الأمير علم الدين شمايل من أهالي احدى قرى حماة ، تمكن بسبب شجاعته ومهارته التقرب من السلطان الملك الكامل الايوبي، فاسند اليه وظيفة الجاندارية حيث كانت مهمته طلب الاذن من السلطان للامراء الذين يرومون مقابلته، وبعد ذلك رقاه الى منصب امير وجعله مسؤولا عن واحدة من اكبر سجون مصر عرفت بخزانة شمايل. ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب هامش (١، ٢) ١٩/٤.

(٤) مفرج الكروب، ٤/ ١٩.

يعيشها الملك الكامل في دمياط وهو يواجه الصليبيين الذين كانوا مجتهدين في هجماتهم من أجل احتلال دمياط، ومن ثم الوصول إلى بقية المدن المصرية لاحتلالها، وبغية منع أولئك الصليبيين من الاقتراب منها، أرسل السلطان إلى ناحية شرمساح أكثر من ألف فارس وآلافٍ من العربان ليقطعوا السبل أمام الصليبيين ومنعهم من الوصول إليها، فأبحرت العديد من الشواني وبضمنها حراقة كبيرة على رأس بحر المحلة وكان يقودها الأمير بدرالدين حسون، ونجح في مهمته حيث قطع المؤون والمعدات الحربية من الوصول إلى الصليبين[1].

المؤرخ الثاني هو الأقرب للحادثة الثانية من المقريزي وهو مؤلف مجهول، الذي اورد نصاً عن حوادث سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، عندما احتل الصليبيون دمياط وبدأوا يخططون للانسياح إلى داخل العمق الاستراتيجي المصري، هناك فبرز دور جمال الدين حسون المصري في دمياط عندما قاد مع ملاحيه بعض الزوارق الصغيرة الحجم (شخاتير) في أماكن ومسالك بحرية ضيقة و منعوا السفن والقوارب الصليبية من العبور خلالها إلى الجانب الآخر، بل الأدهى من كل ذلك أصبحوا المراقبين ونقاط السيطرة على تلك المسالك فقال:((فقطعوا السابلة من دمياط إلى الفرنج بحيث أنه كل من طلع من دمياط أو خرج يأخذوه، وكذلك لما زاد بحر دمياط وجرى بحر المحلة تركوا فيه عدة حراريق للمسلمين وفيها المقاتلة فقطعوا طريق البحر بحيث أي مركب تعدى للفرنج خارج من دمياط أو داخل إليها أخذوه))[2].

كان أشهر شخصية مسلمة بحرية وأرمنية الأصل، هي شخصية القائد الأعلى للاسطول المصري الأمير حسام الدين لؤلؤ بن عبدالله الأرمني الحاجب لان مساهماته الحربية البحرية لاحدود لهاوذات تاثير واضح على نتائج المعارك البحرية، لخبرته وشجاعته ومعرفته بأمور البحر[3]، اصبح قائداً للبحرية الأيوبية في عهد السلطان صلاح الدين[4]، ومواقفه العسكرية في البر والبحر معروفة وأشهرها حادثة انقاذ المدينة المنورة من الصليبيين الذين حاولوا الوصول اليها واحتلالها سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)[5]، تلك الغزوة التي وصفها المنذري وأثنى على جهوده قائلا: ((وكانت غزاة عظيمة القدر وقدموا بالاسرى إلى مصر وكان مقدم الغزاة حين توجهوا إلى العدو الذي قصد الحجاز في البحر

---

(١) الخطط ، ١/ ٦٠٨.

(٢) تاريخ دولة الاكراد، ص٤٧٣.

(٣) سبط ابن الجوزي، ٢١/٢٨٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٦/ ٥٤٨.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٣.

(٥) سبط ابن الجوزي ، ٢١/ ٢٨٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٦/ ٥٤٨.

المالح بعدة مراكب))[١]، لذا مدحه ابن كثير أيضاً بقوله: ((وهو الذي كان متسلم الاسطول في البحر، فكم من شجاع قد اسر، وكم من مركب قد كسر))[٢]. بقي الامير حسام الدين القائد الاعلى للقوات البحرية الأيوبية إلى سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، عندما استبدله السلطان صلاح الدين بأخيه الملك العادل سيف الدين ابو بكر (ت ٦١٥هـ/ ١٢١٨م) حيث كان السلطان يعتمد على أخيه الملك العادل الى حد كبير وليس أدل على ذلك ما ذكره المقري التلمساني، بأن أحد المصنفين أهدى لصلاح الدين الأيوبي كتاباً عن الحروب، وأساليبها وكيفية منازلة المدن، وحصارها إبان محاصرته للصليبيين على عكا فقال له: ((ما نحتاج إلى هذا الكتاب ومعنا أخونا أبوبكر، وكان كثير المداراة والحزم))[٣]، واعتمد الملك العادل بدوره على صفي الدين عبدالله بن شكر[٤].

ولكن على الرغم من ذلك فان الشيخ حسام الدين لؤلؤ بقي محتفظا بمنصبه كمستشار للملك العادل واحد الامراء البارزين في البحرية الأيوبية حتى وفاته سنة (٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م). وصف عمادالدين الاصفهاني الاسطول الأيوبي وقيادة حسام الدين لؤلؤ له بكلمات عبرت بصدق عن ان المرحلة التي قاد فيها لؤلؤ الاسطول الأيوبي بانها كانت مرحلة امتازت بالقوة والجد والجهاد والنصر، فقال ما نصه: ((ولما اشتملت كتائب البر بكرم وصولها وصلت مراكب البحر وقدم اسطولها وهي شواني شوائن للشناة زوائن للغزاة... جاءت كقطع من الليل، أو دفع من السيل، كانها في خضراء الخضرم كواكب، ولرجوم الشياطين ثواقب، أعلام في شعار الأعلام العباسية سود، وأكام تمدها من اكام الأمواج مدود، تولاها حسام الدين الحاجب لؤلؤ فنظم سموطها ومهد لإحكام النصر أسبابها وشروطها... ففي كل يوم لنا غزوة صحيحة ونوبة شديدة... والحاجب لؤلؤ مجاهد عظائمها وممضي عزائمها كلما ألفت مركبا للعدو تلقته وألقته وأسعدها الله وأشقته وكيف ما أمكن أحرقته أو أغرقته))[٥].

---

(١) التكملة لوفيات النقلة، ١/ ٤١٧.

(٢) البداية والنهاية، ١٣/ ٢٣.

(٣) نفح الطيب، ٢٩٦/٢.

(٤) صفي الدين بن شكر، عبد الله بن علي بن الحسين المصري وزير الملك العادل الأيوبي ونائبه على الأسطول البحري، ولد سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م عاش في كل من دمشق ومصر، بنى مدرسة بالقاهرة وقام بتبليط الجامع الأموي الكبير، كان من الدهاة، عذب اللسان، حسن الهيئة، صاحب الأدباء والشعراء، لم تكن علاقته باسعد بن المماتي حسنة أساء التعامل معه أكثر من مرة، أبعده الملك العادل ولكن الملك الكامل أعاده، توفي بمصر سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م. (ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: ١٩٩٣)، ٢/ ٦٣٩-٦٤٠؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص١١٥؛ الكتبي، فوات الوفيات، ، ٢/ ١٩٣.

(٥) البنداري، سنا البرق الشامي، ص٣٩٢.

إلى جانب تلك العناصر العربية على اختلاف مواطن سكناهم الأصلية، سواء في الشام أو المغرب، ووجود عناصر بشرية فارسية، أو أرمنية كان لها شأن في العمل تحت قيادة الأسطول الأيوبي، فإن هناك رواية تشير الى إقدام بعض التركمان، مثل جمال الدين محمد بن أوككر أو أرككز على فعل إنتحاري عندما قاد إحدى شواني البحرية للاشتباك مع الصليبيين، فحاصرته السفن الصليبية، وطلبوا منه الاستسلام، لكنه فاوض آسريه على شرط الاستسلام وهو أن يصافح قائد الأسطول الصليبي شخصياً، فوافق الصليبيون على شرطه، ولما دنى منه قائد الأسطول الصليبي صافحه أوككر بشدة وأمسك يده وضمه بقوة، وألقاه معه إلى البحر فغرق الإثنان(١)، ولم يسلم نفسه لهم ليكون أسيراً يستشعر الذل، ولا يقدم ما لديه من معلومات عن القوات الإسلامية للصليبيين. في حين ذكر عماد الدين الاصفهاني، بأنه تعرض لذلك الموقف والانتحار غرقاً مع مقدم الصليبيين، بسبب جُبنِ ملاحيه ومن كانوا يعملون معه على السفينة وفرارهم(٢).

استناداً إلى رواية فريدة نقلها النويري تتعلق بوصية الملك الصالح نجم الدين أيوب لولده توران شاه، تبين من خلالها، كم كانت القوة البحرية الأيوبية قد ضعفت بسبب الاضطرابات الداخلية والهجمات الخارجية، لذلك أراد السلطان الصالح أيوب أن يضع خطة استراتيجية لابنه توران شاه لإعادة وإصلاح الأسطول البحري الأيوبي، لكي يكون قادرا على الدفاع عن أراضي مصر والشام على حد سواء، ويمنع الاساطيل الصليبية من الاستمرار بمهاجمة دمياط والإسكندرية، والثغور البحرية في مصر، وأكدت تلك الوصية على جملة نقاط مهمة ابرزها:

١- أن يعيد الضرائب والخراج والأموال التي كانت تاتي من مناطق الفيوم وسمنود ويجعلها خاصة للصرف على الأسطول ورجاله كما كان الحال في عهد السلطان صلاح الدين.

٢- التركيز على الحالة المعيشية لرجال البحرية الأيوبية، وأن يساويهم ببقية مقاتلي الدولة ولاسيما من يقاتلون على اليابسة.

٣- أن يخصص لكل من رجالات البحرية راتباً شهرياً يعادل عشرين درهما، لأنه بوجود مصدر للمعيشة الثابتة، فإن الناس لن تتوانى في الالتحاق بالبحرية.

---

(١) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص١٨١.

(٢) الفتح القسي، ص ص٢٥٢—٢٥٣.

٤- **أكد أيضا أنه مع تحسين الحالة المعاشية لرجال البحرية، فحينئذ سيكون من اليسر انتقاء أبرز المهارات والخبرات البحرية للعمل في الأسطول ومن المحترفين في استخدام الآلات والأسلحة البحرية.**

٥- **نبه السلطان إلى عدم إهمال الأسطول وترك الالتفات إليه إلى أوقات الحرج والضيق، لأنه أوانئذ فإن العديد من ذوي الغنى سيرشون ولاة البحرية ويفرون من التجنيد مع وجود المهارات والخبرة لديهم وبالتالي لن يتبقى هناك سوى الرجال من الطبقة العامة وممن لا يعرفون عن القتال في البحر شيئاً، والنتيجة لن تكون إلا الهزيمة[١].**

(١) نهاية الارب، ٢٩/ ٢٢٦.

المبحث الثالث

السفن والتجهيزات الحربية البحرية

تألف الأسطول الأيوبي من أنواع عديدة من السفن والمراكب، إختلفت بعضها عن البعض الآخرمن حيث الاسم والشكل والحجم والقوة والاستعمال[1]، حيث كان لكل سفينة استعمالها الخاص منها الحربية والتجارية[2] ومنها ما هو للرحلة والنزهة فقط[3].

سبب هذا التنوع في السفن يعود إلى التنوع في المهمات التي تقوم بها فالسفن الحربية هي سفن الأسطول التي تصنع خصيصاً لغزو العدو، وتسمى بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة[4]، فالصغيرة منها للحركات السريعة والمناورات والاستطلاع[5]، والكبيرة تستخدم لنقل الجنود والذخائر والمؤن والأعتدة[6]، أما متوسطة الحجم منها فتستخدم في رمي قذائف النفط المشتعلة على سفن الأعداء[7].

زخرت المصادر والمراجع بأسماء العديد من أنواع السفن المختلفة[8] ولعل ابن مماتي الذي عمل في ديوان مصر الأيوبي في عهد السلطان صلاح الدين، هو أبرز من تحدث عن أنواع سفن الأسطول الأيوبي، إلا أن حديثه خلا كلياً من وصف السفن أو ذكر أية تفاصيل عنها[9].

حققت الدولة الأيوبية الكثير من الانجازات العسكرية في الحرب البحرية، وتمكنت عن طريق امتلاكها للتجهيزات والآلات الحربية المختصة في الحروب البحرية لما تمكنت من تحقيق انتصاراتها على الصليبيين ومن هذا المنطلق ينبغي الوقوف على معرفة أهم أنواع السفن والمراكب والآلات التي استخدمتها البحرية الأيوبية:

---

(١) ماهر، ص٣٢٧؛ عاشور، دراسات، ص١٨٩—١٩٠.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ٩/٥؛ دوروثي دينين فولو وجيمس ام.فولو: عصر الملاحة البحرية، ترجمة خلود خطيب، (ابو ظبي: ٢٠١٢)، ص١٨٩.

(٣) عاشور، دراسات، ص١٩٠.

(٤) المقريزي، الخطط، ٣/ ٣٣١؛ الجبوري: الأسطول الحربي، ص٣٥.

(٥) النويري، الإلمام بالإعلام ،٢/ ٢٣٥.

(٦) ابن شداد، النوادر، ص٣١٥.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ١٥٣؛ الجبوري، الأسطول الحربي، ص٣٥.

(٨) قام الباحث درويش النخيلي بجمع اسماء السفن الإسلامية من المراجع والمصادر واحصائها، في كتاب السفن الإسلامية على حروف معجم، (الاسكندرية: ١٩٧٤)، ص ص٣٢٨-٣٧٣؛ كما اشارت ماهر الى أنواع عديدة من السفن بلغت ١٥٧ نوعاً من المراكب، البحرية، ص ص٣٢٨-٣٧٣.

(٩) قوانين الدواوين، ص ص٣٣٩-٣٤٠.

اولا- أنواع السفن والمراكب الحربية:

١- الشيني[(١)]:

تسمى أحياناً بالشونة، وهي سفينة حربية كبيرة، وكانت من أهم القطع التي يتكون منها الأسطول[(٢)]، فكل سفينة حربية شيني تحمل اسماً معيناً يدل على وظيفتها[(٣)]، وهي تسير بالقلع والمجاديف، وتحمل المقاتلة والجدافين، وتجدف بمائة وأربعين مجدافاً[(٤)]، ويبدو ان هذا النوع من السفن كانت تقام فيها الابراج والقلاع للدفاع والهجوم[(٥)]، وسعتها كانت تحتوي على أهراء لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء الحلو، وكانت تطلق منه النار والنفط على العدو، كما كانت مجهزة أيضاً بالأسلحة القتالية المختلفة مثل الأحجار والرماح والقسي وغيرها[(٦)].

مما تجدر الإشارة إليه أن الشيني تعتبر من أقدم أنواع السفن وأهم قطع الأسطول الإسلامي والرومي[(٧)]، وكانت تسمى بالغراب[(٨)] لأنها كانت تطلى بالقار[(٩)].

كان للشيني مشاركات بارزة في المعارك البحرية ضد الصليبيين، وهذا ما يتوضح جلياً في رواية للعماد الأصفهاني أوردها في حوادث سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠م) فذكر أن الأسطول الأيوبي، ((خرج بشوانة المعجمة الحسنة، ليكبس شواني الفرنج في مواضع الربط وإحراقها بقوارير النفط، فخرجوا إلى شوانينا بشوانهم ولقوا بعواديهم،وظفرت اساطيلنا وطالت، ووصلت إليها وصالت، ونالت من الظفر ما نالت وأحرقت للكفر شواني برجالها وغرقتها بأبطالها))[(١٠)].

وفي الحقبة المتأخرة للعصر الأيوبي، كانت لشواني الاسطول الأيوبي في مصر، دور كبير في مواجهة الصليبيين والمشاركة ضمن قطاعات العساكر البحرية المصرية في المعارك

---

(١) جمعها شواني، مصطلح كان يستخدم عموماً للدلالة على سفن الحرب، زبيدي: تاج العروس، ٢٩٨/٣٥.
Hans kindermann: Schiffim Arabischen (DissL 1934) P 53.

(٢) محفوظ، فن الحرب، ص٩٨؛ عبد الفتاح عبادة: سفن الأسطول الإسلامي وانواعها ومعداتها،(الفجالة :١٩١٣)، ص٤.

(٣) الصعيدي، الافصاح ، ١/ ٦١٦.

(٤) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٤٠.

(٥) ماهر، البحرية، ص٣٥٢.

(٦) عثمان، التحصينات الحربية، ص٣٣٢؛ زكي، السلاح، ص٣٦.

(٧) المقريزي: الخطط، ٢/ ١٩٤—١٩٥؛ فهمي، التنظيم البحري، ص١٣٠؛ فتحي عثمان، الحدودالإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري(القاهرة:١٩٦٦)، ٢/ ٣٦٩.

(٨) ثمة من يقول سميت بذلك بسبب شكل مقدمة هيكلها التي تشبه رأس الغراب، وآخرون يقولون لأنها سريعة مثل الطير، وآخرون يقولون أنها نوع خاص من السفن المشهورة. للمزيد ينظر، الحموي، تاريخ الأسطول، ص٣٩؛ فهمي: التنظيم البحري، ص١٤٤—١٤٥؛ الجبوري: الأسطول الحربي، ص٣٧؛ بركات: فن الحرب البحرية، ص١٥٣.

(٩) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٤؛ النويري، الإلمام، ٢/ ٢٣٠.

(١٠) الفتح القسي ، ٢٤٤.

ضد الصليبيين وتحديداً في سنة (٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)، عندما اتخذ السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب من المنصورة قاعدة أساسية لمجابهة الاحتلال الصليبي على دمياط، يشير إلى ذلك المقريزي بقوله: ((وقدمت الشواني المصرية بالعدد الكاملة والرجالة، وجاءت الغزاة والرجال من عوام الناس الذين يريدون الجهاد من كل النواحي))(١).

٢- الطريدة(٢):

وهي مركبة حربية كبيرة الحجم تستخدم لنقل الخيول والفرسان(٣)،وكانت تفتح وتغلق من الخلف(٤) حتى يتيسر للخيل أن تصعد إلى ظهرها، أو تنزل منها إلى اليابسة(٥).

٣- البطسة(٦) أو البطشة(٧):

وهي مركب هائل الحجم عظيم(٨) البناء إذ يصل عدد الضلوع (الأشرعة) إلى أربعين

شراعاً(٩)، ويمتاز هذا المركب بأنه متعدد الطبقات ،كل طبقة خاصة بفئة من الجيش(١٠) ويتم شحنه بأنواع من الأسلحة وسائر الآلات الحربية والحصار حتى البروج والمجانيق فضلاً عن الأقوات والميرة(١١).

نظراً لضخامة حجم هذا المركب فهو يحمل أعداداً كبيرة من المقاتلين يصل عددهم إلى مايقارب السبعمائة رجل(١٢)، وأحياناً تحمل البشطة الواحدة من المقاتلين

---

(١) المقريزي ،السلوك، ٤٣٩/١.

(٢) يقال الطراد أو الطرادة أو التطريدة والجمع طرائد منشقة من فعل طرد ومعناها الشيء الذي يطرد للمزيد ينظر فهمي، التنظيم البحري، ص١٤٨–١٤٩؛ دوزي: تكملة، ٧/ ٣٦؛ صابر دياب، دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسط، المجلة التاريخية المصرية (القاهرة، ١٩٧٧)، مج٢، ص٧٦؛ Kinder mann, Schiff, P 56–57

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١٢؛الحموي: تاريخ الأسطول، ص٣٤؛المسعودي: القوة البحرية، ص١٤٥؛ ماهر، البحرية، ص٣٥٤.

(٤) النويري: الإلمام، ٢/ ٢٣٤؛ المقريزي: السلوك، ١/ ٧٨.

(٥) العبادي، تاريخ البحرية، ص١٣٠؛ الجبوري، الأسطول الحربي، ص٣٦.

(٦) الجمع بطسات وبطس وتعني مركب للحرب أو التجارة بلغة الإسبان ابن شداد: النوادر، ص٢١١؛ أبو شامة: الروضتين، ٤/ ١٠٣؛ ماهر: البحرية، ص٣٦٢.

(٧) يسميها المقريزي بطنة، الخطط، ٢/ ٤١٩؛ أما أبو الفدا، فتارة يسميها بطشة وتارة بطسة، المختصر، ٣/ ٧٧، ٤/ ٢٥.

(٨) عبد العليم، الملاحة، ص١١٢؛ العبادي وسالم، تاريخ البحرية، ص١٣٦؛ رفيق المهايني: الأسطول العربي منذ فجر الإسلام حتى أواخر عهد المماليك، رسالة ماجستيرمقدمة الى كلية العلوم والاداب ،الجامعة الامريكية في بيروت، (بيروت: ١٩٤٢)، ص٣٨.

(٩) ابن شداد: النوادر، ص٢٤٤؛ عبادة: سفن الأسطول في الإسلام، ص١٠؛ الحموي: تاريخ الأسطول، ص٤٠؛ النخيلي: السفن الإسلامية، ص١٤؛ الخانكي، تاريخ البحرية، ص١٢٣.

(١٠) بركات، فن الحرب البحرية، ص١٥٤؛ ماهر، البحرية، ص٣٣١؛ الخانكي، تاريخ البحرية، ص١٢٣.

(١١) الخولي: الجندية والسلم، ص٩٢؛ زكي، السلاح، ص١٣.

(١٢) ابن شداد، النوادرالسلطانية، ص٢٣١؛ عماد الدين الاصفهاني: الفتح القسي، ص٢٥٦.

خلقاً عظيماً يصل إلى الآلاف[١]. وبذلك كانت البطسة تعتبر من أكبر المراكب في البحرية الأيوبية[٢].

ومن الملاحظ أن الأيوبيين قد استعملوها بكثرة،فعند حصارهم لعكا سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)، وصل الأسطول الأيوبي في خمسين قطعة، ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ فبدد شمل مراكب الفرنج وظفر ببطستين لهم[٣].

في سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) قامت البحرية الأيوبية باستعمال إحدى البطسات المأسورة، وبأمر من السلطان صلاح الدين،أرسل فيها عز الدين أسامة متولي بيروت المؤونة إلى عكا، فملأها بأربعمائة غرارة قمح،ووضع فيها أنواع الطعام وأصناف الأدام وقطيعاً من الاغنام[٤]، وفي السنة نفسها طلب صلاح الدين من مصر بتجهيز ثلاث بطس مشحونة بالأقوات والميرة، وجميع ما يحتاج إليه في الحصار بحيث يكفيهم ذلك طول الشتاء فأقلعت البطس الثلاث من الديار المصرية، ووصلت إلى عكا بصعوبة بالغة بسبب اعتراض الصليبيين طريقها[٥]. إلى جانب ذلك فقد استعملها الصليبيون كذلك[٦] ويبدو أن بطساتهم كانت أكبر من بطسات الأيوبيين بدليل رواية ابن الأثير التي سجلها عن حوادث سنة(٥٧٨هـ/١١٨٢م) حيث قال: ((قد ألقى بطسة للفرنج فيها جمع عظيم منهم إلى دمياط كانوا قد خرجوا لزيارة بين المقدس فأسروا من بها بعد أن غرق منهم الكثير فكان عدد الأسرى ألفاً وستمائة وستاً وسبعين أسيراً فضربت بذلك بشائر))[٧] فاحصى عدد من أُسِر بحوالي (١٦٧٦) اسير عدا من غرق منهم في البحر. والسؤال المطروح هو كم كان العدد الأصلي لافراد تلك البطسة من الجند الصليبيين والقادة، ومن يعمل معهم على السفينة من غير الفئات المقاتلة؟ لا شك ان حجم البطسة بحسب النص المذكور كان كبيراً وعلى أغلب التقديرات إنه كان يتراوح بين ألفين إلى ثلاثة آلاف شخص. ومما يولد الثقة برواية إبن الأثير حول كبر وضخامة البُطس الصليبيية ما أشار إليه المقريزي

---

(١) عبادة: سفن الأسطول ، ص١٠–١١.

(٢) حسين: الجيش الأيوبي، ص٢١٢.

(٣) أبو شامة: الروضتين، ٤/ ٩٨؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ٢/ ٣٠٥؛ النويري: نهاية الأرب، ٢٨/ ٤٢٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٦/ ٥٠٩؛ المقريزي: السلوك، ١/ ٢١٦.

(٤) ابن شداد، النوادر، ص٢٤٤؛ الاصفهاني: الفتح القسي، ص٢٢١؛ الزيادنة، بنية الجيش الأيوبي، ص٥٠.

(٥) عماد الدين الاصفهاني: الفتح القسي، ص٢٢٢؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٩١–٩٢.

(٦) للمزيد ينظر ابن شداد: النوادرالسلطانية ، ص٢١١؛ عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢١٢، ٢٢٦؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٩٠.

(٧) الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٤١.

أيضا، فقد بيَن أن بعضها كان يحمل بين ألف وخمسمائة شخص وألف وسبعمائة شخص[1].

٤- المسطح[2]:

نوع من المراكب الحربية العظيمة الضخمة المسطحة[3]، كانت تحمل أسلحة الأسطول[4]، يتكون من طابقين مسقفين يقاتل الغزاة على ظهرها والجذافون يجذفون تحتهم[5].

نظراً لكبر حجمها،كانت تشبه البطسة، كانوا يجرونها في البحار وقت الحرب خلف المراكب الأخرى من مراكب الأسطول،خشية أن تغرق هذه في واديها، وهي من أكبر السفن في الأسطول الإسلامي[6] هذا وقد ذكر ابن شداد في حوادث سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩١م) أن هذا النوع من المراكب يسع لخمسمائة راكب أو يزيد، وقد استولى عليها الأيوبيون من الصليبيين[7].

ذكر المقريزي في حوادث سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) ،أثناء المعارك البرية الكثيرة التي كانت تقع بين الأيوبيين والصليبيين في بلاد الشام ومصر (تحديدا في دمياط وما يجاورها)، كان القادة الأيوبيون يرسلون الأسرى تباعاً إلى القاهرة، وهم بين قادة وجنود وعامة، وذلك في وقت لم يكن الأسطول الأيوبي أيضاً بمنأى عن المشاركة في الحرب الدائرة، وتحقيق الانتصارات مع الصليبيين في البحر، حيث تمكن الأسطول الحربي بالقرب من مدينة (نستراوة - بلدة البرلس حالياً)، من الاستيلاء على مسطحة من سفن االصليبيين[8].

---

(١) الخطط، ٢/ ٤١٩.

(٢) جمعها مسطحات سميت كذلك لأن لها مسطحاً مسطحاً، ماهر، البحرية، ص٣٦٨؛ الحموي، تاريخ الأسطول؛ دوزي، تكملة ، ٦/ ٧٣.

(٣) عبد العليم، الملاحة، ص١١٢؛ الخانكي، تاريخ البحرية، ص١٢٣؛ عبادة: سفن الأسطول، ص١٢.

(٤) العبادي، تاريخ البحرية، ص١٣٦؛ عبد العليم، الملاحة، ص١١٢.

(٥) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٤٠.

(٦) ماهر: البحرية، ص٣٦٨؛ الحموي: تاريخ الأسطول، ص٤١؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص١٤١؛ عثمان، الحدود الإسلامية، ٢/ ٣٧١.

(٧) النوادر، ص٢٩٤.

(٨) السلوك، ١/ ٤٤٠ -٤٤١ .

٥- الحراقة[١]:

مراكب حربية كبيرة[٢] إلا أن حجمها أصغر من الشواني (متوسطة الحجم)[٣] تتسع لحوالي مائة مقاتل وتجري بمائة مجداف[٤]، سميت بذلك الاسم؛ لأنها كانت تحمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية، والنفط الذي يرمي بالمنجنيقات، أو بالسهام أو في القوارير، لترمي بها على الأعداء لإحراق سفنهم[٥]، أي أن للسفينة مرمى نيران يرمي بها العدو[٦].

على الرغم من أن الحراقات كانت ضمن تشكيلات الأسطول الأيوبي[٧] إلا أنها لم تكن تستعمل إلا قليلا في بدايات العصر الأيوبي[٨]؛ وإن كانت هناك إشارات تدل على ان الصليبيين قد اعتمدوا عليها كثيرا في استخداماتهم السلمية والحربية، بدليل إن تجار الصليبيين كانوا عادة يسافرون في البحر في حماية الحراقات[٩] ففي حوادث سنة (٥٨٦هـ/ ١١٨٨م) قال عماد الدين الأصفهاني ((وذكروا أنهم اوقعوا بحراقة كبيرة... وفيها تجار الفرنج ومعهم من المال الجليل النفيس...))[١٠]، اي أنها فضلاً عن الاعتماد عليها في المعارك البحرية كانت تستخدم لنزهة الملوك والأمراء لقضاء أشغالهم ومهماتهم[١١].

يبدو أن الحراقات استخدمت أيضاً لحماية السفن الكبيرة ففي سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧م) اثناء حصار دمياط وصل مركب كبير للصليبيين من أعظم المراكب يسمى مرمة، وحوله عدة حراقات تحمها وكلها مملوئة من الميرة والسلاح وما يحتاجون إليه، فوقع عليها شواني المسلمين، وقاتلوهم، فظفروا بالمرمة وبما معها من الحراقات[١٢].

---

(١) جمعها حراقات وحراريق، زبيدي: تارح العروس، ٢٥/ ١٥٤؛ ابن شداد: النوادر، ص٢٦؛ النويري، الإلمام ، ٢/ ٢٤٩.

(٢) استعملت هذه السفن في البداية لأغراض النزهة والنقل، في مياه الأنهار مثل النيل ودجلة وشط العرب، فقد كان للخليفة العباسي الأمين خمس حراقات في نهر دجلة ببغداد، صنعت كل واحدة منها على هيئة حيوان هو: الأسد والعقاب والحية والفيل والفرس أيضاً، كانت تستعمل في الحفلات الرسمية والاستعراضات البحرية. للمزيد ينظر، ابن الأثير، الكامل، ٦/ ٨٨؛ النويري، نهاية الأرب، ١/ ٢٦٤؛ القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق، عبد الستار احمد فراج، (كويت: ١٩٨٥)، ١/ ٢٠٥.

(٣) عبد العليم، الملاحة، ص١١١؛ حسين: الجيش الأيوبي، ص٢١٢؛ عثمان: الحدود الإسلامية، ٢/ ٣٧٠.

(٤) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٤؛ المقريزي: الخطط، ٢/ ١٩٤؛ ماهر: البحرية، ص٣٣٩.

(٥) الخانكي: تاريخ البحرية، ص١٢١؛ ماهر: البحرية، ص٣٣٩، المهايني، الأسطول، ص ١٧؛ زكي: السلاح، ص ٢١.

(٦) فهمي: التنظيم البحري، ص١٣٧؛ النخيلي: السفن الاسلامية ، ص٣٢؛ بركات، فن الحرب البحرية ، ص ١٥١—١٥٣.

(٧) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٤.

(٨) حسين، الجيش الأيوبي، ص٢١٢.

(٩) النخيلي، السفن الإسلامية، ص٣٢—٣٣.

(١٠) الفتح القسي،/ ص٢٤٢.

(١١) النويري، الإلمام، ٢/ ٢٤٩؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٢/ ٣٢٧.

(١٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/ ٦٥٨؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ٩٦؛ الزيادنة: بنية الجيش، ص٥٠.

وكذلك اعتمد عليها الاسطول الأيوبي في تنفيذ بعض المهمات البحرية، كما حدث في سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) عندما قاتل الأسطول الأيوبي الصليبيين ابان حملة جان دي برين على دمياط المعروفة بالحملة الصليبية الخامسة، سارت الشواني ومعها حراقة كبيرة[١]، وكذلك استخدمها الأيوبيون أثناء حملة لويس التاسع على دمياط، ودخلت فيه الحراريق وكمنت لهم[٢] (أي للصليبيين في مراكبهم).

٦- **الشلندي**[٣]

و مركب حربي كبير مسطح[٤] يقاتل عليها الجنود بينما يكون المجدفون قائمين بتحريك المجاذيف أسفلهم[٥]. لا يقل أهمية عن الشواني والحراريق[٦]؛ لكنه يختلف عنها في أن الواحد منها مسقف يقاتل الغزاة على ظهره، وجدافون يجذفون تحتهم من الأسفل[٧]، فالشلندي بهذا المعنى كان يتكون من طبقتين على غرار المسطح[٨]، وهي مخصصة لنقل المقاتلة والأسلحة[٩] والبضائع[١٠]. كان استعمالها في الأسطول الأيوبي قليلاً جداً مقارنة بالمراكب الأخرى، ربما السبب يعود إلى أن المراكب الأخرى كانت تقوم بعملها في القتال البحري.

٧- **القرقورة**[١١]:

وهي مركبة طويلة ونوع من السفن الكبيرة[١٢] تستعمل في تمويل الأسطول بالزاد

---

(١) المقريزي: السلوك، ١/ ٣٢٠؛ الشيال، مجمل تاريخ دمياط، ص٢٧.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ٢٩/ ٣٤٤؛ الشيال، مجمل تاريخ دمياط، ص٣٤.

(٣) جمعها شلنديات وشلندية، ابن الأثير: الكامل، ٦/ ٧٥؛ البستاني، محيط المحيط، ص٤٧٩؛ فهمي، التنظيم البحري، ص١٣٤؛ أما عن أصل الكلمة ينظر النخيلي، السفن الإسلامية، ص٧٩—٨٠؛ المهايني، الأسطول ، ص٦.

(٤) عبد العليم، الملاحة، ص١١١؛ ماهر، البحرية، ص٣٥٢؛ العبادي ،تارخ البحرية، ص١٣٥.

(٥) المقريزي: الخطط، ٢/ ١٩٤؛ جواد المسعودي: القوة البحرية، ص١٤٥.

(٦) ياسين الحموي، تاريخ الأسطول، ص٣٦؛ إبراهيم أحمد العدوي: الأساطيل العربية في البحر المتوسط، (الفجالة: ١٩٧٥)، ص ١٥٤.

(٧) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٤٠.

(٨) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٤٠؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص٢١٤.

(٩) الخانكي، تاريخ البحرية، ص١٢١؛ زكي: السلاح، ص٣٦؛ ماهر: البحرية، ص٣٤٠.

(١٠) الحموي: تاريخ الأسطول، ص٣٦؛ دوزي: تكملة، ٦/ ٣٤٩.

(١١) جمعها قرقورات، قراقر، قراقير، المقريزي، الخطط، ٢/ ٤١٢؛ النويري: الإلمام، ٢/ ٢٣٥؛ دوزي: تكملة، ٨/ ٢٤٥، أما عن أصل الكلمة، ينظر المهايني، الأسطول، ص٤٧—٤٩.

(١٢) ابن سيده، المخصص،١٩/٣؛ المهايني، الأسطول، ص٤٧؛ دوزي: تكملة، ٨، ٢٤٥؛ النخيلي، سفن االاسلامية، ص٦.

والمتاع والذخيرة[١] وتسمى النقالات[٢]، كانت للقرقور مزايا تكتيكية وملاحية تفوق ما كان للسفن الأخرى إذ كانت خفيفة الحركة قادرة على المناورة بسهولة والهروب من هجمات القراصنة، ولأنها تحتوي على العديد من الأشرعة والصواري لا يخشى معها الرياح العاصفة، أي أنها أقل تعرضاً لتغيرات الريح والأنواء المفاجئة[٣]. وإلم تكن القراقر تقف إلا في مكان غزير الماء في البحار؛ لكونها إذا نطحت قاع البر إنكسرت لثقلها وثقل وسقها[٤].

٨- **العشاري أو العشيري[٥]:**

مركب كبير سطح بالواح خشب ثخينة محكمة وكان ذا طابقين، ويجري بعشرين مجدافاً ويتبع الأسطول[٦]، استخدمت لعدة أغراض، إما لنقل الغلال السلطانية والأحطاب أو لنزهة الخلفاء وكبار القوم[٧]، وقد استعملت في أيام صلاح الدين كما يشير إلى ذلك أحد معاصريه: ((وأغرب ما رأيت فيها (مصر) من السفن مركب يسمونه العشيري شكله شكل الشبارة الداخلة، إلا أنه اوسع منها بكثير وأطول وأحسن هنداماً وشكلاً وقد سطح بألواح من خشب ثمينة محكمة وأخرج منها أفاريز كالرواشن[٨] نحو ذارعين، وبنى فوق هذا السطح بيت من الخشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات ورواذن بأبواب إلى البحر من سائر جهاته ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض، ثم يزوق بأصناف الأصباغ ويدهن بأحسن دهان وهذا يتخذ للملوك والرؤساء...))[٩].

وكانت تستخدم في نقل البضائع والركاب من الساحل؛ إلا أن استخدامها الأساسي كونها قوارب خفيفة تساعد السفن الأكبر، وحين كانت السفن الكبيرة تغرق لعيب ما أو

---

(١) ماهر: البحرية، ص٣٦٣؛ الخانكي، تاريخ البحرية، ص١٢٠؛ زكي: السلاح، ص٤٧، ويذكر ابن بطوطة أنها كانت تستخدم في الأسفار البحرية، وكان منها أنواع بعضها كبيرة والآخر صغيرة، رحلة ابن بطوطة، ص ص٢٩١، ٣٥٨، ٦٦٨.

(٢) المهايني، الأسطول، ص٦؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص٣٤٣.

(٣) ماهر، البحرية، ص٣٦٣؛ دياب، دراسات ، ص٧٤.

(٤) النويري، الإلمام، ص٢٣٥.

(٥)عبادة: سفن الأسطول ، ص١٤؛ العبادي، تاريخ البحرية، ص١٣٧.

(٦) ماهر: البحرية، ص٣٥٦؛ عبادة: سفن الأسطول، ص٧؛ الحموي: تاريخ الأسطول، ص٣٧؛ جواد المسعودي، القوة البحرية، ص١٤٥.

(٧) العبادي ، تاريخ البحرية، ص١٣٨.

(٨) الرواشن، مفردها الروشن أصلها فارسي معناها ما برز عن الحائط (الشرفة) إحسان حلاق وعباس صباغ، معجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، (بيروت/ ١٩٩٩)، ص١٠٤.

(٩) عبد اللطيف البغدادي، الإفادة والأعتبار في الأمور والمشاهدات والحوادث المعاينة بأرض مصر، (القاهرة: ١٩٩٨)، ص١١٦—١١٧.

بسبب هجوم معادي، كان الركاب ينقذون أنفسهم وبضائعهم وماشيتهم في العشاريات[1]، أي أنها تشبه زوارق نجاة.

٩- **البـركـوس أو البـركـوش**[2]:

وهي من السفن الصغيرة الخفيفة مهمتها الأساسية،هي نقل المياه[3] ووصفها (ابن مماتي) بقوله: ((ان المركوش لطيف لنقل الماء لخفته، يدخل على المواضع ويكون وسعه دون مائة أردب))[4].

تؤكد بعض الروايات التأريخية أن البركوس كانت تستعمل لأغراض أخرى أيضاً منها أن السلطان صلاح الدين استأمن مجموعة كبيرة من الصليبيين عندما لجئوا إلى المعسكر الإسلامي بسبب الجوع وعرضوا على السلطان فكرة القيام باقتصاص مراكب الصليبيين، وطلبوا من السلطان ان يسمح لهم بمهاجمة الصليبيين في البحر وما يستولون عليه سيكون بين الطرفين مناصفة ، فإذن لهم في ذلك وأعطاهم بركوساً، وهو مركب صغير ركبوا فيه وظفروا بمراكب تجار العدو، بضائعهم معظمها فضة مصوغة وغير مصوغة،فوقع عليها البركوس وبعد القتال ضد الصليبيين استولوا على مركب لهم وما عليها من المؤونة والاموال الكثيرة[5].

وتفحصاً لبعض روايات عماد الدين الأصفهاني، في حوادث سنتي (٥٨٦-٥٨٧هـ/ ١١٨٨-١١٨٩م)، نتلمس امراً مهماً ألا وهو أن تلك البركوسات، كانت تستخدم لنقل القادة والجند من الصليبيين، فضلاً عن نقل التجار ومتاعهم من منطقة إلى أخرى وكانت تحمل أحيانا ما يقارب الخمسين شخصاً، وفي أغلب الأحيان كانت تلك البراكيس تسير في البحر وهي محمية بالحراقات الحربية[6]. وفي كل الأحوال كان السلطان صلاح الدين يستخدم كل السبل المتعلقة بفنون الحرب ضد الصليبيين ومن بينها استخدام الصليبيين المستأمنين ،لتحقيق بعض الأهداف الآنية وضرب الأعداء في مناطقهم وبث الرعب بينهم، كما حدث عندما أرسل بعض المستأمنين على بركوس، لقطع الممرات المائية على بعض التجار الصليبيين، وتمكن أولئك المستأمنون من الاستيلاء على حراقة كبيرة وعدة

---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٩٤؛فهمي، التنظيم البحري، ص١٦٠—١٦١.

(٢) جمعها براكيس، أبن شداد: النوادر، ص٢٣٨؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص١٢.

(٣)العبادي ، تاريخ البحرية، ص١٣٤؛ الجبوري: الأسطول الحربي، ص٣٨.

(٤) قوانين الدواوين ، ص ٣٤٠ .

(٥) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٤٢؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٣٣؛ أبو شامة ، الروضتين، ٤/ ١٣٨؛ ابن واصل ، مفرج الكروب، ٢/ ٣٤٧.

(٦) الفتح القسي، ص ٢٣٤.

براكيس، فأسروا من كان فيها من التجار واستولوا على ما معهم من الأموال، فضلا عن تلك المراكب[1].

تبين من الفقرات السابقة أن البركوس كان يستعمل لركوب الجند والناس عامة، وكذلك لنقل البضائع والأموال. ويفهم من تلك الروايات أيضاً أن حمولة البركوس الواحد كانت تمثل فرقة عسكرية صغيرة.

فضلاً عن القطع الحربية الرئيسة التي تكون منها الأسطول الحربي الأيوبي، فقد اشتمل ذلك الأسطول على قطع عديدة أخرى أقل حجماً ؛ منها (الاعزازي) وهي سفينة صغيرة من توابع الأسطول مهمتها حمل المؤن والأزواد[2]. وهناك الزورق وهي إحدى القطع الملحقة بالأسطول الحربي، وبها من أربعة وعشرين إلى ثلاثين مجدافاً، وأنها من لوازم الحرب البحرية لخفتها وسرعة دورانها وكرها وفرها[3]. وتتبعها أيضا القوارب الحربية وهي سفن صغيرة ومن توابع الأسطول[4]، وهو نافع لرماة المسلمين وقت الحرب في البحر، وذلك لسرعة دورانها وخفتها وتفرقها على مراكب العدو، ويكون في كل قارب أربعة أو خمسة من الرماة[5]. وهناك الحمالة وهي من سفن الأسطول الخاصة بحمل الغلة[6]، وغير ذلك مما يحتاج إليه الجيش ورجال الأسطول من المؤون والازواد والذخيرة[7]، وكذلك تستعمل في حمل الخيول[8].

ثانياً- أدوات وتجهيزات السفن الحربية

لا يكتمل الحديث عن الأسطول إلا بالتحدث عن معدات السفن الحربية؛ لأنها مقتصرة في استعمالها في المعارك البحرية،وكانت من ملحقات الأسطول[9] إذ بدون تلك المعدات لم تستطع تلك السفن خوض المعارك، هذا بخلاف أسلحة القتال المعروفة التي تستخدم في معارك مختلفة سواء البرية أو غيرها[10]، وقد كانت الأسلحة البحرية التي

---

(١) الفتح القسى، ص ص٢٤٢-٢٤٣، وعن المزيد من مساهمة المستأمنين في العمليات البحرية ينظر أيضا الفتح القسي، ص ص٢٥٠-٢٥١.

(٢) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٣٩؛ ماهر، البحرية، ص٣٢٩؛ العبادي ، تاريخ البحرية، ص١٣٧.

(٣) ابن سيده ، المخصص، ٣/ ١٩؛ النخيلي ، السفن الإسلامية، ص٥٩؛ فهمي ، التنظيم البحري، ص١٧٥.

(٤) الحموي ، تاريخ الأسطول، ص٣١؛ عبادة: سفن الأسطول، ص٧.

(٥) النويري، الإلمام، ٢/ ٢٣٥؛ الحلبي، السفن، ص٦٠.

(٦) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٣٩؛ المقريزي: الخطط، ٢/ ٤٢٤.

(٧) ماهر، البحرية، ص٣٤٠؛ العدوي: الاساطيل العربية ، ص١٦٨.

(٨) أبو شامة، الروضتين، ٤/ ١٥٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٥١٦.

(٩) حسين، الجيش الأيوبي، ص٢١٤.

(١٠) تم الطرق في الفصل الثاني إلى الأسلحة مثل السيوف والرماح والفؤوس والأقواس والنشاب اللتوت والدبابيس وغيرها وكذلك إلى آلات الحرب أيضاً كالمنجنيق ... والنار الاغريقية وغيرها.

تزود بها سفن الأسطول عديدة تشبه الأسلحة التي استخدمتها القوات البرية،عدا بعض التعديلات لجعلها مناسبة مع حرب البحار(١)، ومن تلك المعدات والآلات:

أ- الباسليقات:

وهي عبارة عن سلاسل حديدية ذات رؤوس منتهية برمانة من الحديد(٢) كانت تستخدم في القتال على سطح السفن(٣). وتستخدم في محاولة خرق مركب العدو عن طريق قذفها إلى مركب العدو عدة مرات حتى يتحقق الغرض(٤).

ب- الكلاليب:

وهي نوع من الخطاطيف الحديدية كبيرة الحجم وتربط في نهايتها بسلاسل قوية معقودة(٥)، كانت تلقي على مراكب العدو فتوقفها، لجذبها وشدها والعبور إليها عن طريق ألواح خشبية عريضة كالجسور أو سلالم من الحبال يمرون فوقها ليقاتلوا جند العدو(٦) زودت كل سفينة من سفن الحرب بنوع من الكلاليب(٧) ،ولمقاومة الكلاليب أعتمد على فؤوس ثقيلة من الفولاذ يضربونها بها فتنقطع ويبطل عملها(٨). وللوقاية منها كانوا يستعملون الستائر(٩). وقد استخدمها الأيوبيون أثناء حصارهم مدينة صور سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)(١٠).

ج- التوابيت:

عبارة عن صناديق مفتوحة وموضوعة في أعلى الصواري(١١) يصعد إليها البحارة ومعهم قطع من الحجارة يضعونها في مخلاة (حاويات) معلقة بجانب الصندوق

---

(١) العدوي ، الاساطيل العربية، ص١٦٢؛ بركات: فن الحرب البحرية ، ص١٣٧.

(٢) العباسي، آثار الأول، ٢/ ٣٧١؛ هندي، الحياة العسكرية، ص١٨٩؛ عبادة، سفن الأسطول، ص٨؛ عثمان ، الحدود الإسلامية، ٢/ ٣٧٤.

(٣) العباسي، آثار الأول، ٣٧١/٢ ؛ عبد العليم: الملاحة، ص١١٤؛ العبادي ، تاريخ البحرية، ص١٣٩.

(٤) بركات، فن الحرب البحرية ، ص١٣٨؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص٣٤٥.

(٥) العباسي، آثار الأول،٢/ ٣٧٢؛ عبد العليم، الملاحة، ص١١٤؛حسين، الجيش الأيوبي، ص٢١٥.

(٦) العباسي، آثار الأول، ٣٧٢/٢؛ الحموي، تاريخ البحرية، ص٧٠؛ ماهر،البحرية، ص٢٠٤؛عثمان، الحدود الإسلامية، ٢/ ٣٧٥.

(٧) فهمي، تنظيم البحري ، ص٣٢٤؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص٣٤٤.

(٨) العباسي، آثار الأول، ص٣٧٣؛ عبادة ، سفن الأسطول، ص٨؛ الحموي، تاريخ البحرية، ص٧١؛ خانكي، تاريخ البحرية، ص١٣٢ — ١٣٣.

(٩) الستائر: هي من الآت الوقاية في حالة الطوارئ تستر به الأسوار والسفن وأتخذت تلك الستائر من الجلو واللباد وكانت تبلل بالخل والشب... لوقاية الأبراج والدبابات الخشبية من قذائف النفط، ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٣٤٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ١٥٣؛ الحموي، تاريخ البحرية، ص٧١.

(١٠) عماد الدين الاصفهاني: الفتح القسي، ص٨٥.

(١١) الصواري: عبارة عن أعمدة التي تنصب في المراكب لتعليق القلوع، القلقشندي، صبح الاعشى، ١٤/ ٣٠٩.

(التابوت)[1] فيرمون العدو بالأحجار على حين يحتمي رجالها بجوانب الصندوق[2] فإذا داهمهم العدو صعدوا إليها متترسين[3]. وقد يحملون معهم قوارير من (النفط للاشتعال) أو جرار النورة (وهو مسحوق ناعم من مزيج الكلس والزرنيخ كانت تستخدم في الحروب البحرية) يرمون بها جند الأعداء بقصد أن يعمى غبار ذلك المسحوق أعينهم؛ كما كانوا يقذفون منها اكياس مليئة الحيات والعقارب على سفن الأعداء ،لبث الذعر بين صفوفهم[4]، وقدور الصابون اللين لكي تنزلق أقدام المحاربين من العدو، ولا يستطيعون الوقوف والثبات أمامهم[5]، ولاسيما وأن أرضية السفينة ضيقة ومحدودة، ولا يستطيعون الحركة عليها بحرية،ويكونون عرضة لسلاح الرماة فيعلنون استسلامهم[6].

د- اللجام:

كان الجنود يجعلون في مقدمة المراكب أداة كالفأس يسموها (اللجام)[7] وهي أداة من حديد طويلة محددة الرأس جداً،واسفلها مجوف كسنان الرمح تدخل من اسفلها في خشبة كالقناة بارزة في مقدمة المركب يقال لها (الاسطام)، فيصير اللجام كأنه سنان الرمح بارزة من مقدمة المركب[8] يستخدم في مهاجمة مراكب العدو عن طريق الطعن أو النطح وكانوا يضربون جانب مراكب العدو بقوة فإذا اصابها ،يخترقها فيمتلئ المركب بالماء فيضطر اصحابه بطلب الأمان خشية الغرق ويستسلمون[9].

هـ- النفط البحري:

هو النفط الخاص بإحراق المراكب، ويجهز هذا النفط من الكبريت والقطران، ومواد أخرى مختلفة وشديدة الاحتراق، ولا تنطفئ النيران التي تندلع من تلك القذائف عند ملامستها الماء[10]، يطلق النفط من آلة من النحاس أو الحديد تعرف بالنفاطة،

---

(١) العباسي، آثار الأول، ٢/٣٧١؛ بركات، فن الحرب، ص١٣٩؛ العدوي: الاساطيل العربية، ص١٧٨.

(٢) الخولي: الجندية والسلم، ص٩٧؛ الخانكي، تاريخ البحرية، ص١٣٢—١٣٣، عثمان، الحدود الإسلامية، ٢/ ٣٧٤.

(٣) متترسين: اي حاذقين في الاحتراز على أنفسهم عن كريق استعمال الترسب، العباسي، آثار الأول، ٢/٣٧١.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ١٠٩؛بركات، فن الحرب، ص١٣٩؛الجبوري، الأسطول الحربي، ص٤٣؛ ماهر، البحرية، ص٢٠٣.

(٥) ماهر، البحرية، ص٢٠٣؛ عون، الفن الحربي، ص٢٦٦؛ احسان هندي، الحياة العسكرية، ص١٨٨—١٨٩.

(٦) حسين، الجيش الأيوبي، ص٢١٥.

(٧) العدوي: الاساطيل العربية، ص١٨٧؛ ماهر: البحرية، ص٢٠٣.

(٨) العباسي، آثار الأول، ٢/٣٧٢؛عون، فن الحربي، ص٢٦٧؛ الخانكي، تاريخ البحرية، ص١٣٣؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص٢١٦.

(٩) العباسي، آثار الأول، ٢/٣٧١؛ بركات، فن الحرب البحرية، ص١٤١؛ احسان هندي، لحياة العسكرية، ص١٨٨؛ الحموي، تاريخ البحرية، ص٧٠.

(١٠) بركات، فن الحرب البحرية، ص١٣٩؛ العبادي ، تاريخ البحرية، ص١٤٢.

وكثيراً ما يقذفها النفاطون عن طريق (السهام النارية)(١)، وهي عبارة عن سهام عادية ملفوف على نصلها في مشاقة الكبريت وراتينج(٢)، ونورة وشم الكلس وتشتعل عن طريق حمرة لطيفة، أو إحراق طرفه، أُستخدمت في الرمي على مراكب الأعداء، فإذا واجهت الهواء تشتعل ناراً عظيمة تحرق كل ما تصيبه(٣)، أو تطلق عن طريق النشاب وأحياناً بالمنجنيق والهراوات والدبابات(٤).

فضلاً عن ذلك هناك آلة أخرى للنفط تسمى زراقة، وهي عبارة ان أنبوب من النحاس، وكان يقذف مشتعلاً فتبعث ناره(٥) ((بإرعاد ودخان شديد فتحرق السفن))(٦).

أشار دوزي إلى الزراقة وذكر؛ بأنها أنبوبة النفاطات يرمى بها النفط(٧)، وكانت توضع زراقات النفط(٨) في مقدمة ومؤخرة المراكب، وكذلك في الجانبين وفوقها توضع ستائر خشبية مكونة من ألواح مشققة مستحمية فوقها بألواح أخرى يقف فوقها(٩) الزراقون(١٠).

وكانت توضع مزيجاً من المواد الملتهبة مع النفط،وبذلك اختلفت التركيبات التي يتكون منها المقذوف، فمنها ما يشتعل ناراً ولا تنطفي(١١)، ولو أقامت شهراً أو أكثر من ذلك إلا أن تتخذ ما يطفئ بها، وهو سر أخفاه الحكماء ومنها ما يشتعل فوق الماء(١٢) ((فما شئت لم يطفئ وهو من أصلح النفوط لحرق المراكب))(١٣).

---

(١)عثمان، التحصينات الحربية، ص٣٤٨.

(٢) الراتينج : وهوم نوع من الملح يحدث على الصخور الندبة، وفي جدران المغاير وسقوفها وفي البيوت التي تلحقها النداوة، ينظر: ابن النفيس، الشامل في الصناعة الطبية، تحقيق، يوسف زيدان، (أبو ظبي: ٢٠٠٢)، ٢/ ٣٥٩.

(٣) الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص٢١.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٣٩، ٤٤٤؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٠٤؛ ابو شامة: الروضتين، ٤/ ٩٤؛ عثمان، الحدود الإسلامية، ٢/ ٣٧٢، ٣٧٤.

(٥) عثمان، التحصينات الحربية، ص٣٤٨؛ أحمد رضا، معجم متن اللغة، (بيروت: ١٩٦٠)، ٥/ ١٧٦.

(٦) الطرسوسي: تبصرة ارباب، ص٢٣.

(٧) تكملة، ٥/ ٣١٢.

(٨) المقريزي، الخطط، ٣١٧/٢.

(٩) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة،تحقيق ،سامي الدهان ،(دمشق:١٩٥٦)،ق٢،ج ٢، ص٢٢٩؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص٣٤٨.

(١٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٢١؛ النويري، نهاية الارب، ٢٥/ ٢٤٨.

(١١) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٢١؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٠٥.

(١٢) الطرسوسي، التبصرة ارباب ، ص٢٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢١/ ٣٧٨.

(١٣) ماهر، البحرية، ص٢٣٣؛ الخانكي، تاريخ البحرية، ص١٣؛ الطرسوسي، تبصرة ارباب، ص٢١.

يضاف إلى ذلك نار أخرى مهمة جداً في القتال البحري، ولا ينبغي الاستغناء عنها تسمى النار الإغريقية[1] لأهميتها في القتال البحري سميت أيضاً (النار البحرية)؛ لأن الاشتعال فيها تزداد كلما ألقى عليها الماء، أي أنها تزداد اشتعالاً في الماء والهواء كالنفط[2].

تبين مما سبق أن الأسلحة المحرقة هي أخطر الأسلحة في القتال البحري، لما تسببه من إشعال النيران في مراكب العدو، ويزيد من خطورتها الزفت والقار التي كانت تطلى بها المراكب[3].

٥- معدات أخرى:

فضلاً عن الأسلحة البحرية هناك نوعان من المعدات تستخدم في القتال البحري.

أ- وقاية بدن السفينة (المراكب)

وذلك لحماية المراكب من نار العدو وقذائفه. كانوا يقومون بتغطية هيكلها بدرع من الخارج، يسمى ليوس ،عليه غطاء تسمى ليود من جلود البقر الطرية، أو من البسط المبللة بالخل والماء والشب والنطرون[4] لدفع أذى النفط،وقد يحتاطون لذلك بالطين المخلوط بالورق، أو النطرون أو الخطمي[5] المعجن بالخل نظراً لمقاومة هذه المواد للهيب نار النفط[6].

ب- وقاية الجنود البحريين:

يتسلح المقاتلون البحريون عند نشوب القتال في البحر بالدروع المسيلة،والزرديان ذات الحفافر الملتمة المدفونة بالزرد المغشاة بالديباج والجواشن، ويتقي البحريون أنفسهم من سهام الأعداء، وسيوفهم بالترس الواقية، وهي على أنوع مختلفة من حيث المادة المصنوع منها والشكل[7].

---

(١) سبق الحديث عنها ينظر ص١٢٦.

(٢) ماهر، البحرية، ص١٣٢؛ الخانكي، تاريخ البحرية، ص١٣٠، ١٣٢.

(٣) العباسي، آثار الأول، ٢/٣٧٢.

(٤) النطرون: نوع من الاملاح يؤتى به من وادي النطرون في صحراء مصر الغربية جنوب الاسكندرية وهو على نوعين أحمر وابيض. ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (ابوظبي: ١٤٢٣هـ)، ٢٢/ ١٨٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٣/ ٣١٢.

(٥) الخمطي: بكسر الخاء شيء معروف يغسل به الرأس ربما هو نوع من الصابون ينظر الرازي: مختار الصحاح، ١/ ٩٣؛ المظهري، مفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق لجنة من المختصين (الكويت: ٢٠١٢)، ص٤١٦.

(٦) العباسي، آثار الأول، ٢/٣٧١–٣٧٢؛ الخانكي، تاريخ البحرية، ص١٣٣؛ بركات، فن الحرب البحرية، ص١٤٣؛ عبد العليم، الملاحة، ص١١٤.

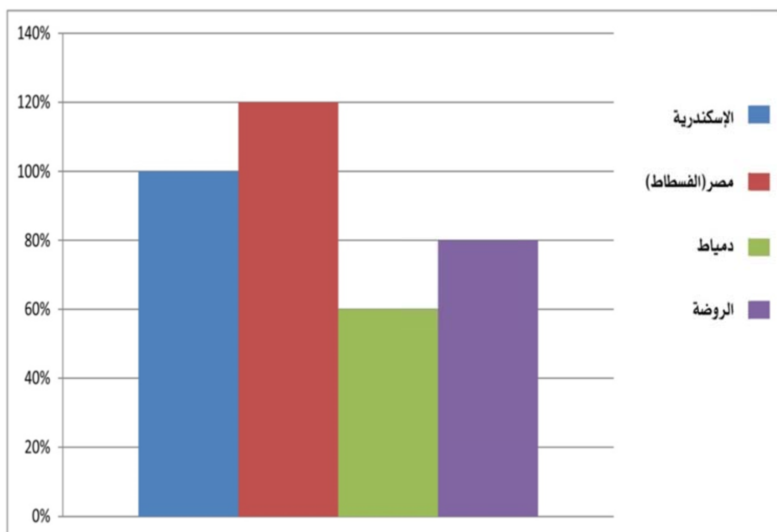
(٧) المقريزي، السلوك، ٢/ ٣٢٩- ٢٦٧؛ العبادي ، تاريخ البحرية، ص١٤٣؛ بركات، الفن الحرب البحرية، ص١٣٩؛ الجبوري، الأسطول الحربي، ص١٣٩.

من حيل القتال في البحر ووسائل التمويه والإخفاء،عن العدو جعل قلوع سفنهم زرقاء لتوافق لون الماء كي لا تظهر عن بعد، فيستطيعون بذلك مباغتة مراكب العدو[١].

وهناك بعض الاحتياطات الضرورية التي كانت تتخذ حين تكون المراكب في عرض البحر مثل عدم اشعال النار أو المصباح فيها، إذا جن الليل، وعدم وضع الحيوانات التي تحدث أصواتاً قد تنبه العدو، كالديك مثلاً[٢].

المخطط رقم (٥)

رسم بياني يوضح دور الصناعة الأكثر إنتاجاً للقطع البحرية في العصر الأيوبي



(١) العباسي، آثار الأول، ٣٧٢/٢؛ احسان هندي: الحياة العسكرية، ص١٩٠؛عثمان، الحدود الإسلامية، ٢/ ٣٧٤.

(٢) العباسي، آثار الأول، ٣٧٢/٢؛فرج، الإسلام والحرب، ص٩٥؛خولي، الجندية والسلم، ص١٠٠.

الفصل الرابع
الاعداد العام للحرب في العصر الأيوبي

الفصل الرابع
الاعداد العام للحرب في العصر الأيوبي

توطئة:

من أجل تحقيق الانتصار في أية حرب برية أو بحرية، ضد الأعداء الخارجيين أم الخصوم الداخليين، كان على القيادة الحربية العامة، أن تعد لها إعداداً جيداً، يشمل كافة الجوانب المتعلقة بخوض المعركة بمهمة عالية، لم تغفل الدولة الأيوبية، هذا الأمر قبل خوض معاركها الداخلية والخارجية، بل استعدت له بكل ما أوتيت من الإمكانيات البشرية والمادية والنفسية، وفق ما تعارفت عليه الدوائر العسكرية من تهيئة كل الأجواء المناسبة للفوز بالمعركة، أو درء الخطر الداهم، وبالتالي فإن أغلب سلاطين الدولة ولاسيما السلاطين الكبار، أخذوا أهمية تلك الاستعدادات بنظر الاعتبار، قبل كل نزال في ميادين القتال، بل كانوا يباشرون الاشراف بأنفسهم في الكثير من المرات على مرحلة الاعداد التي تسبق المعركة، وإن كانت هناك أية نقاط ضعف في مرحلة من مراحل الاستعداد، فإنهم بخبرتهم الحربية وممارستهم السياسية، يوجهون القادة والأمراء والمستشارين الوجهة الصحيحة، لكي لا تأتي النتائج عكس المأمول.

على أية حال، نجح الأيوبيون في تهيئة المناخ الأنسب لقواتهم والطبقات الاجتماعية التي تكون منها المجتمع في العصرالأيوبي، وعملوا على رفع معنويات الجميع دون استثناء عسكريين ومدنيين، بمساعدة النخب العسكرية والاجتماعية داخل الدولة للصمود أمام كل التحديات التي استهدفت عقيدة الامة ومقدساتها وكيان الدولة ومؤسساتها، لذا كان عليهم أن يستعدوا بدقة وتركيز لمواجهة كل ما كان سيعكر صفو الأمن والسلم في الدولة وسيساهم بصورة واضحة في تحقيق النصر واستتباب الأمن، ونشر الطمأنينة بين فئات المجتمع المختلفة، ويحفظ عقيدة الدولة وكيانها من الانشقاق ويوجهه إلى الوحدة والترابط.

المبحث الاول

الإعداد التعبوي للقتال

لم يكن النظام الحربي الأيوبي في المعارك يختلف عما سبقه في العصور الإسلامية السابقة(١)، حيث استخدموا نظام التخميس المكون من المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والمؤخرة (الساقة)(٢) وكانت تسمى ب (الثقل) (٣). وذلك لكي يكون بمقدور القائد الأعلى للجيش متابعة جميع تلك التشكيلات والوقوف بتؤدة على حالات الضعف والترهل التي تحدث في اية جهة، ويكون بمقدوره تقديم المساعدة وإرسال الإمدادات إذا ما احتاجت إليه واحدة من تلك المجاميع القتالية.

التعبئة أن يقف كل عسكرى في موضعه أثناء القتال(٤) ويسند كل جناح إلى أمير، وبذلك يعرف كل أمير منزلته(٥)، بحيث توضع الميمنة في مقابل ميسرة العدو، والميسرة في مقابل الميمنة، وتقسم الميمنة إلى جناحين. اليد اليمنى للجناح الأيمن واليد اليسرى للجناح الأيسر، وكذا الميسرة تنقسم إلى ذراع الأيمن للجناح الأيمن والذراع الأيسر للجناح الأيسر، وبالمثل القلب فيقال، الذراع الأيمن للقلب والذراع الأيسر للقلب(٦).

ويعزي ابن خلدون إلتجاء القادة الكبار إلى ابتكار ذلك النظام العسكري أي تقسيم الجيش إلى فرق منظمة وجعلها كراديس مرتبة، تسهيلاً للتعرف على المقاتلين ومن يشارك في صفوف الجند من المتطوعين، تجنبا أن يقتل بعضهم بعضاً خطأً، فضلاً عن مراقبة أحوال الجند أثناء المعارك ولاسيما عندما كثرت أعداد الجند فذكر قائلا: ((حتى أصبح لا يعرفون بعضهم بعضاً إذا اختلطوا في الحرب فيخشى من تدافعهم فيما بينهم في الطعن والضرب؛ لذلك كانوا يقيمون العساكر جموعاً، أو يضمنون المتعارفين بعضهم لبعض، ويرتبونها قريباً من الترتيب الصفي في الجهات الأربع))(٧).

---

(١) حسين، الجيش الأيوبي، ص ٩٢؛ الصعيدي، الإفصاح في فقه اللغة، ١/ ٦١٩.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١/ ٣٣٦؛ سويد، الفن العسكري، ص١٧٧.

(٣) محسن محمد حسين ،جيش صلاح الدين ،مجلة المورد، جمهورية العراقية (بغداد:١٩٨٧)،مج(١٦)،ع(٤)، ص٤٢.

(٤) ابن شداد، النوادرالسلطانية، ص ١٧١؛ ابو شامة، الروضتين، ٤/ ٩٢؛ أبن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٩٥.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ٢٢/ ٢٥١؛ أبن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ١/ ٣٣٦.

(٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٤٢؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ١٤٢؛ أبن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٢٩؛ النويري، نهاية الأرب، ١٥/ ٢٦٢؛ سعداوي، جيش مصر، ص٤٥.

(٧) تاريخ ابن خلدون، ١/ ٣٣٥.

فصل الطرسوسي الكلام عن ترتيب الجيوش الأيوبية، فتحدث عن الأصول كالفروض الواجبة والفروع كالنوافل الغير لازمة، أما الأصول، أو الفروض فمثل: الخميس، له قلب وميمنة ومسيرة، وأما الفروع أو النوافل، فيندرج ضمنها الأجنحة والطلائع والكمناء[١] ثم يتطرق إلى تعبئة المضافات، وحاجتها إلى ((تكرديس الأجناد كراديساً وترتيب الفرسان علماً وخميساً خميساً))[٢]. وهوالنظام الذي طبقه الجيش الأيوبي و سار عليه[٣].

من خلال نظرة لتوليفة العساكر الأيويبة نلاحظ؛ بأنها كانت مرتبة بشكل منظم من المقدمة والجناح الأيمن والأيسر، وكان القلب عادة تحت إمرة السلطان نفسه، ويحاط بالأطباء والفلكيين والعلماء والاختصاصيين والرماة المهرة[٤]، ويقف أمامه حاملوا العلم والفرقة الموسيقية وتشمل الطبول والدفوف والنفير.... الخ[٥].

تألفت المؤخرة أو الساقة من الفرق الهندسية مثل الحجارين والنقابين الذين توكل إليهم مهمة نقب الأسوار وحفر الخنادق[٦] إلى جانب مرافقة بعض الفرق الطبية للجيش، والمطبخ السلطاني وأدوات القتال والاحتياطي من الخيول وخزانة المال والأسرى والجرحى[٧].

وقد أكد ابن منكلي على أهمية التعبئة في المعركة فقال ما نصه: ((فالرجل كالاجساد، والتعابي[٨] كالأرواح))[٩]، أي أن التجنيد والتعبئة متكاملان ولا أهمية لأحدهما دون الآخر، وكلما كانت التعبئة مكتملة كان النصر يتحقق. وهو ما أشار اليه أحد الباحثين بقوله ((إن التعبئة هي جميع الحركات التي من شأنها تحشيد القوات في

(١) تبصرة أرباب، ص٢٣.

(٢) تبصرة أرباب، ص٢٤.

(٣) حسين، الجيش الأيوبي، ص٩١.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٩٥/٢؛ العباسي، آثار الأول، ١٩٥/١.

(٥) ابن شداد، النوادرالسلطانية، ص١٦٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦٤/١٢؛ العليمي، الأنس الجليل، ٣٧٣/١.

(٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٨٢، ٣٣٣، ٣٤٩؛ عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص ٧٦، ١٥٥.

(٧) عماد الدين الاصفهاني، البرق الشامي، ٥/ ١١٧؛ ابن الفرات، تاريخ ابن فرات، ٢/ ٢٤٦؛ سعداوي، جيش مصر ، ص٤٦.

(٨) هناك ثلاث اشكال من التعبئة في نظام التخميس وهو الشكل.. وهو المستحب والموقف، والشكل الهلالي والشكل المعطوف، والفرق بينها هو موقع الجناحين من القلب إذا كان أحدهما يتقدم على الآخر، للمزيد ينظر الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٣٤—٣٥؛ ابن منكلي، الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق، محمود شيت خطاب، (بغداد: ١٩٨٨)، ص١٧٨—١٨٠.

(٩) الأدلة الرسمية، ص١٨٢.

الانتصار في ميادين المعركة، وسوقها إلى خطوط العدو أو ترتيبيها فيه؛ لرد هجماته والقصد من كل ذلك حصد قوات العدو))[١].

وقد شرح لنا الطرسوسي المعاصر لصلاح الدين الأيوبي، طريقة الترتيب العسكري في الحرب (التعبئة) فذكر بأنه؛ ينبغي أن يكون الرجالة (الجنود المشاة) وضعهم أمام الفارس ((ليكون له كالحصن المانع))[٢] وأن يكون هذا الراجل أخذاً احتياطات لحماية نفسه على أن ((ينصب أمامه جنوية أو طارقة أو ستارة))[٣] لكي تكفي عنه شر (خطر) من ((يرميه بسيف أو رمح أو سهم))[٤]، وأن يجعل بين كل راجلين أحد رماة ((أما بقوس اليد أو جرخ أو نبالة))[٥] وذلك لكي يرمي على الأعداء اذا ما لاحت له الفرصة المواتية [٦]، أما الفرسان ((الخيالة والأبطال[٧]،من ورائهم واقفون والشجعان من خلفهم ينتظرون الحملة))[٨].

كان السلاطين الأيوبيين يضعون على رأس الجناحين في الحرب القادة والأمراء المعروفين من ذوي الخبرة والكفاءة القتالية[٩] أما طليعة الجيش أي رأس المقدمة كان يتموضع فيه أصحاب الخيول المعروفين بالسيف والرمي والخفة في الدفاع والهجوم[١٠] أما الساقة فكان ((يجب عليهم الثبات والصبر والجد))[١١].

يرى الطرطوشي أن الثقل والدور الأكبر في المعركة يقع على عاتق القلب يقول فمن الحزم المألوف أن تكون حماة الرجال والأبطال في القلب لأنه ((مهما أنكسر الجناحان فالعيون ناظرة إلى القلب.. وإذا انكسر القلب تمزق الجناحان))[١٢]، ومثل ذلك بطائر إذا انكسر إحدى جناحيه يستطيع العودة ولو بعد حين ولكن إذا كسر الرأس ذهب الجناحان، ويضيف ((ولا تحصى كثرة انكسار جناحي العسكر وثبات القلب ثم يرفع الفارون إلى القلب ويكون الظفر لهم))[١٣]، والعكس غير صحيح.

---

(١) طه الهاشمي، الجغرافية العسكرية، (بغداد: ١٩٣٨)، ٧/١.

(٢) تبصرة أرباب، ص٢٣.

(٣) تبصرة ارباب، ص٢٤.

(٤) تبصرة ارباب، ص٢٤

(٥) تبصرة ارباب، ص٢٤.

(٦) تبصرة ارباب، ص٢٤.

(٧) تبصرة ارباب، ص٢٤.

(٨) تبصرة أرباب، ص٢٤.

(٩) ابن شداد، النوادرالسلطانية، ص١٧١؛ ابو شامة، الروضين، ٤/ ٧١.

(١٠) العباسي، آثار الأول، ٣٣٩/٢.

(١١) العباسي، اثار الاول، ٣٤٠/٢.

(١٢) سراج الملوك، ص١٧٥.

(١٣) النوادر السلطانية، ص ص٢٢٣-٢٢٤.

أورد ابن شداد الموصلي في مرويات سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) صورة واضحة عن أسس التعبئة وتوزيع المجاميع العسكرية ابان معارك عكا فقد كان شاهد عيان للاحداث ومرافقا للسلطان صلاح الدين الأيوبي الذي قسم عسكره ووضع الخطط التعبوية له، حيث وضع في الميمنة اولاده الثلاثة الملك الأفضل امير دمشق والملك الظاهر امير حلب والملك الظافر امير بصرى ومعهم جيش الموصل بقيادة علاء الدين خرم شاه، ووضع أخوه الملك العادل في طرفها ويليه قريباً منه حسام الدين لاجين وقايماز النجمي وعز الدين جورديك النوري وحسام الدين بشارة وبدر الدين ياروقي وعدد كبير من الأمراء (١١)، أما في الميسرة فكان عماد الدين زنكي امير سنجار وابن أخيه معز الدين امير الجزيرة، وفي طرفها ابن أخ السلطان تقي الدين عمر بالإضافة إلى ذلك كان في الميسرة أيضاً سيف الدين علي المشطوب وجمع من المهرانية والهكارية وغيرهم من الأمراء الأكراد وفي القلب الحلقة السلطانية[١] وطلب السلطان أن يخرج من كل عسكر جمع من الجاليش[٢] وأن يدور حول العسكر[٣]. وعلى أغلب الظن أن مهمة الجاليش كانت تتعلق برفع معنويات الجند وإيصال أوامر السلطان إليهم، وحثهم على الجهاد، والركون إلى الصبر وتحمل المصاعب، والوقوف على مكامن الضعف بين الصفوف قبل اللقاء مع العدو.

وقد طبقت الدولة الأيوبية في معظم عهود سلاطينها نظام الإطلاب[٤] بشكل عام[٥] وعهد صلاح الدين بشكل خاص[٦]، وهذا النظام قائم على أساس تقسيم الجيش إلى مجاميع عسكرية كانت بمثابة كتائب[٧] يكون على رأس كل مائتي أو مائة أو تسعين

---

(١) النوادرالسلطانية، ص ٢٢٤

(٢) الجاليش: وهي الراية العظيمة في رأسها خصلة من شعر الخيل كانت ترفع أمام الجيش ،ثم صارت تطلق على مقدمة الجيش أو طلائعه ليكون أمامه، ويعد من العلامات المميزة لبداية العرض العسكري وانتهائه، ورثها الايوبيون من الزنكيين الذين بدورهم اخذوها عن السلاجقة الترك، القلقشندي، صبح الأعشى، ٧/٤، شبل، الأنظمة، ص١٠٤؛ حلاق، المعجم الجامع، ص٦٠.

(٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص٢٢٣- ٢٢٤؛ وازنه مع ابو شامة، الروضتين، ٤/ ٨٤.

(٤) مفردها الطلب: وهو لفظ كردي أطلقت في العهد الأيوبي على الأمير الذي يقود مائتي فارس، وفي العهد المملوكي اطلقت على فرقة من المماليك الخاصة بأمير من الأمراء عدد عساكره يتراوح بين سبعين الى مائتين في ميدان الحرب، وكان استعمال هذا اللفظ في مصر وبلاد الشام لأول مرة يعود إلى ايام صلاح الدين، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٥٩ هامش (٣)، حلاق، المعجم الجامع، ص١٣٧.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٨٢/٢٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٧/ ١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨/ ١٤٢.

(٦) ابن شداد، النوارالسلطانية، ص١٧٣، ٢٢٥، ٢٧٥ وغيرها؛ أبو شامة، الروضتين، ٧١/٣؛ ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص٩٣، ١٥٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٩٦، ٣١٣.

(٧) تسمية العسكر بالكتيبة لانتظام بعضها الى بعض كالكتابة، العباسي، آثار الأول، ٣٤٠/٢.

فارساً ((الأمير المقدم الذي له علم معقود وبوق مضروب))[١]. وكان السلطان يرتب تلك الأطلاب بنفسه في البداية ولا يعتمد على غيره[٢].

تكون الجيش عموماً من قوة بشرية وأسلحة ومعدات قتالية؛ كانه آلة لا تعمل وحدها بل تحتاج إلى من يديرها بشكل كفوء ودقيق[٣] وأن يكون قائد الجيش عارفا لكل جنوده وأن يلتقي بهم ويعرف طاقاتهم وخبراتهم، وذلك ((ليستعين بكل رجل منهم فيما يصلح له، ويضعه بالموضع الذي يستحقه))[٤].

شكل الفرسان القوة الضارية والأساسية في الجيش وكانوا يعدون عماد المعركة ،توقف النصر على قوتهم وشجاعتهم[٥]، لذلك كانوا يختارون عادة ((من أهل النصحة والنجدة والتجربة للحرب))[٦] للقيام بواجباتهم. وكانت مهمتهم الرئيسية القتال والاستطلاع أو الاستكشاف، وكانوا ينقادون للاشتباك مع العدو، تعتمد العمليات العسكرية على الفرسان حيث يقومون بأعمال الكر والفر وجلب العدو إلى ميدان معين، والقيام ببعض المناورات والحركات الدائرية لأخذه من الخلف أو محاصرته[٧].

من المزايا التي تتجمعلدى الفارس هي ،البسالة والإقدام والجرأة وأن يكون لديه معرفة بفنون قتالية مثل فن مواجهة العدو وفن الرماية وفن المصارعة (المنازلة) ويكون عارفاً في استعمال الرمح[٨].

أما أسلحتهم فكانت السيوف والسهام والحراب الطويلة ويحمون أنفسهم بارتدائهم الخوذ والترس والزرد، فضلاً عن خيولهم كانوا يضعون عليهم التجافيف والسروج[٩].

يتضح مما سبق ان القسم الأساسي للجيش الذي يشترك في الحرب هم الفرسان إلا أن القسم الأعظم من قوة الجيش[١٠] هم المشاة. وهؤلاء كانوا من أهل البأس والنجدة والقوة والشدة[١١].

---

(١) المقريزي، الخطط، ١/ ١٦٣؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص٩٧.

(٢) الهروي، التذكرة الهروية، ص٢١.

(٣) محفوظ، العسكرية في الإسلام، ص٢٧.

(٤) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٥٤.

(٥) سويد، الفن العسكري ، ص٢٤؛ Nicolla, Arms and Armour, p. 273

(٦) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٤٨.

(٧) المقريزي، الخطط، ٢/ ١٨٢؛ المنتشري، النظم والتراتيب العسكرية ، ص٥٠.

(٨) أ. ن. بولياك، الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، ترجمة عاطف كرم، (بيروت: ١٩٤٨)، ص٥٤.

(٩) سميل، فن الحرب، ص١٧٤؛ إحسان الهندي، الحياة العسكرية، ص١٦٦؛Nicolla, Arms and Armour, p. 274

(١٠) الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٢١.

(١١) الهروي، التذكرة الهروية، ص٢٢.

من المهمات الملقاة على عاتق المشاة حماية العسكر والقطعات الخلفية، أثناء المسير للحيلولة دون مداهمته من قبل العدو وكذلك قتال العدو،والالتحام معه وتحطيم قوته الرئيسية؛ فضلاً عن قيامهم بإخراج أفراد العدو من خنادقهم والقضاء عليهم[١]. من واجباتهم الأخرى حراسة القوافل التي تحمل المؤونة والعتاد أثناء تنقلها. والتمسك بالمناطق الحيوية في أرض المعركة[٢]؛ ويخدمون الفرسان[٣].

اثنى العباسي على الجند المشاة بقوله: ((القتال مع الرجالة صعب لأنهم إن ظفروا خربوا وسبوا وأتلفوا، وإن كُسِروا هربوا وقل أن يربح عليهم إلا أن يحاط بهم))[٤].

ولكن في العادة بسبب سرعة حركة الحملات العسكرية التي كانت اعتمادها الأساسي على الفرسان لذلك كان يستبعد استخدام الرجالة في القتال، وكان وجودهم يرتبط بعمليات الحصار وفي الهجوم صاروا يعرفون بالصناع مثل الحجارين والنقابين وغيرهم[٥].

كانت الأسلحة التي يستخدمها صنف المشاة هي ألاسلحة الخفيفة، مثل السيوف والاقواس والرماح القصيرة والقوس، لأنهم يسيرون على إقدامهم لمسافات طويلة[٦].

أما بالنسبة إلى ترتيبهم في صفوف الجيش[٧] كان المشاة يقفون أمام الفرسان في الترتيب وأشار إلى ذلك الطرسوسي بقوله: ((ولتكن الخيالة والأبطال من وراءهم وقوف مزاحمون العلة والحماة، والشجعان من خلفهم ينتظرون الحملة فإذا اهتموا بها وعلقوا سببها، فتح لهم باباً يحملون منه بانضمام الرجالة بعضها إلى بعض))[٨].

جرى التكتيك العسكري والاستراتيجي لتوزيع الجنود أثناء الحرب في المعارك الأيوبية بصورة اقرب الى فلسفة القتال حسب الفكر العسكري للهروي الذي سجل نصاً قيماً عن الوضعية القتالية للجيش إبان خوض أية معركة فقال: ((ولينظر الحملة من

---

(١) طه الهاشمي، دروس في المعلومات الجغرافية، (بغداد: ١٩٣٦)، ص١٨؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص٩٨.

(٢) الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٢٢.

(٣) سويد، الفن العسكري، ص٢٥.

(٤) آثار الأول، ٢/٣٤٥.

(٥) السيد البازالعريني،الشرق الادنى في العصور الوسطى، الأيوبيون ،(القاهرة:١٩٦٧)، ص١٨٣؛ هاملتون جب، صلاح الدين الأيوبي، دراسات في تاريخ الإسلامي، ترجمة، يوسف ايبش، (بيروت، ١٩٩٦)، ص ١٧٥—١٧٦.

(٦) الهاشمي، دروس، ص١٨؛ المنتشري، النظم والتراتيب العسكرية، ص٥٠؛ عبد الله بن قريح العقلا، إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه، (الرياض: ١٤٢٢هـ)، ص ص٥٣٠—٥٣٢.

(٧) تحدث أبن منكلي بالتفصيل عن مهمات الجندي (الفارس والراجل) في القتال وصفاتهم وما يترتب على عاتقهم بشكل صحيح ولوازميهم، للمزيد ينظر: التدبيرات السلطانية، ص ص٣٥٥—٣٥٩، ٣٦٥.

(٨) تبصرة أرباب، ص ٢٤.

ناحية العدو إلى أي الجهات تكون وأي فريق يقصدون فإن كانت الحملة من الميمنة فيضاعف المسيرة، وإن كانت من الميسرة فليقوي الميمنة، وليردف إلى الجهة المقصودة والفرقة المطلوبة من الرجال المذكورة والأبطال المشهورة، أقواماً معروفين وبالرحلة موصوفين، وليحذروا كثرة الصياح والغلبة والصراخ، فإن ذلك يؤدي إلى الفشل والضجر والملل والعجز والخور، وليلزموا هيبة الحرب وناموس الشجاعة، والثبات عند الصدمة الاولى... ولينظر الملك إلى عسكر عدوه عند الزحف إليه والإقدام عليه، فأي جهة رآها مختلة وناحية معتلة فليضع الحملة عليها ويرسل الرجال إليها))[١].

ونصح الهروي بعدم الاستسلام في حال عجز القائد عن النصر وبدت خسارته واضحة وأشرف على الهلاك هو وجيشه ويضرب مثالاً على ذلك ما حصل في عكا سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م حيث يقول: ((وإياه أن يستسلم لعدوه ولو أشرف على الهلاك وعاين الموت، إلا أن علم منه الوفاء والأمانة والدين، فإن فعل ذلك يندم ولا ينفعه الندم، ويزل به القدم ويحل به كما حل بفرسان المسلمين وأبطال الموحدين بمدينة عكا مع ملوك الإفرنجية وقسوس النصرانية... وليعلم أن الموت مع العز شرف وفخر، والحياة مع الذل عجز وقهر))[٢] .

كان من الصعب توجيه سياسة الحرب وإدارة شؤون الدولة ووضع الخطط العسكرية اللازمة وإقرارها والإشراف عليها دون اللجوء إلى الاستشارة ((شاور فيما تحتاج إلى المشاورة فيه من مصون أمرك، ذا الرأي والمعرفة والثقة والنصيحة من خاصتك وبطانتك))[٣] الأمر الذي أدى إلى أن يتخذ سلاطين بني أيوب لهم مجلساً للشورى (مجلس الحرب) ينعقد كلما دعت الضرورة إلى انعقاده، وكان يتكون من السلطان الأيوبي رئيساً للمجلس ومن القادة الأمراء والأعيان في الدولة الأيوبية كأعضاء في المجلس[٤].

يعقد المجلس الحربي جلساته لدراسة سير المعارك اثناء القتال وللنظر في خططها العسكرية ولمراقبة أحداثها وإيجاد السبل والبحث عن الملوك فيستمع لذوي الخبرة والرأي، ولاعضاء مجلس الحرب الحق في إبداء الرأي بحرية، ويتشاورون ويتباحثون

---

(١) التذكرة الهروية، ص٢٢.

(٢) التذكرة الهروية، ص٢٩.

(٣) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٢١.

(٤) الشريدة، التنظيمات العسكرية ، ص١٥٧؛ سعداوي، جيش مصر، ص٣٦؛حسين ،جيش صلاح الدين،ص٥٥.

ويتفاوضون في أمر المصلحة في القضايا العسكرية والحربية التي تخص تنظيمات الجيش في ساحة المعركة[١].

بات المجلس الحرب الايوبي تنظيماً عسكرياً متبعاً وخاصة عند انتهاء المعارك، يعقده السلطان للنظر في مصير الأسرى بصورة خاصة ونتائج المعركة بصورة عامة[٢].

ففي سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧ عندما طال حصار الجيش الأيوبي لمدينة صور[٣] العاصية ،عقد السلطان صلاح الدين مجلساً حربياً عند أسوارها وطلب المشورة بعد العجز عن فتحها[٤]، فقالوا ((هذا بلد حصين، ومكانه في الأرض مكين ففي البحر ثلاثة أرباعه...، وطريقه الذي يسلك من البر إليه، قد أحاط به البحر من جانبيه، وقد قطعوه بخندق في عرضه، وعمقوه ونزلوا في أرضه. وكان من أحكام الحزم..... تكميل الآلات وتتميمها، وتحصل المنجنيقات وتقديمها. وتركيب الأبراج والدبابات وتأليفها. وتقريب الجفاتي والجنويات[٥] وتصفيفها... وتنخية نخب الرجال وتصريفها...))[٦].

بذلك بدأ أعضاء المجلس بمناقشة الآراء حول تلك المدينة المنيعة أمام الجيش الأيوبي وانقسموا إلى فريقين، فريق يدعو إلى رفع الحصار؛ لأن المدة طالت وأن عدد القتلى والجرحى قد كثر؛ ولأنه قد ثنيت النفقات وضجر العسكر. وجاء الشتاء وقد اشتد عليهم البرد لذا اعطوا رأيهم بضرورة رفع الحصار وعدم التعجل إلى أن يأتي فصل الربيع[٧]، وانتقد ابن الاثير الجزري حالة المجلس تلك وعلق على قرار الانسحاب قائلا: ((وكان هذا قول الأغنياء منهم، وكأنهم خافوا أن السلطان يقترض منهم ما ينفقه في العسكر إذا أقام لخلو الخزائن وبيوت الأموال من الدرهم والدينار، فإنه كان يخرج كل ما حمل إليه منها))[٨].

---

(١) السيوطي، اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى تحقيق، أحمد رمضان أحمد، (القاهرة: ١٩٨٢)، ق١، ص٢٥٧؛ العليمي، الأنس الجليل، ١/ ٣٢٨؛ حسين، الجيش الايوبي، ص١٢٥.

(٢) السيوطي، اتحاف الاخصا، ١/ ٣٢٨؛ الشريدة، التنظيمات العسكرية، ص ١٥٧؛ العسلي، فن الحرب الإسلامي، ٤/ ١٣٨؛ سعداوي، جيش مصر، ص٣٦—٣٧.

(٣) صور: وهي مدينة حصينة تقع على ساحل البحر المتوسط جنوب لبنان حالياً يحيط بها البر من جوانبها الثلاثة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٤٣٣.

(٤) أبو الفدا، المختصر، ٣/ ٧٤؛ أبن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢/ ٩٩؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص١٥٣.

(٥) الجنويات، نوع من التروس تحتمي بها الرجالة عند الزحف، الطرسوسي، تبصرة أرباب، ص١٢.

(٦) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي،٨٨.

(٧) ابو شامة، الروضتين، ٣/ ٢٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٠٣.

(٨) الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٠٣.

كان رأي بعض أعضاء المجلس ومن ضمنهم السلطان ومجموعة من الأمراء ضرورة الاستمرار في محاصرة المدينة والتضييق عليها حتى تسقط، وقال السلطان: ((قد هدمنا السور، وقاربنا الأمور، فأصبروا تفلحوا، وصابروا تفتحوا ولا تعجلوا))[١] ولكن اختلفت الآراء وبقي السلطان متردداً بين الرحيل والإقامة[٢]، وطالت المشاورات وأصبحت الغلبة للمجموعة التي رأت رفع الحصار وذلك؛ لأنهم صاروا فيها مقيمين بدون قتال، فاضطروا إلى الرحيل عنها[٣].

استقراءً للنص الذي سجله ابن الاثير، يمكن ابداء بعض الملاحظات حول حكمه كمؤرخ لانسحاب الأمراء والجيوش المرابطة مع السلطان أمام مدينة صور، وهي:

١- إن معظم أولئك الأمراء ولاسيما من سماهم ابن الاثير بالاغنياء، كانوا قد رفعوا شعار الجهاد مع السلطان صلاح الدين من أجل استعادة معظم المدن والقلاع التي كان الصليبيون قد استولوا عليها.

٢- إن من يرفع شعار الجهاد سيوظف كل إمكانياته المادية والبشرية لخدمة الأهداف التي كان السلطان صلاح الدين قد وضعها أمام الجميع.

٣- لم يكن خوف أولئك الامراء والاغنياء نابعاً من مسألة إقراض السلطان للمال أو المساهمة في تمويل المعارك الحربية، بقدر ما كان حرصهم متجها إلى ممالكهم ورعاياهم، من أجل العودة بسرعة للاشراف على تنظيم الأراضي الزراعية وتهيئة مايلزمها من الإمكانيات، لأن موسم الزراعة أو بذر البذور وري الأراضي، كان قد بدأ عندهم، ورأوا أن بقاءهم دون قتال أمام صور، سيكلفهم الكثير من الأموال والرجال، وبالتالي ستضيع عليهم نفقات السنة القادمة اذا لم يرحلوا في الوقت المناسب إلى إقطاعاتهم؛ لأنهم على الخلاف من ذلك فيما كانت هناك الفرصة مواتية لاسترداد مدينة صور، عندما طلبوا من السلطان مغادرة أرض المعركة أو رفع الحصار عن المدينة.

لم يكن الأيوبيون يعقدون مجالس الحرب للمشاورة في مقاومة أعدائهم الخارجيين، فقط بل كانوا يعقدونها أيام صراعاتهم الداخلية أيضا فبعد وفاة صلاح الدين دعا ولده الملك الأفضل أمراءه في مجلس لمشاورتهم في كيفية مواجهة الحلف الذي ضم أخاه الملك العزيز وعمه الملك العادل وما يجري من التحضيرات من قبلهم لكي يهاجموا دمشق[٤].

---

(١) أبو شامة، الروضتين، ٣/ ٢٦٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٠٣.

(٣) أبو شامة، الروضتين، ٣/ ٢٦٨.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق٢، ح٨، ص٤٢٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ١٢٥.

لم يكن من المشروط أن يلتزم السلطان الأيوبي بآراء من هم حاضرون داخل المجلس فقط، بل يمكن اللجوء إلى طلب المشورة من خارجها أيضا اذا ما وجد رأياً افضل من آراء أعضاء مجلس الشورى، وخير مثال على ذلك ما حدث في سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)، عندما تحصن الصليبيون في حصن بيت الاحزان[١] وجعلوه مصدر خطر على الجيش الأيوبي، فطلب السلطان صلاح الدين من الصليبيين هدمه لقاء مبلغ من المال فرفضوا ((فلما علم السلطان ذلك، جمع الأمراء من أصحابه وأولي الأمر والمشورة وعرفهم ما ذكره الفرنج من امتناعهم وطمعهم))[٢].

بعد أن أخبرهم السلطان عن موقف العدو، فقالوا إن الصواب ((أن تعطيهم رضاهم من المال ويهدم الحُصن))[٣] فتردد السلطان وتريث في إصدار أي قرار بشأن موضوع الهدم حتى يشاور فيه مع ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر الذي رفض بتاتاً أن يمنح الأموال للصليبيين مقابل هدم الحصن، بل على العكس طلب من السلطان أن يمنح تلك الأموال للجند ويشجعهم على الجهاد ويمولهم من أجل تحقيق الهدف المنشود، ومع رعاية الله ومتابعة السلطان سيتحقق النصر[٤].

وهكذا كان رأي ابن أخيه عدم إعطائهم المال وصرف تلك الأموال على الاجناد وحثهم على الجهاد، فعمل السلطان بمشورة ابن أخيه، فكان النصر من حليف الجيش الأيوبي وتم تخريب بيت الأحزان[٥]. وبذلك يمكن القول أن مجلس الشورى الأيوبي، كان بمثابة ما يعرف حالياً بقيادة أركان الجيش[٦].

---

(١) بيت الاحزان: بلدة يقع بين دمشق والساحل، يزعمون أنه كان مسكن يعقوب أيام فراقه ليوسف لذا أسمى بيت الأحزان وكان الفرنج عمروه وبنو فيه حصاً حصيناً، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٥٩١.

(٢) السلطان بدل لهم مقابل هدمه ستين الف دينار فلم يفعلوا، فزادهم حتى بلغ مائة دينار فأبوا، ابو شامة: الروضتين، ٣/ ٢٦.

(٣) أبن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص٢٥.

(٤) أبن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص٢٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣١٩؛ ابو شامة، الروضتين، ٣/ ٢٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٨٠–٨٥.

(٦) سعداوي، التاريخ الحربي، ص١٧٧.

المبحث الثاني
انتخاب الظروف المناسبة للمعركة

هناك أمور عديدة من الضروري أن تؤخذ بنظر الاعتبار خلال الحروب؛ لأنها تؤثر على مجرى الأحداث وتحركها، فالبيئة الجغرافية والظروف المناخية لها دور في العمليات العسكرية، حيث ذكر المرادي (الحضرمي)مجموعة من الاستراتيجيات الحربية التي ينبغي على القادة أخذها بنظر الاعتبار في سبيل تحقيق النصر بأقل مجهود فقال موجها خطابه اليهم: ((واحتل للشمس أن تكون معك في وقت اللقاء، وللريح أن تكون معك وقت الهجوم وللماء وللمرعى أن يكونا معك في مكان النزول))[١].

طبق السلطان صلاح الدين تلك الاستراتيجية في معركة حطين -تلك المعركة التي أشاد أحد الباحثين بأن انتصاره الساحق فيها يعود الى حسن مقدرته السياسية والعسكرية[٢]- التي وقعت في شهر (ربيع الثاني ٥٨٣هـ/ تموز ١١٨٧م)، حيث استغل الأيوبيون الطقس الحار خير استغلال، وتم اشعال النيران في الحشائش، فدفعت الرياح النار والدخان باتجاه الصليبيين، الذين كانوا يعانون أصلاً من نقص في الماء[٣] وأمام تلك الظروف المناخية القاسية اضطروا إلى التوجه والاحتماء بجبل حطين[٤]، مثلما كان قد خطط السطان صلاح الدين لحصرهم في تلك البقعة، بعد أن كان قد سد في وجهوهم كل السبل التي كان بالإمكان أن يستفيدوا منها في تلك المعركة، ولاسيما منابع الماء وآبارها، وبالتالي هزموا في المعركة التي تجمعت ضدهم الكثير من العوامل، وقد وصف إبن الأثير أسباب هزيمتهم تلك بالقول: ((فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار، والدخان، وحر القتال))[٥].

كما أكد مؤلف مجهول أيضا على الخطة المحكمة التي استخدمها صلاح الدين، لإنهاك قوى الصليبيين، بإحاطة معسكرهم بالنار والدخان عندما أمر عساكره بجلب أغصان الأشجار وإيقاد النار فيها وفي الحشائش الموجودة حول المعسكر الصليبي .مما أدى إلى ازدياد الدخان عليهم، فضلاً عن حرارة الشمس الحارقة التي ثبطت من معنوياتهم كثيرا[٦].

---

(١) كتاب السياسة، ص٦٣.

(٢) دريد عبد القادر نوري، الفكر العسكري للقائد صلاح الدين الايوبي دراسات في معركة حطين، مجلة المورد، الجمهورية العراقية، (بغداد: ١٩٨٧)، مج(١٦)، ع(٤)، ص٦٩.

(٣) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٨٠؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٧؛ أبو شامة، الروضتين، ٣/ ١٨٠.

(٤) يقول العباسي ان أقوى أسباب كسرة الصليبيين في حطين هي العطش ،آثار الأول، ٢/٣٤٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٨٦.

(٦) ذيل وليم الصوري، ص٨٥.

مما لاشك فيه أن للرياح أيضا تاثير كبير، ليس فقط على المعارك البرية؛ وإنما تأثيرها أقوى على المعارك البحرية[١] فحركة الرياح وتيارات الماء تؤثر كثيراً على مجريات الأحداث في المعارك البحرية؛ لأنها توجه حركة السفن عكس المطلوب، ففي سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م القت الريح ببطستين إلى ساحل الزيب[٢] خرجتا من عكا وفيها عدد كبير من الرجال والنساء والصبيان وميرة عظيمة وغنم كثيرة فغنمها المسلمون[٣].

عند النظر إلى توقيت المعارك الأيوبية، وجد أنها كانت تقع عادة في فصول الربيع والخريف، حيث تبدأ مع انتهاء حدة البرد ويتوقف القتال مع قدوم فصل الشتاء؛لأن الشتاء موسم إعداد الأرض للمزروعات الشتوية، وكان على العساكر أن ترحل إلى بلادها لكي يشتغلوا في أراضيهم، ولينالوا قسطاً من الراحة وتجم خيولهم فيمنحهم السلطان الاذن بالرحيل إلى بلادهم[٤]؛ ولكن شريطة متى دعت الحاجة إليهم واستدعاهم السلطان وطلبهم، لا يتأخرون ويلبون طلبه بالمسير إليه لأداء مهماتهم القتالية[٥]، وقد أطلق على تلك الظاهرة الانسحابات الموسمية[٦].

إن هذا لا يعني أن ميادين القتال كانت تخلوا من العساكر وإن جميع العمليات الحربية تتوقف خلال فصل الشتاء[٧] بل أحيانا كانت الظروف الحربية ومسارات الصراع تحتم بشكل استثنائي وقوع المعارك وحصار المدن في الاوقات المناخية الصعبة ولاسيما في فصل الشتاء، مثلما حدث في سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) عندما شرعت القوات الأيوبية في حصار حصن الكوكب ومن ثم فتحه[٨]. فقد كانت الأحوال المناخية صعبة عليها بسبب هطول الأمطار الغزيرة وشدة الرياح وازدياد الوحل بحيث عرقلت حركة الماشي والراكب إلا بمشقة، ونتيجة لزيادة السيول وسرعة الرياح لم تصمد الخيام في قواعدها، بل قلعت الاوتاد والطرقات اصبحت زلقة لزقة، وانعدمت الأنوار وقل ماء الشرب، حتى أن السلطان نفسه اضطر أن يبني لخيمته ستاراً من الحجارة[٩].

---

(١) العباسي، آثار الأول، ٢/٣٧٠؛ بركات، فن الحرب، ص٩٣.

(٢) الزيب: قرية كبيرة على ساحل بحر المتوسط قرب عكا، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ١٦٢.

(٣) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٢٩؛ ابن شداد، النوادرالسلطانية، ص٢١٨؛ ابو شامة، الروضتين، ٤/ ٩٨.

(٤) ابن شداد، النوادرالسلطانية، ص٥٠؛ شبل، الانظمة، ص ٢٠٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٩٤؛ أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٢٥٥.

(٦) اتش أ. ماير، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة، محمد فتحي الشاعر، (القاهرة: ١٩٩٩)، ص١٨٢.

(٧) ابن شداد، النوارالسلطانية، ص٣٢٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٤٠٠؛ يقول ابن شداد أن فصل الشتاء فصل الاستراحة، (... ونزل الناس رؤوس التلال للاستعداد للشتاء والاستراحة من الوحل) النوادرالسلطانية، ص٢١٩.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٠٤؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٣١.

(٩) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص١٤٧؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٣١؛ سعداوي، جيش مصر، ص٦٢.

وقد أدت العوامل المناخية في الكثير من الأحيان إلى إفشال خطط العدو ،فعلى سبيل المثال عندما حاول ريتشارد قلب الأسد المسير إلى بيت المقدس سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) فلم يكد يقطع مسافة ويصبح على أبواب المدينة حتى هطلت امطار غزيرة، الى درجة شل البرد حركة دوابه و تبللت ثيابهم وتعفن خبزهم كما تسببت الرياح العاصفة قلع خيامهم وصدأت أسلحتهم، وصف لين بول تلك الحالة وتأثيرات العوامل الجوية على جيشهم قائلا: ((تقدم جيشنا بنظام... حيث انزعجنا من المطر الغزير والجو الغير الصحي، الذي بسببه مات الكثير من حيوانات الأحمال. بالتأكيد كانت العاصفة من الشدة وغزارة الأمطار مصاحبة برياح عاصفة حتى خلعت أعمدة خيمنا ورمت بها بعيداً بينما خيولنا نفقت من البرد والرطوبة، جزء كبير من غذائنا والبسكويت (الخبز)أيضاً فسد، ولحم الخنزير تلف، سلاحنا والصفائح التي تحمي صدورنا خربها الصدأ ولم يمكن إعادتها... بدأت ثيابنا تتهرأ وكثير منا بسبب طول الرحلة ففي أراضي غريبة فقدوا صحتهم وأصيبوا بأمراض عقيمة))(١).

كما كان لبرد الشتاء آثاراً جانبيةً على إدارة المعارك الحربية، فإن شدة الصيف أيضاً لم يكن أقل تأثيرا على سير العمليات العسكرية ففي سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) خلال الصراعات الداخلية الأيوبية عندما حاصر الملك الكامل الأيوبي (ت ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) دمشق وشدد الحصار على البلد وضيق عليها، ذكر ابن واصل االذي عاصر الحدث: ((وكنت في أكثر الاوقات أصعد مع جماعة على منارة دمشق، ونشاهد القتال فكان ربما كر الدمشقيون على العسكر المصري، وطاردوهم وأنكوا فيهم، وأحرقت مواضع للبلد. وطالت المدة إلى آخر رجب من هذه السنة يقصد سنة (٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م) فاشتد ذلك على أهل دمشق لإقبال الصيف))(٢)، وبهذا الشكل لم يطيقوا الحصار، فبذلك دخلت الجيوش المصرية إلى دمشق.

يمكن القول أن للظروف المناخية تأثيراً كبيراً على تحديد نتيجة العمليات القتالية، لذا من أجل توظيف الظروف المناخية والطوبغرافية لمصلحة القوات المقاتلة، على القادة الاهتمام بالجغرافية العسكرية، لذلك وجب على القائد أن يكون عارفاً بجغرافية الإقليم أو المنطقة التي ستجري فيها العمليات الحربية لكي يقف على كيفية إعداد جيشه من حيث التعبئة والتموين، ومعرفة الطرق والمواصلات ومعرفة طبيعة

---

(١) صلاح الدين وسقوط مملكة القدس، ترجمة: فاروق سعيد ابو جابر، (القاهرة: ١٩٩٥)، ص ص٢٦٨–٢٦٩.

(٢) مفرج الكروب، ٤/ ٢٥٣.

الأرض التي سيقاتل فيه جيشه وبالتالي معرفته لتلك المعالم سيكون لها تاثير واضح على سير العمليات الحربية[(١)].

فعلى سبيل المثال أثناء الحملة الصليبية الخامسة على مصر وسيطرة الصليبيين على دمياط (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) ومتابعتهم السير نحو مصر، رصدتهم القوات الأيوبية ومن معهم من المتطوعين فعبروا بحر المحلة إلى الأرض التي عليها معسكر الصليبيين، وفتحوا مجرىً كبير في النيل، وكان الوقت هو وقت الفيضان فلم يشعر الصليبيون إلا والماء قد اغرق أكبر مساحة من الأرض التي هم عليها وصار حائلاً بينهم وبين دمياط وبين تكملة المسير إلى داخل العمق الاستراتيجي للبلاد، واصبح لا منفذ لهم يسلكونه سواء جهة واحدة ضيقة[(٢)]، فأمر السلطان الملك الكامل اوانئذ بنصب جسر عند بحر اشمون طناح، فعبرت العساكر الإسلامية إلى الجهة الأخرى، مما يدل على ان المعرفة الجغرافية لتضاريس تلك المنطقة ساعدت الأيوبيين على إحداث المشاكل للصليبيين على العكس من اولئك الغرباءالذين لم تكن معرفتهم الجغرافية بالبلاد المصرية جيدة، وبالتالي تغيرت مجريات الحملة الصليبية الخامسة على مصر إذ تحولت نتيجة معركة المنصورة[(٣)] من الهزيمة إلى النصر للمسلمين فقاتل الصليبيون قتال المستميتين لكثرة الوحل والمياه التي غطت الأرض من حولهم فاضطروا إلى طلب الصلح وسلموا دمياط إلى المسلمين سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م)[(٤)].

وحتى في الصراع الأيوبي الأسري، كانت للعوامل الجغرافية اثرها الواضح على مسائل القتال وعمليات الحصار وانسحاب الجيوش، وقد أشارت بعض الروايات أنه عندما أراد الملكان الأفضل والظاهر غازي حصار مدينة دمشق سنة (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م) حل فصل الشتاء، فاشتد البرد وهطلت الامطار بغزارة، مما اثر على مواصلة الحصار فاتفق الإثنان بعد مشاورة قادة الحرب على تأجيل الحصار إلى وقت انتهاء فصل الشتاء وبدايات الربيع[(٥)].

---

(١) اليوزباشي محمد عثمان افندي، الجغرافية وأهمية دراستها، مجلة الجيش المصري، وزارة الدفاع الوطني، مطبعة الاميرية ببولاق القاهرة، مايو سنة ١٩٣٩، ع٥، ص ص٦٣٣—٦٣٤.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق٢، ج٨، ص٦٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ٩٥١.

(٣) المنصورة: ذكر المقريزي أن هذه المدينة قد بناها الملك الكامل محمد ابن الملك العادل في سنة ٦١٦هـ عندما ملك الفرنج دمياط حصلها الملك الكامل منزلاً لعساكره وسماه المنصورة (تيمناً بانتصاره على الصليبيين) وبنى قصر لسكناه وأمر الأمراء والعساكر بالبناء، فبنى هناك عدة دور ونصبت الأسواق وأدار عليها سوراً فيما يلي البحر، وبقي فيها حتى استرجع دمياط، فصارت المنصورة عقب ذلك مدينة كبيرة بها المساجد والحمامات والفنادق والأسواق، الخطط ، ١/ ٤٢٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٧١٤؛ أبو شامة، الروضتين، ٥/ ١٩٦—١٩٧.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٥٢٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٧/ ١٠٧.

لم يفرق سلاطين بني أيوب بين شهور السنة في القتال، وذلك لانهم قاتلوا حتى في شهر رمضان المبارك ولم يكن يصدهم الصوم والتعب من القتال، بل على العكس من ذلك كانوا يزدادون حماسا وإيماناً بأن الموت فيه في سبيل الله يثاب عليه المجاهد اضعافاً عند الله على الرغم من أنه شهر الصيام؛ إلا أن ذلك لم يكن مانعاً للمسلمين للقتال والحرب فيها، بل كان حافزاً لهم في القتال[١]، لذلك فان السلاطين الأيوبين أيضاً قاتلوا وفتحوا وشنوا الغارات في هذا الشهر فمثلاً كان السلطان صلاح الدين ((لا يلتفت إلى مفارقة الأهل والأولاد والوطن في هذا الشهر))[٢]. بل كان يواصل الجهاد أثناء شهر رمضان المبارك[٣] وخير مثال على ذلك فتحه لحصني صفد والكوكب[٤] فبعد انتصاره في حطين تابع زحفه واتجه إلى القلاع والحصون القريبة من حوران التي يخاف عليها من الفرنج[٥] ((فرأى أن يشغل الوقت بفتح المكانين في الصوم))[٦].

يمكن القول إن الأيوبيين لم يكن يعيقهم الشهر الفضيل عن القتال. فأثناء الحملة السابعة على مصر دافع عنها السلطان الملك الصالح نجم ابن أيوب من شهر صفر (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)[٧]، إلا أنه توفي في شهر شعبان من نفس السنة[٨]، وفي بداية شهر رمضان نزل الصليبيون من فارسكور إلى شارمساح وفي الأسبوع الأول منه وقعت معركة المنصورة بين الجيوش الأيوبية بقيادة الملك المعظم توران شاه والصليبيين بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، وكان النصر حليف الجيوش الأيوبية[٩].

---

(١) مقال الكتروني صلاح الدين حسن http://www.hafrgat.com

(٤) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ١٥٢.

(٥) للمزيد عن فتوحاته وتحركاته في شهر رمضان، ينظر، ابن شداد ،النوادر السلطانية، ص ص ٢١٤، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٨٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٧١، ٣٣٧، ٤٠٧.

(٤) قلعة صفد والكوكب، صفد مطلة على مدينة طبرية، والكوكب مطلة على الاردن وكلاهما قريبان من حطين، حصن صفد للدارية والكوكب للاسبتار، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٠٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٩/ ٤٢٠—٤٢٢؛ ابن شداد، ص ص١٥١—١٥٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٧٢—٢٧٤.

(٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٥١.

(٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ٧٦؛ اليونيني، ذيل مرآة ، مج١، ٢/ ٢٠٧ — ٢٠٨.

(٨) ابن العميد، أخبار الايوبيين، ص٣٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٣٣٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ٣٦٤.

(٩) ابن العميد، أخبار الايوبيين، ص ص٣٧—٣٨؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ١٠٧—١٠٨؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، مج١، ٢/ ٢٠٩.

اذ كان لشهر رمضان[1] قدسية خاصة لدى المسلمين فإن يوم الجمعة كذلك يعتبر من الأيام التي يستبشربه خيراً ،نظراً لمكانتها في الإسلام وتبركهم بدعوات الخطباء على المنابر، يعتقدون أنها أقرب إلى الإجابة. غير أن هذا لا يعني أن الأيوبيين توقفوا عن القتال في أيام الاسبوع الأخرى ولكنهم كانوا يتفاءلون ويندفعون للقتال في الجمعة لما لذلك اليوم من تأثير طيب على نفوسهم[2].

في عهد صلاح الدين الأيوبي توافقت كثيراً من أيام الجمع مع فتوحاته فمثلاً فتوح القلاع الواقعة على الساحل الشمالي لبلاد الشام كلها فتحت في يوم الجمعة، لم يحدث في التأريخ الإسلامي نشوب المعارك على هذه الشاكلة فقد أشار إلى ذلك ابن شداد بقوله: ((فاتفقت فتوحات الساحل من جبلة إلى سرمانية في أيام الجمع وهي علامة قبول دعاء الخطباء المسلمين وسعادة السلطان حيث يسر لنا الله الفتوح في اليوم الذي يضاعف فيه ثواب الحسنات وهذا من النوادر الفتوحات في الجمع المتوالية ولم يتفق مثلها في التأريخ))[3].

يمكن معرفة مدى اهتمام صلاح الدين بيوم الجمعة من خلال هذا الجدول.

ت	النشاط	اليوم	التأريخ
١	معركة حطين	الجمعة	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م
٢	دخول عكا	الجمعة	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م
٣	انتقل إلى الجهة الشمالية من بيت المقدس وسد المسالك على الصليبين ونصب المجانيق	الجمعة	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م
٤	أقام صلاة الشكر في الجامع الاقصى وخطب فيها أحد قضاته.	الجمعة	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م[4]

---

(١) في الإسلام هناك أربعة اشهر لا يجوز فيها القتال إلا دفاعاً عن النفس والدم استناداً على نص قرآني: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾سورة التوبة، آية ٣٦، وهم، ذو العقدة، ذو الحجة ،محرم، رجب، ولكن الايوبيين قاتلوا فيها أيضاً مثلاً معركة مرج العيون كان في الثالث محرم ٥٧٥هـ/ العاشر ايار ١١٧٩م، حقق فيها الايوبيون النصر على القوات الصليبية، عماد الدين الاصفهاني، البرق الشامي، ٣/ ١٦١—١٦٣؛ ابو شامة، الروضتين، ٣/ ١٩—٢٠؛ ابن واصل، التاريخ الصالحي، ٢/ ٢٢٤.

(٢) حسين، الجيش الايوبي، ص١٣٩؛ سعداوي، جيش مصر، ص٦٤.

(٣) النوادرالسلطانية ، ص١٤٨؛ انظر أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٢٩.

(٤) سعداوي، جيش مصر، ص ص٦٥—٦٦؛ حسين، الجيش الايوبي، ص ص١٣٩—١٤٠.

إضافة إلى ما سبق فأن السلطان صلاح الدين فتح ست مدن وقلاع في جمع متتالية، وأنها كانت بأيدي الصليبيين وكانت حصينة وكلها من اعمال انطاكية، وهي جبلة واللاذقية، صهيون، بكاش، الشغر، السرمانية كلها صادفت يوم الجمعة من سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) بشكل متتالي وهي:-

١- جبلة، الجمعة ١٨ جماي الاول، ٥٨٤/ ١٥ تموز ١١٨٨.

٢- اللاذقية، الجمعة ٢٥ جمادي الاول، ٥٨٤/ ٢٢ تموز ١١٨٨.

٣- الصهيون، الجمعة ٢ جمادي الآخرة، ٥٨٤/ ٢٩ تموز ١١٨٨.

٤- بكاش، الجمعة ٩ جمادي الآخرة، ٥٨٤/ ٥ آب ١١٨٨.

٥- الشغر، الجمعة ١٦ جمادي الآخرة ٥٨٤/ ١٢ آب ١١٨٨[١].

٦- سرمانية، الجمعة ٢٢ جمادي الآخرة ٥٨٤/ ١٩ آب ١١٨٨.

وفي الثامن من رجب يوم الجمعة سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨ نزل إلى قلعة دربساك[٢].

ولا يعد ما كان يحدث هي حالة عشوائية لوقوع القتال وفتح المدن والقلاع في يوم الجمعة بل أن مجلس الحرب الأيوبي كان يضع خططه القتالية لحسم الأمور في أيام الجمع سواء بالنصر أو من عدمه، وتحدث ابن واصل عن ذلك قائلا: ((ومن عجيب الاتفاق أن هذه ست قلاع ومدن فتحت في ست جمع، وهي علامة قبول دعاء خطباء المسلمين وسعادة السلطان))[٣].

ضعف أمر مجلس شورى الحرب،في عهد خلفاء صلاح الدين لذا غاب ذلك الاهتمام بالأوقات والأزمنة التي يراها المسلمون مباركة لإدارة المعارك فيها، بل أصبحت الخطط شبه منظمة وعشوائية مرتبطة بتحركات الأعداء أكثر مما يتعلق بالفكر الحربي الاستراتيجي الأيوبي المنظم، كون أن السلطان صلاح الدين لقربه من جنوده ومجلس حربه تمكن أن يخلق حالة نفسية من التفاؤل بين الجميع عند خوض القتال في أيام الجمع مع العلم انه لم يتحقق النصر له في اغلب أيام الجمع ففي بعض الأحيان ألحقت الهزائم بجيشه مثل هزيمة الرملة التي صادفت يوم الجمعة سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)[٤] فضلاً عن ذلك فإن أعلام الصليبيين وصلبانهم وشعارهم ارتفعت على أسوار وأبراج عكا في

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤١٠ — ٤١٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٥٨ — ٢٦٤.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/٤١٨؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٦٨؛ ابو الفداء، المختصر، ٣/ ٧٥.

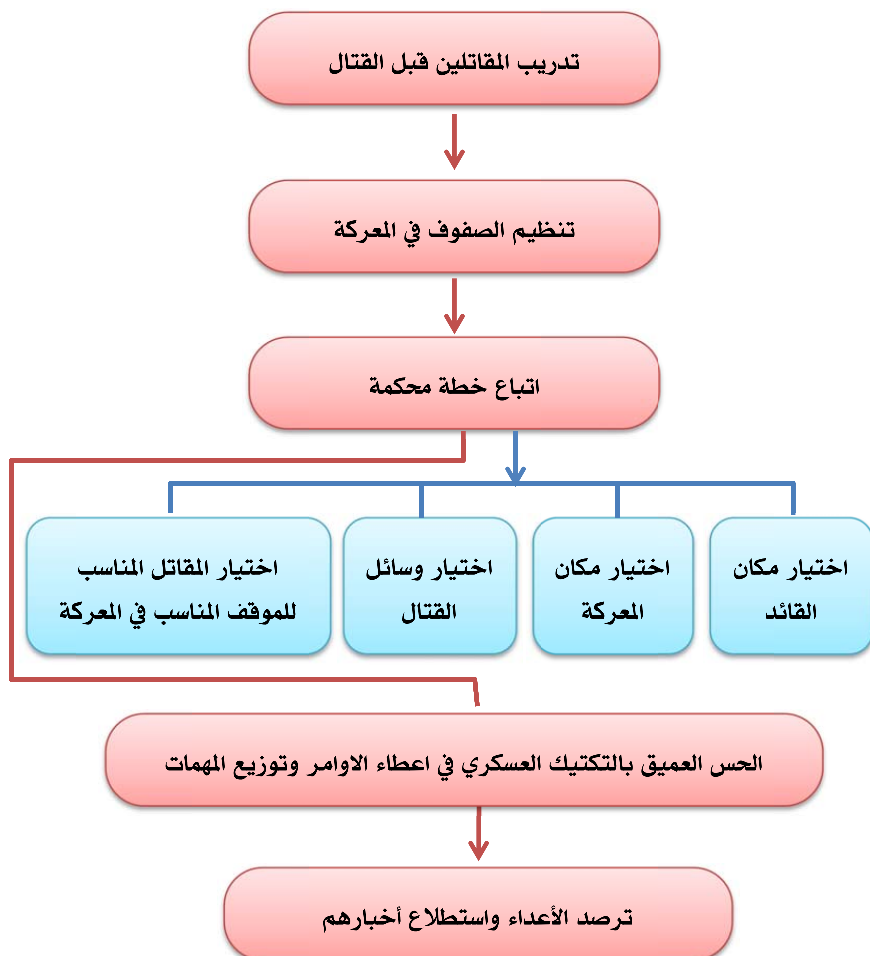
(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٦٥.

(٤) عماد الدين الاصفهاني، البرق الشامي، ٣/ ٣٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٠٨-٣٠٩؛ ابو شامة، الروضتين، ٢/ ٣٠٤—٣٠٦.

ظهيرة نهار الجمعة سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)[١]. ولكن في الحقبة التالية عندما ضعفت العلاقة نوعا ما بين السلاطين الأيوبيين وجنودهم، وابتعاد بعض السلاطين عن فكرة الجهاد التي كانت متأججة في عهد السلطان صلاح الدين، فإن الأيام التي كانت تنتخب للمعارك لم تعد حاضرة في أذهان أولئك السلاطين.

المخطط رقم (٦)

أهم المبادئ العسكرية التكتيكية الأيوبية في الحروب



(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٥٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٦٠.

المبحث الثالث

الإعداد المعنوي للقتال

إن الإعداد للحرب يعني عملية متكاملة ليست محددة لتتم وتنتهي في وقت محدد، بل هي عملية مستمرة تتماشى مع تطور الاحداث بل وتسبقها لتعد لها حسب خطة شاملة مدروسة بعمق وموضوعية على أسس علمية سلمية بحيث تتوافق مع واقع تلك الدولة وطبيعتها ومع طبيعة الحروب التي سوف تخوضها لتتحول الدولة من حالة سلم إلى حالة الحرب[(١)].

لكل قتال أو حرب جانبين مادي ومعنوي، فالجانب المادي هي القوة بكل مقوماتها ومكوناتها من التدريب الجيد وتوفير الأسلحة وتجهيزها والتموين وغيرها[(٢)]، أما المعنوي هو الضمير أو الدافع أو الإيمان بحيث يندفع الإنسان إلى أداء واجبه على أكمل وجه، والإيمان بالهدف الذي يحارب من أجله الذي يسيطر على أفكارالمقاتل وعقله ووجدانه وبهذا الشكل فأنه يعتمد على قوة ذاتية داخل نفسه، لا على قوة أو سلطة خارجية[(٣)].

يمكن اعتبار الروح المعنوية من العوامل الرئيسية في تحقيق النصر لأنها في وقت السلم باعث على الاجتهاد والاخلاص في إعداد القوة والتدريب عليها، وفي وقت الحرب هي باعث على القتال والصمود (الثبات) في الميدان ومصدر الشجاعة والعزيمة والإصرار أثناء المعركة[(٤)].

على هذا الأساس عرف محمود شيت خطاب المعنويات على انها ((القوى الكامنة في صلب الإنسان التي تكسبه القابلية على الاستمرار في العمل والتفكير بعزم وشجاعة ،مهما اختلفت الظروف المحيطة به))[(٥)].

يضهر خلال ما عرض سابقاً، مدى تأثير الروح المعنوية على سيرالمعارك ونتائجها ؛لأن الجندي إذا دخل المعركة وهو مهزوم نفسياً لن يحقق أي نتائج مرضية، مهما كانت القيادة حكيمة والتنظيم والتعبئة جيدة، لن ينفعه كل ذلك.

ومن أهم العوامل التي تساعد على تعزيز الروح المعنوية لدى الجنود هي:

---

(١) عياد: نظم الحرب، ص٥٥؛ إبراهيم إسماعيل كاخيا، القواعد الأساسية في إعداد الدولة للحرب، مجلة كلية ملك خالد العسكرية، وزارة الدفاع، السعودية، ٢٠٠٧،ع ٩١، ص٦٥.

(٢) فرج، المدرسة العسكرية ، ص٣١٥؛ العقلا، إعداد الجندي المسلم، ص ص ٤٨٩، ٥٢٨، ٣٧١.

(٣) فرج، المدرسة العسكرية، ص٣١٥؛ محمد جمال محفوظ، العسكرية في الإسلام، (القاهرة: ١٩٩٤)، ص٧٣.

(٤) العقلا، إعداد الجندي المسلم، ص٣٤١.

(٥) الإعداد المعنوي للجهاد الإسلام والنصر، (بيروت: ١٩٨٣)، ص٨.

أولاً- الباعث الديني.

كانت الدولة الأيوبية واحدة من الدول الإسلامية في العصور الوسطى، أي انها مثلها مثل أية دولة إسلامية أوانئذ إتخذت من العقيدة الإسلامية منارا لسياساتها في الحرب والسلم، حرص الإسلام على إعداد الروح المعنوية للجيش إعداداً خاصاً متميزاً، لأن المؤشر الدقيق في تحديد بوصلة المعركة وحصد النتائج المرجوة بعد الاتكال على الله سبحانه وتعإلى هي المعنويات العالية التي هي من أهم المزايا التي تتمتع بها الجيوش ذوات القيمة العسكرية الرفيعة، كما أنها تعد من أهم مبادئ الحرب[١].

كما أن القرآن الكريم والأحاديث النبوية، مليئة بالايات التي دعت إلى الجهاد والقتال في سبيل نشر الدين الإسلامي وإن معاني المصدرين شغلا حيزاً هاماً وكبيراً متعلقاً بالحرب ومعانيه والقتال وفنونه وحضت المسلمين على الجهاد بالمال والنفس وتحرضهم عليه ويزين لهم الشهادة ويعدهم بالجنة[٢].

في فترة الحروب الصليبية كان كلا الطرفين المسلمون (الأيوبيون) والصليبيون يحاربون تحت شعار الدين، حيث الحرب لدى الجانبين تعتبر مقدسة والقتيل لديهم يعتبر شهيد[٣].

والإسلام يؤكد على الروح المعنوية العالية الصبر والثبات في الميدان[٤]، ويؤكد عليها كثيراً كقوله تعإلى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾[٥]**، وحذر من فقد الصبر عند اللقاء، لقوله تعإلى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[٦].

---

(١) محمود شيت الخطاب، الرسول القائد، (بغداد: ١٩٦٠) ، ص٤٨؛ طاهر حمد محمد النحال، القيادة والجندية مع السنة النبوية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين قسم الحديث الشريف وعلوم، (غزة، ٢٠٠٧) ، ص١٦٢.

(٢) سويد، الفن العسكري ، ص ص ٧٤، ٧٦.

(٣) ريمون ستامبولي، مفاتيح اورشليم القدس حملتان الصليبيان على مصر (١٢٠٠—١٢٥٠) ترجمة، عايدة الباجوري، (القاهرة: ٢٠٠٩)، ص٩٩؛ العسلي، فن الحرب، ٤/ ٢٧٠؛ ميرزا ،استراتيجية صلاح الدين ، ص ٤٦٥.

(٤) عياد،نظم الحرب،ص٥٦؛ محفوظ، العسكرية في الإسبلام، ص٨٧؛ العقلا، إعداد الجندي المسلم، ص٣٤٢؛ سويد، الفن العسكري، ص٧٥.

(٥) سورة الانفال، الآية ٦٥، أي كان قد فرض على كل مسلم أن يقاتل عشرة من المشركين، الشيزري، المنهج المسلوك، ص٦١٦.

(٦) سورة الانقال، الآية ١٥—١٦.

وقوله تعإلى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]، ثم يقول تعإلى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2].

وعد شمس الدين الحنبلي الصبر في الحرب من أقوى أسباب النصر وشروطه، وأنه أعلى تكليف من تكاليف الشرع. ويقول: ((الثبات والذكر لله تعإلى في هذا الموضع محمولاً لا على النصرة المعجلة))[3] وعلى النحو ذاته؛ فإن الطرطوسي بيّن أن ((أم الخصال وينبوع الفصائل ومن فقدها لم يكتمل فيه خصلة وهي الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس))[4].

كان لروح الجهاد الفائضة التي امتلأت بها قلوب أكثر المحاربين المسلمين في جيش صلاح الدين أثرها الفعال في اندفاعهم نحو قتال العدو، وكانت لتلك الروح قوة فاقت أثراً قوة التنظيم[5]، وبهذا الصدد يقول: جورج كاسلان ((إن الجهاد هي عماد جيش صلاح الدين))[6].

وعلى هذا المنوال قال أحد الباحثين: ((كان الهدف الأسمى للجيش الأيوبي في قتاله هو طرد المحتلين الصليبيين الذين استقروا في الساحل الشامي الممتد من أقصى شمال انطاكية إلى أقصى الجنوب في عسقلان وكذلك بعض الأجزاء الداخلية مثل بيت المقدس والكرك والرها وحارم وطبرية وغيرها))[7].

يعد العصر الأيوبي من أهم مراحل تأريخ العلاقات بين المشرق الإسلامي والغرب المسيحي، والحقيقة الواقعة إن الجبهة الإسلامية أصبحت موحدة على يد السلطان صلاح الدين لذلك أصبح لزاماً عليه أن يضع خطة عامة لطرد الصليبيين من بلدان المشرق الإسلامي وهي مسؤولية الجهاد ضدهم[8]. ولم يخفِ هذا حتى على بعض من الباحثين

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٠.

(٣) أسباب الظفر والانتصار، مخطوط في مكتبة تشستربيتي، إيرلندا عدد الأوراق ٧٦ – ٨٤، ورقة ٧، ١٧.

(٤) سراج الملوك، ص ١٧١.

(٥) عثمان، التحصينات الحربية، ص٣٠٩؛ حسين، الجيش الايوبي، ص١٣٠؛ ميرزا،استراتيجية صلاح الدين،ص ٤٥٥.

(٦) تاريخ الجيوش، ترجمة كمال دسوقي، (القاهرة: ١٩٥٦)، ص٦٧.

(٧) حسين ، الجيش الايوبي، ص١٣٠.

(٨) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص ص١٢٣، ١٩١، ٢٣٨، ٢٦٢؛ ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص ص٩٥، ١٥٣، ١٩١، ١٥٦، ٢١٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٢/ ١٨؛ أحمد الشامي، صلاح الدين والصليبيون، (القاهرة:١٩٩١)، ص١١٩.

الانجليز مثل هاملتون جب الذي أشار إلى هذا الامر بقوله: ((لكن انتصاراته جاءت بفضل امتلاكه لصفات معنوية لا تشترك مع المواهب الاستراتيجية إلا في القليل))[١].

ركز أحد كتاب الأدب السياسي على إرادة القتال والجهاد بقوله: ((ومن حرض على الموت في الجهاد وهبت له الحياة))[٢] وهذا يسمى إرادة القتال في الجهاد الإسلامي[٣]. كل ذلك أثرت على النفوس وظهرت فرق المتطوعين وهم الذين تطوعوا ووضعوا أنفسهم تحت تصرف الجيش حباً في الجهاد في سبيل الله[٤].

وبذلك فإن السلطان صلاح الدين كتب إلى الأطراف يستدعي الناس إلى الجهاد ويحثهم عليه[٥]، حيث وصفه الأصفهاني أنه كان ((يعشر من الجهاد اجتهاداً))[٦]، ويرى القاضي الفاضل إن السبيل إلى تحقيق وحدة كلمة المسلمين وإنهاء الاحتلال الصليبي لن يتحقق إلا عن طريق إعلان مبادئ الجهاد[٧].

ومن أشهر الخطب الحماسية التي ألقيت على جمهور المسلمين، وكان مغزاها عدم التفريط في الانتصارات التي تحققت والركون إلى الدعة والسكون هي الخطبة التي ألقاها القاضي محي الدين زكي في الجمعة الثانية التي تلت فتح بيت المقدس حيث دعا إلى ضرورة الاستمرار في الجهاد فقال في خطبته ((والجهاد، الجهاد، فهو من أفضل عباداتكم، وأشرف عاداتكم، انصروا الله ينصركم، أذكروا الله يذكركم))[٨] واستطرد قائلاً: ((واعلموا رحمكم الله إن هذه فرصة فانتهزوها، وفريسة فناجزوها، ومهمة فأخرجوا لها هممكم وبرزوها، وسيروا إليها سرايا عزماتكم وجهزوها، فالأمور بأواخرها، والمكاسب بذخائرها، قد أظفركم الله بهذا العدد المخذول، وهم مثلكم، أو يزيدون، فكيف وقد أضحى في قبالة الواحد منكم عشرون))[٩].

---

(١) صلاح الدين الايوبي، ص١٥١.

(٢) الطرطوشي، سراج الملوك، ص١٧١.

(٣) محمود شيت خطاب، إرادة القتال في الجهاد الإسلامي، (القاهرة: ١٩٧٣)، ص ص٢١—٢٢.

(٤) حسين، الجيش الايوبي، ص ص٩٩—١٠٠.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٦.

(٦) الفتح القسي، ص٣٤٢.

(٧) رسائل القاضي الفاضل، ص ص١٣—١٤؛ باسم ناظم سليمان، رسائل القاضي الفاضل، دراسة أسلوبية، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج٦، ع٤، السنة السادسة، ٢٠١١، ص٣.

(٨) أبو شامة، الروضتين، ٣/ ٢٥١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٢٣٤؛ ابن شداد، الإعلاق الخطيرة، ق٢، ج٢، ص٢١٩.

(٩) أبو شامة، الروضتين، ٣/ ٢٥٢؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص١٠٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٢٥؛ العليمي، الانس الجليل، ٣٣٧/١

ومن أبرز الأمثلة على أثر الايمان بالمبادئ ورفع الروح المعنوية ما حدث في سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) عندما سيطر الصليبيون على دمياط عندئذ نودي بالنفير العام بألا يبقى أحد فاجتمع من المسلمين المجاهدين عالم لا يقع عليه الحصر[١].

ثانياً - الدعاء:

قال رسول الله ﷺ إن الدعاء هو مخ العبادة، فقد جاء في مواد البيان ((إن الدين ينظم بالدعاء إليه والترغيب منه))[٢]. لا شك أن للدعاء فلسفته الخاصة وآثاراً عظيمة على ضمير الإنسان ،لأنها تستطيع أن تحول النفس من حالة إلى حالة أخرى عن طريق بعث روح الحياة (أمل الانتصار) عند الفشل في العمليات الحربية فإنهم قد ييأسون من النصر النهائي، فيستغلون ما تبقى لديهم من القوة بالتوجه إلى الله والتضرع إليه بالدعاء[٣]. كانت هناك لكل موقف حربي أدعيته الخاصة به، مثل غزو مدن الصليبيين ومحاصرة الاسوار والقلاع والحصون[٤]. وقد استعان الأيوبيون بالدعاء كسلاح معنوي ونفسي في حروبهم ضد الأعداء، فقد ذكر أبو شامة: ((واندفع قاصداً إلى بلاد العدو في وسط النهار الجمعة، وكان أبداً يقصد بوقعاته الجميع لاسيما أوقات صلاة الجمعة تبركاً بدعاء الخطباء على المنابر فربما كانت أقرب إلى الإجابة))[٥] ففي الدعاء القوة العظمى التي يستند إليها المجاهد[٦].

ثالثاً- دور العلماء والفقهاء في التعبئة المعنوية:

كان للعلماء والفقهاء على اختلاف تخصصاتهم، مساهمة فعالة، وأدوارا بارزة في دعم الجيوش المقاتلة من خلال رفع معنويات السلاطين الأيوبيين وقادة العساكر والامراء، ببيان أهمية قتال الأعداء والذب عن أراضي الدولة وحثهم على الجهاد وتوضيح أهميتها في العقيدة الإسلامية، وظهر ذلك الدور من خلال خطب الخطباء الذين كان لهم الأثر الأبرز في رفع معنويات الجيوش الأيوبية وقد بيَنَ أحد الكتاب الخطباء ذلك الأثر بقوله: ((ونخاطبهم بما يرهف عزائمهم من نصرة الدين وكنافة المسلمين وإتباع سبل سلف الصالحين))[٧].

---

(١) المقريزي، السلوك، ١/ ٣٢؛ العبادي، في تاريخ الايوبي، ص ص٧٧—٧٨.

(٢) نقلاً عن القلقشندي، صبح الاعشى، ٨، ٢٥١.

(٣) زماني، بحوث، ص٢٥١.

(٤) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٤٩.

(٥) الروضتين، ٣/ ١٨٨؛ ينظر ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص١٢٦—١٢٧.

(٦) العقلا، إعداد الجندي المسلم، ص٣٥٧.

(٧) الكاتب، مواد البيان، ص٥١٥.

ويأتي على رأس أولئك العلماء الفقهاء القاضي الفاضل[١] كانت لهذه الشخصية مكانة سياسية مرموقة في العصر الأيوبي وأنه كما قيل عنه ((أستاذ الكتاب والبلغاء في عصره))[٢] لم تكن وظيفة القاضي الفاضل القضاء، وإنما كان وزيراً لصلاح الدين الأيوبي وكان شاعراً وكاتباً وناقداً وفقيهاً ومؤرخاً ومعلماً وإدارياً وسياسياً ورجل اقتصاد[٣]، وقد لقب بالقاضي الفاضل جرياً على عادة عصره حيث أن الكتاب في أواخر الدولة الفاطمية إلى عصر الدولة الأيوبية يلقبون بـ(الفاضل والرشيد والعماد) وما أشبه ذلك، ثم دخلوا في عموم التلقب بالإضافة إلى الدين[٤]. لعل اللقب إنتقل إليه عن طريق أبيه وجده فكلاهما يلقب بالقاضي يقول إبن خلكان: إن والده تولى قضاء بيسان فلهذا نسبوا إليها[٥]. قال عنه السبكي أنه كان ((صديق السلطان صلاح الدين وعضده ووزيره وصاحب ديوان إنشائه ومشيره وخليطه وسميره))[٦].

إن جهود القاضي الفاضل تلك جعلت صلاح الدين يعطيه الثقة المطلقة في دولته حتى ((تمكن منه غاية التمكن))[٧] وبذلك فقد أصبح القاضي الفاضل نائبه ووزيره وكاتب إنشائه وأمين أسراره، يصدر القرارات ويكاتب الخلفاء والحكام والأمراء والقضاة والعلماء والمتنفذين، ويتلقى جميع المكاتبات التي ترد إلى الدولة الداخلية والخارجية،

---

(١) هو القاضي الفاضل عبد الرحيم ابن القاضي الاشرف علي بن الجسين بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي البيساني مجر الدين أبو علي العسقلاني، ولد سنة (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) في عسقلان، كان من وزراء صلاح الدين الايوبي وكان له دور كبير ومكانة خاصة وله من تصانيفه تاريخ المرتب على الأيام وسيرة الملك المنصور، رسائل عن الحرب والسلام، ديوان شعر المتجددات وله رسائل عديدة في كثير من المؤلفات التاريخية، توفي بمصر سنة (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م)، للمزيد عنه ينظر: عماد الدين الاصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء مصر، ٢/ ٥٢٥؛ ابن سناء الملك، فصوص الفصول وعقود العقول، تحقيق، صلاح الهادي ومختار دغباج، (القاهرة:٢٠٠٥)، ص ص٤٨–٤٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ٤/ ٥٦٢–٥٦٤؛ ابن الشعار، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهورب(عقود الجمان في شعراء هذا الزمان) ،تحقيق،كامل سلمان الجبوري،(بيروت:٢٠٠٥)، ١/ ١٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٥٢٥؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/ ١٥٨–١٦٣؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٧/ ١٦٦.

(٢) محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الايوبي، (الاسكندرية: ١٩٩٠)، ص٢٢٤.

(٣) قال عنه عماد الدين الاصفهاني (صاحب القرآن، العديم الاقران، وواحد الزمان، العظيم الشأن، رب القلم والبيان واللسن واللسان، والبصيرة النقادة، والبديهة المعجزة...) خريدة القصر، قسم شعراء مصر، تحقيق، احمد امين وشوقي ضيف واحسان عباس، (القاهلرة: ١٩٥١)، ٢/ ٥٢٥.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/ ٤١٧.

(٥) وفيات الاعيان، ٣/ ١٦١؛ أما ابو شامة ذكر أن والد القاضي الفاضل تلى القضاء مدينة عسقلان، الروضتين، ٢/ ٤٤.

(٦) طبقات الشافعية الكبرى، ٧/ ١٦٧.

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ١٥٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ١٥٦؛ يقول الدسوقي إسماعيل أنه كان غيوراً على مصلحة الإسلام والمسلمين فبذل مجهودات عظيمة في تجيز العساكر وبث روح الجهاد فيهم، التعبئة الإعلامية، ص٢٦٢.

ويبرم المعاهدات وينوب عن صلاح الدين في إدارة المدن والاقاليم حينما يقتضي الأمر ذلك[١].

بالإضافة إلى مشاركات القاضي الفاضل الحربية وأعماله المتنوعة [٢]. إلا أن له دور فعال من الناحية المعنوية ،مما أثر إيجاباً على الجنود الأيوبيين من خلال أسلوبه[٣] المؤدي إلى رفع المعنويات وتقوية الهمم وخلق التفاؤل في رسائله ومكاتباته، فقد ساهم هذا العالم برسائله إلى السلطان وإلى المسلمين في إثارة حماستهم وإرهاب عدوهم فقد ايقن السلطان صلاح الدين دور هذا الرجل في دولته وبناءاً على ذلك اعترف صلاح الدين صراحة أمام الناس بجهوده الكبيرة التي بذلها مثمناً تلك الجهود[٤] بقوله: ((لا تظنوا إني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم القاضي الفاضل))[٥].

ظهرت كفاءة وجهود القاضي الفاضل الإدارية والعسكرية والمعنوية في اكثر من موقف في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي فبعد هزيمة السلطان وجيشه في موقعة الرملة، كان يراقب ما يجري على الحدود المصرية-الصليبية، لأن الصليبيين تابعوا نصرهم ببعض الغزوات، ولكنه واصل مراسلاته مع صلاح الدين يثبت من عزمه ويهون عليه هزيمة الرملة، ويبشره بالنصر المنتظر. وكان لذلك الدور المعنوي الذي قام به القاضي الفاضل أثراً عظيماً، اذ وقف كالسور صامداً في ظهر صلاح الدين يشجعه على الجهاد ضد الصليبيين ويذكره بمآثر قادة المسلمين السابقين له، ويخفف عنه[٦]، بدليل ماورد في احدى رسائله يقول فيها: ((نوبة العدو في الرملة، فقد كانت عثرة علينا ظاهرها، وعلى الكفر باطنها ولزمنا ما نسي من اسمها ولزمهم ما بقي من غرمها، ولا

---

(١) عن بعض النماذج في مشاركاته العسكرية ووقوفه بجانب الجيش الأيوبي ينظر: ابن شداد، النوادرالسلطانية، ص١٣٤، ١٣٥؛ ابو شامة، الروضتين، ٢/ ٢٥٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١٥٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ٣٨٥؛ علي نجم عيسى، جهود القاضي الفاضل السياسية والعسكرية والثقافية في دولة صلاح الدين الايوبي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج١٣، ع١، كانون الثاني، ٢٠٠٦، ص٣١٥؛ الحلبي، رسائل القاضي الفاضل السياسية، ص ص٣٠—٣٣.

(٢) هادية دجاني شكيل، القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني العسقلاني (٥٢٦—٥٩٦هـ/ ١١٣١—١١٩٩م) دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته، (بيروت: ١٩٩٣)، ص ص١٢٦—١٢٩.

(٣) حول اسلوبه ينظر باسم ناظم سليمان، رسائل القاضي الفاضل دراسة أسلوبية، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج٦، ع٢، السنة السادسة ٢٠١١،ص٧.

(٤)عيسى، جهود القاضي الفاضل، ص٣١٥.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٢/ ٨٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ١٥٧.

(٦) شكيل، القاضي الفاضل، ص٢٥٥.

دليل أدل على القوة من المسير بعد شهرين من تأريخ وقعتها إلى الشام نخوض بلاد الفرنج بالقوافل الثقيلة والحشود الكثيرة، والحريم المستور والمال العظيم الموفور))[١].

ولما حقق صلاح الدين وقواته النصر الكبير في حطين كتب رسالة في غاية الجودة من حيث الالفاظ والأسلوب مختصرة الكلمات ولكنها كانت مليئة بالمعاني التي دلت على الشخصية الأدبية والانشائية الماهرة للقاضي الفاضل فقال: ((فان الحروب انما عهدت سجالا، وانماجمعت رجالا، وانما دعت خفافاً وثقالاً. فأما سيوف تقاتل سيوفا، وزحوف تقاتل زحوفا، فيكون حد الحديد بيد مذكرا وبيد مؤنثا ويكون السيف في اليد الموحدة يغني بالضربه موحدة وفي اليد مثلثة لا يغني بالضرب مثلثا. وذلك انه في فئتين التقتا، وعدوتين لغير مودة اعتنقتا))[٢]. وكان يكثر من استعمال الشعر في رسائله منها للمدح والفخر والعتاب والرثاء والحكمة[٣] ولاسيما تلك التي لها دور في تعزيز معنويات المسلمين.

وقد ظل القاضي الفاضل محافظاً على مكانته المعنوية في البلاد بعد وفاة صلاح الدين، فاهتم السلطان الملك العزيز عثمان ملك مصر بأمره وأكرمه واتخذ منه ناصحاً ومشيراً إلا أن الفاضل لم يظهر تهافتاً أو اندفاعاً على التدخل فـي أمور الدولة[٤]، فقد آثر الانعزال عن العالم السياسي وكرس الأعوام الباقية من حياته لمدرسته الفاضلية[٥].

أدرك السلطان صلاح الدين مدى تأثير هؤلاء على تعزيز الروح المعنوية لذلك في الحملة الصليبية الثالثة فقد استعان بالقاضي بهاء الدين ابن شداد (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) لكي يتحدث إلى الناس ويحرضهم على الجهاد[٦].

---

(١) عماد الدين الاصفهاني، البرق الشامي، ٣/ ٦٨؛ البنداري، سنا البرق الشافي، ص٨٥.

(٢) البيساني، رسائل القاضي الفاضل، ص٢٣٦.

(٣) سلطان عبد الروؤف الحريري، أدب الرسائل في العصر الأيوبي (القاضي الفاضل نموذجاً)، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق، ٢٠٠٠، ص١٥٢.

(٤) بعد وفاة صلاح الدين وسيطرة الصليبيين على الساحل الشامي ،بعد هجومهم على اللاذقية وجبلة وصيدا وصور وحصن... وبيروت سنة (٥٩٣هـ/ ١١٩٧م) دون أية إجراءات حاسمة من قبل السلطة الايوبية جاء أول رد فعل من القاضي الفاضل حيث خاطب الملك العادل في رسالة ذكر فيها أن وصول الاعداء إلى بيروت كارثة وخلق تفوق العدو حالة من القلق لديه جعل فكره المتسع يضيق قائلاً (تنفق الافكار فيها من بيعة) وحذره من الانغمار من التفريق والخوف ودعاهم إلى الجهاد للمزيد ينظر، أبو شامة، الروضتين، ٤، ٢٥٨؛ عبير احمد عطا الله المحاسنة، موقف العلماء والادباء من الصليبيين في العصر الايوبي (٥٦٩-٦٤٨هـ/١١٧٣-١٢٥٠)، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب، قسم التاريخ، جامعة مؤتة، ٢٠٠٢، ص ص١٧٢-١٧٣.

(٥) الحلبي، رسائل القاضي الفاضل، ص٣٣؛ شكيل، القاضي الفاضل، ص٣٤٤؛ سلام، الأدب في العصر الايوبي، ص ص٩١–٩٢؛ يقول محمد كرد علي (ان القاضي الفاضل قد اعتزل عن ملازمة أولاد صلاح الدين لما رأى من فساد أحوالهم) خطط الشام، (دمشق/ ١٩٨٣)، ٢/ ٧٠.

(٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣٢١.

كان للمؤرخ الفقيه سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) دوا مؤثرا أيضاً في تحريض الناس على الجهاد وشارك معهم فهو يحدثنا بنفسه عن غزوة ساهم فيها ضد الصليبيين حول عكا سنة (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) فيقول[١] ((وفيها جلست بجامع دمشق يوم السبت، وكان الناس من مشهد زين العابدين إلى باب الناطفانيين وإلى باب الساعات، وكان القيام في الصحن أكثر بحيث امتلأ الجامع، وحرزوا بثلاثين الفاً، وكان يوماً لم ير بدمشق مثله وخرجنا من باب الفرج وسرنا إلى الكسوة من الغد ومعنا خلق مثل التراب... والكل خرجوا احتساباً وجئنا إلى عقبة فيق والطير لا يطير من خوف الفرنج، فسرنا على الجادة إلى نابلس، ووصلت أخبارنا إلى عكا، وخرج المعظم فالتقانا، وسر بنا، وكان يوماً عظيماً، وقدمنا وأكرمنا، وخرجنا نحو بلاد الفرنج، فأخربنا وهدمنا وقلعنا أشجارهم وأسرنا جماعة وقتلت جماعة، ولم يتجاسروا أن يخرجوا من عكا، فأقمنا أياماً ثم عدنا سالمين غانمين))[٢]، وهكذا استطاع استنهاض الهمم والتحريض على الجهاد.

وإبان الحملة الصليبية السابعة عندما سيطر الصليبيون على دمياط وكانوا في فارسكور[٣] ووافق ذلك وفاة السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) وتأزم الموقف قليلا ورد إلى القاهرة من المعسكر الإسلامي بالمنصورة كتاب لحث المقاتلين على الجهاد والدعوة إلى المزيد من التعبئة العامة وقد استهلوا بالآية الكريمة: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤] وفي الاية مواعظ بليغة بالتحريض على الجهاد، فقد قُرِئَ الكتاب على منبر الجامع بالقاهرة بعد أن جمع الناس لسماعه، فارتجت القاهرة ومصر وضواحيها بالبكاء والعويل، لكنهم لم يهنوا وخرجوا من القاهرة ومصر وسائر الأعمال فاجتمع خلق عظيم للجهاد[٥].

---

(١)كان لتلك الغزوة رد فعل قوي حتى أن امرأةدمشقية قامت بقص شعرها، وإرساله إلى الملك العادل تطلب منه أن يجعله قيداً لذيل حصانه، إشارة لتخاذله أمام الصليبيين، اصبح تصرف تلك المرأة ظاهرة عامة بين النسوة اللاتي أخذن تقليدها بما فعلته بشعرها حتى توفر من ذلك كميات كبيرة، وقد قام المؤرخ سبط ابن الجوزي بالاستفادة من تصرف النسوة، في إثارة المسلمين وذكرهم خلال حديث له في مجلس وعظ في دمشق بمغزى النسوة ثم طلب وهو على المنبر أن يؤتي جميع ما لديه من ذلك فلما رآها الناس صاحوا صيحة عظيمة وأثر ذلك على معنويات المسلمين، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٢/ ١٧٢؛ ابو شامة، الذيل على الروضتين ٥/ ١٠٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ٧، ٣٥؛ وقد حضر ابن الواصل ذلك المجلس ووصفه بقوله بأنه كان يوماً مشهوداً وعلا فيه ضجيج الناس وبكاؤهم وعويلهم، مفروج الكروب، ٤/ ٢٤٦.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٢/ ١٧٢–١٧٣.

(٣) فارسكور، قرية من قرى مصر قريبة من دمياط، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/ ٢٢٨.

(٤) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٥) المقريزي، الخطط، ١/ ٤٠٧ – ٤٠٨.

لقد تأثر العلماء والأدباء بالانتصارات التي حققتها القوات الأيوبية في تحرير عدد من المدن والقلاع الصليبية، وباتت مدعاة للإشادة بها والدعوة إلى الاستفادة منها، بالتوجه لتحرير المدن والقلاع الأخرى[1] وهذا يعني أنهم مثلوا قوة التفكير الحية والضمير الذي ينادي للذود عن الإسلام والمسلمين، ومن جانب آخر نجد أن العلماء والفقهاء عملوا على شحن همم الجند للقتال في وأثناء المعركة لرفع المعنويات وخلق الحماسة عن طريق الوعظ لذا أشاد الحميري بموقف اؤلئك الوعاظ قائلا: ((يعظون الناس ويحضونهم على الصبر ويحذرونهم الفرار))[2].

رابعاً- دور الشعر في اذكاء الحماسة الحربية:

إرتبط الشعر العربي على مر العصور بالقوم في حلهم وترحالهم وفي سهرهم وحروبهم ،لذا امسى الشعر في العصر الأيوبي (عصر الحروب الصليبية) أشد اتصالاً، واكثر ارتباطاً بهم لأن المسلمين في هذا العصر كانوا في موقف الدفاع عن أرضهم ودينهم لذا صور شعراء العصر الأيوبي بقصائد مطولة تلك المعارك الحربية[3] والحق أن الشعر كان عاملاً أساسياً وقوياً، في رفع الهمم كما قام الشعراء أيضا بدور فعال في الدعوة إلى الجهاد وتحميس الجيوش ورفع الروح المعنوية للمقاتلين، حتى صار الدعوة إلى الجهاد لب الشعر في فترة الحروب الصليبية بشكل عام والدولة الأيوبية بشكل خاص الأمر الذي ادى إلى تغيير مسار تلك الحروب من الدفاع إلى الهجوم، ومن الهزيمة إلى النصر، مما أثر على حياة المسلمين ودوافعهم[4].

وتتمثل الدعوى إلى الجهاد في مظاهر مختلفة منها:

أ- التذكير بحروب المسلمين السالفة والإشادة بما أبلاه المجاهدون في تلك الحروب من بلاء حسن.

ب- تثبيت المقاتلين وحضهم على الجهاد ودعوتهم إلى الاستبسال في القتال.

ج- مدح العلماء والقادة الذين كان لهم الفضل في مجابهة العدو.

د- تشجيع الذين لم يشاركوا في الجهاد، لاغتنام فرصة للانضمام وكسب الأجر العظيم في الجهاد.

---

(١) المحاسنة، موقف العلماء والأدباء، ص١٢٨.

(٢) الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق، إحسان عباس، (بيروت: ١٩٨٠)، ص٢٩٠.

(٣) إبراهيم نمر موسى، شعر الحرب في العصر الايوبي، (رام الله: ٢٠٠٧)، ص٤٦.

(٤) أحمد الدسوقي إسماعيل، التعبئة الاعلامية في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود (السعودية: ١٤٠١هـ)، ص ص٢٧٣—٢٧٧؛ طلعت صبح السيد، شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية، (القاهرة: ١٩٩٠)، ص٧٣؛ سويد، الفن العسكري، ص٩٧.

هـ- الشعور بالأسى واللوعة لما أصاب المسلمين.

و- تمجيد للبطولة والابطال وبيان الصفات التي يتحلون بها[١].

ويعد عماد الدين الاصفهاني من ابرز من مدح السلطان صلاح الدين و جيشه ففي قصيدة نظمها سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٦ م)[٢].

قد كان جيشكم كبحر زاخر   وللايسون جواشناً حيتانه

فطمى لهلكم عليهم بحركم   بأسا وغرق فكلهم طوفانه[٣]

يدل ذلك الوصف على التعظيم لاستثارة الهمم ورفع الروح المعنوية لأفراد الجيش. كان الشعراء يحرضون السلاطين على فتح المدن والقلاع كما يقول أبو شامة ((وكان كثير من الشعراء يحرضون السلطان على فتح حلب))[٤] من بين هؤلاء الشعراء الشاعر ابن سناء الملك[٥] فضلاًعن إتخاذ ملوك الأيوبيين العديد من الشعراء كتاباً ووزراء لهم[٦].

كان ابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ/١٢١١م) [٧]شاعراً ملتزما ،ويؤمن بان للشعر وظيفة مؤثرة وعلى الشاعر الالتزام بقضايا وطنه التزاماً مبدئياً وأخلاقياً لذلك فقد سطر أحداث الحروب الطاحنة بين سلاطين الدولة الأيوبية وملوكها وقادتها وكتابها من جانب وقوى الغزو الصليبي من جانب آخر، فوصف ضخامة الجيوش الإسلامية (الأيوبية) وشجاعتها وصمودها وهي تقاتل من أجل الدين وصوَر الآتهم وأسلحتهم التي استعملوها في وجه الأعداء[٨].

---

(١) السيد، شعر الجهاد، ص٧٤؛ محمد على الهرفي، شعر الجهاد زمن الحروب الصليبية في بلاد الشام، (القاهرة: ١٩٧٩)، ص٩٧؛ حسن محمد حسن الخبيري، شعر الجهاد ضد الحروب الصليبية في العصرين الزنكي والايوبي، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية اللغات قسم اللغة العربية جامعة سودان، ٢٠٠٨، ص٥.

(٢) عاهد طه عبد اللطيف عيال سلمان، أدب الرسائل عند عماد الدين الاصفهاني، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، ٢٠١١، ص ص٦٥—٦٦.

(٣) أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٢٦٥.

(٤) ابو شامة، الروضتين، ٣/ ١٠٧.

(٥) ابو شامة، الروضتين، ٣/ ١٠٦.

(٦) سلام، الأدب في العصر الايوبي، ص٤٧٨.

(٧) هو هبة الله بن محمد السعدي المصري المعروف بابن سناء الملك أحد أدباء العصر الايوبي وسفرائه المجيدين، ذاع صيته أو سار ذكره واتصل بالقاضي الفاصل عبد الرحيم البيساني فكانت له منزلة عنده وكان في خدمته في دمشق سنة (٥٧١هت/ ١١٧٦م) ثم عاد إلى القاهرة وكان بها تبعث الى القاضي عدة قصائد، له ديوان ضخم يتضمن اكثر في مديح للسلاطين والملوك وقادة الجيوش الإسلامية الذين وقفوا في وجه المد الصليبي ،محرضاً على قتال الصليب وحاثاً على الجهاد في سبيل الله والدفاع عن المقدسات الإسلامية. توفي في القاهرة عام (٦٠٨هت/ ١٢١١م)، الاصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء مصر، ٢/ ٥٣٥، ٥٣٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ٦/ ٧٥٦؛ ابن الشعار، قلائد الجمان، ٧/ ١٢٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦/ ٦١—٦٥.

(٨) موسى، شعر الحرب ،ص٤٦.

صورالشاعر ابن سناء الملك ضخامة (هيبة)الجيش بقيادة صلاح الدين وأنه كالبحر المتلاطم الأمواج، الذي يحرك الحرب، فاستعد لها بالسيوف القاطعة والدروع اليمانية الواقية، قال:-

أتى إليها يقود البحر ملتطماً	والبيض كالموج والبيصات كالحبب
تبدو الفوارس فيه سوابغها	بين النقيضين من ماء ومن لهب
مستلئمين ولولا أنهم حفظوا	عوائد الحرب لاستغنوا عن اليلب
جمالهم من مغازيهم إذا قفلوا	حمالة السبي، لا حمالة الحطب(١)

كما نظم انشودة النصر على الاعداء حين فتح صلاح الدين بيت المقدس فانشأ القصائد سجل فيها انتصارات صلاح الدين وهنأه بذلك الفتح المبين وما خاض من جهاد ادى الى دمار الصليبيين و سحق ملوكهم ومن تلك القصائد قصيدة يقول فيها:-

لست أدري بأي فتخ نهنأ	يا منيل الإسلام ما قد تمنى
كل فتح يقول أني اولى	وهو اولى لأنه كان اهنأ(٢)

لما عزم الصليبيون على المسير إلى بيت المقدس بغية الاستيلاء عليها بعد احتلالهم لعكا سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩٠م) وكان المسلمون في حالة من الضعف والاختلال، بسبب الموقف المتازم بين الكرد والترك حول خطة القتال الواجبة اتباعها للدفاع عن بيت المقدس وعندما لاحت بوادر تثبيط الهمم تظهر في الأفق كان المسلمون بحاجة إلى من يقوي عزائمهم ويدفعهم إلى الجهاد وبذل الانفس في سبيل الله، هنا ظهر دور الشعر والشعراء في دعم فكرة الجهاد ورفع المعنويات، فقد تولى الشاعر الرشيد بن النابلسي تلك المهمة(٣)، فقال قصيدة مليئة بالألفاظ والتعابير والصور الرمزية الهادفة إلى رفع معنويات العسكر الأيوبي: ويصور ضعف الأعداء وهذا مطلعها:

ويح الفرنجة بل ويل امهم اوما	فيهم لبيت على العلات يعتبر
فكم نثرتهم ضرباً إذا انتظموا	وكم نظمتهم طعناً إذا انتثروا
كمن قد سقيتهم ذلاً فلا عجب	إن عربدوا سفهاً فالقوم قد سكروا
إن يمموك فلا بدع لجهلهم	تسعى إلى الاسد في غاباتها الحمر
زاروا نموراً ولا تغني وقاحتهم	إذا اسودك في ابطالهم زأروا

(١) ديوان ابن سناء الملك، تحقيق، محمد عبدالحق، (حيدر آباد: ١٩٥٨)، ص ص١١—١٢؛ابن واصل، مفرج الكروب، ١٤٥/٢.

(٢) ابن سناء الملك، فصوص الفصول ، ص٣١٠.

(٣) الرشيد ابن النابلسي، هو عبد الرحمن بن بدر من محمد بن بكار المعروف بابن النابلسي، الملقب بمدلوية، أحد شعراء المعروفين والفضلاء الموصوفين كثير الشعر، امتدح ملوك بنو ايوب (الناصر واولاده والعادل) واتصل في الفترة الأخيرة من حياته بالملك المعظم عيسى صاحب دمشق إلا ان توفي فيها سنة (٦١٩هـ/ ١٢٢٤م)، ابن الشعار، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق، كامل سلمان الجبوري، (بيروت: ٢٠٠٥)، ٢/ ٢٧١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥/ ٢٦٦؛ الكتبي، فوات الوفيات، ٢/ ٢٧٥.

فحام عن حوطة البيت المقدس لا خوف وحاشاك من خوف ولا ضرر
هو الشريف وقد ناداك معتصماً فما على مجده من بعدها حذر
وسوف تستغفر الأيام هفوتها وتحصد الفئة الأوغاد وما بذروا[1]

لقد اراد الشاعر في مقدمة شعره أن يثير حماسة المسلمين عن طريق التقليل من شأن الصليبيين، واظهارهم بمظهر الضعف والخسة والسفاهة، بالإضافة إلى تذكير المسلمين بماضيهم المجيد في قتال الصليبيين وانتصاراتهم المتكررة عليهم، وفي النهاية حث الشاعر صلاح الدين على مقاومة الصليبين والدفاع عن بيت المقدس و يشير فيه لنخوته واصالته الاسلامية عن طريق تشبيه بيت المقدس بالإنسان الشريف الذي يطلب الحاجة والمساعدة والعون من صلاح الدين[2] .

وعندمنا انتصر الأيوبيون على الصليبيين في دمياط سنة(٦١٦هـ/ ١٢١٩م) كان له أثر واضح على جمهور الناس، ومن بينهم الشاعر ابن النبيه (ت ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)[3] حيث مدح الأشرف موسى وحرضه على استئصال شأفة الصليبيين من عكا وصور حيث قال:

دمياط طورونا ونار الحرب موقدة وابن موسى وهذا اليوم ميقات
عكا وصور إلى رووياك عاطشة فانهض فقد امكنت منهن خلوات
واستخبر الريح عنها إذ لسيره اليك فهو سلام أو تحيات[4]

فتح المسلمون دمياط وانتصروا على الفرنج في سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م)، وبذلك هتف الشعراء للملك الكامل وإخوته بفتح دمياط وأكثروا من مدحهم[5]، منها قصيدة لبهاء الدين زهير القوصي[6] (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) مدح فيها

---

(١) ابو شامة، الروضتين، ٤/ ١٦٩.

(٢) الهرفي ،شعر الجهاد، ص١٠٤.

(٣) هو كمال الدين علي بن محمد بن بوسف المعروف بابن النبيه المصري، الكاتب الشاعر، صاحب ديوان الملك الاشرف موسى بن العادل، ثم غادر الديار المصرية وسكن نصيبين، توفي فيها سنة (٦١٩هـ/ ١٢٢٢م). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥/ ٣٣٤؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء، ٢٢/ ١٥٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٧/ ١٥١.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٥/ ٢٤٣.

(٥) أبو شامة، الذي على الروضتين، ٥/ ١٩٤ — ١٩٦؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ١٠٠-١٠٤.

(٦) هو زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن أبو الفضل وقيل أبو العلاء بهاء الدين الازدي المولد القوصي المنشأ القاهري الدار الشاعر المجيد والكاتب المشهور ولد سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م) بصعيد مصر (قوص) اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين بالقاهرة في حياة ابيه الملك الكامل التحق لخدمته وأقام معه فلما مات والده الملك الكامل وتسلم السلطة الملك الصالح استمر في خدمته واقام عنده في اعلى المنازل وأجل المراتب ولكن في أواخر حياته تغير عليه الملك الصالح وعزله، ثم التحق بخدمة الملك الناصر صلاح الدين بدمشق وله مدائح حسنه بتضمنه ديوانه توفي مصر سنة (٦٥٦هت/ ١٢٥٨م)، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ١/ ١٨٤—١٨٥؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء، ٢٣/ ٣٥٥—٣٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/ ٦٢.

الملك الكامل[1]، لاثارة الحماس لدى الجنود:

سـددت سيل البـر والبحـر عـنهـم   بسـابحـة دهـم وسـابقـة غـــر
أساطيل ليست في اساطيل من مضى   فـكـل أرغب راح اقنص من صقر
وبـاتــت جنود الله فـوق الضــوامـــر   بأرضاحها تغني السراة عن الفجر
فمـازالــت حتى أيـــد الله حـــزبـــه   وأشرق وجه الدين جذلان بالنصر[2]

وفي المقابل لم يأل الشعراء جهداً في التعبير عن رفض الشارع لبعض سياسات السلاطين الأيوبيين كما حدث عندما تنازل الملك الكامل عن بيت المقدس للصليبيين سنة (٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م) كانت ردود فعل العلماء والشعراء عظيماً على ذلك وبدأوا يستنكرون ذلك العمل واعتبار ما حدث وصمة عار وطالبوا بالحفاظ على الأماكن المقدسة وبخاصة بيت المقدس[3].

بعد معركة المنصورة الثانية سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) التي انتهت بانتصار الجيش الأيوبي وهزيمة الصليبيين، وأسر ملكهم وأمرائه، قويت شوكة المسلمين فأخذوا يعتدّون بهذه القوة ويزهون بها، ولعل هذا الشعور بالقوة صورها الشعراء المسلمون في قصائدهم، ورأوا أن تلك هي الوسيلة المثلى لتحطيم معنويات العدو، فالشاعر السياسي جمال الدين ابن مطروح (ت ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م)[4] وضع قصيدة فيها تهديد للصليبيين والتهكم بالسخرية ضد ملك فرنسا لويس التاسع اثر هزيمة المنصورة[5]، فقال في قصيدته المشهورة:

قل للفرنسيس إذا جئته   مقال صدق من قؤول مصبح
آجرك الله على ما جرى   من قـتل عباد يسـوع المسـيح

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ١٠٣؛ المحاسنة، موقف العلماء والأدباء، ص١٨٠.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ١٠٤.

(٣) للمزيد ينظر، سبط أبن الجوزي، ٢٢/٢٩٦-٢٩٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ٤٤١، ٤٤٦؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ص٣١١–٣١٣؛ المحاسنة، موقف العلماء والأدباء، ص ص١٨٣-١٨٦.

(٤) ابن مطروح جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح المصري، أحد الشعراء المجيدين وصاحب تصانيف مفيدة في الأدب، ولد سنة (٥٩٢هـ/ ١١٩٤م) في اسيوط، التقى في صباه بصديقه الشاعر بهاء الدين زهير، وكان صديقاً للمؤرخ ابن خلكان، التحق بخدمة الملك الصالح ابن الملك الكامل أمير آمد وحران وحصن كيفا ،فلما تسلطن بمصر ولاه نظر الخزانة، ثم وزر له بدمشق، والحقيقة أن ابن مطروح قد سطع نجمه في ميدان السياسة عينه و في ميدان الأدب، ثمة اختلاف بين المؤرخون حول سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) والاصح ما ذكره ابن خلكان لأنه حضر صلاة على جنازته ودفنه وهي سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م)،وفيات الاعيان،٢٣/٢٧٣-٢٧٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ١٣؛ السيوطي، حسن المحاضرة ، ١/ ٥٦٧.

(٥) السيد، شعر الجهاد، ص٨٦.

أتيت مصر تبتغي ملكها تحسب أن الزمر يا طبل ريح

فساقك الحين إلى أدهــم ضاف به عن ناظريك المسيح

دارُ ابنِ لقمانَ على حالها والقيدُ باقٍ والطواشي صبيح[1]

مجمل القول إن الشعر في ذلك العصر كان صادقاً؛ لأنه نبع من أغوار النفس الشاعرة وكانوا يعبرون بصدق عن آلام الناس وأمالها ويترجمون بإخلاص عما يجول بخاطرها وينطقون بأمانة معبرين في كل ما يقولون وحركت أوتارهم وأدقت في صدورهم البغض والحقد على أعداء المسلمين من الصليبيين ولم يكتفي الشعراء بتحريض المسلمين على مواصلة الجهاد فحسب، بل حرضوا أيضاً قادة المسلمين وطالبوهم بمزيد من النصر[2].

خامساً- التغني بالأمجاد السابقة:

فضلاً مما سبق فهناك أمور أخرى تعزز فيها الروح المعنوية للمقاتلين ، قبل واثناء خوض المعارك مثل تلاوة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتعلق بانتصارات الأمم السالفة وانتصارات المسلمين في معارك الإسلام الاولى. وكذلك ذكر مآثر الحروب ووصف المعارك التأريخية في المجالس ،ولكي يحرضوا المسلمين على القتال بذكر بطولات السابقين ومدحهم، إلى جانب اطلاع المهرة من الجنود بعضهم البعض على خبراتهم القتالية في إدارة المعارك أو إضهارمعرفتهم ببعض أمور الحرب المتعلقة بالحرف والمهن التي يستفاد منها أيام المعارك، لاسيما في أحوال الدفاع أو الحصار ومن هذا المنطلق ذكر ابن منكلي، بانه من الفضيلة اذا كان أحد الجنود لديه علوم وخاصة في صناعة الحرب ان يعرضها على المسامع الشريفة. فتكون نفعاً على المسلمين ((خصوصاً أن تكون في العلوم الحربية))[3]، فقد كان المسلمون يحاربون بشهرتهم التي تسبقهم، كما كانوا يحاربون بسيوفهم وأكثر، قوت تلك الشهرة من روحهم، وأضعفت من روح عدوهم[4]، في هذا المعنى أشار إبن خلدون إلى أنه من أقوى أسباب الانتصار، ورفع الروح المعنوية للجند هو، ذيوع الشهرة، وحسن الذكر، وبعد الصيت، وتناقل اخبار الانتصارات؛ لأن الانسان بطبعه يميل إلى المدح والثناء[5].

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢/ ٢١٢—٢١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ٣٧٠.

(٢) إسماعيل، التعبئة الإعلامية، ص ص٢٧٢—٢٧٦.

(٣) التدبيرات السلطانية، ص٣٣٤.

(٤) عون، الفن الحربي، ص٣١٠.

(٥) مقدمة ابن خلدون،ص٢٤١.

واقرب الأمثلة على حالة تقبل الإنسان للمدح في صورة مبالغة عن واقع الحال، هي عندما استعاد الملك الناصر داود بيت المقدس في سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م) فقد أشاد به الشاعر السياسي جمال الدين بن مطروح ،بسبب استعادته للقدس وفتحه له وأطلق عليه الفتح القدسي الثاني لبيت المقدس ويمدح الملك الناصر داود، ويذكر مضاهاته في فتح القدس للملك الناصر صلاح الدين يوسف مع اشتراكهما في اللقب والفعل واعتبره موازياً لفتحها على يد صلاح الدين[١].

واستقراءً للفكرة السابقة، يلاحظ أن الظروف التي تمكن فيها السلطان صلاح الدين من استرداد بيت المقدس كانت تختلف كلياً عن تلك التي استعاد فيها الملك الناصر داود بيت المقدس ،فضلاً عن أن وجه الموازنة مستبعد من الناحية التأريخية بين السلطان صلاح الدين والملك الناصر داود، مع ذلك فإن ابن مطروح ولتوجهات سياسية ومصلحية خاصة بالغ كثيراً في وصف مسالة الاستعادة تلك من قبل الناصر داود، وإن كان ابن مطروح أيضا لا يؤخذ عليه تلك المبالغة من ناحية أخرى، كون أن الروح المعنوية للجيش الأيوبي قد ضعفت كثيرا في تلك المرحلة،بفعل تنازع الملوك الأيوبيين على السلطة ومحاولة البعض منهم التدثر بدثار الصليبيين والتحالف معهم وإدخال عناصر أخرى غريبة عن المنطقة مثل الخوارزميين إلى الساحة السياسية لبلاد الشام والجزيرة الفراتية، على عكس الحالة التأريخية التي كانت تستوجب تكملة عملية استبعاد الصليبيين واسترداد ما كانت بايديهم من القلاع والحصون والمدن الإسلامية، لذلك فإن عودة القدس مرة أخرى إلى حضن الدولة الأيوبية كانت تعد حالة استثنائية في خضم تلك الصراعات الاسرية والمحلية وذلك في وقت كان الناس قد بداوا يفقدون الثقة بقدرات ساستهم على تمكنهم من حفظ ممتلكاتهم أو الحفاظ على كرامة الشعب تجاه طموحات المتقلبين على الظروف والباحثين عن الأمجاد المؤقتة مهما كانت النتائج أو الثمن الذي يدفعونه حتى وان كانت ضد مصلحة الامة.

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٢٤٧؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٥١؛ المقريزي، السلوك، ١/ ٣٩٩ — ٤٠٠.

المبحث الرابع
التعبئة المادية والاقتصادية

خاضت الدولة الأيوبية معارك عديدة بريةً وبحريةً مع االصليبيين اثناء حكمهم ودخلوا في معارك داخلية وإقليمية. بطبيعة الحال كلفهم ذلك أموالاً طائلة ولذلك لم تر بدا من تنظيم أمورها المالية؛ لهذا وضعت أساليب متعددة لتغطية مصاريف الجيش ووضعت خططاً معينة لكي توفر الميزانية اللازمة لسد احتياجاتها الحربية؛ لأن التمويل المادي المستمر والاقتصاد القوي أيام الحرب هي القاعدة الأساسية لخلق دفاع متين والإعداد المطلوب للحرب(١).

إن الجهاد في الإسلام واجب شرعي والحصول على المكاسب والغنائم مباح أيضاً في القتال منذ الحروب الإسلامية الأولى حيث يمكن القول أن المعركة الاقتصادية جزء من المواجهة ضد العدو، وهي أقدم الحروب التي عرفتها البشرية، وتعني الصراع على الموارد الاقتصادية ومحاولة امتلاكها والسيطرة على مصادرها الحيوية(٢).

عندما يقدم المقاتل على خوض غمار الحرب، فإن الاستعداد الروحي والنفسي لا تكتمل نتائجه المرجوة بدون الإعداد المادي ووجوب إعداد القوة الشاملة المتطورة حسب متطلبات ذلك العصر حتى يكون الإعداد الحربي متكاملاً(٣).

لذلك فأن العسكرية الإسلامية اكدت على ضرورة الربط بين الاستراتيجية والاقتصاد برباط وثيق يصبان في قالب واحد وهو القوة(٤) قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾(٥)، تؤكد الآية على ضرورة الاستعداد والتجهز بكل المصادر التي تعول عليها الجيوش الإسلامية لتحقيق النصر من المصادر البشرية والمادية ومايتبع ذلك من الاعتمادات المساعدة الأخرى(٦). لذلك على القائد أن يبحث عن الطرق الواجبة للحصول على كل ما يساعده

---

(١) شفيق، علم الحرب، ص٢٠؛ هيثم كيلاني، الإعداد الاقتصادي للحرب، مجلة الدفاع السعودية، ع٦١، ١٤٠٦هـ، ص١٦.

(٢) عون، الفن الحربي، ص٢٦٩؛ عياد،نظم الحرب،ص٦٢؛ سيار جميل، الحرب ظاهرة تاريخية، مدخل من أجل فهم سوسيولوجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد ٢، المجلد ٣٦، ٢٠٠٧، ص٢٥.

(٣)خطاب، إرادة القتال، ص٣٢؛ العقلا، إعداد الجندي المسلم، ص٣٧١.

(٤) محفوظ، العسكرية في الإسلام، ص٢٦.

(٥) سورة الانفال، الآية، ٦٠.

(٦) محفوظ، العسكرية في الإسلام، ص ص ٢٦ – ٢٧.

من الناحية المالية للاستفادة منها في حربه ضد الأعداء، وقد أكد الهروي على ذلك بقوله: ((ليستحب للسلطان جمع المال من أبوابه وجهاته وكثرة الذخائر، فأن المال مع الملوك كالشمس في العالم فأن كثر قوي صاحبه وإن قل ضعف))(١).

بين أحد المؤرخين أهمية المال للجيش بدليل قوله: ((فلا مال إلا بجيش، ولا جيش إلا بمال وأصلهما العدل لأن العدل بجمع المال والمال يكفل الجيش والجيش يحوط الرعية))(٢) وفي الوقت نفسه اكد على ضرورة توفيرالمال للحياة اليومية وللسلطان والدولة فاستطرد قائلا: ((أن المال تدفع العداء وحصن يتقن به من الردى، به تدفع آلام الإعراض، ويتوصل إلى المقاصد والأغراض، وبه يستفتح الصباحي، وتشتملك النواحي، و.. بالمال تستعبد الرجال، وتبلغ الآمال، وتذل به الرقاب، وتستفتح به الأبواب وتسهل الأمور الصعاب.. وينجي به المصائب))(٣).

وبما أن الدولة الأيوبية كانت في حالة حرب مستمرة فكانت دائماً بحاجة إلى المال، وأن الأمر يتطلب تأمين موارد الدولة المالية كلها لمواجهة العدو، لذا وجد بأن السلطان صلاح الدين عندما احتاج للمال لمواصلة الجهاد ضد الصليبيين وكانت الأموال المتوفرة لديه لا تسد الخلل أرسل إلى أخيه الملك العادل يأمره أن يزيد من عبرة اقطاع مصر بسبب أن ((حاجة الإسلام داعية في دفع عدوه إلى المال الكثير الكثير))(٤)، دفعه حاجته إلى المال أن يرسل إلى الاعيان من أهله وأمراء دولته يطلب منهم قرضاً فاعتذروا له، فأرسل إلى الحاشية وإلى غلمانه جميعاً حتى إلى العلماء والقضاة يقول لهم كل من كان معه نفقه يمسك منها نفقة عشرة أيام وييسر لنا الباقي قرضاً إلى أن يصل شيء من دخل الاقطاع وإيراده(٥).

وفي هذا الإطار كان على الدولة الأيوبية، أن تعمل وفق خطط تموينية منتظمة، لتتمكن من مواجهة الجيوش الصليبية التي كانت لا تنقطع عنها الامدادات الاقتصادية والمادية، من الغرب الاوربي، وبما إن الدولة الأيوبية هي دولة عسكرية فإن عنصر استرايجية التموين كان حاضراً فيها واهتمت بتلك الناحية منذ بداية تأسيسها، وحددت مصادر خاصة للتموين غير المنقطع لذلك الغرض، ووضعوا منظومة اتصفت بالضبط سهلت من اعمال الحربية وساهمت بشكل جيد في تحقيق ما كانوا يسعون إليه.

---

(١) التذكرة الهروية، ص١٦.

(٢) الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، (تونس:١٨٦٢)، ص١٣١.

(٣) الزياني، واسطة السلوك، ص٩.

(٥) النابلسي، لمع القوانين، ص ص١١–١٢؛ شبل، الانظمة ، ص٢٠٢.

فقد اعتمدت الدولة الأيوبية على النظام الإقطاعي[(١)] الإقطاع هو (أن يقطع السلطان أرضاً فتصير له رقبتها)[(٢)]، كأحد النظم المالية التموينية المستمرة لاعداد وتهيئة العساكر حيث استخدم الاقطاع بديلا عن الرواتب التي تعطيها الدولة للجيش حتى تقوي إخلاصهم في ميدان القتال بعد أن اطمأنوا إلى مصدر مالي ثابت تدفع منه تلك الرواتب[(٣)]. وقد حدد القلقشندي أقسام الأراضي المقطعة[(٤)].

تولى ديوان الجيش مسؤولية الاقطاع حيث يقوم بترتيب الاقطاعات وقيدها وتوزيعها على الاجناد السلطانية أو الأمراء وأجنادهم، وبالتالي فإن هذا الديوان يقوم بالصرف على الجيش وتعبئته وإمداده بالأسلحة والمؤن، وإعداد الحصون والقلاع إلى جانب السيطرة على الاقطاعات والمقطعين[(٥)].

أخذت الدولة الأيوبية نظمها العسكرية وسياستها الحربية من دولة السلاجقة بصورة عامة ومن دولة الاتابكة الزنكية بصفة خاصة، فقد أخذ عنهم نظام الاقطاع، وطبقوها وطوروها[(٦)]. بالإضافة إلى الاقطاع الحربي[(٧)] هناك إقطاعات أخرى متعددة منحت كمكافاة أو كمنحة او هدية لتنفيذ مهمة أو مؤامرة أو جلب الأعوان[(٨)]. من

---

(١) للتفصيل عن نظام الاقطاعي الايوبي، ينظر إبراهيم علي طرفان، النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، (القاهرة: ١٩٦٨)، ص ص٣١- ٤٨؛ طلال سعود العصيمي، الاقطاع الحربي في العصر الايوبي (٥٦٤—٦٤٨هـ/ ١١٦٩—١٢٥٠م)، رسالة ماجستير منشورة، مقدمة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، ١٩٨٤، ص ص٥٧، ١٠٤، ١٤٤، ١٨٨؛ فوزي خالد الطواهية، الاقطاع العسكري (الحربي) في بلاد الشام في العصر الايوبي، مجلة الاردنية للتاريخ والآثار، مج٦، ع٣، ٢٠١٢، ص ص٤—٢٥؛ أنس أحمد ذياب الاحمد، التاريخ الاقتصادي للعصر الايوبي، رسالة دكتوراه منشورة ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية، جامعة يرموك، الاردن، ٢٠١٦، ص ص٣٦—٤٧.

(٢) الخوارزمي، مفاتح العلوم، ص٨٦.

(٣) الاحمد، التاريخ الاقتصادي، ص ٤١؛ منى محمد بدر، أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الايوبية والمملوكية بمصر، (القاهرة: ٢٠٠٢)، ١/ ١٠٤.

(٤) صبح الاعشى ، ١٣/١٢٠.

(٥) النابلسي، لمع القوانين، ص٢٣؛ نوري، سياسة صلاح الدين، ص٤٣٠.

(٦) العصيمي، الاقطاع الحربي، ص٥٧؛ بدر، أثر الحضارة السلجوقية، ص ص ١٠٦- ١٠٧؛ طرفان، النظم الاقطاعية، ص ص ٢٣، ٣٢؛ ربيع، النظم المالية، ص٢٧.

(٧) ارتبط الاقطاع الحربي في العصر الايوبي بالنظام الحربي لتلك الدولة والذي يعتمد على ما يقدمه صاحب الاقطاع من الخدمات الحربية حيث يتعهد المقطع بتقديم وتجهيز العساكر والإنفاق عليهم والاستعداد للخروج مع السلطان بجنده كاملي العدة والتجهيزات إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك يعني أن السلطان أو الملك إذا فتح بلداً وكانت لديه الرغبة في الاحتفاظ بهذه الأرض منحها لجنده وكبار القادة في جيشه في مقابل اشتراكهم معه في الحروب وهي هنا بمثابة راتب أو الأمر بالنسبة لهم على أن يكون ولاء الجيش والقادة للملك صاحب الأراضي (الاقطاعات) وفي حالة مخالفتهم لذلك تودع الملكية هذه للاراضي السلطانية يهبها لمن يشاء، طرفان، النظم الاقطاعية، ص٢١؛ العصيمي، الاقطاع الحربين ص٢٢؛ ربيع، النظم المالية، ص٣٥.

(٨) بدر، اثر الحضارة السلجوقية، ص١٠٩.

الجدير بالذكر أن الإقطاع الحربي يخضع لسيطرة الحكومة المركزية وأصبح الإقطاع لا يرتبط بالمقطع مدى الحياة مما يعني حصول الإقطاع الحربي في استثمار الأرض الزراعية محل نظام الالتزام(١).

وفي هذا الصدد ذكر المقريزي عن صيغة الإقطاع العسكري في مصرقائلاً: ((وأما منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا، فإن أراضي مصر كلها، صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده))(٢) بعد أن ال حكم بلاد الشام إلى الأيوبيين، بدؤا بتوزيع أراضيها إقطاعاً بين السلطان وأمراء البيت الأيوبي والأمراء والأجناد(٣).

على ذلك النحو أصبح النظام الاقطاعي ظاهرة واضحة في العصر الأيوبي، وإن ما طبق في مصر طبق على أراضي بلاد الشام حيث أصبحت كلها إقطاعات(٤).

شملت النفقات العسكرية(٥) في الدولة الأيوبية على إعداد الجيش للحملات العسكرية وتسييرها، وكذلك شراء الأسلحة والذخائر والمؤن ورواتب الجند، وعلى العمارة العسكرية، بالإضافة إلى النفقات الطارئة أو الاستثنائية، وهي دفع الأموال بإطلاق سراح الاسرى من الأمراء ورجال الدولة والعلماء والجنود بالإضافة إلى سداد الديون عن الأمراء الأيوبيين(٦).

وقد ذكر عاشور بان صلاح الدين كان أول من بدأ سياسة الإقطاع الحربي، وهي السياسة التي بلغت ذروتها في عصر سلاطين المماليك(٧)، إستند في ذلك على قول المقريزي ((وأعلم أنه لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من

---

(١) عصام محمد شبارو، السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري ،(بيروت:١٩٩٤)، ص٢٠٢.

(٢) الخطط ، ١/ ١٨٢.

(٢) الطواهية، الاقطاع العسكري الحربي، ص٥٥.

(3) أمين أبو دمعة، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الايوبي، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق، ١٩٨٨، ص٦٢.

(4) النابلسي، لمع القوانين، ص١٢.

(٥) اما النفقات الأخرى التي تصرف على الحياة العلمية والحركة الثقافية والدينية وكذلك على الناحية الاجتماعية اعتمدت الدولة الايوبية على نظام الوقف (كان مصدره الاوقاف) وهي بساتين وأرض بيضاء ورباع واعمال البر والإحسان مثل الزكاة والصدقات، للمزيد ينظر، ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ص١٩٣—٢٤٨؛ بدر نبيل ملحم، التاريخ المالي للايوبيين، (عمان: ٢٠١٥)، ص ص١٢—١٤؛ الاحمد، التاريخ الاقتصادي، ص ص٤٧—٤٨؛ أبو دمعة، الحياة الاقتصادية، ص٨٣.

(٦) الاحمد، التاريخ الاقتصادي، ص ص٢٣٦—٢٣٧؛ عاشور، الايوبيون والمماليك، ص ص١٦٣—١٦٤.

(٧) الايوبيون والمماليك، ص١٦٢؛ ينظر أيضاً، مبارك فكري، الجهود الحربية في عهدي صلاح الدين الايوبي والظاهر بيبرس، رسالة ماجستيرغيرمنشورة مقدمة إلى كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة جنوب الوادي، مصر، ٢٠١٤، ص ص٢٢٣—٢٢٤.

دول أمراء مصر لعساكر البلاد اقطاعات... ولما انقضت دولة الفاطميين بدخول الغزو من بلاد الشام، واستولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على مملكة مصر تغير الحال بعض التغير لا كله))[١].

يبدو ان المقريزي كان على صواب بدليل أنه في سنة (٥٧٧هـ/ ١١٨١م) تغير الحال، فقد ازداد عدد الجيش الأيوبي في مصر وبلغوا (٨٦٤٠) وهذا العدد الضخم من الجيش يحتاج إلى نفقات كبيرة حيث بلغت نفقتهم نحو (٣٦٧٠٥٠٠) دينار[٢] وبلغ مقدار الراتب للفارس من الطواشية بين ٧٠٠—١٢٠٠ دينار وهذا مبلغ كبير بالنسبة لذلك العصر[٣]. بالإضافة إلى ما يصرفه له من ديوان الجيش من أمتعة الفارس وجميع عدته وما لديه من الجمال والخيل وغير ذلك[٤]. يبدو أن صلاح الدين رأى ضرورة إعادة النظر في توزيع الاقطاعات وذلك سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م) حيث قال أبو شامة ((وشرع السلطان في اقطاع البلاد، وتوقيع بها على الأجناد))[٥].

في سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) لما استقر حكم السلطانصلاح الدين في مصر عبر البلاد من الاسكندرية إلى عيذاب ،بلغت موارد مصربلغ (٤٦٥٣٠١٩) دينار منها حوالي (١١٩٠٩٢٣) دينار خصصت لأغراض شتى في الدولة، أما الأموال المتبقية فقد صرفت جميعها في المرافق البحرية العسكرية[٦].

لم يطل الجيش الأيوبي على حال واحد من حيث الكثرة العددية والنفقات طوال العصر الأيوبي، فقد انخفض عدد الجيش بعد انتهاء مرحلة الجهاد في عهد صلاح الدين ضد الصليبيين، ولكن تغيرت الحال مرة أخرى في عهد السلطان الملك الكامل الأيوبي حيث إزدادت أعداد الجيش الأيوبي وارتفعت نفقاته بين السنوات (٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٧م) عندما أخذ تيار الحروب الصليبية يتجه نحو مصر، بلغت نفقاته حوالي (٦٠٠ الف) دينار وقد تراوحت مرتبات الجنود ما بين ٤٠—٥٠ ديناراً[٧].

وقد اتبع السلطان الملك الصالح أيوب، استراتيجية عسكرية جديدة حين اشترى اعداداً كبيرة من المماليك بشكل لم يسبق له مثيل فقد إشترى دفعة واحدة

---

(١) الخطط ، ١/ ١٦١—١٦٢.

(٢) الخطط ،١/ ١٦٣.

(٣) الاحمد، التاريخ الاقتصادي، ص٢٣٨؛ حسين، الجيش الايوبي، ص٦٨.

(٤) نوري، سياسة صلاح الدين، ص٤٥٢؛ العريني، الايوبيون، ص١٦٠.

(٥) الروضتين، ٣/ ١٤٨.

(٦) للتفضل ينظر، المقريزي، الخطط ا، ١/ ١٦٣ — ١٦٤ ؛العريني، الايوبيون، ص١٦٠.

(٧) ربيع، النظم المالية، ص٦٦؛ عاشور، الايوبيون، ص١٦٣؛ الصائغ، عصر الملك الكامل ، ص١٦٣.

ألف مملوك[1] وأدخلهم في الجيش بدلاً من جنود القبائل والاكراد وغيرهم[2] وصرف السلطان عليهم الكثير من النفقات والأرزاق كما قام بإعطائهم بعض الاقطاعات[3]، وقد بنى لهم سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) قلعة بجزيرة الروضة بالقرب من المقياس وأسكنهم فيها وشد أسوارها وأنفق عليها أموالاً كبيرة[4]. كما أقدم على استخدام عناصر أخرى من الخوارزميين في سنة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) بلغ تعدادهم (٢٠ ألف) مقاتل[5].

أما الملك الناصر يوسف الثاني (٦٣٤–٦٥٩هـ/ ١٢٣٦- ١٢٦٠م)[6] آخر ملوك الدولة الأيوبية فقد استخدم حوالي (٣ آلاف) فارس من عساكر الشهرزورية[7] في جيشه النظامي وأنفق عليهم الكثير من الأموال بعد منحهم العديد من الاقطاعات[8].

هكذا وجد نظام الاقطاع الأيوبي الحربي كيف كان ينمو نمواً كبيراً وأصبح له قواعد وأركان ثابتة ومورداً من موارد الدولة حيث كان من المتبع في جميع تلك الاقطاعات بأنواعها أن يمنح مقداراً بما يغله من نقد ومحصول وفقاً لعبرته، والعبرة هي مورد ما يحصله الاقطاع[9].

إضافة إلى تجهيز الدولة الأيوبية عساكرها بالعدة والعتادة والمؤون وتوزيع الاسلحة والدروع على الجنود قبل الخروج إلى الحملات العسكرية فقد كانت تعطي لهم مبلغاً معيناً من أجل الانفاق أثناء الحملة كما كانوا يعطون كميات كبيرة من المؤن والعلف لدوابهم فضلاً عن ما كان يغتنمه الجند من العدو أثناء القتال، كما كان يتم شراء المؤن الإضافية من التجار المرافقين للجيش في الحملات العسكرية[10].

---

(١) الذهبي، سير إعلام النبلاء، ٢٣/ ١٩٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ٣٣١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٥/ ٤٣٠؛ محمد يونس فلح، الملك الصالح نجم الدين أيوب وعلاقته بالقوى السياسية (٦٣٨ – ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠ – ١٢٦٠م)، مجلة كلية العلوم الإسلامية، موصل ،مج (٧) ،العدد(١٣) ،ص١٨.

(٢) يذكر الدواداري أنه أكثر شراء المماليك في جيشه وذلك (لكثرة ما جرب من غدر الاكراد والخوارزمية وغيرهم) كنزر الدرر، ٧/ ٣٧٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ١/ ٣٦٠؛ الاحمد، التاريخ الاقتصادي، ص٢٣٩؛ العبادي، في التاريخ الايوبي، ص٨٢.

(٤) ابي الفداء، المختصر، ٣/ ١٧٩؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٨٠ – ٣٨١.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ١٩٥؛ فلح، الملك الصالح، ص١٠.

(٦) عن ترجمته ينظر، أبو شامة: الذيل على الروضتين، ٥/ ٣٢٥؛ ابن العميد، أخبار الايوبيين، ص٥٠؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٢/ ١٣٤؛ابو الفداء، المختصر، ٣/ ٢١١؛ المقريزي، السلوك، ١/ ٥٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/ ٢٠٣؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٤١٩.

(٧) ينظر تعريفها ص٥٤، هامش ١.

(٨) المقريزي، السلوك، ١/ ٥٠٠؛ الحايك، العلاقات الدولية ، ١/ ١٥٧.

(٩) إسرائيليان، فن الحرب، ص٩٧.

(١٠) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص٢٨٣–٢٨٤؛ الاحمد، التاريخ الاقتصادي، ص٢٣٩؛ جب، صلاح الدين، ص١٧٦؛ عون، الفن الحربي، ص١٢٢.

لقد أورد إبن مماتي بعض المعلومات عن فئات الرواتب والنفقات التي يتقاضاها الفئات المختلفة من الجيش عيناً على أساس عبرة الاقطاعات وقد تقدر نقداً على أساس الدينار[١]، ومنها الفئة الاولى من العساكر المؤلفة من الأكراد والأتراك والتركمان يحصلون على رواتبهم كاملة وهي دينار كامل. وتألفت الفئة الثانية من الكنانية والعساقلة ومن يماثلهم من الأجناد والتي وردت أسماؤهم في السجلات المصرية، هؤلاء يحصلون على نصف الراتب (نصف دينار). أما الفئة الثالثة والتي تتألف من الجند الذين يخدمون الأسطول ولا يحصلون إلا على ربع الراتب، والفئة الأخيرة مؤلفة من المتطوعين العربان (الفرق الخارجية)، الذين يحصلون على ثمن الراتب[٢].

بهذا الشكل يمكن القول إن التدرج في الأجور كان يتماشى مع التدرج في الرتبة في الجيش، وكان توزيع الغنائم يتم بنفس النظام، وعادة ما كان الفرسان يحصلون على ضعف ما يحصله الجنود الدائمون وشبه الدائمين ولذا كان عليهم إثبات قدراتهم القتالية في أرض المعركة[٣]، فقد كان الفارس يتقاضى ما بين (٧٠٠—١٢٠٠ دينار)[٤].

على ضوء أهمية الجانب المادي اعتمد الأيوبيون في خططهم الحربية على الربط بين الظروف الاقتصادية والتحصينات الدفاعية، فظهر ذلك جلياً في سياسة الأيوبيين، لا السلطان صلاح الدين بعد معركة حطين اتجه للساحل ولم يتجه مباشرة للقدس وذلك ليحقق هدفين، تأمين ظهر قواته أولاً، وقطع الامدادات عن العساكر الصليبية ثانياً[٥] وكذلك أحياناً كانت القوات العسكرية الأيوبية تتلف المحاصيل الزراعية وما يمكن أن ينتفع العدو منه، وهذا يضطرهم أخيراً للتسليم لنقص الميرة وقلة الاقوات[٦]. في سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) اثناء فتحهم لقلعة صفد أمر السلطان بقطع الكروم وحمل اخشابها وتدمير القرى[٧]. وفعل ذلك الملك العادل سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) عند حصاره لسنجارإذ أمر

---

(١) هو دينار فرضي لا حقيقة له ويسمى بالدينار الجيشي استعمله اصحاب ديوان الجيش في تقديرهم لعبرة الاقطاعات إذ حصلوا الكل اقطاع عبرة دنانير معينة من قليل أو كثير ويجوز أن لا يكون لبعض الاقطاعات عبرة معينة. القلقشندي، صبح الاعشى، ٣/ ٥٠٩.

(٢) قوانين الدواوين، ص٣٦٩؛ العريني ،الايوبيون، ص ١٥٨.

(٣) ستامبولي، مفاتيح اورشليم القدس، ص٩٤؛ جهاد محي الدين محمد مسعود، التنظيمات الحربية في كل من الدولة الايوبية والدولة المملوكية رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية دار العلوم قسم التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة المينا،القاهرة، ٢٠٠٨، ص١٦٩.

(٤) غنيم، الدولة الايوبية، ص ١٣٢.

(٥) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٢/ ٦٧٢؛ شبل، الانظمة، ص٣٦؛ الشريدة، التنظيمات العسكرية، ص٢٠١.

(٦) العسلي، فن الحرب، ٤/ ١٣٢، ١٣٥؛ الشريدة، التنظيمات العسكرية، ص٢٠٢.

(٧) أبو شامة، الروضتين، ٣/ ٢٥؛ أبن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٨٠؛ الصوري، الحروب الصليبية، ٤/ ١٥٤.

بقطع ما على البلد من البساتين والجواسق[١]. كذلك فعلهاسسالملك المعظم عيسى في سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) عندما قصد حمص فخرب قراها ومزارعها[٢].

هذا عن الجيش أما فيما يتعلق بالأسطول فقد كانت في حالة سيئة عند قيام الدولة الأيوبية[٣] ولكن صلاح الدين اخذ يهتم بالأسطول اهتماماً بالغاً من خلال انشائه ديواناً خاصاً بأمره سمي بديوان الأسطول وخصص لها موارد هامة مثل متحصلات إقليم الفيوم وإيراد الزكاة فضلاً عن حصيلة النطرون والحبسي والجيوش والخراج وضمن الخراج بـ(٨٠٠) الف دينار وإيراد ديوان الزكاة قدره أكثر من ٥٠ الف دينار[٤].

ويكمن قيمة الاقتصاد في أمر الجيش إلى درجة أنه بعد أن كانوا في عهد صلاح الدين يقال للذين يعملون في الأسطول المجاهدون في سبيل الله والغزاة في أعداء الله، ويتبرك بدعائهم الناس كانت لهم قدسية كبيرة بعده انعكس الموقف[٥] فصارت خدمة الأسطول عاراً يسب به الرجال، وإذا قيل لرجل يا أسطولي غضب غضباً شديداً[٦]، لذلك بعد ان تعرضت الدولة الأيوبية للغارات الصليبية في أواخر عهدها، عادوا مجدداً للاهتمام بالأسطول[٧] عن طريق إمدادهم مادياً، ويظهر ذلك من خلال الوصية الشهيرة التي وصاها الملك الصالح أيوب لإبنه تورانشاه والتي جاء فيها ((... فالأسطول أحد جناحي الإسلام، فينبغي رجاله أن يكونوا شباعاً، ورجال الأسطول إذا اطلق لهم كل شهر عشرين درهماً مستمرة راتبه...))[٨].

يظهر مما سبق مدى تأثير الجانب الاقتصادي على فن الحرب البرية والبحرية، بمعنى اخر هناك ارتباط بين الاستراتيجية العسكرية والاقتصاد ومن ذلك المنطلق ينبغي تسخير اقتصاد الأمة لاعتبارات عسكرية ويعرف باقتصاد الحرب بحيث يكون قادراً على التكيف مع متطلبات الحرب وحاجاتها[٩]. فالدولة الأيوبية لم تبخل ببذل

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ١٩٣.

(٢) الحموي، تاريخ المنصوري، ص٩٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ١٧٩؛ أبو الفداء، المختصر، ٣/ ١٣٦.

(٣) ينظر الفصل الثالث، ص١٤٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ١/ ١٨٦؛ ربيع، النظم المالية، ص ٧١؛ غنيم، الدولة الايوبية، ص١٣٢.

(٥) المقريزي، الخطط ، ٣/ ٣٤٠؛ الحموي، تاريخ الأسطول، ص١٣٦؛ العريني، الايوبيون، ص١٧٥.

(٦) المقريزي، الخطط ، ٣/ ٣٤٠.

(٧) غنيم، الدولة الايوبية، ص١٣٥؛ الجبوري، الأسطول الحربي، ص٧١.

(٨) النويري، نهاية الأرب، ٢٩/ ٣٥٠.

(٩) محفوظ، العسكرية في الإسلام، ص ص٢٦–٢٧؛ خميس بولعراس، فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر–باتنة، ٢٠١٣، ص٥٩.

الأموال في سبيل تحقيق أهدافها العسكرية ووجدت أن هذه الأموال هي التي تحدد مصير المعركة[1].

مخطط رقم (٧)

التدابير القيادية والاحترازية قبل خوض المعركة



(١) الصوري، الحروب الصليبية، ٢/ ٩٨١؛ الشريدة، التنظيمات العسكرية، ص١٨٨.

الفصل الخامس
أساليب القتال في العصر الأيوبي

الفصل الخامس
أساليب القتال في العصر الأيوبي

المبحث الأول
أساليب الحصار والتحصينات الدفاعية

اولا– أساليب الحصار الأيوبية:

يعد فن الحصار من الأساليب الجوهرية للحرب، وتعد من أقدم الوسائل الحربية؛ لأن معظم المدن الكبرى في العصور القديمة كانت محمية بأسوار، أما الأرياف المكشوفة في العصور الوسطى فكانت تحيط بها الحصون[1].

يعرف الحصار عموماً على أنه اسلوب يعتمد على منع إيصال كل عناصر التقوية إلى المحاصرين ومحاولة السيطرة على كل الطرق والمسالك ومصادر المياه، والتموين والمؤن ومنعهم من الاستفادة منها، كذلك منع اي احد أن يدخل إلى المدينة أو الحصن أو القلعة، أو يخرج منها مع الحرص على معرفة المواضع والمنافذ والطرق أو المسالك الصعبة، والخفية والمنيعة والممكنة لالعمل بها؛ لأن السيطرة عليها تضعف امل العدو في المقاومة، فضلاً عن معرفة المواضع الاستراتيجية لوضع آلات الحصار فيها لكي يشددوا الخناق على العدو، واجباره على الاستسلام والاستيلاء على المنطقة وأسر المدافعين، أو الانتظار حتى يموتون عطشا وجوعاً[2]. كان ذلك الاسلوب المتبع لفتح المدائن والحصون والقلاع[3].

جدير بالذكرأن الأسلوب المتبع في الحصار وتطبيقه ونجاحه في حالتي الهجوم والدفاع، يعتمد على عوامل عدة، ففي حالة الهجوم ومحاصرة أي مكون استيطاني على القوات المحاصرة قبل البدء بالحصار أن تكون ملِمة بما يلي:

١- المعرفة التامة بجغرافية المنطقة التي تتضمن المدينة أو القلعة أو الحصن. وهو ما أشار اليه الهروي بضرورة الاطلاع على الأماكن الاستراتيجية التي ينزل فيها الجيش ويستطيع من خلال تطبيق أسلوب الحصار بشكل جيد[4].

---

(١) سون تزو، فن الحرب، ص٣٥؛ بو لعراس، فن الحرب، ص٧١.

(٢) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص ص٥٧–٥٨؛ الجنابي، تنظيمات الجيش، ص ص١٨٨–١٨٩؛ ضو مفتاح غمق، نظرية الحرب في الإسلام وأثرها على القانون الدولي، (بنغازي: ١٤٢٦هـ)، ص ص١٧٨-١٨١ .

(٣) الهروي، التذكرة الهروية، ص٢٣؛ ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٣٧٨.

(٤) التذكرة الهروية، ص ص٢٢–٢٥.

٢- الاطلاع الكلي أو الجزئي على التركيب البشري للقاطنين في تلك المكونات الاستيطانية.

٣- معرفة عدد القوات العسكرية الرسمية والمساندة والأسلحة الموجودة فيها. ودليل ذلك نقف عليه عند الهروي حيث أكد بأنه على القائد المحاصر أن يكون على اطلاع بأوضاع البلد المحاصر بواسطة جواسيسه لمعرفة عدد المقاتلين ومقدار أسلحتهم وكذلك كمية العتاد والذخائر الموجودة عندهم، أو كيفية حصول أهل المدينة على الماء وإذا تأكد في أن الاوضاع ليست لصالحه ولا يساعده على المقاومة لمدة طويلة ((فليرحل إليه ويترك عليه، ويغتنم الفرصة ليأمن الفرصة، وليسارع بالنزول عليه بالزخف إليه، وليهب (ليباغت) أهله بشدة القتال، ومرارة الزحف... ولا يمل ويضجر، فإن ذلك يوهن جانبه ويضعف قوته))[١]

٤- استكشاف المنافذ الرئيسية لتلك المكونات الاستيطانية التي تحاول من خلالها الحصول على الإمدادات اليومية والعمل على غلقها.

٥- العمل على قطع التواصل بين تلك التكوينات الاستيطانية والعالم الخارجي بوضع فرق الاستطلاع والكشافة على المسالك والدروب التي تربط بين الجانبين.

٦- إعداد التشكيلات العسكرية اللازمة للقيام بدورها على أكمل وجه عند البدء بعملية الحصار التي قد تستمر أكثر مما خطط لها.

٧- تحسس الأوقات والأزمنة المناسبة للحصار صيفاً أو شتاءً.

٨ - وجود القيادة العسكرية الكفوءة لإدارة الحصار.

١٠- ويضاف إلى ما ذكرناه أعلاه ما أكد عليه الهروي بأنه إذا كان الحصن قوي ومنيع ويكون أكبر من طاقات الجيش وجد عليهم عدم الاقبال على حصاره، إلا بعد استمالة قلوب أهله وأجناده ومقدميه وقادته، أو يضمن لهم حيلة يعملها أو يبلغها من ثقات الجواسيس[٢].

أما في حالة الدفاع فعلى القيادة العسكرية أن تعمل على:

١- تعيين قادة عسكريين أكفاء لقيادة المحاصرين أثناء الحصار ورفع معنوياتهم وهم يواجهون هجمات الأعداء العنيفة.

٢- حفر الخنادق وأن يوضع فيها ما يلزم من الأمور التي تعيق اختراق جند الأعداء لها.

---

(١) التذكرة الهروية، ص٢٣.

(٢) التذكرة الهروية، ص٢٣.

٣- وضع قوات عسكرية على جانب كبير من البسالة في المناطق التي يشكك فيها بأن العدو سيحاول تكثيف هجماته من خلالها.

٤- توفير ما يحتاجه سكان المكون الاستيطاني المحاصر من الأسلحة والذخائر، فضلاً عن الموارد الاقتصادية التي تكفي لمدة تساعد على رفع الحصار أو وصول الامدادات الخارجية.

٥- وضع الجند الأكفاء والموثوقين بهم على أبواب المدينة أو القلعة أو الحصن، منعاً لأي تواصل غير مشروع مع الأعداء.

٦- رصد تحركات العدو بإخراج اليزك أو المستكشفين بسرية تامة ونقل المعلومات بالوسائل المتاحة إلى داخل الكيان المحاصر.

٧- العمل على توحيد الجهود خلال أيام الحصار من أجل استمرار المقاومة ودفع المهاجمين.

٨- عند فشل كل مقاومة ضد المهاجمين ولا يبقى سوى خيار الاستسلام فعلى قادة المكون المحاصر أن يحصلوا على أفضل الشروط التي سيستسلمون من خلالها للعدو، وأن يحاولوا قدر المستطاع الحصول على الأمان للجند والمستوطنين.

يعد حصار مدينة بيروت واحداً من أكثر الحصر ملاحظة في العصر الأيوبي، كون أنه الحصار الوحيد الذي تعاونت فيه القوات البرية والبحرية الأيوبية عند محاصرة مدينة أو قلعة أو حصن على مدار الصراع مع الصليبيين أو إبان مرحلة النزاعات المحلية والإقليمية، على الرغم من أن المصادر الإسلامية لا تتوسع كثيراً في الإشارة إلى تفاصيل ذلك الحصار الذي وقع في سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، حيث تكتفي بالقول بأن السلطان صلاح الدين كان قد أرسل إلى أسطول مصر بأن يستعد ويتحرك إلى سواحل بلاد الشام، ودون أن يعين مدينة أو قلعة ساحلية بالتحديد لمهاجمتها، وعند وصوله فإن السلطان سيوافي الأسطول إلى المكان الذي يروم بمحاصرته ومن ثم مهاجمته[١]. فلما الأسطول إلى ساحل بيروت، قام جنوده بسلب ونهب ما صادفوه في طريقهم، فلما علم السلطان بأن الأسطول الحربي أرسى ببيروت، أسرع بموافاته إلى هناك جريدة (أي قاد الفرسان دون الخيالة)[٢]، ودون أن يأخذ معه آلات الحصار المطلوبة من المنجنيقات أو

---

(١) عماد الدين الأصفهاني، البرق الشامي، ٥/ ١٧-١٨؛ ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص٩٦؛ ماهر،البحرية،ص ١٠٤.

(٢) ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص٩٦؛ أبو شامة، الروضتين، ٣/ ٧٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١٥. في حين لم يرد لدى مار ميخائيل السرياني الكبير، وسبط ابن الجوزي أية إشارة إلى حصار بيروت المذكور. للمزيد ينظر على التوالي: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ٢/ ٢٥٩-٢٦٠؛ مرآة الزمان، ٢١/ ٢٨٣-٢٨٤.

الدبابات أو العرادات وبدأ بمحاصرة المدينة[(١)].

بعد جهد وحصار لعدة أيام تيقن بأنه غير قادر على فتح المدينة لحصانتها، لذا هاجم المناطق المجاورة لبيروت وأغار عليها[(٢)]، محاولة منه لإشعار القوات الصليبية داخل المدينة والتي كانت تحاول الوصول إليها لنجدتها بقوته وقدرته على التوغل إلى داخل العمق الاستراتيجي الصليبي، ثم تركها بقصد السير إلى مدن أخرى لاستصحاب جيوشها من أجل المسير لمحاصرة مدينة حلب[(٣)].

لكن عند الوقوف على رواية المؤرخ اللاتيني وليم الصوري، والتي تمثل وجهة النظر الملكية-الكنسية، يتيبن بأن محاولة حصار السلطان صلاح الدين لبيروت كانت بسبب رد فعل لهزيمة سابقة تعرضت له قواته على يد القوات الصليبية في بعض أعمال الأردن، وإنه أرسل إلى نائبه على مصر أخاه الملك العادل بتجهيز أسطول حربي من سفن القاهرة والإسكندرية، وإرساله على وجه السرعة إلى بلاد الشام وحدد له (أي للأسطول) بأن تكون مدينة بيروت هي الوجهة التي عليه مهاجمتها، وفي الوقت نفسه طلب من أخيه بأن يهاجم الممتلكات الصليبيين الواقعة على الحدود مع مصر، لكي يمنع القوات الصليبية من تقديم أية مساعدات عسكرية لبيروت ،وبذلك سيضطر الصليبيون إلى إرسال جزء من قواتهم لمساعدتهم تلك المدن، ويستطرد الصوري قائلاً: ((ونفذت تعليمات صلاح الدين بحذافيرها تنفيذاً دقيقاً، فلم تنقضي أيام قلائل حتى جاء أسطول مؤلف من ثلاثين سفينة مدببة، كما جاء إلى الدراوم أخوه على رأس القوات التي جمعها من كافة أنحاء مصر))[(٤)].

لكي تكتمل خطة السلطان ، فإنه قاد فرسانه إلى بعض المواقع القريبة من بيروت، وأرسل بعض طلائع جيش (الكشافة) لتستطلع وتراقب وصول الأسطول الأيوبي إلى بيروت، ولما شاهدت الكشافة في الأول من شهر آب وصول الأسطول أسرعوا لابلاغ السلطان بمجيئه، فبادر الأخير إلى التحرك بسرعة، ووصل ضواحي المدينة ورام بحصارها من كل الجهات، وذلك في وقت كان الصليبيون غير متأكدين من نوايا صلاح الدين، فاعتقد بعضهم بمسيره إلى حلب وتوقع آخرون بذهابه إلى الموصل أما الفريق الثالث فكان متيقناً بمحاصرته لمدينة بيروت، وهو التوقع الذي ثبت صحته[(٥)].

---

(١) عماد الدين الأصفهاني، البرق الشامي، ٥/ ١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، حوادث ٣٤١/٩؛ العسلي ،فن الحرب،١٢٦/٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٤١/٩؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١١٦؛ابو الفداء،المختصر،٦٤/٣.

(٣) ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص٩٧-٩٨؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١١٦.

(٤) الحروب الصليبية، ٤/ ٢٩٣.

(٥) الحروب الصليبية، ٤/ ٢٩٤-٢٩٥.

وصلت تلك الأخبار إلى الملك الصليبي بلدوين الرابع فأمر هذا بدوره باتخاذ الإجراءات الضرورية لمنع سقوط بيروت بيد صلاح الدين من خلال تجهيز قوتهم والتصدي للقوات الأيوبية التي كانت بدأت تتوغل في غزة وعسقلان، كما انه أمر الأسطول الصليبي الراسي في صور وعكا بأن يستعد لإنقاذ بيروت بحراً، كل ذلك والسلطان صلاح الدين في غياب الآلات المساندة لمهاجمة الأسوار، بدأ يهاجم المدينة براً وبحراً بقوة، وعلى مدار ثلاثة أيام، ضغط على المحاصرين ولكن دون أن يتمكن من فتحها[1].

وعندما لم تفلح رمى البلد بالسهام، ركن السلطان إلى تلغيم متاريس وأسوار المدينة بغية هدم بعض أجزاءها والدخول منها إلى المدينة، لكنه قوبل بمقاومة ودفاع مستميتين من قبل المحاصرين، مما صعب على السلطان عملية اقتحام أسوار بيروت، وفي نهاية اليوم الثالث والأخير من الحصار، اوعز السلطان إلى الأسطول البحري بالانسحاب، وكذلك قاد قواته البرية إلى مسافة بعيدة من المدينة، وعلل الصوري ذلك الانسحاب باقتراب القوات الصليبية من المدينة لنجدتها، فضلاً عن المقاومة الكبيرة التي أبداها أهل المدينة ضد الهجمات الأيوبية[2].

عند إجراء موازنة نصية لمرويات المؤرخين المسلمين، وما دونه وليم الصوري عن حصار بيروت، يمكن الوقوف على جملة أمور من بينها:

١- إن المؤرخين المسلمين لم يحددوا المكان الذي كان صلاح الدين الأيوبي قد جعله هدفاً لمهاجمته وحصاره، بينما بين وليم الصوري بأن تلك الوجهة كانت مدينة بيروت وقد أصاب في رأيه.

٢- اشتركت المصادر الإسلامية مع رأي وليم الصوري بأن السلطان وصل إلى مشارف بيروت جريدة أي فقط قاد قواته مع الفرسان، وإن كان الصوري قد أشار في روايته بأن السلطان قد جمع من المناطق الأخرى بعض المشاة وقادهم إلى حصار المدينة.

٣- لم تشر المصادر الإسلامية إلى أن السلطان قد طلب من أخيه الملك العادل مهاجمة ممتلكات الصليبيين على الحدود المصرية ،لبعثرة المساعدات الصليبية في حال إذا

---

(١) الحروب الصليبية، ٤/ ٢٩٦؛

Ehrenkreutz A.S, -The Place of Saladin in the Naval History of the Mediterranean sea in the Middle Ages, (Michigan:1955).

(٢) الحروب الصليبية، ٤/ ٢٩٧-٢٩٨.

ما فكروا بإنقاذ بيروت، في حين أكد الصوري على ذلك الحدث بالتفصيل، وأشار إلى المدن التي توغل فيها الملك العادل قواته البرية.

٤- أشارت الرواية الإسلامية إلى مشاركة الأسطول في تلك الحملة على وجه العموم، دون أن يعطي أي إحصاء رقمي لعدد سفن الأسطول الأيوبي الذي وصل إلى ميناء بيروت، في حين منحنا الصوري رقم السفن الحربية الإسلامية التي حاصرت بيروت بحراً بأن عددها كان ثلاثون سفينة وحدد نوعها بأنها كانت من السفن المدببة.

٥- أهملت المصادر الإسلامية الاشارة إلى موقف الصليبيين من حصار صلاح الدين لبيروت، بل اكتفت بالقول أنه بعدما حاصرها صلاح الدين وعلم بأنه لن يتمكن من فتح المدينة، انسحب منها، في حين أن الصوري اوضح بأن الصليبيين قد أعدوا لإنقاذ المدينة كل ما يلزم من القوات البرية والبحرية حتى استدعى الملك ثلاثين سفينة وأرسلها إلى بيروت لمساعدة سكانها وأنقاذها من حصار السلطان صلاح الدين.

مما لاشك فيه أن الدولة الأيوبية قد اتبعت صيغ الحصار باسلوبيه الدفاعي والهجومي، سواء في معاركها ضد الصليبيين أو في الصراعات الداخلية، وهناك العديد من الأدلة التأريخية على الحصار وانواعه وظروفه التي مر بها المهاجمون والمدافعون وما تكبدوه من عناء، ولاسيما إبان حقبة الفتح الصلاحي للمدن والقلاع والحصون الصليبيبة أي بين السنوات (٥٨٣-٥٨٤هـ/ ١١٨٧-١١٨٨م)، عندما نجح في الاستيلاء على عدد كبير منها تراوحت مدد الحصار ومنازلة تلك الأماكن بين (٢-٤٠) يوماً، ومن ابرز تلك المدن والحصون التي فتحها، على سبيل المثال لا الحصر، عسقلان والرملة، بيت المقدس، صفد وكوكب، اللاذقية، صهيون، دربساك وبغراس، الكرك[١]، وكان اخرها حصار مدينة يافا سنة (٥٨٨هـ-١١٨٩م)، فقد تمكن السلطان صلاح الدين مع قواته من فتح المدينة أول الأمر، لكن الحامية الصليبية لجأت إلى قلعتها المحصنة، وماطلوا في التسليم إلى اليوم التالي، حيث أدركتهم النجدة من قبل ريتشارد قلب الأسد، فانقلبت الموازين، واضطر صلاح الدين وجيشه إلى الانسحاب من المدينة، وبقيت يافا في يد الصليبيين[٢].

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية،١٢٥-١٥٤؛ ابن الاثير،الكامل في التاريخ،٣٨١/٩-٤٢١؛ مؤلف مجهول،تاريخ دولة الاكراد، ص ص ١٤٦-١٦١ ؛ابن واصل ،مفرج الكروب،١٨٨/٢-٢٧٥.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٤٦٧/٩-٤٦٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٢٠٢؛ ابو شامة، الروضتين، ١٨٨/٤

وبقدر تعلق الأمر بأسلوب الحصار الطويل، فهو بالمجمل يرهق الجيش ويُتبعه، لاسيما إذا كان المحاصرون يتمتعون بحصون منيعة ومليئة بالذخائر والمؤن والمعدات الحربية؛ لكي تصمد لحصار غير معروف الأجل[1]. وهذا ما نقف عليه بوضوح إبان حصار عكا الطويل[2] من (رجب ٥٨٥ إلى ١٧ جمادي الآخرة ٥٨٧هـ/ ٢٧ آب ١١٨٩م إلى ١٥ تموز ١١٩١م) الذي استمر لأكثر من سنتين، بسبب حصانة القلعة ووجود كميات كبيرة من المؤن والأسلحة فيها فضلاً عن الدفاع المستميت من قبل الجيش الأيوبي الموجود داخل المدينة.

وينبغي الإشارة إلى أن معارك الحصار الطويلة افرزت الكثير من الحالات غير الطبيعية بين العساكر المهاجمة وحتى تلك التي تدافع الى درجة ولدت اليأس والملل وأثرت على معنويات الطرفين وقللت من تحديهم للحصار ومقاومته[3]، فضلاً عن تلوث الأرض بفضلات الخيول والجنود ولاسيما إن الوسائل الصحية لم تكن معروفة ومتوفرة كثيراً آنذاك وقد تسببت في هلاك بعض المحاربين بأمراض تسببها عفونة المكان وفساد الجو، وبهذا الشكل لم يكن ممكناً الخروج من عملية الحصار دون تضحيات، أي أنه من الصعب التفكير في أن يرابط الجيش طويلاً في مكان واحد في العصور الوسطى دون أن يصاب بخسائر نتيجة المرض والمجاعة وهروب الجند. وقد وصف القاضي الفاضل في إحدى رسائله حال ساكني مدينة صور عندما حاصرها السلطان صلاح الدين فقال بحقهم: ((وما هم بحمد الله في حصن يحميهم بل في سجن يحويهم، بل أسارى وإن كانوا طلقاء، وأمواتاً وإن كانوا أحياء))[4]، في حين أن إبن شداد أبدع في نقل صورة الظرف الذي كان يعيشه الجيش الأيوبي وهو يحاول أن يقدم المساندة لأهل عكا المحاصرين فقال ما نصه: ((والسلطان يطوف بين الأطلاب وينادي بنفسه يا للإسلام، وعيناه تذرفان بالدمع، وكلما نظر إلى عكا وما حل بها من البلاء، وما يجري على ساكنيها من المصاب العظيم، اشتد الزحف والحث على القتال، ولم يطعم في ذلك اليوم طعاما البتة... ولما هجم الليل عاد (أي السلطان) إلى الخيمة... وقد أخذ منه التعب والكآبة والحزن... ولما

---

(١) سويد، الفن العسكري، ص٣١٤.

(٢) يعد ان شداد ابرز من سجل اخبار حصار عكا الطويل كونه كان شاهد عيان لمعظم مراحل الحصار والدفاع والمفاوضات وسقوطها بيد الصليبيين. ينظر النوادر السلطانية، ص ص١٦٢-١٨، ١٩٠-٢٣٠، ٢٣٥-٢٦٣؛ وعدها هارولد لامب واحدة من اعظم الوقائع الحربية ابان الحروب الصليبية ينظر: شعلة الإسلام، ص١٥٥. وهناك أسباب أخرى إلى جانب طول مدة الحصار البري والبحري للمزيد ينظر، عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٤٨٦؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٤٦—٤٧؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص ص٢٨١—٢٨٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٤٠؛ ابن شداد،الاعلاق الخطيرة، ق٢، ج٢، ص١٧١؛ حسين، الجيش الايوبي، ص٢٣٤.

(٤) ابو شامة، الروضتين، ٤/ ٣٢.

كان سحر تلك الليلة أمر الكوس أن تدق، وركبت العساكر من كل جانب، وأصبحوا على ما أمسوا عليه. وفي ذلك اليوم وصلت مطالعة من البلد يقولون فيها، إنا قد بلغ منا العجز إلى غاية ما بعدها إلا التسليم... وكان هذا أعظم خبر ورد على المسلمين وأنكاه في قلوبهم))[١].

وعندما حاصر الملك المعظم مدينة حمص سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) لم ينجح في الاستيلاء عليها لحصانتها وقوة الدفاع عنها فأشار إلى ذلك ابن واصل بقوله: ((لم ينل من قلعتها ومدينتها غرضاً، ووقع الفناء في عسكره، وماتت دوابهم وكثر المرض فيهم))[٢].

من الجدير بالذكر إن بعض أنواع الحصار كان ينهك الجيش، وهذا ما دفع بالبعض من مصنفي كتب الحرب وفنونه بالتشديد على ضرورة استراحة الجيش بدنياً وذلك من خلال الحصار بالتناوب (التداول) ومحاولة نزولهم بمسافة بعيدة عن المنطقة المحاصرة تفادياً للتشويش وفوضى المحاصرين[٣]. طبق تلك الطريقة الجيش الأيوبي أثناء حصاره الموصل سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م) حيث نزل الجيش الأيوبي في موضع قريب من الموصل يعرف بالاسماعيليات ليصل من العسكر كل يوم نوبة جريدة تحاصر الموصل[٤]. أثناء حصار الجيش الأيوبي لحصن صفد وكوكب سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) ذكر ابن الأثير بأنهم كانوا ((يحرسون نوباً مرتبة))[٥].

اتبع ذلك الاسلوب خلال حصارهم لمدينة صور وحصن البرزية في سنتي (٥٨٣-٥٨٤هـ/ ١١٨٧-١١٨٨)، فقد قسم الجنود إلى مجموعات تحارب كل مجموعة فترة محددة وحين يبدو عليها التعب، تنزل مجموعة أخرى لتحل محل الأولى، بحيث يكون القتال متواصل[٦].

تطرق الهروي، المعاصر لصلاح الدين والذي عاش في حلب في عهد الملك الظاهر غازي إلى الكثير من الاستراتيجيات الممكنة تطبيقها، أثناء حصار المدن والقلاع والحصون ويبدو ان قادة الدولة الأيوبية استفادوا من بعضها، ولم يستطيعوا أن يترجموا جميع أفكاره إلى نتائج إيجابية في أحايين أخرى، كون أن هناك فرق كبير بين النظرية

---

(١) النوادر السلطانية ،ص٢٥٢.

(٢) مفرج الكروب، ٤/ ١٧٩.

(٣) ابن منكلي، الأدلة الرسمية، ص ص ٢١٦ — ٢١٧.

(٤) ابو شامة، الروضتين، ٣/ ١٤٦.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٠٤.

(٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٠١؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ص ٢١٠ — ٢١٢؛ ابو الفداء، المختصر، ٣/ ٧٢.

والتطبيق ولاسيما إذا كانت الظروف التي ستطبق فيها الأفكار العملية ليست متيسرة كما يجب، خصص الهروي باباً من كتابه في كيفية قتال الحصون وحصارها ومكان ذلك والحيلة في ضرب الحصار(١)، فأثناء حصار الأيوبيين للموصل سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) أشار تقي الدين إلى عمه صلاح الدين بنصب منجنيق على البلد لاعتقاده انه سيؤثر على معنويات المدافعين وأهل الموصل، فكان رد السلطان عليه سلبياً بان: ((مثل هذا البلد لا ينصب عليه منجنيق، وحتى نصباه أخذوه وفيه خلق كثير))(٢) بالفعل فشل الحصار ولم يستطع صلاح الدين الاستيلاء على المدينة لأنهم لم يتبعوا السبل الصحيحة لإضعاف المدينة فضلاً عن عدم الإلمام الجيد بالمعرفة الجغرافية للجيش الأيوبي بمدينة الموصل.

ولما عاود في سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م) محاصرة الموصل مرة أخرى، كان الموسم صيفا والجو حار جداً فأمر السلطان جنده بالصبر على القتال؛ مع ذلك لم يتمكنوا من إجبار المواصلة على التسليم، وبدأوا يبحثون عن خطة لإنجاح الحصار، ففطنوا إلى خطة مفادها تقضي هذه المرة بقطع الماء عن أهالي المدينة وهي إحدى استراتيجيات فن الحصار(٣)،استعان السلطان بمجموعة من الخبراء والمهندسين، فأشاروا عليه بقطع مياه نهر دجلة عن الموصل إلى ناحية نينوى، وبذلك سوف يتعرض أهالي الموصل للعطش والجفاف، وحينئذ سيضطر أهلها إلى تسليم المدينة بدون قتال، ولا يحصل ضرر؛ ولكن بعد دراسة الخطة تبين لهم أنه لا يمكن قطع الماء بشكل كلي عن المدينة؛ وإنها تحتاج إلى مدة طويلة وتعب كثير ولا فائدة في ذلك، لذلك فشلت تلك المحاولة أيضا وتراجعوا عن خطتهم(٤).

ومن الأمثلة التي وردت في مرويات إبن الأثير حول استخدام الحيلة في استسلام المدن المنيعة أثناء الحصار هو ما أورده في حوادث سنة (٥٨٣هت/ ١١٨٧م) عندما حاصر الجيش الأيوبي بيروت وكانت من أحصن مدن الساحل وأمنعها، فقد أظهر أهلها قوة كبيرة وقاتلوا على سورها قتالاً شديداً، والجيش الصليبي كان يقاتل بضراوة، تمكنت القوات الأيوبية من خداع أهلها بأن بثوا بينهم، من أخبرهم بأن المسلمين قد دخلوا البلد

---

(١) التذكرة الهروية، ص ص٢٣-٢٥

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٤٤.

(٣) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٦٣.

(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٦٦—٣٦٧؛ ابو شامة، الروضتين، ٣/ ١٤٨—١٤٩؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ٢١٩—٢٢٠؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢/ ٩٣؛ اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه، خليل المنصور، (بيروت: ١٩٩٧)، ٣/ ٤١٨—٤١٩.

من الناحية الأخرى عنوة، وبذلك انتشر الذعر والفوضى بينهم، فلم يجدوا إلا أن أرسلوا من يطلب الأمان واتفقوا على تسليم المدينة بعد أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وكانت مدة الحصار ثمانية أيام(١).

استنادا إلى النصوص التأريخية؛ فإن بعض الحُصر كانت تتكرر على بعض المدن والحصون لأكثر من مرة، ومع عمليات التكرار وتغيير الأساليب لم تكن تنتهي تلك الحُصر بالنجاح بسبب مناعة البلد وقوة الدفاع، فضلاً عن التعامل الصائب لقادة المدافعين مع الحصار، وبالتالي كانت الجيوش الأيوبية تضطر للانسحاب أو توقيع معاهدة صلح أو هدنة مؤقتة، وخير دليل على ذلك حصار الأيوبيين للموصل في ثلاث مرات ولم تستسلم، فتم الصلح بينهم بفضل تدخل الخلافة العباسية ووفق بعض الشروط الموقعة بين الطرفين(٢).

ولكن في أحايين أخرى كانت مسالة تغيير الخطط تنفع الأيوبيين في فتح الحصون وتفلح استراتيجيتهم في الحصار وتؤتي بنتائجها الإيجابية كما حدث عندما أراد السلطان صلاح الدين استرداد حصن الكرك فحاصره ثلاث مرات(٣) فلم يوفق في المرتين الأوليتين بسبب حصانتها وقوة الدفاع عنها(٤)، ناهيك عن إرسال الصليبيين المجاورين لها الإمدادات العسكرية لنجدتها باستمرار(٥)؛ نجحت القوات الأيوبية في سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) الاستيلاء على الحصن على أثر تغيير أسلوبها في الحصار واستخدام سياسة تجويع المحاصرين وهي إحدى أشكال فن الحصار التي لا تستطيع أية حامية الصمود في وجهها(٦)، إنتشرت المجاعة بين أهالي الحصن حيث فنيت أرزاقهم وقل عتادهم(٧) وفشلت القوات الصليبية في إيجاد الحلول للتخلص من شدة الحصار ووصف إبن الأثير حالهم إبان الحصار قائلاً:

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٩١.

(٢) ابن الاثير، ٩/٣٤٣، ٣٦٥، ٣٦٩؛ أبن شداد، النوادر السلطانية، ص ص١١٩-١٢٠؛ ١٧٢؛ شبارو، السلاطين، ص ص١٤٧—١٤٨.

(٣)حاول السلطان نور الدين محمود مراراً الاستيلاء عليها قبل صلاح الدين لا أنه لم يقدر على ذلك بسبب حصانتها، وبعد فتح مصر تعاون مع نائبه صلاح الدين في السيطرة عليها لكنهما لم يفلحا في ذلك أيضا. وبعد وفاته قرر صلاح الدين السير على خطاه، ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ق٢، ج٢، ص٧٠؛ حسين، الجيش الايوبي، ص٢٣٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٠/ ٣٥٧؛ ابن العديم، زبدة حلب، ص ص٣٩٧-٣٩٨؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ق٢، ج٢، ص ص٧٢-٧٣؛ ابو الفداء، المختصر، ٣/ ٦٦.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٦٠—٣٦١؛ ابو شامة، الروضتين، ٣/ ١٣١؛ أبو الفداء، المختصر، ٣/ ٦٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤/ ٦١.

(٦) سبولر، حصار، تحرير، احمد الشنتناوي واخرون، موجزدائرة المعارف الاسلامية، (الشارقة: ١٩٩٨)، ١٣/ ٣٩٦٤.

(٧) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القشي، ص١٤٣؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٢٨؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٧١.

((وأكلوا دوابهم وصبروا حتى لم يبق للصبر مجال))[١]، فاضطروا إلى الاستسلام وطلبوا الأمان فأجابهم صلاح الدين إلى ذلك[٢].

لجأ بعض السلاطين والملوك الأيوبيون في مرحلة ما بعد صلاح الدين[٣] في سياستهم الحربية إلى نوع آخر من الحصار وهو الحصار الدبلوماسي أو (الحصار المعنوي) القائم على التخويف وبذل الوعود دون الحاجة إلى تطويل الحصار واستمرار القتال الذي سيخلف الكثير من الضحايا.

في سنة (٥٩٢هـ/ ١٠٩٥م) حاصرت القوات الأيوبية المكونة من حلف الملك العزيز عثمان وعمه الملك العادل مدينة دمشق، ولم يستطيعوا الاستيلاء عليها فلجئا إلى أسلوب الترغيب والاستمالة[٤] ونجحا في إستمالة أحد أمراء الملك الأفضل علي وهو أبو غالب الحمصي[٥] الذي كان يحرس الباب الشرقي للمدينة، ففتح لهم الأبواب، ودخلت قواتهم مدينة دمشق، وقد لاحظ الملك الأفضل أن المقاومة لا تجدي نفعاً، فخرج للقاء أخيه الملك العزيز وعمه الملك العادل فطلبا منه تسليم مدينة دمشق إليهما، وأن يتوجه هو إلى صرخد[٦].

وبعد ثلاث سنوات أيضا تم استخدام أسلوب الحصار المعنوي مرة أخرى فبعد وفاة الملك العزيز عثمان سنة (٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، حاول الملك الأفضل استعادة دمشق من عمه العادل لذلك اتفق مع أخيه الملك الظاهر صاحب حلب، والملك أسد الدين شيركوه صاحب حمص على استرداد دمشق، وبذلك فرض هو وحلفاؤه حصاراً على دمشق استمر لمدة ستة أشهر، دون التفكير في اقتحامها، وحاولوا أن يتبعوا سياسة الترهيب والضغط على الطرف المحاصر، وأقاموا معسكراً هناك وأوشك الملك العادل على الاستسلام[٧]؛ ثم نجح

---

(١) الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٢٠.

(٢) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القشي، ص١٤٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٢٠؛ ابن العديم، زبدة حلب، ص٤١٧؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٢٨.

(٣) الشريدة، التنظيمات العسكرية، ص ص٢٠١—٢٠٢.

(٤) الهرثمي، مختصرسياسة الحروب، ص ٥٧.

(٥) ابو غالي الحمصي: كان أحد الاشخاص المقربين من الملك الافضل وكثير الإحسان إليه حيث كان يعتمد عليه كثيراً ويثق به إلى درجة أنه سلمه أحد أبواب دمشق ويعرف بالباب الشرقي للدفاع عنها. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٩٦.

(٦) صرخد: قلعة حصينة من اعمال دمشق ملاصقة لبلاد الحوران، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ١٨٤.

(٧) ذكر ابو شامة: ((وعلى الجملة فما ظهر منهم صنع إلا في قطع الماء، ومنع الميرة، والمضايقة الكثيرة، وإحراق البساتين، وتخريب الطواحين، حتى انحسمت المواد، وفنيت في البلد الازواد، اضطروا إلى التسليم، واضطربوا على التأخير والتقديم، فتسلط الرعية على الملك العادل، وحملوه على التسليم والاستسلام))، الروضتين، ٤/ ٢٦٤.

مرة اخرى في إستمالة أمراء الملك الأفضل والظاهر إلى جانبه وأعطاهم الأموال مع استخدام سياسة فرق تسد وزرع الشقاق بين الأخوين الأمر الذي دفعهما إلى رفع الحصار عن دمشق والعودة إلى بلادهما في (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م)[١]

إستمر الأيوبيون في الركون إلى سياسة الاستمالة اثناء محاصرتهم للكثير من المناطق والمدن والقلاع المتفرقة على تخوم الدولة الأيوبية، وهي سياسة أكسبتهم الكثير من الانتصارات وبأقل التضحيات، ظهر ذلك أيضا في اليمن سنة (٦١١هـ/ ١٢١٤م) فبعد وفاة الملك الناصر بن الملك المعز إسماعيل بن سيف الاسلام بن طغتكين، إضطربت الأوضاع هناك ،فطلب السلطان الملك العادل من إبنه وولي عهده الملك الكامل محمد في إرسال ولده الملك المسعود اطسيس إلى اليمن سنة (٦١٢هـ/ ١٢١٥م) في جيش كثيف وكان في اليمن سليمان بن تقي الدين الملقب بالصوفي[٢] الذي استبد بالحكم في اليمن[٣]، وصلت قوات الملك المسعود إلى اليمن وحاصرت حصن تعز فلقي مجابهة عسكرية من المعارضة، ولما شعر بأن الحصار المستمر لن يأتي بنتائج مرضية، اتجه الملك المسعود إلى أسلوب الاستمالة وأرسل يطلب من العساكر اليمنية مساعدته مقابل إعطائهم الأمان وبعض الامتيازات، فاستجابوا له وقبضوا على سليمان بن تقي الدين وملك المسعود أطسيس اليمن[٤].

وبالانتقال إلى عهد السلطان الملك الكامل وتحديدا في سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) يلاحظ بأن الأيوبيين طبقوا طريقة جديدة للحصار ضد الصليبيين، وذلك بمحاصرتهم حصارا مائياً وذلك لما حاول الصليبيون بعد السيطرة على دمياط، التوغل إلى داخل العمق الاستراتيجي المصري؛ إذ قطع الأيوبيون خط الامدادات على الصليبيين بعد أن حاصروا قوة كبيرة من جيشهم وكان البحر هائجاً والموسم في تلك الفترة هو وقت الفيضان، فدخلت القوة الصليبية إلى تلك المنطقة دون أن تعلم بأن الماء سيفيض من حولهم،

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٥١٣- ٥١٤؛ ابن العديم، زبدة حلب، ص٤٣٨؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٢٦٢—٢٦؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ٩٨—١٠٠؛ ابن فرات، تاريخ ابن فرات، مج٤، ج٢، ص ١٥٤؛ شفان ظاهر عبدالله الدوسكي، الملك الافضل علي بن صلاح الدين الايوبي دراسة في دوره السياسي ومجهوده العسكري والحضاري (٥٦٥-٦٢٢هـ/١١٦٩-١٢٢٥م) رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب، قسم التاريخ، جامعة دهوك، ٢٠٠٤، ص ص٩٨—٩٩.

(٢) بعد أن قتل الملك المعز إسماعيل طغتكين سنة (٥٩٨هـ/ ١٢٠١م) في اطراف زبيد ،اعتلى عرش اليمن أخوه الناصر بن طغتكين وكان صغيراً فقام اتابكه سليمان بن تقي الدين بحكم في اليمن سنة (٦١١هـ/ ١٢١٤م) وكان حكمه ضعيفاً وعمت الفوضى والاضطرابات اليمن وسرعان ما استبد بالسلطة. أبو شامة، الذيل، ٥/ ١٣٣؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية تحقيق، محمد بن علي الاكوع الحوالي، (صنعاء: ١٩٨٣)، ١/ ٣٨؛ الهمداني، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق، ركس سمث، (كمبرج: ١٩٧٣)، ص ص١٥٨—١٥٩.

(٣) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص ٢٩٧؛ الخزرجي، العقود الؤلؤية، ١/ ٣٠—٣١؛ الزبيدي، قرة العيون،بأخبار اليمن الميمون،تحقيق،محمد بن علي الاكوع الحوالي، (صنعاء: ١٩٨٨)، ص٢٩٢؛ الهمداني، السمط الغالي، ص١٦٧.

(٤) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ،ص١٣٧؛ الزبيدي، قرة العيون، ص٢٩٣.

فاستغلت العساكر الأيوبية تلك الفرصة وفتحت عليهم الترع والجسور، وحاصروهم من كل الجهات وجاء أسطولهم فأخذوا مراكب الصليبيين[١] ومنعوهم أن يصل إليهم الميرة من دمياط، كان عدداً كثيراً بلغ ثمانية مائة من الخيالة المعروفين وأبرزهم الكاردينال بلاجيوس[٢] ومن الرجالة ما لا يحصى. فاضطرت الحامية بعد أن أشرفوا على الهلاك إلى مراسلة الملك الكامل وطلبوا الصلح مقابل تسليم دمياط[٣] فوافق السلطان الملك الكامل على طلبهم حرصا على استعادة دمياط[٤].

بعد وفاة الملك المعظم عيسى (٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م) وتولى ولده الملك الناصر داود حكم دمشق، طمع السلطان الملك الكامل بدمشق وحاول أن ينتزعها منه، فكون حلفاً مع أخيه الملك الاشرف وقدموا دمشق وحاصروها سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ثم قطعوا الماء عنها ،مما أدى إلى جفاف البلد واستعمل أهلها مياه الآبار، كما أمر الملك الكامل الملك الاشرف بنهب البساتين وحرقها، فساءت الأحوال المالية[٥] وضاق الملك الناصر بالحصار ذرعاً، في حين هبطت معنويات مقاتليه لعدم صرف أجورهم المترتبة عليه ولكي يعالج ذلك النقص ويرفع من معنويات جنده ،اضطر حسب قول إبن الاثير: ((إلى أن باع حلي نسائه وملبوساتهم))[٦]. فساعده ذلك على أن يستبسل جنده في الدفاع عن المدينة، ومنعها من السقوط في تلك المرحلة على الرغم من قوة الحصار، وعنف هجمات التحالف، فأبدى الناس تعاطفهم واعلنوا ولاءهم للملك الناصر داود[٧].

صور إبن واصل مشهد الحصار المشار إليه قائلاً: ((وكنت في أكثر الاوقات أصعد مع جماعة على منارة دمشق، ونشاهد القتال، فكان ربما كر الدمشقيون على العسكر المصري، وطاردوهم وأنكلوا فيهم. وحرقت مواضع للبلد، وطالت المدة إلى آخر رجب من

---

(١) كانت ثلاث قطع فيها رجال وأموال وسلاح ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٦٥٨.

(٢) الكاردينال بلاجيوس: اسباني الاصل، الذي انتدبته كنيسة روما للاشراف على الحملة الصليبية الخامسة، للمزيد ينظر، محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، (القاهرة: ١٩٦١) ص ص٤٦، ٥٥.

(٣) للتفصيل عن هذه الحادثة ينظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٦٥٧—٦٥٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،٢٢/ ٢٥٧—٢٥٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٣٤٠؛ ابن العميد، أخبار الايوبيين، ص ص١٣٥—١٣٦؛ الحمبلي، شفاء القلوب، ص ص٣٠٦—٣٠٧؛ زيادة، حملة لويس التاسع، ص ص٤٥—٥٩.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٢/ ٢٥٩؛ مؤلف مجهول ،تاريخ دولة الاكراد، ص٣٤٠.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٧٨٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص ٣٧٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ٢٥٣؛ الايوبيين، ص١٦؛ الصائغ، عصر الملك الكامل ، ص٣٥.

(٦) الكامل في التاريخ، ٩/ ٧٨٣.

(٧) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ق٢، ج٢، ص٢٤٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ٢٥٣.

هذه السنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، فاشتد ذلك على أهل دمشق لإقبال الصيف، وعدم الفواكه عندهم، وغلاء السعر))[١].

عندما وجد الملك الناصر داود عدم قدرته على الاستمرار في مقاومة الحصار، قرر طلب الصلح والتوجه إلى عمه الملك الكامل، واتفقوا على تسليم المدينة مقابل بعض الشروط[٢] وسلمها هو بدوره للملك الاشرف حسب الاتفاق المبرم بينهما، وقبيل وفاته حاصرها السلطان الملك الكامل مرة أخرى في سنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) وقد اشتد الحصار في هذه المرة على أهل البلد، بسبب الشتاء والبرد فاضطر صاحبها الملك الصالح إسماعيل إلى تسليمها لأخيه الكامل[٣].

ويحسن بنا القول هنا بأنه كانت هناك قلاع وحصون لها دور عسكري استراتيجي مهم؛ وذات تأثير على مسار الحرب بين الأيوبيين والصليبيين مثل حصن الأكراد[٤]، وبقائه بيد الصليبيين كان يمثل تهديداً للمدن والمواقع الإسلامية التي كان يطل عليها، ولاسيما مدن حمص وحماة القريبة منه؛ لم تستطع الدولة الأيوبية السيطرة عليه[٥] على الرغم من حصارهم له، لانه كان واحداً من أمنع الحصون، وأهم المعاقل الصليبية العسكرية الهامة والتابعة لإمارة طرابلس الصليبية، ومثل الحصن روعة في الفن المعماري العسكري في القرنين (٦ و٧هـ/ ١٢ و١٣م) لانه كان يتمتع بحصانة ومتانة كبيرة، ويتكون من عدة طبقات متسلسلة الواحدة تلو الأخرى، أولها، خندق حول الحصن، وثانيهما سوران الأول خارجي والثاني داخلي وثالثهما: ثلاثة أبراج كبيرة ومستديرة تشرف على الدفاعات الخارجية كان كل منها بمثابة قلعة صغيرة، وكان السور الداخلي أكثر ارتفاعاً من السور الخارجي الملاصق له مما مكن المدافعين من صد المهاجمين الأيوبيين في الوقت

---

(١) مفرج الكروب، ٤/ ٢٥٣.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٧٨٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/ ٦٥٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص ٣٧٧؛ ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص١٦.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/ ٧٠٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص ص٤١٤—٤١٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ١٥٢؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢/ ٣٢٨.

(٣) عماد الدين الاصفهاني، البرق الشامي، ٢٣/٥-٢٤؛ ابو شانة، الروضتين، ٧٥/٣؛ الرهاوي المجهول، تاريخ الرهاوي، ص٢٢٤.

(٤) حصن الأكراد، وهو حصن منيع شيد فوق قمة جبل مرتفع شرق مدينة طرطوس، يقابل حمص من جهة الغرب، ويتصل هذا الجبل بجبال لبنان، وهو بين بعلبك وحمص، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٢٦٤).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤١٠؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨٦؛ أبو شامة، الروضتين، ٥/٤.

نفسه كانت قاعدة لشن الهجمات على أملاك المسلمين في بلاد الشام[١]. حاول سلاطين وملوك الدولة الأيوبية مرات عديدة الاستيلاء على ذلك الحصن، ولكن لم يفلحوا في ذلك وبقى بيد الصليبيين إلى عهد المماليك[٢].

من فنون الحرب الأخرى التي اتبعها الأيوبيين في الحصار هي إفساد الماء ففي سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) عند حصارهم للقدس قال إبن شداد حول ذلك ((وتقدم إليهم (يقصد صلاح الدين) بتهيئة أسباب الحصار، وأخذ من إفساد المياه بظاهر الفرس وتخريب الصهاريج والجباب بحيث لم يبق حول القدس ماء يشرب أصلاً، وأطنب في ذلك إطناباً عظيماً، وأرض القدس لا يطمع في حفر بئر فيها ماء معين لأنها جبل عظيم، وحجر صلب، وسيّر إلى العساكر يطلبها من النواحي والبلاد))[٣].

يلاحظ من خلال إحصاء رقمي بأن بلغ عدد مرات حُصر أو حصارات الأيوبيين في عهد صلاح الدين نحو خمسين حصاراً. وفي عهد خلفائه كان نصف العدد تقريباً[٤]، أما الحُصر الداخلية التي كان سببها الانقسامات الأيوبية فإنها بلغت حوالي عشرين حصاراً. وقد نجحوا في أكثرها وفشلوا في أقلها[٥]. الجدير بالقول أن عمليات الحصار لم تكن فردية، بل شارك فيها عدة مجموعات واختصاصات كملت كل واحدة منها الاخرى في عملية مرابطة ومنسقة، ويمكن توضيح ذلك من خلال الهرم التالي:

---

(١) زكي، القلاع، ص٧٤. Robin Feddan and John Thomson Crusader Ccastles, (London: 1957). P 86.
مصعب حمادي نجم، حصن الاكراد ودوره في الصراع الإسلامي الصليبي، مجلة كلية العلوم الإسلامية قسم الحضارة الإسلامية جامعة الموصل، مج (٦)، ع (٤) سنة ٢٠٠٨، ص ص ٢٤٣—٢٤٤.

(٢) زكي، القلاع، ص٧٤؛ نجم، حصن الاكراد،ص٢٥٢، اليسيف، حصن الاكراد، موجز دائرة المعارف، ص ص٤٠١٢-٤٠١٣

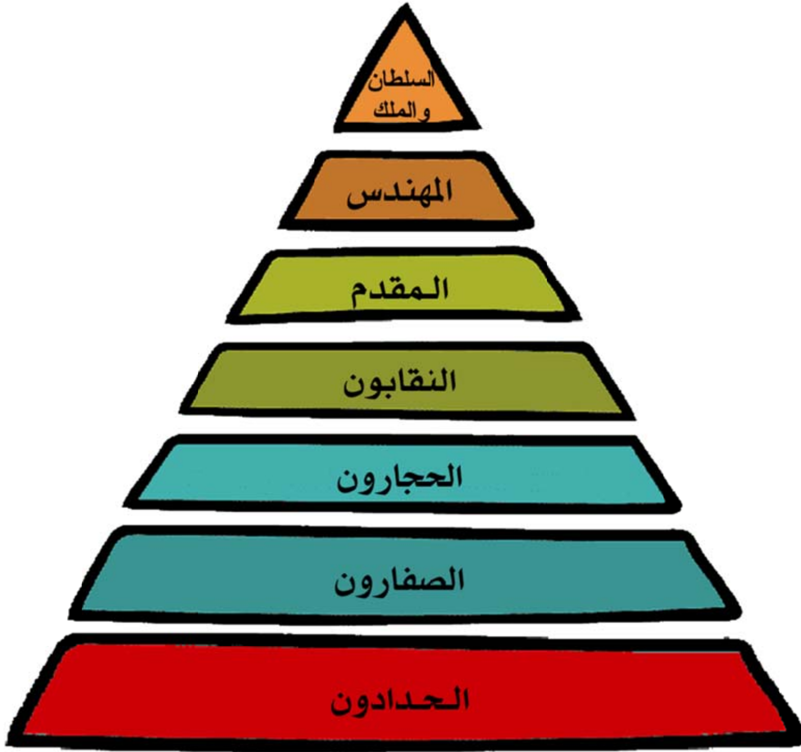
(٣) النوادر السلطانية، ص٣٢٠.

(٤) ينظر ملحق رقم (٤)، ص٣٤٥

(٥) ينظر ملحق رقم (٥)، ص٣٤٨.

المخطط رقم (٨)

هرم تراتيبية المشاركين في العمليات العسكرية



بالإضافة إلى هؤلاء فإن عملهم لا يكمل إلا بوجود ألاسلحة وآلات الحصار، ومن أشهرها المنجنيق والدبابة وكذلك السلالم والنشاب، والطارقيات... الخ. وبهذا الشكل فإن الاستراتيجية المتبعة في أسلوب الحصار هي الهجوم وأن الفئات المشاركة (البشرية) في الحصار وأدواته (المادية)، وعامل التضاريس والمناخ هي التي تهدف وتحدد مسألة الحصار وجعل العدو يستسلم أو يهادن.

المخطط رقم (٩)

الترتيب الهرمي لآلات الحصار



ثانيا- التحصينات والمنشآت الدفاعية:

وهي عبارة عن مجموعة من المنشآت والستائر والموانع تقام لتقوية موقع ما وحمايته من الهجمات الخارجية، وتعد إحدى الأساليب الاستراتيجية الدفاعية المهمة، والأساسية لدرء الخطر وضمان العيش في أمن واستقرار، وعليه فإن مدى عسكرية الدولة ونضجها الحربي يعتمد على تحصيناتها[1].

التحصينات من أبرز الآثار التي خلفها الإنسان منذ أقدم العصور نظراً لضرورتها في الوقاية والدفاع والحماية من الاعتداءات والغارات[2]، إلى جانب الاستفادة من القوة الموصدة المتمركزة في الموقع المحصن، فضلاً عن دورها في منع العدو الاستفادة من إمكانياته العسكرية ويجعل ذلك عائقاً أو مانعاً في تحقيق أي حصار أو تفوق أو تقدم[3].

---

(١) عثمان، التحصينات الحربية، ص١٣٣؛ ماهر، العمارة الإسلامية على مر العصور، (جدة: ١٩٨٥)، ٢/ ٨٥٩.

(٢) عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، (القاهرة: ٢٠٠٠)، ص٨٢؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص١٣٣.

(٣) محمد بن العنابي، السعي المحمود في نظام الجنود، (بيروت: ١٩٩٠)، ص١١٣؛ بولعراس، فن الحرب، ص ص٨١—٨٢؛ للمزيد عن الدواقع التي أدت إلى تشييد التحصينات ينظر: عثمان، التحصينات الحربية، ص ص١٣٤—١٣٦.

لذلك يمكن القول أن فكرة بناء القلاع والحصون، وتحصين المدن بالأسوار والأبراج قديمة جداً، فقد توالت الشعوب والحضارات على بنائها منذ القدم، وكانت ترتكز إلى القوة التي أبدعها الفكر الإنساني في تسخير الطبيعة لحماية نفسه من الأخطار الخارجية التي قد يتعرض لها ولتأمين الظروف لها للصمود والاستمرار في الحياة[١]. بناءً على ما تقدم يكون تفسير بناء قلاع الحصون على اساسين:

أ- عسكري، بمعنى تحصين المكان وإعداده للدفاع عن المنطقة ما وحمايتها من الأداء.

ب- مدني باعتباره المكان المخصص للسكن.

وقد جاء تعريف التحصينات الحربية في المعاجم الإنكليزية على أنها مجموعة من الأبنية المحصنة الضخمة ذات أسوار سميكة وأبراج محصنة للدفاع عنها ضد هجمات أعدائها[٢]. وتنقسم التحصينات إلى قسمين:

الاول، وهي التحصينات الثابتة، أي التحصين الدائم والذي يقام في وقت السلم وتشمل الأسوار والمداخل والأبراج[٣] والممرات الخارجية والخنادق والمزاغل[٤]. أما الثاني، فهي التحصينات الميدانية غير الثابتة حيث تفرض الظروف الحربية نفسها لإقامتها وتستخدم غالباً في حالة الاشتباك والحروب والمواجهة المباشرة مع العدو[٥].

إنعكس روح الجهاد والحروب ضد الصليبيين على العمائر الحربية في العصر الأيوبي[٦]. فقد أولت الدولة الأيوبية عناية فائقة بالمنشآت التحصينية الدفاعية نظراً

---

(١) رنسيمان، الحروب الصليبية، ٣/ ٦٢٥–٦٢٦؛

Thr Encyclopedia of Americanan, (Donbury: 1986), Vol 5. P 786 – 787.

(2) Clavence Lewis Barbhart, The world Book Encyclopida Dictionary, (U.S.A: 1963), P 301; Oxford English Dictionary, Clarendon Press, (oxford: 1970), P 162.

(٣) مفردها البرج: عبارة عن عنصر معماري حربي مهم مربع أو مستدير يبرز عن السور المتصل به سواء كان لحصن أو قلعة. وهو جزء من التحصينات الدفاعية مزودة بغرف علوية صغيرة لقذف النار ورمي السهام وصب السوائل المشتعلة. (رزق، معجم المصطلحات، ص٨٢؛ ماهر، العمارة الحربية، ٢/ ٢٨١).

(٤) مفردها المزغل: فتحة ضيقة في سور المدينة أو القعلة أو الحصن أو البرج أو البوابة تطلق منها الرماح والسهام وغيرها من المقذوفات على الهاجمين، كما تستخدم في نفس الوقت منفذاً للتهوية والإضاءة والمراقبة، فهي ضيقة من الخارج ومتسعة الداخل لتمكين المكلف بالحراسة فيها من قذف رماحه وسهامه على المهاجمين لها في سهولة ويسر. (رزق، معجم المصطلحات، ص٢٧٧)

(٥) العنابي، السعي المحمود، ص١١٤؛ بولعراس، فن الحرب، ص٨١.

(٦) أحمد عبد الرزاق أحمد، العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العسر المملوكي (٢١–٩٢٣هـ/ ٦٤١–١٥١٧م)، (القاهرة: ٢٠٠٩)، ص١٣٢.

للخارطة الحربية وموازين القوى آنذاك والصراعات والانقسامات الداخلية، والجدير ذكره أن العمارة العسكرية الإسلامية ترتبط بالتأريخ السياسي ارتباطاً وثيقاً[(١)].

يمكن القول أن بناء التحصينات والاستحكامات الحربية لم تكن عفويةً؛ وإنما تتطلب ذلك دراسة ومعرفة محكمة لاختيار الأرض أو المكان الاستراتيجي لكي ينجز عليها، وإن عملية التحصين تحتاج إلى مجموعة من التقنيات يجب مراعاتها[(٢)].

وتأثر الطراز المعماري الأيوبي بالطراز المعماري الفاطمي والسلجوقي، كماتأثر إلى حد كبير في تحصيناته الحربية بقواعد الفن الحربي المعماري الصليبي المستمد من الفن الفرنسي بوجه خاص[(٣)].

تجلى بعد نظر سلاطين الدولة الأيوبية في فن الحرب وأدركوا ضرورة الاهتمام بتحصين دولتهم وكان العصر الذهبي لبناء الحصون الإسلامية[(٤)]، وقد بدأ بذلك مؤسس الدولة صلاح الدين حيث إهتم بتحصين مدن مصر بما فيها القاهرة وثغور الديار المصرية ومداخلها وهي الإسكندرية ودمياط ورشيد وتنيس[(٥)]، لذلك فقد أدرك صلاح الدين أن تأمين حدود مصر الشمالية من الصليبيين لابد من تحصين ثغري دمياط والإسكندرية وغيرها، لذلك جعل هذين الثغرين موضع اهتمامه، وحرص على تحصينه ففي سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) توجه إليها لتفقد على تحصيناتها الحربية، ومنها توجه إلى ثغر الإسكندرية ليتفقد تحصيناتها الحربية أيضاً[(٦)]. وفي ذلك قال عمادالدين الأصفهاني: ((شاهدنا ما استجده السلطان من سور الدائر، وما أبقاه من حسن الآثار والمآثر وما أنصرف حتى أمر بإتمام الثغور))[(٧)].

---

(١) باسل مطانس كاسوحة، انظمة الدفاع وتقنيات البناء للعمارة العسكرية دراسة مقارنة بين العصر الأيوبي في بلاد الشام وعصر المرابطين والموحدين في الاندلس، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ، جامعة البعث، حلب، ص١١٧.

(٢) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص ص٦٠–٦٣؛ ابن خلدون، مقدمة، ص٣٣٩.

(٣) الحويري، الأوضاع الحضارية، ص١٨٧؛ زكي، القلاع، ص٥٠؛ علياء عكاشة، العمارة الإسلامية في مصر، (الجيزة: ٢٠٠٨)، ص٣٠.

(٤) طالب عبد الفتاح الصوافي، القلاع في شمال فلسطين في فترة الصراع الفرنجي الاسلامي، (عكا: ٢٠٠٠)، ص٥٧.

(٥) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٢٥؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٣٥.

(٦) البنداري، سنا البرق الشامي، ص٤٩؛ ابو شامة، الروضتين، ٢/ ٢٩٤؛ عبد الله كامل موسى عبده، الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية في عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، مج (٤)، ع (٤)، سنة ١٩٩٥، ص٢٥٨.

(٧) أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٢٩٥.

لم يتوقف الأيوبيون بعد وفاة صلاح الدين في تحصين دمياط بل استمروا وازدادوا في العناية بها، فنشط إبنه السلطان الملك العزيز عثمان سنة (٥٩٢هـ/ ١١٩٥م) في تحصين سور دمياط[١] وبناء الابراج فيها، وقد ذكر إبن نظيف الحموي ذلك بقوله: ((جد في نقض الأهرام ورمى أحجارها في البحر إلى دمياط ليبني بها أبراجاً))[٢].

بفضل تلك التحصيات إستطاعت دمياط أن تصمد بوجه الصليبيين في عهد الملك الكامل الأيوبي ففي الحملة الصليبية الخامسة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) طال الحصار عليها ستة عشر شهراً واثنتين وعشرين يوماً ،حيث لعب برج دمياط دوراً فعالاً جداً في هذا الحصار، فضموا على الضفة الغربية للنيل المواجهة لدمياط وحفروا حول معسكرهم خندقاً وأقاموا عليه سوراً وشرعوا في القتال[٣].

في عهد الملك الصالح إبان قدوم الحملة الصليبية السابعة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٨م)، نزل الصليبيون إلى دمياط أيضاً للمرة الثالثة؛ علماًبأن السلطان الأيوبي قام بإصلاحات عديدة في دمياط وهي إصلاح أسوارها وتدعيمها وجعل الستائر على السور، هذا بالإضافة إلى أنه شرع في تحديد عمائر المنصورة وأسوارها. وتمكنت هذه المرة أيضاً الصمود والمقاومة في وجه الصليبيين[٤]، وبذلك فإن المؤرخ المعاصر للدولة الأيوبية أبو شامة يعطي صورة واضحة عن تحصينات دمياط فذكرأن برجها كان عالياً مبنياً بين دمياط والبر الغربي في الوسط، ومن ناحيته سلسلتان إحداهما على النيل إلى دمياط والأخرى على النيل إلى البحيرة، فيمنع كل سلسلة عبور المراكب من ناحيتها إذا أريد ذلك قتال العدو، فهو قفل الديار المصرية، فإذا وثقت السلسلتان امتنع على المراكب العبور إليها وحتى لم يكن السلسلة عبرت المراكب وبلغت إلى القاهرة ومصر قوس وأسوان[٥].

أما تنيس فهي من المراكز التجارية المهمة، فعندما أغار الصليبيون عليها في سنة (٥٧٧هـ/ ١١٨١٣)، واشتد على أهلها الخوف، نظراً لضعف استحكاماتها الحربية، أمر صلاح

---

(١) المقريزي، السلوك، ١/ ٢٤٩؛ الشيال، مجمل تاريخ دمياط، ص١٩.

(٢) التاريخ المنصوري، ص٥.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٢/ ٢٥٧_٢٥٨_؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الأكراد، ص٣٢٣؛ الشيال، مجمل تاريخ دمياط،٢٤ .

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٤١٢/٢٢_٤١٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الأكراد، ص ٤٦٣؛ عاشور، الحركة الصليبية، ٢/ ٩٦١؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص١١٨.

(٥) الذيل على الروضتين، ٥/ ١٦٦.

الدين رجاله بعمارة قلعة تنيس وتجديد الآلات بها[١]، فقدروا ((لعمارة سورها القديم على أساساته الباقية مبلغ ثلاثة آلاف دينار))[٢].

استنادا إلى المصنفات التأريخية يمكن القول أن القاهرة كانت خالية من قلعة تحميها وقد بدأ العمل بها بعد أن عاد صلاح الدين إلى مصر سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) عائداً من الشام، إلا أن بناءها لم تكتمل خلال حكمه سوى هيكلها والبئر الحلزوني الذي حفر في الصخر داخل القلعة، وبعد أن تم تخطيط القلعة أمر ببناء سور يحيط بالقاهرة[٣]، شاهد الرحالة إبن جبيرلدى مروره بمصر بعض عمليات البناء ،فبهرته طريقة إقامتها وحفر خندقها حيث ذكر ((وشاهدنا بنيان القلعة وهو حصين يتصل بالقاهرة حصين المنعة... ويمد سوره حتى ينتظم بالمدينتين مصر والقاهرة، والمسخرون في هذا البنيان والمتولون لجميع امتهاناته ومؤونته العظيمة كنشر الرخام وتحت الصخور العظام وحفر الخندق المحدق بسور الحصن المذكور وهو خندق ينقر بالمعاول نقراً في الصخر عجباً من العجايب الباقية الآثار))[٤].

لم تكتمل القلعة في عهد صلاح الدين بدليل ما قاله أبو شامة: ((وتوفي السلطان وقد تبقى من السور مواضع والعمارة فيه مستمرة ووظائف نفقاتها مستدرة))[٥]؛ ولكن في عهد الملك الكامل إكتمل عمارتها وعمارة أبراجها في سنة (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م) بنى الملك الكامل في القلعة أيواناً وباباً للقصور السلطانية وباباً يصل لحصن القلعة، وبنى كذلك الاسطبلات السلطانية، وبعض الأبراج وإبراج الحمام، وأضيفت إلى القلعة أبواب أخرى بالإضافة إلى باب المدرج وهو باب القرافة وباب السر وغيرها، وقد أحاط.... الكامل بالقلعة سوراً اقل ارتفاعاً من سورها الأول ثم أعدها للحكم[٦].

لم تقتصر اهتمامات الأيوبيين في القاهرة على بناء قلعتها فقط وتحصينها، بل امتد هذا الأمر إلى اهتمامهم بتحصين مدينة القاهرة من خلال إقامة سور يضم حواضرها (القسطاط والقاهرة وما بينهما من عمران) مع إقامة قلعة تتوسط ذلك السور، وهو ما خطط له مؤسس الدولة الأيوبية بدليل ما أورده عماد الدين الاصفهاني

---

(١) المقريزي، الخطط، ١/ ٣٣٢؛ عبده، الاستحكامات الحربية، ص٢٥٩.

(٢) المقريزي، الخطط، ١/ ٣٣٤.

(٣) أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٢٩٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٥٢؛ عبد الرحمن زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة، (القاهرة: ١٩٦٠)، ص ص٢—٦.

(٤) رحلة ابن جبير، ص ص٢٣—٢٤.

(٥) الروضتين، ٢/ ٢٩٣.

(٦) المقريزي، الخطط، ٢/ ٢١٣—٢٢٠؛ زكي، قلعة صلاح الدين، ص٨؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص١٧.

بحوادث سنة (٥٧٢هـ/١١٧٩م) حيث قال ما نصه: ((لما ملك السلطان صلاح الدين مصر وأتاه الله على الأعداء بها النصر رأى أن مصر والقاهرة لكل واحدة منها سور لا يمنعها. ولا قوة لأهلها لتحميها وتردها وقال، لو أفردت كل واحد بسور احتاجت إلى جند مفرد ونظر مجدد، والرأي أن أدير عليها سوراً واحداً من الشاطئ إلى الشاطئ، ثم يتكل من حفظهما على الله الكالئ. فأمر ببناء قلعة في وسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المعظم فابتدأ من ظاهر القاهرة ببرج في المقسم وأنهى به إلى أعلى مصر ببروج وصلها بالبرج الأعظم))[1].

لقد تألف سور صلاح الدين من ثلاثة أنواع من أبراج الرماية وهي حجرات تتخلل جسم السور بها فتحة مزغليه بهدف زيادة القوة الدفاعية[2]. وتتخلل سور صلاح الدين عدة أبواب على طول السور مثل باب مصر بناه بهاء الدين قراقوش وباب الصفا بالإضافة إلى بابين آخرين وهما، باب الساحل وباب القنطرة[3].

حتمت الضرورة العسكرية أنشاء حصن المنصورة من قبل السلطان الملك الكامل سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) عندما احتل الصليبيون دمياط حين نزل فيها، وشيد فيها قصره ونصب الأسواق وأدار عليه سوراً محاذي البحر وستره بالآلات الحربية والستائر، ولم يزل السلطان يتحصن بها حتى إنتصر على الصليبين[4].

لكي يأمن السلطان الملك الصالح أيوب على نفسه وحكمه، شرع بإنشاء قلعة بالروضة في سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) والتي عرفت بقلعة جزيرة الروضة[5] وكانت قلعة عظيمة واستمر في بنائها إلى سنة (٦٤١هـ/ ١٢٤٢م) وبعد اتمامها جعلها سكناً له ولمماليكه وكانت القلعة كما وصفها المقريزي ((من أجمل مباني الملوك))[6] ترك المعسكر الأيوبي قلعة الجبل وأقام في قلعة الروضة، ولتأمين القلعة من الخارج، فقد أحاطها الملك الصالح بعدد من المراكب الحربية للدفاع عنها في حالة تعرضها للهجوم. وأقام جسراً من القاهرة

---

(١) البنداري، سنا البرق الشامي، ص٤٩.

(٢) عزب، أسوار وقلعة، ص١٧.

(٣) المقريزي، الخطط، ٢/ ٦٧، ٣/ ٣٩، ٢٦٢؛ عزب، أسوار وقلعة، ص٢٠.

(٤) المقريزي، السلوك، ١/ ٢٩٥؛ عبده، الاستحكامات الحربية، ص ٢٦١.

(٥) فضلاً عن اسم الروضة تسمى أيضاً بقلعة المقياس، وبقلعة الصالحية وقلعة الجزيرة وقلعة جزيرة فسطاط، ينظر: ابو الفدا، المختصر، ص٢٠٣؛ المقريزي، الخطط، ٣/ ٣٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ٣٤١.

(٦) السلوك، ١/ ٤٤٣.

إلى الروضة يمر عليه الأمراء وغيرهم إذا جاءوا إلى الخدمة. وقد انفق أموالاً طائلة في بناء القلعة[(١)].

وبأمر من السلطان صلاح الدين سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) شرع ببناء قلعة عجلون[(٢)] وكان سبب بنائها هي الحفاظ على خطوط المواصلات بين دمشق وساحة العمليات الحربية ببيت المقدس وذلك؛ لأن هذا الطريق حيوي بالنسبة للجيوش، بالإضافة إلى ذلك فأن مراقبة تحركات الصليبيين في الجزء الشمالي في فلسطين وخاصة أنهم أقاموا قلعة كوكب الهوى من بيسان وطبرية بهدف منع أية حركة توسعية لهم في المنطقة[(٣)].

على هذا النحو فقد اختاروا موقعا استراتيجيا مهما لتحقيق ما يهدف إليه السلطان وبنى عجلون على قمة جبل عوف[(٤)] وعليه من خلالها يمكن مراقبة المنطقة الممتدة على طول وادي الأردن من طبرية حتى البحر الميت، كما أنه يشرف على سلسلة جبال فلسطين الممتدة من القدس إلى صفد، بالإضافة إلى إشرافه على الممرات الثلاثة التي تؤدي مباشرة إلى المناطق المرتفعة في الجانب الشرقي من نهر الأردن وهي،وادي كفرنجا في الجنوب ووادي راجب ووادي اليابس في الشمال، ولحماية الجناح الغربي لدمشق وطريق المواصلات الحيوي بين دمشق والقاهرة،ويسمى (درب الحج) وكان بناؤها على خط مواز لقلاع الكرك والشوبك وكان إيذاناً بقرب تلك القلاع من دروب سير المسلمين[(٥)].

كان ضمن الخطط الاستراتيجية الأيوبية أيضاً هي تأمين الطرق عن طريق بناء التحصينات الحربية اللازمة لحفظ الأمن وردع الأعداء إذا ما قاموا بأية تحركات عسكرية، فقد إهتم صلاح الدين بعمل مراكز محصنة في شبه جزيرة سيناء وهي منطقة صحراوية تفصل بين مصر ومملكة الصليبيين بفلسطين والممتدة إلى حدود مصر في صحراء النقب، وبذلك فأنه اراد أن يأمن الطريق الذي يصل بين مصر والشام فوجد أنه من الضروري أن يشيد قلعة في قلب سيناء في سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) واختار لها

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٣٠١؛ المقريزي، الخطط، ٣/ ٤١١؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص١١٥؛ زكي، قلعة صلاح الدين، ص١٣٦.

(٢) عجلون، حصن وربض يسمى (الباعونة) والحصن عن بلد على شوط فرس في جبل الغور قبالة بيسان، وهو حصن فسيح مشهور يظهر من بيسان وله بساتين ومياه جارية وهي شرقي بيسان وهو حصن محدث بناه عز الدين أسامة من أكبر أمراء صلاح الدين، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٥؛ ويقول ابن بطوطه (عجلون هي مدينة حسنة لها أسواق كثيرة وقلعة خطيرة) (رحلة ابن بطوطة، ١/ ٢٥٦).

(٣) فولفغانغ مولر، القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة محمد السيد جلاط، (دمشق: ١٩٨٤)، ص ص٧٤–٧٥.

(٤) جبل عوف، من جبال الشام المشهورة تشرف على الغور، القلقشندي، صبح الأعضى، ٤/ ١٠٩.

(٥) عثمان، التحصينات الحربية، ص١٥٣؛ مولر، القلاع، ص٧٥.

أرضاً مرتفعة مخروطية الشكل، فشيدها وأقام الحراس على طول الطريق بين مصر والشام ،فأعاد الأمن والسلام إلى سيناء، وقد اعتاد صلاح الدين وقادته أن يسلكوا ذلك الطريق في ذهابهم وايابهم إلى الشام ،كما سلكتها القوافل تموينية المتواصلة من مصر المزودة بالرجال والذخائر اثناء جهاده الطويل مع الصليبيين[١] سميت تلك القلعة بقلعة صلاح الدين. واشار زكي، إنه يوجد فيها لوحة منقوشة يذكر فيها اسم باني القلعة وتأريخها ((بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد خلد الله ملك مولانا الملك الناصر صلاح الدين سلطان الإسلام والمسلمين الملك يوسف بن العادل الناصري في جمادي الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة))[٢].

وتلك القلاع الحصينة لم يكن مهمتها الدفاع فقط، بالإضافة إلى وجود رجال مسلحون تسليحاً جيداً فقد احتوت على الاسطبلات الكافية، وأبراج الحمام والطواحين ومخازن العتاد والذخيرة في الأقبية داخل الأرض[٣].

وعلى هذا النحو فقد قام سيف الإسلام طغتكين بتحصين المدن اليمنية وبخاصة المدن التجارية والمؤانئ التجارية على البحر الأحمر،وأهمها مدينة زبيد، حين بنى سوراً جديداً حولها وهذا يوضح استراتيجية الأيوبيين ،بتأمين البحر الأحمر وحماية تجارته[٤].

وفي جانب آخر لم تكن بلاد الشام خارج إطار استراتجية التحصين بل على العكس من ذلك فقد أشار أحد الباحثين إلى ذلك بقوله: ((ومما يثير الدهشة أن بلاد الشام خاصة في العصر الأيوبي والمملوكي من أكثر البلاد بناء للحصون والقلاع الحربية، نظراً لتوافقها مع حاجة ذلك العصر))[٥]، حتى أطلق على ذلك العصر إسم عصر القلاع[٦].

ويمكن أن نلخص تلك التحصينات إلى ثلاثة أقسام حسب الأهمية العسكرية:-

---

(١) سعداوي، التاريخ الحربي، ص٣٨؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٣٥؛ عبده، الاستحكامات الحربية، ص٢٥٩؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص ص١٢٠—١٢١.

(٢) قلعة صلاح الدين، ص١١٨.

(٣) زكي، القلاع، ص ص٦٧—٦٨؛ للمزيد عن الدور الذي كانت تقوم بها القلاع ينظر عثمان، التحصينات الحربية، ص ص٢٢٦—٢٣٥.

(٤) ابن عبد المجيد اليماني، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى الحجازي، (صنعاء: ١٩٨٥)، ص٧٩؛ شهلا بنت سعد الخالدي، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر في العصر الأيوبي (٥٦٧—٦٤٨هـ/ ١١٧١—١٢٥٠م)، (الرياض: ٢٠١٨)، ص٦٣.

(٥) عثمان، التحصينات الحربية، ص١٣٣.

(٦) عبد الرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية مج (١٥)، ع (١٥)، القاهرة ،١٩٦٩، ص٥١.

اولاً: التحصينات الخاصة لتأمين طريق الحج المؤدي إلى بيت المقدس من يافا أو عسقلان، ومن أهمها حصن شقيف أرنون ويعرف عند العرب بقعلة الشقيف.

ثانياً: التحصينات المتعلقة بتأمين المدن الساحلية، منها حصن جبل وطرطوس وبيروت وقلعة البحر في صيدا وقلعة صور وغيرها[١].

ثالثاً: القلاع الاستراتيجية، لحماية المدن المهمة أو موقع رئيسي، وقد كانت تبنى في مكان مميز موحش منعزل تسوده العزلة من كل جانب، ومن الأمثلة على ذلك حصن الأكراد، قلعة حلب، قلعة الطور، حصن المركب، قلعة صهيون وغيرها[٢].

رابعاً: القلاع الصغيرة وهي تعد استحكامات حربية للمراقبة والدفاع الاولي، يتسع لإقامة حامية عسكرية صغيرة لصد هجمات الأعداء، أو على الأقل تعطيلهم حتى تستعد القلاع والحصون القريبة منها وتعرف بالأبراج[٣]. مثل قلعة طبرية وقلعة بيسان وصفورية وغيرها[٤].

وإذا احتاجت التحصينات إلى ترميم وتصليح فإن الدولة الأيوبية لم تقصر من هذه الناحية أيضاً، فمثلاً في سنة (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م) ذكر المقريزي أنه ((شرع الملك العادل في بناء فصيل دائر على سور دمشق بالحجر والجير، وفي تعميق الخندق وإجرار الماء إليه))[٥].

هناك من بين الملوك الأيوبيين من اشتهر ببناء التحصينات مثل تقي الدين عمر، حيث أشار اليه إبن الأثير بأنه ((كان عظيم الهمة في تحصين القلاع والغرامة الوافرة عليها))[٦].

وعندما انحرفت الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية واستولت عليها؛ ثم إن بعض القوات العسكرية الصليبية بعد احتلال العاصمة البيزنطية توجهت وسارت في طريقها حتى وصلت إلى عكا في عام (٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) بهدف استعادة بيت المقدس من خلال التعاون مع صليبيي الشام، وهم في طريقهم إلى فلسطين حاصروا قلعة الطور على

---

(١) هناك قلاع ساحلية موجودة منذ القدم أو بناها الصليبيون وأعادت الدولة الأيوبية تحصينها، فهنا مثال قلعة القيسارية، وارسوف وعكا وعثليث. للمزيد ينظر، طالب عبد الفتاح الصوافي، القلاع في شمال فلسطين في فترة الصراع الفرنجي—الإسلامي (٤٩٢—٦٩١هـ/ ١١٩٩—١٢٩١م)، دراسة تاريخية استراتيجية، رسالة ماجستيرمنشورة مقدمة إلى كلية الآداب قسم التاريخ جامعة اليرموك، ١٩٩٧، ص ص١٦٢—١٧٨.

(٢) زكي، القلاع، ص ص٦٢—٦٤؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص ص١٣٦—١٣٧.

(٣) محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، (القاهرة: ١٩٩٠)، ص٢١.

(٤) للمزيد عن هذه القلاع ينظر الصوافي، القلاع، ص ص١٧٩—١٩٨.

(٥) السلوك، ١/ ٢٧٣.

(٦) الكامل في التاريخ، ٩/ ٤١٢.

مدار سبعة عشر يوماً وما حولها، لفتح الطريق إلى بيت المقدس حيث نهبوا وقتلوا المسلمين من الناحية الشمالية لنهر الأردن، وبمجرد سماع الملك العادل لتلك الأخبار قام بجمع العساكر من مصر والشام وتقدم نحو القلعة لمواجهتهم، وعند وصوله انسحب الصليبيون إلى عكا ثم بدأت المفاوضات بين الطرفين أسفرت عن توقيع هدنة(١)،أدرك الملك العادل أهمية المنطقة المحيطة بالقلعة بعد توقيعه الهدنة، وذلك باعتبارها نقطة رئيسة في وجه التوسع الصليبي، وهي أقصر طرق إلى بيت المقدس، ولهذا توجه الملك العادل بعساكره ونزل بها وأحضر معه الصناع والبنائين من كل بلد لعمارتها وتحصينها وقد أشرف بنفسه على عملية البناء ونقل الحجارة وقد اشترك في البناء خمسمائة من البنائين ما عدا الفعلة والنحاتين، نفذ العمل سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٣م) و استغرق عملية البناء أكثر من عام ونصف، مما يدل على عظمة البناء وبعد الانتصار في يافا لان ولده الملك المعظم شحنها بالرجال والذخائر والسلاح والمؤن والعتاد الحربي(٢)، ساعد ذلك العمل المسلمين على السيطرة والتحكم بالطريق التي يستخدمها الحجاج الصليبيون من عكا باتجاه القدس ،عبر الناصرة والتي تمر عند قاعدة جبل الطور(٣)، كما أنها أضحت تشكل خطراً مباشراً على الصليبيين بشكل عام(٤).

إلى جانب بناء التحصينات الحربية الجديدة، فإن السلاطين الأيوبيين لم يألوا جهداً في تعمير وإعادة تجديد الكثير من المرافق العسكرية في المدن القديمة من الاسوار والجدران والداخلية و الأبراج، فضلا عن إعادة تأهيل الخنادق القديمة وحفر أخرى كلما اقتضت الحاجة إليها، لتكون الدولة مستعدة لمجابهة أية أخطار من قبل الأعداء الصليبيين أو الطامحين المحليين من الكيانات السياسية الموجودة على أطراف الدولة أو حتى على صعيد المعارضة الأسرية أو الشعبية، فكان أن بدأ السلطان صلاح الدين اعتبارا من سنة (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م)، بتجديد أحد أبراج دمشق تحسبا لأية تطورات مستقبلية ،بدليل ما أشار إليه سعداوي في نص كتابي يقول: ((جدد هذا البرج في أيام مولانا الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م))(٥).

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ١٥٩؛ ابو الفداء، المختصر، ٣/ ١٠٥.

(٢) ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص ص٦٢–٦٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٩١؛ المقريزي، السلوك، ٢/ ٢٩٥؛ الصوافي، القلاع، ص ١٤٥.

(٣) الأشرف الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، (بغداد: ١٩٧٥)، ٢/ ٢٨٤–٢٨٥.

(٤) ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص ٦٣؛ الصوافي، القلاع، ص١٤٦.

(٥) التاريخ الحربي، ص ص١١٤–١١٥.

ثم تابع أخوه الملك العادل أبو بكرعمل اخيه صلاح الدين في تعمير وإعادة بناء أجزاء أخرى من قلعة دمشق سنة (٦٠٥هـ/ ١٢٠٦م) حيث أمر بهدم القلعة القديمة، وبدأ بتشييد قلعة أكثر تطوراً، واستمر في بنائها حتى وافته المنية سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، تألفت القلعة من إثني عشرة برجاً ،بعضها بحالة كاملة، بلغ مساحة كل برج مساحة قلعة قائمة بذاتها، وكذلك حفر حولها خندقاً وأجرى إليه الماء وأصبحت عمارتها أحسن عمارة وأضخم بنياناً وأكثر تحصيناً، لذا يمكن القول أن الملك العادل أعاد بناء التحصينات جميعاً لانه بنى أبراجاً عالية ، كما حشد من أجل عمارتها عدداً كبيراً من العمال واستمر في بنائها اثنتي عشرة سنة حتى جعلها قلعة حصينة احتوت افضل شروط الدفاع ،تتناسب مع ذلك العصر[١]. وما يميز عمل السلطان الملك العادل انه في سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) بنى في القلعة برجاً كبيراً في غاية الحصانة، اشتمل في داخله على ثلاثة طوابق وبنى في كل منها ثلاث كوات لرمي السهام، وسطح البرج الخارجي محاط من أعلاه بشراريف للدفاع، وفوقها كلها كلوان مستطيلة أخرى مسننة[٢].

بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب في الجهة الشرقية لسور دمشق برجاً سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) وهذا البرج شكله مربع ويعد نموذجاً من نماذج الابراج الأيوبية الدمشقية، وقد استوحى في بنائه أشكال وتخطيطات أبراج القلعة التي سبقه والوجهة الخارجية لأحجاره ملساء غير بارزة، نحتت تلك الأحجار نحتاً جيداً[٣]، وعلى هذا البرج كتابة مؤرخة نصها ((بسملة.. عمل في أيام مولانا السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب... وذلك في سنة ستة وأربعين وستمائة))[٤].

تزامنا مع أهمية قلعة دمشق في الجنوب، فإن قلعة حلب في الشمال عدت من أبرز التحصينات العسكرية المنيعة في العصور الوسطى، وهي أقصى ما بلغه المسلمون في العمارة الحربية من تفوق ومهارة[٥]. اهتم الأيوبيون بقلعة حلب أكثر من اهتمامهم بقلعة دمشق وتم صيانة مرافقها الحربية كون أنها تعد من المدن والقلاع الثغرية أوانئذ لمرابطتها أمام إمارة أنطاكية الصليبية، لذا يلاحظ بأنه عندما تسلطن صلاح الدين

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ق١، ج١، ص٣٩؛ سليم عادل عبد الحق وخالد معاذ، مشاهد دمشق الأثرية، (دمشق: ١٩٥٠)، ص٥٠.

(٢) معاذ، مشاهد دمشق، ص٥٠.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ق١، ج١، ص٣٩؛ قتيبة الشهابي، ابواب دمشق واحداثها التاريخية، (دمشق: ١٩٩٦)، ص٧٤.

(٤) الشهابي، ابواب دمشق، ص ٧٧.

(٥) محمد عبد العزيز مرزوق، بين الآثار الإسلامية في العالم، (الإسكندرية: ١٩٥٣)، ص٤٢.

عمل بكل جد من اجل ضم حلب إلى ممتلكاته وتحقق له ذلك في سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)[١]، فلما حصل عليها صرح بأنه لم يسر بفتح أية قلعة مقدار سروره بفتح مدينة حلب[٢]. في الوقت الذي عدها الصليبيون خسارة كبيرة لهم لانه لم يعد بإمكانهم التحرك بحرية بين الشام ومصر كما كانوا يفعلون سابقا قبل أن يستولي عليها الأيوبيون، وبالتالي أصبحت ممتلكاتهم محصورة في نطاق ضيق ومحدود[٣].

شهدت قلعة حلب الكثير من الإضافات المعمارية الحربية في عهد الملك الظاهر غازي (٥٨٢-٦١٣هـ/ ١١٨٦-١٢١٦م)، حتى تتلائم أجهزتها الدفاعية مع تقدم فن التحصين العسكري[٤]. فقد اضاف إلى القلعة ابنية جديدة، وحفر بحذائها خندقاً تملأ بالمياه عند الهجوم واوصله بقنوات جديدة تتصل به، وأقام عليه جسراً تحمله أقواس ثمانية يسده باب حديدي كبير، ورصف سفح القلعة من أسفل الخندق حتى أسفل السور بقطع الأحجار بشكل أصبحت تتعذر بل تكاد يستحيل معه محاولات تسلق ذلك السفح أو الحفر فيه، كما أنشأ في أسفل كل ذلك ممرين خفيين يسمحان للقلعة بالاتصال مع المدينة، باتت الاعمال الظاهرة في القلعة ذات أهمية، لأنها أبرزت أهم ما كان يتميز به البناء العسكري في العصر الأيوبي، ويعود تأريخ الخندق وسور السفح إلى سنة (٥٩٢هـ/ ١١٩٥م)[٥].

وأنشأ في القلعة مدخلين عدا المدخلين الفرعيين ،بصورة اعطت التل شكلاً هندسياً جميلاً عُرِفا بإسم باب الأسد الضاحك وباب الأسد الباكي، وفي المدخل الثاني مصراعان، والمدخلين صنعا من الحديد المطروق، وقد زين كلاهما بكتابة بارزة في أعلاه، تشير إلى أنه من عمل الملك الظاهر غازي وتأريخ بنائه لها، فالاول يعود تأريخ بنائه إلى سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) والثاني إلى سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م)[٦].

أورد ابن شداد أعمال الملك الظاهر غياث الدين غازي ولاسيما المتعلقة بالعمران الحربي في نص قيم: ((ولما ملك الظاهر غياث الدين غازي حصنها وحسنها وبنى بها

---

(١) بعد وفاة الصالح إسماعيل ابن نور الدين زنكي أخذها صلاح الدين من ابن عمه عماد الدين بن سيف الدين غازي وعوضه عنها بسنجار، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٥٥٢ – ٥٥٣؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢/ ٩١.

(٢) البداية والنهاية: ١٢/ ٤٨٤.

(٣) سعداوي، التاريخ الحربي، ص ١٤٧.

(٤) عثمان، التحصينات الحربية، ص١٤٢.

(٥) ابن العديم، زبدة حلب، ص ٤٥١؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ق١، ج١، ص٦٢؛ شوقي شعث، قلعة حلب تاريخها ومعالمها الاثرية، (حلب: ١٩٩٦)، ص ص ٤٥، ١٠٤.

(٦) عثمان، التحصينات الحربية، ص ث ١٤٠، ١٤٣؛ شعث، قلعة حلب، ص ١٠٢.

مصنعاً كبيراً... وأعلا بابها فوق الباب سنة ستمائة، وعمل لهذا الباب جسراً ممتداً منه إلى البلد وبنى على الباب برجين لم يبن مثلهما قط وعمل للقلعة خمس دركاوات بازاج معقودة وحنايا منضودة وجعل لها ثلاثة أبواب حديد ولكل باب منها أسباسلار ونقيب وبنى فيها أماكن يجلس بها الجند وأرباب الدولة وكان معلقاً بها آلات الحرب، وفتح في سور القلعة باباً يسمى باب الجبل شرقي باب القلعة وعمل له دركاه.. وانتهت العمارة فيهما في إحدى عشر وستمائة))[1].

وفي عهد حفيده الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد (٦٣٤-٦٥٨هـ/ ١٢٣٦-١٢٦٠م) سجلت العديد من التحصينات حيث قام بأكبر عمارة في سور وابراج مدينة حلب وذلك في عام (٦٤٢هـ/ ١٢٦٢م) فقد جدد الابراج وزاد مساحتها على غرار عمه الملك العادل في سور دمشق[2]. كما بنى باب أنطاكية الذي كان قد هدمه الملك الناصر وأعاد بنائه من جديد وكان ابتداء عمارته في سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) وتم في سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م)[3].

يتبين مما سبق أن الأيوبيين اهتموا بتحصين حلب لانهم عنوا بتقوية أسوار المدينة، ويمكن أن نميز الآثار الأيوبية في أماكن عديدة من السور وفي أجزاء معينة من أبواب المدينة كباب أنطاكية وباب قنسرين وباب النصر، وفي الأقسام السفلية من أبراج القلعة، ولاسيما أبراج المدخل الرئيسي ومجموعة الأبواب المفتوحة في دهليز المدخل والباب الأول يمتاز بالنحتية المنقوش عليها ثعابين ملتفة، أما الباب الثالث فزين بأسدين بارزين، ومن الآثار الأيوبية أيضاً مصاريع الابواب الحديدية التي تحمل اسم الملك الظاهر غازي وتأريخ صنعها[4].

إمتدت يد البناء والتعمير إلى مدينة القدس أيضا فبعد فتحها في سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٦م) أولاها السلطان صلاح الدين الكثير من الاهتمام ودأب على تجديدها وتعميرها وتحصينها بلا توقف وازداد ذلك التوجه التعميري خلال السنوات (٥٨٧-٥٨٨هـ/ ١١٩١-١١٩٢م) بصورة ملفتة للنظر، على اثر مجيء الحملة الصليبية الثالثة لبلاد الشام، وتمكنهم من احتلال عكا مرة أخرى، ومحاولة الهجوم على بيت المقدس، ولكي يتفادى السلطان اية مفاجات تتعلق بضعف الاستحكامات الحربية فيها امر بعمارة سور المدينة وجدد ما هدم منه، وانشأ عدداً من الابراج الحربية وحفر حول السور الخنادق لئلاً

---

(١) الاعلاق الخطيرة، ق١، ج١، ص ص ٢٤-٢٥.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٢٨٣؛ علي، خطط الشام، ٥/ ٢٩٢؛ عثمان، التحصينات الحربية، ص١٣٨.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ق١، ج١، ص٧٥.

(٤) عبد القادر الريحاوي، العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، (بيروت: ١٩٩٩)، ص ١٥٦.

يسهل على الصليبين دخول المدينة، وكان صلاح الدين يشارك العمال في نقل الحجارة واكمال البناء ليقتدى به العسكر. فكان يجمع عنده من العمال في اليوم الواحد من يعملون قدر عدة ايام(١). فحصن السلطان المدينة، وقواها بالأبراج المتينة ولما أراد ريتشاد قلب الأسد ملك انكلترا المسير إليها ووصل إلى ضواحيها هالته حصانة أسوارها التي عزز مناعتها الخندق الذي حفره صلاح الدين حولها(٢).استمرت عملية البناء والعمارة فيها في عهد خلفائه ففي عام (٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) رصد السلطان الملك الكامل مبلغ ثلاثمائة ألف دينار لعمارة القدس واماكن اخرى(٣).

والشيء نفسه قام به السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب؛ فإنه عند عودته من الشام إلى مصر، زار في طريقه بيت المقدس سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م)، ففرق على أهله أموالاً كثيرة وأمر بإعادة سوره كما كان في أيام صلاح الدين الأيوبي فاتح القدس(٤).

وقد سرى هذا الأمر على أيوبية اليمن أيضا فقد أقاموا منشآت عسكرية عديدة فيها؛ لأن جانب كبير من سياستهم كانت قائمة على توفير شروط الاسناد والاستقرار بمختلف أشكاله ومظاهره ولاسيما في مجتمع كانت الخلافات العرقية والاجتماعية ظاهرة فيه. من ذلك المنطلق فإن ملوكهم سعوا جاهدين إلى تجسيد تلك الاستراتيجية عبر سياسة غلب عليها الطابع العسكري، لذلك فقد أقاموا العديد من المنشآت في جهات مختلفة من اليمن لغايات دفاعية وأمنية واعطوها الاولوية مثل الأسوار والقلاع والحصون وغيرها من التحصينات، التي حظيت باهتمام الأسرة الأيوبية طوال ذلك العهد(٥).

بعد استيلاء سيف الإسلام طغتكين على مدينة صعدة اليمنية سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)، وأثناء إقامته، بها أمر ببناء درب في الجهة الغربية منها ،ليكون سكن للحامية

---

(١) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص ص٢٩٥، ٣٠٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٦٠؛ سيد علي الحريري، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، (القاهرة: ١٣٢٩هـ)، ص٢٠١؛ عارف باشا العارف، تاريخ القدس، (مصر: ١٩٥١)، ص٨٠.

(٢) سوسن سليمان، تجديد صلاح الدين الايوبي للعمائر الإسلامية في البيت المقدس، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ع (٥)، سنة ١٩٩١، ص ص٢٩٥–٢٩٧.

(٣) الدواداري، كنز الدرر، ٧/ ٢٠٩.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٠٢؛ العارف، تاريخ القدس، ص٨٦.

(٥) جمال عبدولي، اليمن في العهد الأيوبي دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي والحضاري (٥٦٩–٦٢٨هـ/ ١١٧٤–١٢٣٠م) رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة تونس، سنة ٢٠٠٠، ص ص٢٩٥–٢٩٦.

التي كان قد تركها بتلك المدينة قبل رحيله عنها. عرف ذلك الدرب فيما بعد بدرب العز[١] بني بشكل دائري على هيئة قلعة صغيرة[٢].

على الرغم من أن مدينة زبيد كانت تحيط بها ثلاثة أسوار، أمر الملك سيف الإسلام طغتكين سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) ببناء سور رابع حول المدينة بالطين واللبن، وكان سوراً عظيماً بلغ عشرة اذرع وتخلله مائة وتسعة أبراج، بين كل برج وبرج ثمانون ذراعاً ويدخل في كل برج عشرون ذراع، إلا أن البرج الواحد قد بلغ مائة ذراع، على حد قول إبن المجادر: ((عددت ابراج زبيد فوجدتها مائة برج وتسعة أبراج، بين كل برج وبرج عشرون ذراعاً.. وأقام متمكناً ست عشرة سنة))[٣]. وركب على البرج أربعة أبواب[٤]. وعندما رتب قواعد ملكه واستقام أمره ببلاد اليمن بنى حصناً وسماه المنصورة[٥] وكان ذلك في سنة (٥٩٢هـ/ ١١٩٦م) وأقام بها إلى أن مات[٦].

في سنة (٥٩٣هـ/ ١١٩٧م) أقام سيف الإسلام سوراً حول مدينة الجند[٧] أسفله مبني بالحجر والجص وأعلاه من طين واللبن ثم جعل فيه خمسة أبواب، وقد أعاد الملك المسعود يوسف ابن الملك الكامل بناءه[٨]. وكذلك أقام سيف الاسلام حول مدينة صنعاء سوراً بعد أن أخرب سورها القديم[٩]. وينسب إليه الكثير من التحصينات في اليمن، مثل حصن التعكر وحص حب وحصن خدد وحصن السرا وحصون أخرى عديدة[١٠].

استناداً إلى ما سبق فإن التحصينات الأيوبية في اليمن أكثرها تعود إلى سيف الإسلام طغتكين ولكن ذلك لا يعني أن الملوك الأيوبيين الآخرين فيها لم يهتموا

---

(١) فقد غلب اسم العز على الايوبيين عند أهل اليمن. الهمداني، السمط الغالي، ص ص٩–١٠.

(٢) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المساة تأريخ المستبصر، تحقيق، ممدوح حسن محمد، (القاهرة: ١٩٩٦)، ٢٣٤؛ عبد ولي، اليمن، ص٤٠٠.

(٣) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ٨٩، ٩٠.

(٤) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ٨٩؛ اليماني، بهجة الزمن، ص٧٩.

(٥) المنصورة، بلدة باليمن بين الجند وبقيل الحمرا أول من اسسها سيف الإسلام طعتكين بن أيوب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢١٢.

(٦) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/ ٤٥٣؛ الهمداني، السمط الغالي الثمن، ص٣٩؛ حسين، الحجاز واليمن، ص١٠٥.

(٧) الجند، جبل باليمن، وبنوا مدينة يقر بها قسمين باسمها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ١٧٠؛ ابن المجادر، تاريخ المستبصر، ص١٩١.

(٨) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٩٢.

(٩) اليماني، بهجة الزمن، ص٧٩؛ الزبيدي، قرة العيون، ٢٩٥.

(١٠) الزبيدي، قرة العيون، ٢٧٥؛ حسين، الحجاز والمين، ص١٠٥.

بالتحصينات الحربية فعلى سبيل المثال، في عهد الملك المسعود يوسف بني حول حصن الدملوة سور ثان وذلك في سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧م)[١].

شملت التحصينات التي بنتها الدولة الايوبية على الابراج والاسوار والابواب كما كانت من اهم سمات عصرهم كون الدولة الايوبية دولة عسكرية اقتضت الضرورة الدفاعية قيامها لمواجهة المحتلين الصليبيين ، فزودت ابواب مصر وقلاعها في عهدهم بنوع من الابواب سميت بالباشورة[٢] وهو الباب المنكسر،لم يكن بامكان الاعداء إجتياز تلك الابواب بسهولة نظراً لاحاطة كل باشورة ببرجين مزدوجين ذات فتحات لضرب المهاجمين بالسهام في جوانبه المكشوفة بغير درع بعد أن يهاجم في خط منكسر، كما استعمل صلاح الدين السقاطة وهي الشرفة الحجرية البارزة والمزودة بفتحات رفيعة يرمي منها الجند سهامهم على العدو من الأمام والجوانب[٣].

---

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٨٢.

(٢) ينظر تعريفها ص٦٣، هامش ١.

(٣) أحمد السراج، العمارة الإسلامية خصائص وآثار، (غزة: ٢٠١٥)، ص١٥٦.

المبحث الثاني

أسلوب الهدم (التخريب) والأرض المحروقة[(١)]

كما أن الدولة الأيوبية قد قامت ببناء التحصينات العسكرية للضرورة الحربية؛ فإنها اتبعت أسلوباً آخر على الضد منه في معاركها ضد أعدائها، وهو أسلوب التخريب والهدم والحرق حسب ما تقتضيه العملية العسكرية، فأحياناً الظروف الآنية يجبر السلاطين الأيوبيين على هدم مدينة بكاملها، فعلى سبيل المثال لا الحصر، عندما سار السلطان صلاح الدين إلى قتال الصليبيين في سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) وعبر نهر الأردن، وجد أن أهل تلك النواحي قد أخلوا مناطقهم خوفاً من القوات الأيوبية، فقصد بيسان فأحرقها وخربها [(٢)].

ذلك ما حدث في سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) عندما أجمع الأمراء على تخريب عسقلان خوفاً من استيلاء الصليبيين عليها، وان لا يتكرر فيها ما حدث في عكا، وبعد سلسلة من المشاورات وافق السلطان صلاح الدين على هدمها[(٣)]. طرح الامير علم الدين سليمان بن جندر فكرة خرابها؛ لأن الصليبيين إذا ما احتلوها، فإنه سيكون من الصعب إخراجهم منها بعد ذلك[(٤)]. وهكذا فإن الاستراتيجية الحربية حكمت بهدم عسقلان على الرغم من أنها كانت من أحسن المدن، فصارت خراباً وحصل لأهلها مشقة زائدة لهدمها، وباعوا أمتعتهم بأبخس الأثمان وتشتتوا في البلاد[(٥)].

وفي سنة (٥٩٣هـ/ ١١٩٧م) أمر السلطان الملك العادل بهدم ربض[(٦)] بيروت بعد ان وردت الأخبار له بأن الصليبيين على استعداد لمهاجمة بيروت فخرج الملك العادل بالعساكر. وخيم في الجهة القريبة من صور، وجهز إلى بيروت جماعة من العسكر ومعهم الحجارون والنقابون وأمرهم بهدم ربض بيروت ففعلوا[(٧)].

---

(١) لم يكن ذلك الأسلوب جديدا، وأن الايوبيين لم يكونا اول من استخدموه، وأنما هو أسلوب قديم استخدم قبلهم من قبل الرومان والفينقيين وغيرهم. بولعراس، فن الحرب، ص١١٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣٥٩؛ المقريزي، السلوك، ١/ ١٩٤؛ العسلي، فن الحرب، ٤/ ١٢٩.

(٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣٤٩؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الأكراد، ص٢٠٠؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ق٢، ج٢، ص٢٦٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٩٣.

(٤)عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٢٨.

(٥) العليمي، الأنسب الجليل، ص٣٨٠.

(٦) ربض، ما حول المدينة من بيوت ومساكن وقيل هو الفضاء حول المدينة. ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ١٥٢؛ الزبيدي، تاج العروس، ١٨/ ٣٣٠.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٥٠٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٣/ ٧١–٧٤.

تم تخريب قلعة الطور من قبل الملك المعظم عيسى سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٨م) حيث ذكر إبن الأثير أن الصليبيين خرجوا من عكا وتجهزوا بآلات الحرب والحصار بغية الهجوم على قلعة الطور، وتمكنوا من اختراق دفاعاتها الأمامية ووصلوا إلى سور القلعة، وضيقوا الخناق على من بها من المسلمين، نجح أحد الجند المرابطين في القلعة تمكن قتل أمير من أمرائهم، فلم يجدوا بداً من الانسحاب والرجوع إلى عكا مرة أخرى، بعد أن حاصروا الطور ستة عشر يوما، وبعد معرفة السلطان الملك العادل بخطورة بقاء القلعة عامرة، وضح نتائجها السلبية على المسلمين لابنه، ذلك ما دفع بالملك المعظم عيسى إلى تخريب القلعة وهدمها، لصعوبة حمايتها، ولاسيما أنها تقع بالقرب من عكا(١). بعد أن قام بنقل محتوياته إلى المدن الأخرى، خوفا من استيلاء الصليبيين عليها(٢).

وأحيانا كانت الفوضى السياسية وتردي الأوضاع الاجتماعية تدفع ببعض ملوك بني أيوب إلى اللجوء إلى سياسة الهدم كما حدث في سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م) عندما أمر الملك المسعود أطسيس، بخراب مدينة حوث باليمن، بسبب الخلافات والصراعات الداخلية من قبل المعارضين للحكم الأيوبي(٣).

أصبحت القدس محور اهتمام الأيوبيين بعد فتحها، فقاموا بتقوية دفاعاتها وتحصينها بما يليق بأهميتها الدينية والتأريخية، فتم تعمير الكثير من استحكاماتها العسكرية من الأسوار والأبراج والأبواب، تحفظا لأية أخطار خارجية مستقبلية؛ مع ذلك فان كل تلك التجديدات في الاستحكامات الحربية والتحصينات العسكرية، لم تفد المدينة بأي شيء بسبب قدوم الحملة الصليبية الخامسة إلى مصر واحتلالها لدمياط، مما فسح المجال لصليبي الشام للتحرك أكثر باتجاه مناطق الداخل الشامي، لذلك فقد تخوف الملك المعظم عيسى الذي كانت القدس ضمن ممتلكاته من تحركات الصليبيين ومحاولاتهم في الآجل القريب بقصد مهاجمة القدس واحتلالها من جديد وإذا ما تم ذلك الأمر؛ فإن بقية الشام لن تكون بمنأى عن هجماتهم ،لذلك اسرع إلى تدمير عدة حصون قوية في فلسطين خشية سقوطها بأيدي الصليبين، بل أكثر من ذلك انه فكر في هدم بيت المقدس(٤)، فشرع في هدم أبراجها وسورها في أوائل سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م)، ولم يبق إلا

---

(١) الكامل في التاريخ، ٩/ ٦٥٣.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/ ٥٩٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٤/ ١٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٩٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ٢٢٢.

(٣) الهمداني، السمط الغالي، ص١٧٣.

(٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ق٢،ج٢،ص ٢٢٣؛ عاشور، الحركة الصليبية، ٢/ ٩٢٨.

على برج داود أحد أبراج القلعة[1]. وهو البرج الذي هدمه فيما بعد الملك الناصر داود سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، عندما استعاد القدس من الصليبيين للمرة الثانية.

واتبع الأيوبيون الأسلوب ذاته في تخريب مدينة تنيس[2] في عهد السلطان الكامل، خوفاً من مسير الصليبيين اليها[3]. حيث أشار المقريزي إلى ذلك في حوادث سنة (٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م): ((أمر الملك الكامل بتخريب مدينة تنيس، فخربت أركانها الحصينة وعمائرها المكينة، ولم يكن بديار مصر أحسن منها، واستمرت من حينئذ خراباً))[4].

بالإضافة إلى سياسة الهدم والتخريب؛ كان من ضمن استراتيجية فن الحرب الأيوبي هي سياسة الأرض المحروقة وإتلاف المحاصيل الزراعية أو ما يسمى بسياسة الحرب المضادة.

وأثناء حصار الأيوبيين لسنجار في عهد الملك العادل التي اشتهرت بالمزارع والأشجار والثمار، سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) أمر بنصب المجانيق على البلد فرشقت المدينة والبساتين المحيطة بالاحجار، فكان هذا سببا في قطع أشجارها وهدم جواسقها[5].

وإبان الصراعات الداخلية أيضاً عمد بعض ملوك الأيوبيين إلى أفساد الزرع وإتلافه، كما فعل الملك المعظم عيسى سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) حيث ألحق بقرى حمص ومزارعها الدمار[6] وقد أشار إلى ذلك إبن واصل قائلا: ((وأخرب المعظم قرابا (قرى) حمص ومزارعها وامتدت غاراته إلى السلمية وهي يؤمنذ للمظفر بن منصور، وهو عند خاله الكامل بمصر))[7].

كما اتبع الملك الأيوبي الصالح اساعيل[8] صاحب دمشق سياسة الحرق سنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) أثناء حصار دمشق من قبل السلطان الملك الكامل صاحب مصر وابن أخيه الملك الناصر داود صاحب الكرك، بعد ان بالغ الملك الكامل في حصار دمشق وزحف الناصر

---

(١) الدواداري، كنزر الدرر، ٧/ ٢٠٢، ابو الفداء، المختصر، ٣/ ١٢٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ٩٩.

(٢) تنيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما دومياط. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٥١. يقول عنها الادريس. جزيرة حصن الماء، نزهة المشتاق، ١/ ٣٣٦.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ٢٩/ ١٤٠؛ المقريزي، الخطط، ١/ ٣٣٥؛ عبدة، الاستحكامات الحربية، ص٢٦٤.

(٤) السلوك، ١/ ٣٤٧.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٩٣/٣؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٩/ ٥٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤/ ٢٣.

(٦) ابن نظيف الحموري، تاريخ المنصوري، ابن العديم، زبدة حلب، ص٤٧٠؛ المقريزي، السلوك، ١/ ٣٤٤.

(٧) مفرج الكروب، ٤/ ١٧٩.

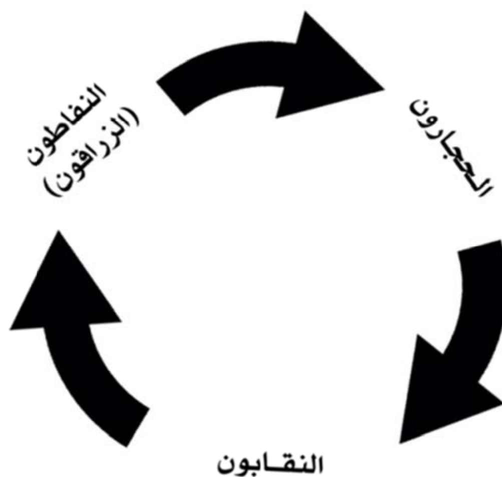
(٨) يقوال الحنبلي بعد وفاة الأشرف موسى سنة (٦٣٥هت/ ١٢٣٧م) لم يكن له ولد يرثه العرش فعهد به إلى أخيه الصالح إسماعيل، شفاء القلوب، ص٢٩٧؛ ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٥٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ١٥١؛ ابن كثير، البداتية والنهاية، ١٣/ ١٧٣؛ علي، خطط الشام، ٢/ ٩٩.

داود إلى جهة العفسة وباب توما، فكاد يملك البلد، لكنه تراجع عنها بأمر من السلطان الملك الكامل، وفي اليوم التالي من الزحف خرج صاحب دمشق الصالح إسماعيل بالحراقة والنفاطين إلى العقيبة، فأحرقها وما فيها من الخانات والاسواق والدور حتى جعلها خراباً[1].

وبعد ثمان سنوات من تلك الحادثة أي تحديدا في سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، فعل الملك الصالح إسماعيل الشيء نفسه مرة أخرى، فعندما حاصر دمشق ابن أخيه السلطان الملك الصالح أيوب صاحب مصر، فدخلها الملك الصالح اسماعيل وخرب من حولها رباعاً كثيرة وكسر جسر باب توما فسار النهر وتراجع الماء حتى صار بحيرة من باب توما وباب السلامة، فغرق جميع ما كان بينهما من العمران، وافتقر الكثير من الناس. وأحرق حكر السماق خارج باب النصر واشتد الغلاء وعظم البلاء[2].

مخطط رقم (١٠)

مخطط توضيحي للذين استخدمهم الأيوبيون في اعمال الهدم.



(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ١٥١؛ ابن كثير، البداتية والنهاية، ١٣/ ١٧٣

(٢) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٦٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/_١٩٣ ١٩٤؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٣٧٦؛ الشهابي، أبواب دمشق، ص١٠١.

المبحث الثالث

أسلوب الكمائن والخداع والحرب النفسية

استخدمت تلك الاساليب في المعارك الحربية منذ اقدم العصور ،كما استخدمها الدولة الايوبية في حروبها ضد اعدائها من الصليبيين وخلال صراعهم الداخلي على السلطة وضد القوى السياسية الاسلامية المنافسة.

أ- الكمين(١):

عبارة عن إحدى الخطط العسكرية تقوم بها مجموعة قتالية متخفية تختار لها موقعاً في طريق جيش العدو او تلتف حوله لضرب المؤخرة يتوخى فيها ضرب العدو في زمان أو مكان لا يتوقعه العدو وترصد هدفاً معادياً ثابتاً أو متحركاً لفترة ليست بالطويلة من أجل القيام بهجوم مفاجئ ومنسق من خلال إرسال جريدة(٢) أو سرية(٣) من المحاربين الفرسان إلى جهات العدو ومباغته والإيقاع به في مناوشات محددة لا تصل إلى حد القتال الواسع النطاق أي إن العملية كانت تبدأ بالسر وبما أنه لا يعرف الوقت المحدد لظهور العدو وجب على مجموعة الكمين التريث والمكوث فترات غير معروفة ربما تطول إلى ساعات طويلة(٤).

يقول الطرطوشي بهذا الصدد ((من أعظم المكائد في الحروب الكمين، ولا يحصى كثرة كم من عسكر استبيحت بيضته وقل عربه بالكمناء، وذلك أن الفارس لايزال على حمية في الدفاع وحمى الذمار، حتى يلتفت فيرى وراءه بنداً منشوراً ويسمع صوت الطبل، فحينئذ يكون همه خلاص نفس ولتكن همتك وراء ذلك وعليه مدار الحرب))(٥) وأن الكمائن تعتبر إحدى وحدات العيون الجواسيس في الدولة(٦).

---

(١) الكمين: جاء من كمن أي اختفى أو دخل في مكان لا يفطن له ولا يتوثع وجوه أحد. الفراهيدي، العنب، ٥/ ٣٨٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٣٥٩؛ دوزي، تكملة، ٩/ ١٤٣.

(٢) الجريدة: هو عسكر قليل وهي قطعة جردت من سائرها، وهي فرقة من العسكر الخيالة لا رجالة منها ولا أثقال. أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، (بيروت: ٢٠٠٢)، ص١٥٦؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٤/ ٤٦٨.

(٣) السرية، أكبر من الجريدة، الثعالبي، فقه اللغة، ص١٥٦.

(٤) الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٩٩؛ خالد محمد عطوة زعرب، الخداع في الحرب،رسالة ماجستيرغيرمنشورة مقدمة الى كلية الشريعة ،قسم الفقه المقارن، الجامعة الاسلامية، غزة، ٢٠٠٥، ص١٠٠؛ أحمد سعد بن متعب، الكمين، مجلة الحرس الوطني، مج٤، ع١٥، الكويت سنة ١٩٩٢، ص١٤.

(٥) سراج الملوك، ص١٧٥.

(٦) فتحي أحمد محمد حماد، العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والايوبي (٥٢٢–٦٤٨هـ/ ١١٢٨–١٢٥٠م) رسالة ماجستير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، قسم التاريخ الجامعة الإسلامية بغزة–فسلطين سنة ٢٠١١، ص٥٩.

يحتاج التكتيك القتالي لقوة الكمين إلى مراعاة بعض الأسس والفنون لانجاحها وهي:

١- ينبغي أن يكون رجال الكمين من الذين يتميزون بالشجاعة ولهم خبرة بشؤون الحرب والقتال ولهم معرفة بتدبير الحيل ومسائل المكر، وفي الوقت نفسه من ذوي المهارة في استخدام الأسلحة والآت القتال وتصليحها، والعارفين بمباديء الفروسية وركوب الخيل، ومن الموصوفين بالثبات والصبر، وأن تكون لهم دراية بجغرافية المنطقة التي سيكمنون عندها، ليس من المقبول أن يضم بينهم من كان ذو عاهة أو مصاب بمرض أو يسلك سلوكا غير طبيعي يؤثر على سرية الكمين، فضلاً عن معرفتهم بكيفية التعامل مع الحيوانات المحيطة بمنطقة كمينهم وان لايعملوا على اثارة تلك الحيوانات، فتصدر أصواتا يُكشف بواسطتها للعدو أين يكمن الكمناء(١).

٢- دقة اختيار الجياد والخيول المستعملة في الكمين، ينبغي أن تتوفر فيها صفات تجعلها صالحة لذلك المهمة منها، أن تكون ثابتة الحوافر، سالمة الظهور، لا تتحرك بكثرة وأن لا يكون فيها من الخلق ما يستدل به على الكمين مثل الصهيل ونحوه، وينبغي أن تكون الخيول في الكمين جلها ذكوراً أو كلها إناثاً ؛ لأن اجتماع ذكور الخيل مع إناثه يثير تنبه الأعداء فيؤدي ذلك إلى علم بالكمين وإلحاق الضرر بجميع العساكر(٢).

٣- وبالنسبة للأسلحة من الأمان أن تحفظ في جعاب أو حقائب جلدية، حتى لا تحدث خشخشة أو أصواتاً يستدل منها الأعداء على مكان الكمين(٣).

٤- من الضروري ان تتوافر الموضع الذي ينصب فيه الكمين المواصفات الضرورية أي أن يكون خفياً مستتراً، وأن يكون فيه مما يحتمل الاقامة فيه كأن يكون فيه الماء والمرعى وسائر ما يحتاج إليه الكمناء قدر الإمكان إذا دعت الحاجة إلى طول الإقامة، وأن يكون لهم معه ديدبان (حراس) بالنهار وعسس بالليل ولا يقدر العدو على بيانهم فيه(٤).

٥- إن أول ما يجب على الكمناء عند بدء الكمين؛ أن يختاروا من بينهم رجلاً ممن يوثق به ويتحقق بنصيحته وميوله، مخافة أن يميل إلى الأعداء ويدلهم على الكمين،

---

(١) الهرثمي، مختصر، ص٥٠؛ ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٤٣؛ الانصاري، تفريج الكروب، ص٧١؛ ابراهيم خميس، الحيل والخدع العسكرية الاسلامية منذ بداية الغزو الصليبي حتى وفاة نورالدين محمود (٤٩٤-٥٦٩هـ/١٠٩٨-١١٧٤م)، مجلة كلية الاداب، جامعة الاسكندرية، مج (٣٦)، ١٩٨٨، ص١٦٨.

(٢) الانصاري، تفريج الكروب، ص٧١؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١٢١.

(٣) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٤٩؛ خميس، الحيل والخدع العسكرية ، ص١٧٠.

(٤) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٥٠؛ الانصاري، تفريج الكروب، ص٧٢؛ شبل، الانظمة، ص١٤٩.

وكانت المهمة تركز في رصد تحركات الأعداء والإبلاغ عنها، كما كان على المكمنين أن يتجنبوا التوخي لصيد الطير أو الحيوان حتى لا ينتج عنه نفار الطير أو الحيوان، ويستدل على ذلك أهل البصيرة من الاعداء ويعلموا بالكمين، ويتعين أن يكون وقت ظهور الكمين في حال غفلة من الأعداء، وذلك عند حطهم عن دوابهم وإمْراحها ويختاروا الأوقات المناسبة كأحر ساعة في الصيف وأبردها في الشتاء، وإذا لم يظفروا بمباغتة الأعداء فعليهم الإسراع بالعودة إلى مكمنهم[1].

لعبت الخيل دوراً هاماً في بعض الكمائن لإتمامها، يقول المنكلي في هذا الصدد: ((وأما هيئة أصحاب الكمين فيجب أن يكونوا خيول صحاح شاكين في سلاحهم بدرقهم وآلاتهم وطبولهم، فإذا خرجوا من الكمين بالعلامة التي تواصوا بها وضربوا بالطبول بغير صياح))[2].

أي أن عوامل نجاح الكمائن هي مباغتة العدو، بعد اختبار الموقع المناسب لنصب الكمين، وتوزيع المقاتلين بصورة جيدة ،فضلاً عن استخدام عمليات التمويه، مثل التخفي بين الصخور واستخدام أغصان الأشجار، والحرص على إخفاء أي آثار أو أدوات تدل على وجود كمين، واستغلال نقاط ضعف عن العدو، والتأكد من صلاحية الاسلحة وفي حالة الاشتباك يجب العمل على إنهائه في أقصى وقت ممكن[3].

على هذا النحو يمكن القول أن الكمين يعد من أصول فن الحرب، بغية تحقيق نتائج إيجابية، كان القائد المحنك، يلجأ دوما إلى وضع الكمائن في دروب العدو ومسالك مروره، ومن أغفل الكمائن وركن إلى الدعة والثقة المفرطة في قوته وعدد جنده، تعرض للخسارة وقدم التضحيات أكبر من عدوه، ولم يكن شرطاً أن توضع الكمائن فقط في أيام المعركة، بل الضرورة التنافسية بين جيش الطرفين كانت تحتم ان توضع الكمائن في أغلب الأوقات، و في الأماكن المناسبة لرصد العدو والتنكيل به.

نظراً لطبيعة الصراع المتداخل بين الأيوبيين والصليبيين وطول مدته وتعقيداته المختلفة، ألزمت عليهم استخدام ما يعرف بحرب العصابات المنظمة، أو استخدام الكمين وفق أسسه الفنية، لذا باتت الكمائن صورة شائعة في الصراع الإسلامي - الصليبي، وازداد الركون اليها في العصر الأيوبي بشكل واضح متفوقين على من سبقهم من الامراء المسلمين الذين حاربوا الصليبيين وفي ذلك ذكر الباحث محسن محمد حسين: ((من

---

(١) الهرثمي، مختصرسياسة الحروب، ص٥٠؛ الانصاري، تفريج الكروب، ص٧٢.

(٢) الادلة الرسمية، ص١٩٩.

(٣) زعرب، الخداع في الحرب، ص ص١٠٠–١٠١.

أكثر فترات التأريخ الإسلامي نشاطاً للكمائن هي فترة الحروب الصليبية، ولاسيما أيام صلاح الدين))[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن المصادر التأريخية في العصر الأيوبي لم تتطرق كثيراً الى نصب الكمائن إلا بصورة عامة، بل تطرقت اليها في المرحلة الثانية من العصر المذكور، أي بعد معركة حطين سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) وبالتحديد بعد عامين من تحرير بيت المقدس، وذلك بسبب كثرة التعرض لهم من قبل الصليبيين ومحاولتهم منهم إعادة احتلال بيت المقدس، واستدعائهم حملات جديدة لذلك أدرك صلاح الدين أنه يتوجب عليه استنزاف القوى، وأنه لابد من التحرش بهم والتعرض لهم، حتى يشعرهم بالخوف وأن يفاجئهم لكي يشتت شملهم ويباغتهم في مناطق تواجدهم، كان من افضل السبل في تحقيق هذا الهدف هو الاعتماد على تكتيك الكمائن، فضلاً عن اساليب أخرى عمد إلى تنفيذها[٢]. والسبب الآخر في استخدامها هي أن الطبيعة الجغرافية للدولة الأيوبية ولاسيما أرض الشام كان مناسباً في نصب الكمائن، وذلك لوجود الاحراش الكثيفة، والجبال الشاهقة المليئة بالوديان، والهضاب المنعرجة ومضائق الشعاب، وكلها ستائر طبيعية صالحة لاختفاء الكمائن خلفها[٣]، لذا كانت بيئات مناسبة لكي يكمن فيها رجال الكمين المقاتلين[٤].

من الأمثلة البارزة على تطبيق الأيوبيين لأسلوب الكمائن، هو ما جرى في سنة (٥٨٥هـ/ ١١٩٠م)، على أثر قتل الصليبيين لعدد من قادة وجند المسلمين في محيط مدينة صور، عزم السلطان على الثأر منهم، عندما تحين الفرصة، فأتته الأخبار عن طريق العيون، أن قواتاً من مشاة الصليبيين يتجولون في الأرجاء، من أجل الاحتشاش، وصولاً إلى تبين[٥] للاحتطاب فرأى أن يقرر قاعدة كمين يرتبه لهم، ويأخذهم فيه، وبلغه أنه يخرج وراءهم أيضا خيل تحفظهم، ((فعمل كمينا يصلح للقاء الجميع))[٦]، ولكي يطبق عليهم بأقل الخسائر، أرسل إلى جند تبنين، يأمرهم بتتبع أثر مشاة الصليبيين الذين كانوا يتجولون في المنطقة بحثاً عن الحشائش والحطب، وطلب منهم إذا ما هاجمهم فرسان الصليبيين الذين كانوا يبسطون الحماية لمشاتهم، أن ينهزموا أمامهم ويلتقوا به

---

(١) الجيش الايوبي، ص١٢٠.

(٢) حسين، الجيش الايوبي، ص١٢٢.

(٣) سعداوي، جيش مصر، ص٥٠؛ شبل، الانظمة، ص١٥٠؛ الشريدة، التنظيمات العسكرية، ص١٩٤.

(٤) حماد، العيون والجواسيس، ص٦٣.

(٥) تبنين: بلدة في جبال بني عامر المطلة على بانياس بين دمشق وصور، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٤/٢.

(٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص١٥٩.

في مكان حدده لهم، في الوقت نفسه حث قوات عكا أن يسيروا خلف فرسان الصليبيين، وحدد هدفهم إذا ما ترك هؤلاء خيامهم لأجل إنجاد أصحابهم، ان يستولوا على معسكرهم، ثم تحرك السلطان إلى الجهة المقصودة للقاء قوات تبنين، ثم عمل على تنظيم قواته فعرض الاطلاب، بعدها انتقى من كل طلب عشرين فارساً من ذوي الخبرة والشجاعة، وأمرهم بأن يظهروا أنفسهم للصليبيين، حتى إذا ما قصدوهم، عليهم الانسحاب من أمامهم، ويستدرجوهم إلى موضع الكمين، ومع أنهم حاولوا تنفيذ تلك الأوامر، إلا أن الصليبيين كان قد بلغهم أخبار ذلك التحرك من قبل تلك السرية الأيوبية المحدودة العدد، فأخذوا استعداداتهم كاملة لمحاربتها، وأنفت تلك السرية أن تنسحب من أمام الصليبيين، ولم تنفذ خطة السلطان، فوقع قتال عنيف بين الطرفين، قتل فيها عدداً من أبرز رجالات الجانبين، في وقت الذي كان جند الكمين، ينتظرون ظهور الصليبيين في موضعهم للانقضاض عليهم، لكنهم عرفوا بما حدث، فتركوا الكمين ولم يجدوا بداً من مشاركة أصحابهم القتال، ولعدم معرفتهم بجغرافية المنطقة فوقع البعض منهم أسرى بيد الصليبيين، أرسل السلطان المدد لهم، وبعد وصول الإمدادات العسكرية للمسلمين، لم يجد الصليبيون مفراً من الانسحاب، بعد أن قتل منهم حوالي عشرة من المقاتلين وأربعة من العرب المشاركين في الكمين حسب قول إبن شداد[١].

يظهر من استقراء النصوص التأريخية بأن إحدى العناصر التي اعتمدت عليها الدولة الأيوبية في الكمائن هم جماعات البدو العرب الذين شكلوا احتياطياً جيداً في تزويد الجيش الأيوبي بالقوات الضرورية في المهمات الحرجة، لشن الغارات على العدو، وقد استفاد الجيش منهم فعلاً في أكثر من مناسبة وكان لهم الدور البارز والمميز في عمليات نصب الكمائن في العهد الأيوبي، ذلك ما اكده إبن شداد بقوله: ((بلغنا أن جمعاً من العدو يخرجون للاحتشاش من طرف النهر مما ينبت عليه فأكمن السلطان لهم جماعة من العرب لخفتهم على خيلهم وأمنه عليهم، فخرجوا ولم يشعروا بهم فهجموا عليهم وقتلوا خلقاً عظيماً، وأسروا جماعة، وأحضروا رؤوساً عديدة بين يديه، فخلع عليهم وأحسن إليهم))[٢].

---

(١) النوادر السلطانية، ص ص١٥٩–١٦٠؛ قارن ذلك مع مرويات، أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٤٤–٤٦؛ ابن واصل، مفروج الكروب، ٢/ ٢٨٧–٢٨٨؛ في حين ان ابن الاثير اهمل الإشارة الى عدد القتلى، الكامل في التاريخ ،٩/ ٤٢٩ .

(٢) النوادر السلطانية، ص١٦٩.

الصورة الأشهر لأسلوب الكمائن التي نفذها الجيش الأيوبي كانت في سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)، وهي الوقعة التي أطلق عليها المؤرخون اسم (وقعة الكمين)[١]، عندما اشتدت معارك عكا، وكثرت المناوشات بين الطرفين، لجأ كل جانب إلى تطبيق استراتيجية حربية وأساليب قتالية مختلفة لكي يلحق بخصمه أكبر الضرر، و في بعض الحالات كانت الكمائن هي الطريقة المثلى، لتحقيق بعض الانتصارات المؤقتة والتي كان من شانها رفع معنويات العساكر الأيوبية، لاسيما أن أي انتصار في تلك الظروف كان يلقى تشجيعاً من قبل الأيوبيين المحاصرين داخل عكا ويدفعهم للمقاومة أكثر فأكثر، حيث كانت تصلهم الأخبار بوسائل متنوعة، بغية أن يخفف السلطان الضغط عن عكا، خطط لوضع كمين على مستوى عال من التنظيم والإعداد المعنوي والتعبوي، فاختار عدداً من أبرز القادة والجند الموصوفين بالشجاعة، وأمرهم أن يتحركوا ليلاً، لكيلا يشعر بسيرهم الصليبيون، وطلب منهم أن يكمنوا على تل شمال عكا، وعلى مسافة ليست بالبعيدة عن معسكر الصليبيين وبعد أن يعقدوا الكمين ويتموضعوا في مكانهم، حدد لهم الهدف التالي ألا وهو أن تقوم قوة صغيرة من جند الكمين باستفزاز الصليبيين في معسكرهم، من أجل إجبارهم على الخروج إليهم وملاحقتهم، وإذا أخذوا الطعم استدرجوهم إلى موقع الكمين، حيث ستتكفل بقية القوات الأيوبية بقتال الصليبيين، إلتزمت تلك القوة الأيوبية بتعليمات السلطان صلاح الدين، وهاجمت معسكر الصليبيين ورموا خيامهم بالسهام، فقاتلتهم القوات الصليبية وبادلتهم برمي النشاب، ولما تيقنوا أن تلك الفرقة عددها قليل جداً، لاحقتها فرقة صليبية مؤلفة من مائتي مقاتل، بينهم بعض كبار القادة، فأوصلتهم الملاحقة إلى حيث يكمن المقاتلون الأيوبيون، وكانوا مترصدين لهم، فاشتبكوا معهم في القتال وتمكن الأيوبيون من إحراز النصر وأسروا العديد منهم[٢].

من نوادر الكمائن أن ريتشارد قلب الاسد خرج يوماً للصيد والاحتطاب بعد معركة أرسوف سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م)، فنصب له صلاح الدين كميناً كاد أن يقع فيه الملك ريتشار ويؤسر، لولا أن فداه بنفسه أحد خواصه الفرنسيين ،حيث أظهر حسن لباسه كأنه الملك، وطلب النجدة باللغة العربية، فانخدع المسلمون، وأسروه على أنه الملك

---

(١) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٩٢؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٢٨؛ ابن واصل، مفروج الكروب، ٢ /٢٨٧؛ العليمي، الانس الجليل، ٣٨٢/١.

(٢) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٩٢؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٢٨؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ١٣٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٤٤؛ العليمي، الأنس الجليل، ١/ ٣٦٩.

ريتشارد، وقادوه إلى صلاح الدين فرحله إلى معتقل دمشق، وبقي مسجونا فيه حتى افتداه الملك ريتشارد بإطلاق عشرة أسرى من أمراء المسلمين[(١)].

أحياناً كانت الكمائن هي الأسلوب الأمثل، والحل المنطقي الآني، لتفادي هزيمة حربية كبيرة، أو منع الأعداء من احتلال مناطق ومدن استراتيجية، مثلما حدث في سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، عندما وصلت الأخبار إلى القوات الأيوبية المرابطة في المنصورة بقيادة بيبرس البندقداري - وكانت تتألف من المماليك البحرية وبقية المكونات البشرية مثل الكرد والترك، ولكن بنسبة أقل - بأن الصليبيين سيهاجمون المدينة ويقتحمون دفاعاتها بقيادة الكونت أرتوا أخو الملك لويس التاسع الفرنسي؛ أسرع البندقداري مع بقية القادة، وقرروا الوقوف بوجه ذلك الهجوم؛ بصورة غير مباشرة، من خلال استخدام أسلوب الكمائن، فألزم كل أهالي المنصورة بالبقاء في بيوتهم وعدم التجوال في المدينة، إلا بإذن من القيادة العسكرية وحسبما تقتضي الضرورة، ومن ثم وزعت القوات العسكرية على كمائن عدة في أرجاء المدينة، واصرت أن تظل مرابطة في أماكنها حتى تصدر إليها الأوامر بالتحرك[(٢)].

يبدو أن الدفاعات الأيوبية في الناحية الشرقية من مدينة المنصورة، كانت ضعيفة جداً أو أن تلك الناحية كانت تركت دون دفاعات من قبل القيادة الحربية الأيوبية، لاستدراج الصليبيين إلى داخل المدينة ومن ثم تنقض الكمائن عليهم، لذا فقد دخل الجيش الصليبي المنصورة دون قتال من تلك الجهة، ووجدوا أن المدينة خالية من المقاومة، وظنوا أن القوات الأيوبية قد تركت المنصورة وإن سكانها قد فروا منها بعد، معرفتهم بهجوم الصليبيين، وبذلك ازدادت آمالهم بتحقيق الانتصار، وشرعت القوات الصليبية في السير داخل أزقة ودروب المدينة باحثين عن الأسلاب والغنائم، وقتلوا كل من اعترض سبيلهم[(٣)].

مهما يكن من الأمر، فإن القوات الصليبية التي سيطرت ظاهرياً على المدينة، وتمهيداً لوصول أخ الملك لويس الكونت (روبرت أرتوا)الى غرفته في القصر السلطاني الواقعة أقصى الناحية الغربية من المنصورة، طلبت القيادة الصليبية من المدافعين عن القصر السلطاني الاستسلام، والاعتراف بانتصار الصليبيين؛ الوقت الذي كان الكونت

---

(١) أبو شامة، الروضتين، ٤/ ١٦٤–١٦٥؛ سعداوي، جيش مصر، ص ص٥٧–٥٨؛ De michand. Histoure des Crosiades. Paris, v. 2. P. 38.

(٢) المقريزي، الخطط، ٤٠٩/١؛ شبل، الانظمة، ص ص١٥٥-١٥٦؛ زيادة، حملة لويس التاسع، ص ص١٥٥.

(٣) شبل، الانظمة، ١٥٦؛ نسيم، العدوان الصليبي، ص٦٣.

أرتوا يسير بخطى سديدة نحو القصر وتعلوه ابتسامته نشوة النصر النهائي[1]، حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ أصدرت القيادة الحربية الأيوبية، والتي كان على رأسها حينئذ في المنصورة، البندقداري أوامرها إلى معظم فرق الكمائن بتطبيق خطتها الرئيسية بتطويق القوات الصليبية بقيادة الكونت أرتوا، فخرجت فرقة المماليك البحرية الصالحية من كمائنها المحيطة بالقصر السلطاني، وخرجت الخيالة المصرية الأيوبية كما خرجت أصناف من المدنيين من أهل المنصورة من بيوتهم، للدفاع عن المدينة ضد الخطر الصليبي الداهم، ثم تحركت كتيبة من الخيالة المصرية الأيوبية المعسكرة خارج المنصورة، وأبادت في طريقها نحو القصر السلطاني أعداداً من الخيالة الصليبية المنتشرة في الشوارع والأزقة والدروب والحارات ولم تلبث تلك القوات الأيوبية أن أطبقت من جميع الجهات على الكونت روبروت أرتوا، وفرقته عند باب القصر السلطاني وأوسعتهم قتلاً وتشريداً حتى أهلكت معظمهم بما في ذلك الكونت أرتوا نفسه الذي لقي مصرعه نتيجة تهوره[2].

كذلك ساهمت المقاومة الشعبية لاهل المنصورة بإسهام كبير في إبادة الخيالة الصليبية المبعثرة في مدينتهم على غير هدى، إذ أخذ بعضهم في إقامة المتاريس في الطرق والشوارع بما وصلت إليه أيديهم من ألواح وكتل خشبية ،كما أخذ آخرون في رمي الفرسان الصليبيين بالحجارة والطين والتراب، وغير ذلك من مقذوفات المدنيين من شبابيك البيوت وسطوحها[3].

عمدت جماعة من الجنود الأيوبيين إلى مطارة الهاربين من الصليبيين إلى أبعد مسافة ممكنة خارج المنصورة ومعسكرها وأسوارها حتى الشاطئ حيث مات كثير منهم غرقاً[4]. وأدركوا أنهم قد سقطوا في كمين محكم داخل أزقة المدينة الضيقة وتورطوا في معركة حياة أو موت ،فألقى بعضهم نفسه في النيل وابتلعتهم المياه[5]. فكانت تلك بداية نهاية الحملة الصليبية السابعة على مصر وهزيمة القوات الصليبية، حتى بلغ عدد قتلى

---

(١) جوانفيل، مذكرات جوانفيل، ص١٢٠؛ نسيم، العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص٦٤.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ١١٢/٦؛ المقريزي، السلوك ،٤٤٧/١-٤٤٨؛ شبل، الانظمة، ص١٥٦؛ زيادة، حملة لويس التاسع، ص١٥٦.

(٣) جوانفيل، مذكرات جوانفيل، ،ص١١٥؛ زيادة ،حملة لويس التاسع، ص١٥٦.

(٤) الدواداري، كنز الدرر، ٧/ ٣٧٩—٣٧٧؛ المقريزي، السلوك، ١/ ٤٤٧—٤٤٨؛ زيادة، حملة لويس التاسع، ص ص١٥٥—١٥٨؛ جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على مصر هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور، (الإسكندرية: ١٩٦٩)، ص ص١٦٦—١٧٠.

(٥) نجاة محمود سليم محاسيس، معجم المعارك التاريخية، (عمان: ٢٠١١)، ص٤٩٣.

الصليبيين قرابة ألف وخمسمائة فارس في تلك الموقعة[١] التي أطلق عليها إبن واصل (يوم الكبسة)[٢].

استناداً إلى ما سبق نلاحظ بأن الدولة الأيوبية كانت على معرفة بكفية استخدام أسلوب الكمائن كتكتيك حربي ورثوه على أغلب الظن من أسلافهم الزنكيين الذين بدورهم أخذوا أصوله الأساسية من السلاجقة، إلا أن الأيوبيين تفننوا في استخدام الكمائن وزادوا عليها وبرعوا في استخدامها ضد الصليبيين وغيرهم نتيحة لمعرفتهم الجغرافية ببلادهم ودرايتهم لطبيعة أراضيهم واستغلالهم لنقاط القوة فيها ،في قتال أعدائهم فتمكنوا بذلك من أحراز النصر عليهم ولاسيما في عهد صلاح الدين الذي برع في نصب الكمائن للصليبيين. كما أنهم ركنوا إلى الاعتماد على ذلك الأسلوب أو التكتيك الحربي في عهد خلفائه في أكثر من موقعة وإن دل ذلك على شيء؛ فإنه يدل على نضج المؤسسة العسكرية الأيوبية ومواكبتها للتكتيكات العسكرية المتبعة آنذاك.

ب- الخداع والحيل الحربية

من بين الأساليب التكتيكية التي أدت إلى نجاح معارك الأيوبيين هي أساليب الحيل والخداع وكيفية تطبيقها، لانها جزء من فن الحرب وضرورة اعتمادها ايام الحروب والمعارك على المستوى التكتيكي والاستراتيجي، وهي لغوياً تعني، الاستتار، التخفي، التضليل، والمكر والخداع والاحتيال والقيام بأعمال تمويهية لصرف انتباه العدو عن الحقيقة والتوجهات، والأمكنة والاعمال الأساسية[٣]، فهي من الناحية الاصطلاحية، تعني مجموعة من الإجراءات المنسقة وتنفيذها، لإخفاء الحقائق وإقناع العدو وحلفائه بمفهوم غير حقيقي عن نوايا استخدام القوة وإلامكانيات الاصلية للدولة، وبالتالي تقوده إلى اتخاذ القرارات الخاطئة التي تمنعه ولو آنياً تهيئة جيشه كما ينبغي لمواجهة الطرف الآخر الذي ركن إلى ذلك الأسلوب أي التضليل والخداع لتحقيق أهدافه[٤]، وهناك ألفاظ كثيرة ذات صلة كالحيلة والمكر والخداع والمراوغة والاحتيال[٥].

---

(١) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٨٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ١١٢/٦؛ محمد فريد عبد القادر، معارك فاصلة في تاريخ الاسلام، (القاهرة: ١٩٩٨)، ص ص٢٣٧-٢٣٨.

(٢) مفرج الكروب ١١١/٦.

(٣) زعرب، الخداع ، ص٢٠.

(٤) جمال أحمد سليمان أبو ريدة، الخدع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام، رسالة ماجستيرغير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية، غزة، سنة ٢٠٠٩، ص٩.

(٥) للمزيد ينظر، أبو ريدة، الخدع العسكرية، ص ص١٧—٢١؛ زعرب، الخدع في الحرب، ص ص٢٢—٣٠.

يقول سون تزو أن كل الحروب تعتمد على الخداع وإن ((من أهم عوامل النجاح في المواجهات العسكرية والتي يحرص عليها أي قائد ناجح هي السرية والخداع، فلابد من إخفاء الهدف والخطة))[١].

يعود سبب اللجوء للحيل الحربية الى ضرورة المحافظة على سرية الخطط والمعلومات المتعلقة بالقوات وتحركاتها وعن الاسلحة المتوفرة، تحرم العدو من إمكانية تقدير الموقف بشكل صحيح عن القوات العسكرية[٢].

أجاز الشرع ذلك الاسلوب؛ لأن هناك أدلة تثبت مشروعية الخدعة إستناداً الى القرآن والسنة وأفعال الصحابة والأدلة العقلية[٣]. والحديث النبوي المشهور بين المسلمين يؤكد ذلك وهي ((الحرب خدعة))[٤]. ومن أهم الحيل والخدع التي استخدمها الأيوبيون في حروبهم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصرهي:

١- أسلوب المفاجئة والمباغتة

هو أسلوب هجومي تعرضي، يتم مفاجأة العدو، بمهاجمته في وقت لا يتوقعه أو في مكان أو جهة لا يتوقع الهجوم عليه منها، أو باستخدام سلاح لم يكن متوقعاً أن يستعمله[٥]. وهذا ما حدث في معركة مرج عيون سنة (٥٧٥هـ/ ١١٨٠م)، وذلك عندما عسكر السلطان في تل القاضي ببانياس على المرج المعروف بمرج عيون، فعزم على إرسال إبن أخيه عزالدين فرخشاه بن شاهنشاه ،لشن غارة عسكرية ضد الصليبيين المتواجدين في بانياس ومحيطها، بقصد إخافة العدو وجمع ما تمكن منه من الغلات، تقدم فرخشاه بقوته الصغيرة العدد التي لم تكن تتجاوز الثلاثين مقاتلا، عبر مجرى النهر المانع بينهم بقصد الاشتباك معهم[٦]، في حين السلطان في صباح ذالك اليوم أراد أن يستطلع أخبار تلك القوة الأيوبية المكلفة بالإغارة على بعض مواقع الصليبيين، مفاجأته فرار الأغنام من مراعيها دون وجهة محددة، فعلم بأن الصليبيين قد قاموا بغارة عسكرية في تلك المناطق وتيقن الخبر من بعض الرعاة بأن الصليبيين قد اقتربوا من معسكره وكانوا ينوون مهاجمته على حين غفلة[٧]؛ الا أنه كان أسرع منهم، إذ جهز قواته بالسرعة اللازمة، فتقدم بجيشه صوب الصليبيين ،وفاجأهم في موقعهم وباغتهم بالقتال حتى لا

---

(١) فن الحرب، ص١٧.

(٢) العماد حسن توركماني، الدهاء في الحرب، (د/م: د/ت)، ص ص٨.

(٣) للمزيد عن ذلك ينظر، زعرب، الخداع في الحرب، ص ص٣١-٣٨؛ ابو ريدة، الخدع العسكرية، ص ص١١-١٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، ١٠٢/٣.

(٥) الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٩٦؛ بو لعراس، فن الحرب، ص١٢٠.

(٦) البرق الشامي، ٣/ ١٧١.

(٧) أبو شامة، الروضتين، ٣/ ٢٣ - ٢٤ .

يسمح لهم بتغيير خططهم، في الوقت الذي كان فرخشاه ومن معه قد قدموا صورة حقيقية للجنود الشجعان والمقاتلين الصامدين، فألحق الأيوبيون هزيمة كبيرة بالصليبيين قتل في تلك المعركة بعض كبار رجالاتهم وأسر عدد آخر منهم[١].

لخص إبن أبي طيء الحلبي وصف تلك المعركة بقوله: ((فسار (أي السلطان صلاح الدين) حتى أشرف على الفرنج، فإذا هم في ألف رمح، فأخذتهم السيوف والدبابيس حتى فرشت الأرض منهم، وألقى جماعة منهم سلاحهم، وسلموا أنفسهم أسارى، ونجا ملك الفرنج هنفري هارباً، ويقال: إنه وقف به فرسه، فحمله أحد خيالته على ظهره، ثم رجع السلطان إلى معسكره... وجلس لاستعراض الأسرى))[٢]. وقد عدد عماد الدين الأصفهاني الأسرى من تلك المعركة، بأنهم كانوا أكثر من سبعين أسيراً، حيث نقلوا إلى دمشق، فأطلق سراح البعض منهم لقاء دفع الفدية، وإطلاق بعض أسرى المسلمين، في حين مات مقدم الداوية المدعو(أود)في السجن، ((فطلبت جيفته، فأخذوها بإطلاق أسير من مقدمي المؤمنين، وطال أسر الباقين، فمنهم من هلك وهو عانٍ، ومنهم من خرج بقطيعة أمانٍ))[٣].

بالنتيجة انتصر الجيش الأيوبي انتصاراً حاسماً، وهذا يبين لنا دقة هذا الأسلوب؛ لأنه لا يمنح العدو الوقت الكافي لكي يعد العدة ويتجهز للدفاع والمقاومة.

اتبع الجيش الايوبي أسلوب الحرب الخاطفة ومباغتة العدو وباتت من الخطط التي اتبعها مرات عديدة ،وظهرت معالمها بوضوح أكثر في سنتي (٥٨٣-٥٨٤هـ/ ١١٨٧-١١٨٨م) إثر الانتصار الكبير في معركة حطين هجم الجيش الأيوبي بشكل مفاجئ وباغت على التوالي مدن عكا وصفورية والناصرة وقيسارية ونابلس والداروم وغيرها[٤]. حيث بلغت عدد المدن والقلاع التي سيطر عليها الأيوبيون حوالي اثنتين وخمسين في بضعة شهور وذلك بعد معركة حطين[٥]. وبالتالي استفاد صلاح الدين من قتل وأسر معظم الأمراء الصليبيين في حطين، فبادر بالهجوم على تلك المدن والقلاع، قبل أن تتمكن من تنظيم صفوفها وتدبير أمورها[٦]، أشار إلى ذلك القاضي الفاضل في إحدى رسائله مبيناً السرعة

---

(١) عماد الدين الاصفهاني، البرق الشامي، ٣/ ١٦١—١٦٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الأكراد، ص١٠٧؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٨/ ٣٩٤.

(٢) الروضتين، ٣/ ٢٤.

(٣) البرق الشامي، ٣/ ١٦٦.

(٤) حسين، الجيش الايوبي، ص١٣٢.

(٥) عاشور، الحركة الصليبية، ٢/ ٨١٣؛ علي، قيام الدولة الايوبية، ص١٣٨؛ فكري، الجهود الحربية، ص٨٦.

(٦) المقريزي، السلوك، ١/ ٢٠٧؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة، بشير السباعي، (القاهرة: ٢٠٠٣)، ص ص١٢٤—١٢٥.

والفتح الخاطف الذي تمكنت بها الجيوش الأيوبية من استرداد تلك الاعداد من المدن، فقال ما نصه: ((الحمد لله الذي فتح علينا في قليل من الأيام، ما لم يفتحه لملوك الأرض في كثير من الأعوام))[١].

من الجدير بالقول استخدام أسلوب المباغتة لم يكن دوماً يأتي بنتائج مرجوة، ولاسيما إذا كان الطرف المقابل يقوده قادة أكفاء أيضا، مثلما حدث في معركة أرسوف[٢] سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) عندما تقدمت القوات الصليبية بقيادة الملك ريتشارد نحو أرسوف، حاول السلطان صلاح الدين مباغتة جيشه بالهجوم عليه ومفاجئة مؤخرة قواته التي كانت تضم فرسان الاسبتارية[٣]،برميها بالنشاب بهدف عزلها عن بقية أقسام الجيش، في وقت لم تكن الظروف مناسبة لبدء تنفيذ ذلك الهجوم المباغت لان معركة كانت تجري بين القوات الأمامية للجانبين، أدرك الملك ريتشارد هدف صلاح الدين من ذلك التكتيك الحربي ،فأمر قواته بالصبر؛ ولكن لفترة محدودة تحملوا خلالها قسوة سهام المسلمين التي ألحقت بهم خسائر فادحة فضلاً عن شدة الحرارة التي أتعبت قواتهم نفسياً، ومع ذلك حاول ريتشارد الالتزام بأسلوب الدفاع والاحتراز في بداية الاصطدام[٤].

كاد الجيش الأيوبي أن يحقق النصر بعد ان كبد الصليبيين الكثير من الخسائر، لان القوات الصليبية المرابطة مع ريتشارد قلب الأسد وجلهم من الفرسان لم يلتزموا بأوامره، التي كانت تدعوا إلى المطاولة والدفاع، ووجدوا انهم ان لم يقاوموا ويباغتوا جيش الأيوبيين بهجوم معاكس، فإن نهايتهم جميعا لن تكون بعيدة، وقد وصف إبن شداد الذي رافق صلاح الدين في تلك المعركة حال الصليبيين، قائلاً: ((ثم اجتمعت الخيالة، وتواضعوا على الحملة خشية على القوم، ورأوا أنهم لا ينجيهم إلا الحملة، ولقد رأيتهم وقد اجتمعوا في وسط الرجالة، وأخذوا رماحهم، وصاحوا صيحة الرجل الواحد، وفرج لهم رجالتهم، وحملوا حملة واحدة من الجوانب كلها))[٥].

هكذا تحول موقف العدو من الدفاع إلى الهجوم المنظم، وأدى ذلك إلى حدوث خلل وتداع في صفوف القوات الأيوبية، مما أدى إلى فرار عدد من المقاتلين من أرض المعركة[٦].

---

(١) ص٥١.

(٢) ارسوف، مدينة في الساحل الشامي بين قيسارية ويافا، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ١٥١.

(٣) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٨٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٦٧؛ عاشور، الحركة الصليبية، ٢/ ١٣٧.

(٤) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الأكراد، ص١٩٩؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ١٧١–١٦٢؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ٣/ ١٠٩.

(٥) النوادر السلطانية، ص ص٢٧٥–٢٧٦.

(٦) حسين، الجيش الأيوبي، ص٢٨٧؛ .Oman, A History of the Art, vol, P, 315

والسبب كله كما يبدو يعود إلى أن مباغتة الأعداء ومفاجأتهم يجب أن يتم توقيته بصورة دقيقة، وحسب خطة مرسومة، بحيث لا تتعرض المباغتة إلى مباغتة معكوسة، وفي تلك الحالة ستكون التبعات كثيرة ومكلفة على القوات المبادرة بمباغتة جند العدو، مثلما حدث في أرسوف ،حيث هزم الجيش الأيوبي، لأن توقيت الهجوم ومفاجأة قوات الصليبيين، كان قراراً أخذ على عجلة من الأمر، نتيجة للتحرك السريع للعدو تجاه مدينة أرسوف ويافا.

٢- التضليل والايقاع بين الخصوم:

وهي نوع من الخدع يهدف من ورائها إلى تقوية الروح المعنوية للجند، وإثارة الشك والرعب في قلوب الأعداء وتوهمه بقدوم الإمدادات والقوة أمامه ،ليزيده خوفاً وارتباكاً[١]، كذلك يستهدف شق صفوف العدو والإيقاع بهم وكسب ود بعض قادتهم في محاولة منهم ولاضعافهم. ومن الأمثلة التأريخية على استخدام أسلوب التضليل، هو الشدة التي اجتاحت العساكر الأيوبية والمحاصرين داخل عكا، بسبب حاجتهم إلى الطعام والميرة، فكان على القيادة الحربية الأيوبية اللجوء إلى بعض التكتيكات الحربية من أجل تخفيف الضغط على القاطنين داخل عكا من المقاتلين والعامة من الناس، فلم يجدوا بداً من استخدام أسلوب التضليل، لذا أعدوا بطسة كبيرة في بيروت ووضع فيها الميرة والذخائر وتزينوا بزي الصليبيين، حتى حلقوا لحاهم، ووضعوا الخنازير على سطح البطسة بحيث ترى من بعد، وعلقوا الصلبان وجاءوا قاصدين عكا أثناء حصار الصليبيين لها، وقد خالطوا مراكب العدو، خدعوهم ولم يشك العدو أنها ليست تابعة للبحرية الصليبية، فلم يتعرضوا لها وسمحوا لها بالعبور، فوصلت البطسة بسلام إلى أهل عكا وحققت هدفها المنشود[٢].

استنادا إلى مضمون الرواية السابقة، نرى بأن نجاح تلك العملية يعود إلى عدد من العوامل من أبرزها:

١- اختيار التوقيت المناسب لإرسال البطسة.

٢- انتخاب الاشخاص المناسبين للقيام بتلك العملية ممن يجيدون اللغة الفرنسية، وتدل هيأتهم على أنهم من المسيحيين، دون أن يدخل الشك في نفوس فرق الحماية البحرية الصليبية.

---

(١) فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير، (القاهرة: ٢٠٠٥)، ص٢٦٢.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٤٤؛ ابن العديم، زبدة حلب، ص٤٢٣؛ أبو شامة، الروضتين، ٥/ ٩٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ٤١٢.

٣- إظهار البطسة بمظهر سفينة تجارية صليبية، من خلال تزيينها بالمظاهر الدينية والاجتماعية المسيحية.

٤- رباطة الجأش والثقة بالنفس من قبل طاقم البطسة، بحيث لم تظهر عليهم أية علامات تدل على أنهم ليسوا من الصليبيين، أو متنكرين بزيهم ومظاهر حياتهم.

في خضم التطورات السياسية والعسكرية بين المسلمين والصليبيين، ومحاولة كل جانب تحقيق أكبر عدد من الأهداف التي وضعها نصب عينيه؛ من خلال رواية قيمة لها أهميتها التأريخية، أوردها إبن شداد المعاصر للحدث وشاهد العيان للواقعة(١)، حيث ذكر في حوادث سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) بأن السلطان صلاح الدين تواصل مع أمير صيدا الصليبي والتقاه مع عدد آخر من الأمراء وقادة الجند في مقر قيادته، واحتفى بقدومهم وبالغ في إكرامهم، بقصد خلق الثقة لديهم، وتضليلهم عن الخطة التي يروم تنفيذها في أي اتفاق يجريه معهم، وطلب أمير صيدا من السلطان، أن يصالح كونت مدينة صور المركيز (كونراد دي مونتفرات)، ولاسيما بعد أن تحالف معه أمير صيدا وعدد آخر من قادة الصليبيين وأمرائهم، أي أنهم أصبحوا جبهة داخلية ضد ريتشارد قلب الأسد، وكانوا يناوؤن الصليبيين القادمين من أوربا أو كما كانوا يسمونهم ((الفرنج البحرية))(٢)، ووافقه السلطان على بعض الشروط التي اشترطها(٣)، فقد كان يروم بتلك الموافقة ((الإيقاع بينهم، وأن ينفل بعضهم))(٤)، ولما استمع السلطان إلى تلك الشروط والرسالة التي حملها إليه شفوياً وعده بالرد عليه في أقرب وقت(٥).

ومن خلال نظرة تحليلية، للرواية السابقة، يلاحظ ما يلي:

أ- موثوقية الرواية تلك؛ لأن ناقلها معروف بالموضوعية بين المؤرخين ألا وهو إبن شداد الموصلي، كونه كان حاضرا ذلك الاجتماع.

ب- الثقة والصبر اللذين تحلى بهما السلطان في مقابلة الوفد الصليبي، وإظهار أبهى صور التكريم للوفد المذكور، بغية الوصول إلى تحقيق الأهداف المتوخاة من ذلك الاجتماع.

---

(١) النوادر السلطانية، ص٣٠١؛

(٢) النوادر السلطانية، ص٣٠١؛

(٣) النوادر السلطانية، ص٣٠١؛ في حين ذكر ابوشامة بان المركيز صاحب صور كان هو من ارسل الرسالة والشروط الى السلطان، وكان من بين تلك الشروط، ان يعطي امير صور، صيدا وبيروت، ويحاصر عكا ويستولي عليها لنفسه، بشرط اطلاق سراح المسلمين فيها. ينظر: الروضتين، ٣/ ١٦٦.

(٤) النوادر السلطانية، ص٣٠١؛

(٥) النوادر السلطانية، ص٣٠١؛

ج- الاستماع بروية وهدوء إلى شروط الصليبيين ومطالبهم في حال التحالف معهم، واستمالتهم إلى جانبه، مع عدم التعليق بعجالة على تلك الشروط، بل أمنهم بالموافقة على ما طرحوه من الأمور، بأن وعدهم بالاجابة على مطالبهم في أسرع وقت.

د- كانت خطة السلطان الأساسية، هي تضليل أهدافه عنهم، ومحاولا اتباع خطة الإيقاع بينهم أولاً، وتفكيك شملهم ثانياً.

هـ- لم يبين ابن شداد مضمون تلك الشروط التي أرسلها ماركيز صور للسلطان صلاح الدين للموافقة عليها مع أمير صيدا، لكن من خلال الرجوع إلى أبي شامة، وكتابه الروضتين، نقف بوضوح على تلك الشروط، ودافع موافقة السلطان عليها مبدئياً.

ج- الحرب النفسية Psychological Warfare:

تعد الحرب النفسية من أهم أنواع الحروب، حيث أولت الدول والجيوش قديماً وحديثاً عناية خاصة بها نظراً لتأثيرها الكبير في حسم العديد من المعارك والحروب السياسية والعسكرية.

اشاد المصادر التاريخية بأن الحرب النفسية وما يرافقها من نتائج سياسية استخدمت في عصور ما قبل الميلاد؛ ثم تطور استخدامها وفقاً بتطور الزمن والمجتمعات وأساليب الحروب والمعارك فقد استخدمها الصينيون والفرس واليونان والاغريق، كما استخدمها العرب المسلمون لاحقا ولاسيما في بداية الدعوة الإسلامية، وتوسعوا في استخدامها خلال الفتوحات الإسلامية بعد توطيد دولتهم[١].

أن للحرب نفسياً أبعاداً متعددة ولكن المفهوم الذي يخصنا هو ما يتعلق بفئة معينة من المجتمع وهي المؤسسة العسكرية والمنظومة الحربية.

وقد تباينت تعاريف هذه الحرب فهناك من يراها حملة مخططة شاملة تستخدم الدعاية والشائعات وأساليب أخرى للتأثير على عقول ومشاعر جموع محددة بقصد تغيير مواقف معينة كإجراءات عملية ذات طبقة سياسية وعسكرية[٢].

ثمة من يراها حرباً هجومية مبرمجة يخوضها الجيش بأسلحة فكرية وعاطفية من أجل تحطيم معنويات جيش العدو، كما أنها وسيلة تهدف من ورائها إلى التأثير على

(١) مصطفى الدباغ، المرجع في الحرب النفسية، (عمان: ١٩٩٨)، ص١٦؛ حميدة مهدي سميسم، الحرب النفسية، (بغداد: ٢٠٠٤)، ص٢٣.

(٢) محمد منير صحاب، الحرب النفسية، (القاهرة: ٢٠٠٥)، ص١٨؛ عبد الرحمن محمد عيسوي، موسوعة علم النفس الحربي، (بيروت: ١٩٩٩)، ص١٢.

الروح المعنوية او سلوك أية جماعة لغرض عسكري، من خلال بث الأخبار المدسوسة والإجراءات المعنوية لإشاعة البلبلة الفكرية عند العدو التي ،تؤدي في النهاية إلى استسلامه[1].

تعد الحرب النفسية علماً وفناً يتطلب من القائمين على استخدامها امتلاك المهارة والكفاءة والحنكة السياسية في أختيار المكان والزمان والوسائل والظروف الملائمة لاستخدامها، إن الهدف الحيوي من الحرب هو تحطيم الطاقات المادية والمعنوية للعدو، فإذا تم النصر في ميدان الحرب، استطاع أن يحطم الطاقة المادية،للعدو من جهة فلابد من جهود أخرى لتحطيم الطاقة المعنوية للعدو من جهة اخرى[2].

وعلى هذا النحو تعد الحرب النفسية من أخطر الأسلحة الفتاكة والمدركة للأمم والجيوش، فهي بوسائلها المختلفة موجهة إلى الفكر والعقيدة والقوى النفسية، من أجل اضعافها وتحطيمها وتجريدها من الإرادة القتالية، وإذا فقد المقاتل إرادته القتالية اوضعف انساق وراء فهمه طوعاً وكرهاً[3].

تتضمن الحرب النفسية الاستراتيجية جميع الفئات المدنية والعسكرية وبشتى الطرق والاساليب بغية تحقيق الأهداف المرجوة في بعد زمني محدد[4].

من أبرز صور الحرب النفسية التي ركن اليها الأيوبيون ضد خصومهم، واستنادا إلى مرويات إبن الاثير الجزري، فإن السلطان صلاح الدين، ومن أجل حقن دماء المسلمين، وإنهاض هممهم العقيدية من أجل الانضمام إليه في مشروعه الوحدوي، فبدلاً من أن يلجأ إلى القتال المباشر المستمر الذي يخلف التضحيات بين المسلمين، فقد كان يعتمد الحرب النفسية في التأثير على حكام المدن وأعيانها وأهلها، فعندما توجه لفتح مدينة آمد سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)، ضيق الخناق عليها، وقطع عنها أية إمدادات تصل إليهم لكي يولد حالة من الملل واليأس والقنوط عندهم كي يكفوا عن المواجهة معه، فضلاً عن أنه كان يرمي إلى داخل تلك المدينة، سهاما تحمل رسائل معنوية، ترغيبية وترهيبية، تحث المدافعين على الاستسلام والانضمام اليه[5]، مكرمين محتفظين بكل إمتيازاتهم التي كانت لهم قبل ذلك، فكانت تلك السياسة والأسلوب النفسي في المعارك يأتي بنتائجه الايجابية حيث استسلمت مدينة آمد له في النهاية.

---

(١) الدباغ، المرجع، ص١٧؛ زماني، بحوث، ص١٥٥.

(٢) خطاب، إرادة القتال، ص٢٦.

(٣) العقلا، اعداد الجندي، ص ص٣٧٥ -٣٧٦.

(٤) ئاراس فەريق زەينەڵ: جەنگی دەرونی لە سەر دەمی سەلاحەددینی ئەیوبییدا، (سلیمانی: ٢٠٠٨): ل٥١.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٥٠/٩-٣٥١.

كما استخدام ذلك الأسلوب أيضاً، عندما حاصر السلطان صلاح الدين مدينة الموصل للمرة الثانية سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، ولما استعصت عليه المدينة، ومن أجل إجبار أتابكها الزنكي وسكانها على الاستسلام، وبمشورة بعض قادته ،حاول قطع الماء عن المدينة، وتغيير مسار نهر دجلة إلى مكان آخر[١]، لكن تلك المحاولة فشلت، لصعوبة القيام بتحويل مياه النهر إلى ناحية أخرى، حيث كان تنفيذ ذلك الامر يحتاج إلى الكثير من المال والرجال والجهد والوقت. ولكي يُشعر المواصلة باليأس، أرسل كبار قادته للاستيلاء على القلاع والحصون التابعة للموصل، لكن تجدد بعض الاحداث في ميافارقين دفعته إلى رفع الحصار عن البلد.

لجأ السلطان صلاح الدين إلى خطة الحرب النفسية ضد الموصل مرة أخرى، في سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، عندما حاصر المدينة للمرة الثالثة، حيث وصل إلى كفر زَمّار وعسكر هناك، بقصد الاقامة الطويلة، فأقطع معظم أعمال الموصل لقواده وأمرائه، ثم جمع كل غلاتها ومواردها الاقتصادية، مستهدفاً إضعاف البلد، وإجبار حكامها على الاستسلام؛ لكن بسبب حصانة مدينة الموصل وقلعتها، ادى الى فشل الحصار الثالث أيضاً، مع ذلك فإن السلطان صلاح الدين قد حقق هدفه، عندما طلب المواصلة الصلح مع السلطان والرضوخ لأوامره وتقديم الولاء له، وفق شروط ألزمهم بها[٢].

ونلاحظ مثل تلك الحالات بصورة واضحة من خلال الرسائل والمخاطبات التي حملت في طياتها بعض صور الحرب النفسية من خلال الرسائل المتبادلة بين القيادة الأيوبية والخصم لانها تبين مدى الاستفزاز والاستهزاء والتراشق الفكري واللفظي بين الطرفين. ثمة صور للحرب النفسية الأخرى، ظهرت عندما هاجم الملك العادل الأيوبي في سنة (٥٩٣هـ/ ١١٩٦م)، مدينة يافا بقصد فتحها واستردادها من الصليبيين، وضغط على قلعتها بقوة وحاول هدم اسوارها ونقب تحتها، ولما تمكن من الدخول اليها، كان هناك أربعين فارسا من الصليبيين محتمين في داخلها، فلجئوا إلى الكنيسة الموجودة في القلعة وبدلاً من أن يحاربوا الملك العادل ويدافعوا عن أنفسهم، اغلقوا باب الكنيسة على أنفسهم، وتبارزوا مع بعضهم البعض حتى قتل جميعهم، وعندما دخلت العساكر الأيوبية إلى الكنيسة، وجدوا بأن كل أولئك الفرسان صرعى[٣]،مما يدل بانهم انهاروا نفسياًفلجأوا الى الانتحار.

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٦٦/٩-٣٦٧؛ ابو شامة، الروضتين، ١٤٨/٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ١٦٩/٢.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٦٩/٩؛ زەینەل، جەنگی دەروونی، ل٩٧؛ عن شروط الصلح تلك ينظر، ابن شداد النوادر السلطانية، ص ص١١٩-١٢٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٠٥/٢١؛ ابو شامة، الروضتين، ١٥٣/٣.

(٣) ابو شامة، االذيل على الروضتين، ص ص١٣-١٤.

كما يدخل في هذا الجانب أيضاً، كثرة المعارك الداخلية والنزاعات الأسرية بين الملوك الأيوبيين والأمراء الذين كانوا يوالونهم في خططهم، التي كانت تؤثر ضمنياً على الحالة النفسية بين جميع الاطراف التي كانت تقاتل مع بعضها البعض، فضلاً عن إحداث الاضطراب بين صفوف أهالي تلك المدن، إلى جانب إضاعة الكثير من الوقت والجهد وإضعاف الموارد البشرية والاقتصادية للدولة، فبدلاً من توجيه تلك الإمكانيات لقتال الأعداء الصليبيين، استخدمت بصورة معكوسة لتدمير البنية التحية للبلاد، وخير مثال على ذلك، ما ذكره إبن الأثير الجزري في حوادث سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، عندما تعرضت دمشق وأعمالها لحصار الملكين الأفضل علي وأخيه الملك الظاهر غازي أمير حلب، ومن ثم تدخل عمهما السلطان الملك العادل لمساندة إبنه المحاصر الملك المعظم عيسى، وحسم الأمور، وبالتالي فإن ذلك الاضطراب الذي خلقه أولئك الملوك الأيوبيون في دمشق، كانت له نتائج سلبية على بعض المناطق الأخرى مثل بانياس وصرخد أيضاً. واستنتاجاً الى خلق تلك الأوضاع ، فإن تلك المعارك الشخصية – الأسرية، كانت وبالاً على الدولة، لانها أدت في الغالب إلى إضعاف الروح المعنوية وإحداث حالة نفسية سيئة لدى الساسة والعامة على السواء[١].

لم يشذ الملك السلطان الملك الكامل الأيوبي عن السلطان صلاح الدين في استخدام الحرب النفسية، في بعض معاركه، فعندما هاجم مدينة آمد سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)، وسلط عليها المنجنيقات، لم يتمكن من فتحها لحصانة أسوارها، لكن يبدو أن ضغطه على المدينة، أثر على أهالي آمد، فبدأت علامات عدم الرضى تظهر من قبلهم تجاه أميرها، ولما أيقن أمير البلد الأرتقي، أنه في حال دخول السلطان الملك الكامل المدينة فإنه سيعتقله، لا محالة ولاسيما بغياب التأييد الشعبي له بعدما تخلى عنه الجميع لسوء سيرته وتأثرهم نفسياً بقوة الحصار، لم يجد بداً من الاستسلام للسلطان الأيوبي[٢].

حدث الأمر نفسه في سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م) عندما قدم الملك الصالح إلى دمشق واستقر بها، أرسل إبن عمه الناصر داود إلى الملك الصالح نجم الدين يعاضده على السلطان الملك العادل الصغير الثاني، وطلب منه تسليم دمشق إليه وجميع البلاد التي كانت بيد أبيه، فضلا عن أمور كثيرة أخرى، بحيث أراد التأثير عليه نفسياً، فوعده الصالح بذلك إذا ملك مصر، فأبى الناصر داود إلا أن ينجز له ذلك فلم يتمكن الصالح أيوب من الإبقاء بها في حينه[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ، ٥٢٦/٩.

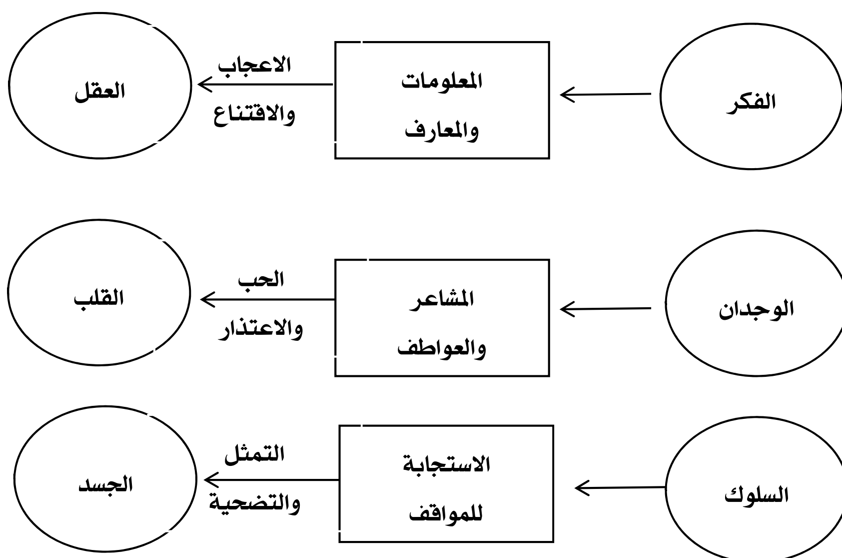
(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٧/٥-١٨.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٢٠٧.

وقد لجأ الملك الصالح نجم الدين أيوب أكثر من مرة إلى استخدام الحرب النفسية ضد معارضيه ولاسيما من الأيوبيين، ذلك ما وقف عليه في حوادث سنة (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م)، حينما بعث قواته بقيادة فخرالدين يوسف بن شيخ الشيوخ، للاستيلاء على كل ممتلكات الملك الناصر داود أمير الكرك، فاستولى على القدس ونابلس وبيت جبريل والبلقاء، وعزلوا نواب الملك الناصر وولوا نوابهم عليها، ثم سارت تلك القوات إلى الكرك، فنهبت واستولت على ما حولها من القرى والأرياف، وأضعفت البلاد كثيراً، لذا لم يستطيع الملك الناصر داود الاستفادة من مواردها مستقبلاً لقتال السلطان الملك الصالح نجم الدين، فضلاً عن أن تلك الهجمات والغارات على ممتلكاته، أثرت عليه نفسياً مما دفعه ذلك إلى إرسال خطاب بصورة انتقاد وتوسل في الوقت نفسه إلى السلطان، ليسامحه ويعفو عنه، من خطأ إرتكبه بحقه[1].

المخطط رقم (١١)

مخطط الحرب النفسية



---

(١) مؤلف مجهول ،تاريخ دولة الاكراد،ص ص٤٤٧-٤٤٨؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٣٦٣/٥-٣٦٧.

المبحث الرابع
أسلوب الرصد والمتابعة وإيصال المعلومات

هذا الأسلوب الحربي يتعلق بكيفية متابعة أخبار العدو ورصد تحركاته، وإيصال الأخبار والأنشطة المهمة بأيسر الطرق وأأمنها إلى الجهات والقوات المختصة، وغالبا ما كانت الدولة الأيوبية، تلجأ في تنفيذ هذا الأسلوب إلى شبكة من العيون (الجواسيس) والمستأمنين فضلاً عن العوامين والطلائع (اليزك) والبريد (المخابرات) وكان للعاملين مع تلك المجموعات جهود بارزة في رسم صورة واضحة نقف من خلالها على حرص الأيوبيين على متابعة كل الأمور المتعلقة بالحرب والمعارك المتفرقة بكثير من الدقة والتركيز، مع الإحاطة بالحصول على كافة المعلومات والأسرار وفق خطط مدروسة، وهذا ما سيتوضح أكثر من خلال المحاور التالية:

أ- **العيون (الجواسيس)**

العين والجاسوس، لفظتان تستويان في مدلولها عند أهل اللغة[1] واصطلاحاً لا يوجد فرق بين العين والجاسوس، فكليهما يؤديان الدورنفسه، لذلك يمكن القول؛ إن العيون عناصر قتالية فعالة وهي وإن كانت لا تباشر القتال الفعلي، لكن تقاتل العدو داخل صفوفه من خلال كشف نواياه وخططه، ويتوقف على المعلومات التي يقدمها العيون ،وضع الخطط الحربية، فالعيون هي في الأساس عناصر عسكرية ويمكن أن تكون مدنية أيضاً، وإن الخدمات التي تؤديها العيون لا غنى للقيادة العسكرية عنها[2].

لذلك صرح الهرثمي بالقول: ((إن رأس أمر الحرب هي العيون والجواسيس ومعرفة وتدبير مكايدة العدو))[3]. وقد أكد إبن عبد ربه الأندلسي على أهمية العيون أيضا فعندما سئل: ((أي المكايد فيها أحزم؟ قال: إذكاء العيون وإفشاء الغلبة، واستطلاع الأخبار))[4]. نظراً لدورهم الحساس ولأهميتهم العسكرية يفترض أن تتوفر فيهم صفات

---

(١) فقد عرف الفراهيدي العين، بأنه الشخص الذي يبعث لتجسس الخبر، العين، تحقيق، مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، (بغداد: ١٩٨٤)، ٢/ ٢٥٥؛ أما ابن منظور فقد عرفه بأنه الطليعة الذي يأتي بالخبر وهو الجاسوس والديدبان، لسان العرب، ٦/ ٣٨؛ أما ابن حجر العسقلاني فيرى أن الجاسوس سمي عيناً لأن جل عمله بعينه، أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها كان جميع بدنه صار عيناً، ويرى أن التجسس هو البحث عما يدرك بحاسة العين والأذن، وهي اعم من التجسس الذي هو البحث عن بواطن الأمور، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: ١٣٧٩هـ)، ٦/ ١٦٨، ١٠/ ٤٢٨.

(٢) الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٣٦؛عيا،نظم الحرب ،ص٨٥.

(٣) مختصر سياسة الحروب، ص٢٣.

(٤) العقد الفريد، ١/١١٠.

خاصة ،تؤهلهم لأداء المهام الصعبة والخطيرة المكلفين بإنجازها ومن أهمها أن يكونوا من أهل الثقة والدين والأمانة[1]. وأن يتمتع بالشجاعة بحيث يتمالك أعصابه في الحالات الحرجة، وأن يمتلك اللياقة البدنية العالية؛ لأنه قد يتعرض لظروف صعبة تحتاج منه إلى الركض أو التسلق أو السباحة، وأن يمتلك قدرات خاصة في الذكاء والقدرة على الإقناع للتغلب على شكوك الخصم، وكذلك القدرة على التمثيل ولعب الأدوار المطلوبة منه وإقناع الآخرين بها، وأن يكون حذراً حتى لا يقع بيد الأعداء، وأخيراً عليه أن يكون موصوفا بالكتمان (حفظ السر وصيانته)، وهي من المزايا الرئيسة في العيون والجواسيس[2].

أما اختيار اولئك العيون والجواسيس من قبل القائد الاعلى للجيش كان يتطلب بعض الأمور المهمة مثل:

١- عدم معرفة الجواسيس أحدهم للآخر، لأنه لا يضمن أن يكون العدو قد استمال أحدهم.

٢- على القائد أن يُحسِن إلى جواسيسه و يتعامل معهم برفق؛ لأن المعاملة القاسية معهم، قد تدفعهم للتواطؤ مع العدو. وأن يحرص على عدم معرفة بقية الجند للعيون والجواسيس، لأنهم قد يكونون عرضة للكشف، حتى وإن كانت بدون قصد.

٣- أن ينتدب لذلك العمل من هم قادرين على الاختلاط بجميع فئات المجتمع، وأن تكون لهم خبرة في إخفاء حقيقتهم عن الناس، وأن ينتقي من الجواسيس مَن هم على دراية بمعرفة لغة أهل البلاد التي سيرسل إليها ليستطيع كشف الأسرار من مواطنها ولا يشك أحد في نواياهم[3].

الأمر الآخر المهم في العين هو أن يختار من بين العارفين بمسالك الطرق ودروبها التي يسير فيها، وإلا فإنه سيكون عرضة للوقوع في أيدي الأعداء[4].

وحول أهمية الاستعانة بالجواسيس عند خوض الحروب فقد أشار الشيزري إلى أن من ضمن ما ينبغي للملك من سياسة الجيش وتدبير الجنود: ((هي أن يتعرف على

---

(١) يقول الهروي على الرغم من أنهم من أهل الثقة، ومع ذلك ينبغي الحذر منهم، فقد ذكر: ((فأنه يجب على السلطان أن يسمع جميع ما ينقل إليه ويرد عليه بل لا يعمل به إلا بعد الكشف عن صحته والبحث عن حقيقته))، التذكرة الهروية، ص١٩.

(٢) الهروي، التذكرة الهروية، ص١٥؛ حماد، العيون والجواسيس، ص ص٧٣-٧٦؛ سيد،التجسس ص ص٤٦-٥٠.

(٣) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص ص٢٢-٣٥؛ الهروي، التذكرة الهروية، ص١٥؛ حماد، العيون والجواسيس، ص٧٥؛ شبل، الانظمة، ص ص١١٦-١١٧؛ كرم حلمي فرحان، تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور، (القاهرة: ٢٠٠٧)، ص ص٢٥٧-٢٦٧؛ زماني، بحوث، ص ص١٤١-١٤٦.

(٤) الانصاري ،تفريج الكروب ،ص ٧١؛ ٢٢٧؛ حماد، العيون والجواسيس، ص٧٥.

أخبار عدوه بالجواسيس الثقات التي تكون له عندهم مكانة ليكون خبيراً بأحوالهم، ويسلم من مكرهم، ويلتمس الغيرة في الهجوم عليهم))[١]، واستطرد في القول عن أهمية اعتماد السلطان للجواسيس المشهود لهم بالكفاءة ومن ذوي الثقة، لكي يحصل على الأخبار والمعلومات الصحيحة سواء المتعلقة برعيته أو الاعداء على حد سواء، فقال: ((ينبغي للملك أن يكون بلطفه، وحذق جواسيسه وعيونه محيطاً بمعرفة أحوال رعيته وقواده وولاة ثغوره وأعماله وحاشيته وجنده، عارفاً بخبر أعدائه ونظرائه، عالماً بما يعملون، وما يأتمرون، بالعيون الثقاب والجواسيس المنتقاة))[٢].

وعند تتبع حقب التأريخ الأيوبي، فإن هذا العنصر الفعال في الحروب لم يكن مهملاً في الدولة الأيوبية، ولاسيما إذا علمنا أن الخطة العسكرية الأيوبية في القتال كانت تعتمد على إحاطة وافية ومعرفة واقعية للظروف المحيطة بمعاركهم مع الطرف الآخر، تطلب طبيعة الصراع الذي خاضته الدولة الأيوبية المزيد من المعرفة عن القوة الصليبية المتأهبة على أطراف بلادهم، لذلك كان يتوجب عليهم دخول معاركهم بحذر، واتخاذ الاحتياطات المناسبة قبل اللقاء الفاصل[٣]. ناهيك عن أن الأيوبيين قد اتبعوا ذلك أيضاً في صراعاتهم الداخلية مع بعضهم البعض أو مع الكيانات والقوى السياسية الاقليمية المعاصرة.

وتأسيساً على ما سبق؛ فإن سياسة الحرب التي فرضت على الأيوبيين أدت الى نشاط عيونهم في معسكرات العدو، ولم تكن سياسة الجاسوسية عندهم مجرد اتباعهم للنظريات التي ركز بعض الكتاب فيها على أهمية العيون والجواسيس والعمل الاستخباراتي، بل إن الاهتمام بتلك الناحية قد تبلور في صورة شكلت منظومة استخباراتية منسقة لديهم[٤]. طبقوا تلك الافكار النظرية في الواقع عمليا، حيث دخلت تلك الفئات إلى المعسكرات الصليبية وتعايشوا معهم، ووقفت عن قرب على نقاط القوة والضعف لدى العدو، ومخططاتهم الحربية، وكانوا ينقلون تلك المعلومات باستمرار إلى الإدارة العسكرية الأيوبية وبدقة متناهية[٥].

---

(١) المنهج المسلوك، ص٦٠٧.

(٢) المنهج المسلوك، ص ص٥٣٢ - ٥٣٣

(٣) الشريدة، التنظيمات العسكرية، ص ص١٩٠–١٩١.

(٤) شبل، الانظمة، ص١٢٤؛ فرحان، تاريخ المخابرات الإسلامية ، ص٤٠٣؛ سيد ،التجسس،ص ١١٥.

(٥) كاهن، الشرق والغرب، ص١٨٦؛ هارولد لامب، شعلة الاسلام (قصة الحروب الصليبية)، ترجمة ،محمود عبد الله يعقوب، (بغداد: ١٩٦٧)، ص١٩٢.

يمكن ملاحظة ذلك في عهد السلطان صلاح الدين إذ اشتهر عيونه بقوتهم وتفوقهم، بسبب تلك المهارة التي كان يتميز بها أولئك الجواسيس، عرف الايوبيون مواطن الضعف والقوة لدى عدوهم، وكان مطلعاً على أخبارهم باستمرار، ومما يدل على دقة وسرعة مخابرات صلاح الدين ما نقله إبن شداد في حوادث سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) عن سرعة وصول المعلومات إلى السلطان، وباستمرار فقال مانصه: ((فنزل في خيمة لطيفة، والناس حوله في خيم لطاف بمرأى من العدو، وأخبار العدو تتواصل اليه ساعة فساعة إلى الصبح))[١].

إستعان الجهاز التجسسي الأيوبي بشبكة مخابراتية متطورة زودت الدولة بما تتطلبه الحالة من الاخبار والمعلومات السرية. ولذلك اعتمدت على عدة وسائل للحصول على المعلومات، فمنها بث العيون من الفلاحين والرعاة في أنحاء الممالك الصليبية ومعسكرات جيوشهم في صورة باعة متجولين للفاكهة واللحوم والخبز[٢]. ويأتون بالأخبار إلى المسؤول عنهم، والأخير يكتب إلى السلطان أدق التفاصيل عن معسكر العدو[٣].

أحيانا كانت الأخبار تنقل للدولة من قبل بعض العامة من الناس حتى وإن لم يكونوا جواسيس رسميين، لكنهم كانوا يؤدون ما يؤديه الجاسوس الرسمي، وإن كانت الجهات العليا تتردد في قبول المعلومات المنقولة منهم على وجه السرعة، ما لم تكن هناك أدلة ثبوتية تؤكد صدق مقولاتهم، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث إبان معركة مرج العيون سنة (٥٧٥هـ/ ١١٦٩م) عندما كان السلطان صلاح الدين مخيم بتل القاضي في بانياس، فيما هو على تلك الحال، شاهد أبقاراً وأغناماً هاربة وخائفة من شيء ما، ولما استطلع الامر أخبره بعض الرعاة؛ أنهم شاهدوا جنود الصليبيين، وقد عبروا النهر بالقرب منهم، وذكر أبو شامة نقلاً عن إبن أبي طيء: ((وصل بعض الرعاة فأخبر أن الفرنج قد عبروا وصاروا قريباً منه...، فسار (أي السلطان) حتى أشرف على الفرنج))[٤] وحتى لو لم يكن أولئك الرعاة جواسيسا رسميين؛ لكنهم قاموا بما يقوم به الجاسوس، من نقل الأخبار بدقة عن تحركات العدو إلى الدولة، فتحركت القوات الأيوبية بسرعة وفاجأت العدو، وهزمته في معركة قوية وعنيفة، وتحقق ذلك النصر بسبب وصول

---

(١) النوادر السلطانية، ص٢٢٥.

(٢) سعداوي، جيش مصر، ص ص١٠١-١٠٢؛ حماد، العيون والجواسيس، ص٩٦؛ شبل، الأنظمة، ص١٢٧؛ لامب ،شعلة الاسلام، ص١٣١.

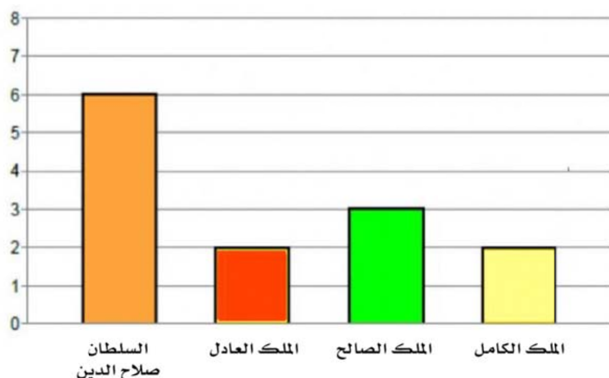
(٣) الروضتين، ٢٤/٣؛ وانظر السبكي، طبقات الشافعية، ٣٦٦/٧.

(٤) الروضتين، ٢٤/٣.

المعلومات بسرعة إلى السلطان وقواته؛ في الوقت نفسه اشار عماد الدين الاصفهاني أشار إلى أن السلطان لم يصدق قول أولئك الرعاة أول الأمر وتردد في تصديقه، وعلل ذلك؛ بأنه إذا كانت المعلومة صحيحة، لنقل له الجاسوس الرسمي -الذي بثته الدولة في الأرجاء بين الصليبيين- كل مايتعلق بتحركات العدو، وآلاته الحربية، وعدد جيشه، وغير ذلك من الأمور، بعد ان تيقن السلطان من صدق معلومات الرعاة، لما شاهد عدد من الجند الأيوبيين، قد عجلوا في الوصول إلى معسكره، وهم يلثهون من الخوف ،لنقل الخبر إليه فأسرع إلى أخذ كل الاحتياطات بالتجهيز والاستعداد لمباغتتهم في موقع تواجدهم(١).

مخطط رقم (١٢)

استخدام السلاطين الأيوبيين للعيون والجواسيس



يلاحظ من خلال قراءة نص الاصفهاني؛ إنه إن دل على شيء فإنه يدل على أن الجهاز الاستخباراتي الأيوبي لم يكن يأخذ بكل المعلومات التي تردها لهم حتى يتم التأكد من صحته من الجاسوس الرسمي، الذي كانت الدولة قد وظفته من أجل نقل المعلومات المطلوبة عن العدو إليهم، ولكن هذا لا يعني؛ بأنه لم يكن لدى الدولة عيون وجواسيس من فئة الرعاة والفلاحين وغيرهم من عامة الناس.

ومن الفئات الأخرى التي جندتهم الدولة الأيوبية لنقل الاخبار كجواسيس وعيون هم فئة التجار من المسلمين والنصارى حيث كان هؤلاء ينتقلون في الأمصار أكثر من بقية الفئات، واتصالهم بتجار الأعداء كان مستمراً، بسبب تداخل عمليات البيع والشراء.

كان أولئك التجار يعدون من أهم قنوات تزويد جهاز التجسس في ذلك العصر بالأخبار؛ بسبب ازدياد مساحة الدولة الإسلامية ولمجاورتها لكثير من الشعوب والدول

---

(١) البرق الشامي، ٣/ ١٦٢- ١٦٣ .

وبالتالي سيطرتها على أهم الطرق التجارية البرية والبحرية في العالم. والتي امتدت ما بين أراضي الدولة الإسلامية وما بين جنوب وجنوب شرق آسيا وأراضي الدولة البيزنطية، والممالك الأوروبية[١]، فضلاً عن حرية العمل التي سمح بها طبيعة العلاقات الدولية القائمة انذاك للتجار، والتي سمحت بموجبها ببقاء الاتصالات التجارية قائمة على الرغم من حالة العداء التي كانت قائمة في أغلب الأحيان[٢]، حيث اقتضت الضرورة المحافظة على المصالح الاقتصادية المتمثلة بالتجارة بين الأطراف المتحاربة[٣].

يستنتج من ثنايا نص للرحالة الاندلسي إبن جبير ورد في حوادث سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، بأن التجار كانوا أحد القنوات الهامة لحصول الدولة على أخبار العدو وما يتعلق بالمعلومات الاستخبارية فقال ما نصه: ((اختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الافرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين من دمشق على عكا كذلك، وتجار النصارى أيضاً لا يمنع أحد منهم ولا يعترض، وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم وهي من الآمنة على غاية، وتجار النصارى أيضاً يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم، والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم، والناس في عافية والدنيا لمن غلب))[٤]. و ذلك ما يستنتج أيضا، من رواية لابن شداد، حيث ذكر في حوادث سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)، بأن الأخبار كانت تصل باستمرار إلى الأيوبيين، تؤكد على الضعف الذي وصل إليه العدو عسكرياً، فضلاً عن حدوث الغلاء وارتفاع الأسعار بصورة كبيرة عندهم ولاسيما في مملكة أنطاكية[٥].

كانت الدولة الأيوبية ترسل عملائها السريين تحت أغطية مختلفة على أنهم باعة وسياح ومتصوفة وآخرين بزي التجار[٦] إلى أراضي الأعداء للقيام بمهمات تجسسية بحتة، ففي سنة (٥٨٥هـ/ ١١٩٠م) أرسلت الدولة الأيوبية جواسيسها إلى الأراضي البيزنطية للتجسس على جيش فردريك بربروسا الذي كان في طريقه إلى فلسطين[٧].

في سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) وإبان الحملة الصليبية السابعة عندما قرر لويس التاسع الهجوم على مصر، في تلك الأثناء كانت تحركات الملك لويس التاسع قد وصلت إلى مسامع

---

(١) أبو يوسف، الخراج، تحقيق، طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد، (القاهرة: ١٩٩٩)، ص٢٠٧؛ خسرو، سفرنامه، ص٨١؛ الصوري، الحروب الصليبية، ١١٣/٤.

(٢) العسلي، فن الحرب، ٦٤٩/٤.

(٣) مهدي قادر خصر، الأمن في مصر في العصر الايوبي (٥٦٧ – ٦٥٥هـ/ ١١٧١ – ١٢٥٥م)، (اربيل: ٢٠١١)، ص١٤٨.

(٤) رحلة ابن جبير، ص٢٦٠.

(٥) النوادر السلطانية ،ص٢٢٢.

(٦) حماد، العيون والجواسيس، ص٩٥.

(٧) أبو شامة، الروضتين، ٦٦/٤-٦٧.

السلطان الصالح نجم الدين أيوب الذي كان مقيماً في دمشق، وذلك عن طريق ملك صقلية فردريك الثاني[1] الذي كان تربطه علاقات ودية مع السلطان الأيوبي حيث بعث اليه فردريك الثاني[2] رسولاً (جاسوساً) في زي التجار ليخبره بأن لويس التاسع عازم على المسير بجيوشه إلى مصر وأخذها[3].

ثمة جماعة أخرى اعتمدت عليهم الدولة الأيوبية في نظامهم الاستخباراتي، وهم المستأمنين وهم الذين تسللوا ولجئوا من معسكر العدو الصليبي إلى المعسكر الأيوبي، وكان لجوئهم إلى ذلك لظروف وأسباب مختلفة، طالبين الأمان خوفاً على أنفسهم أو ضجراً من المرابطة في ساحات القتال، أو لقلة الطعام والشراب عندهم أو لأسباب أخرى[4].

جمعت الاستخبارات الأيوبية عن طريق تلك العناصر أدق التفاصيل عن تشكيلات وخطط الجيوش الصليبية، على سبيل المثال، إن الجواسيس من المستأمنين قدموا للسلطان معلومات في غاية الدقة عن بعض القوات الصليبية التي كانت تسير باتجاه عسقلان وذلك في سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) حيث أكدت معلوماتهم بأن الجيش الصليبي يتكون من الملك جفري وجماعة ساحلية معه في المقدمة والفرنسيين معه في الوسط، وأبناء صاحبة طبرية وطائفة أخرى في المؤخرة[5].

ومن الوسائل الأخرى التي كانت الدولة تحصل عن طريقها على المعلومات الحربية والإدارية وغيرها، كانت عن طريق أسرى الحرب من الصليبيين والضغط عليهم

---

(١) فردريك الثاني: تولى عرش صقلية مع امه الملكة كوستان ارملة هنري السادس سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م) وعمره كان يناهز ثلاث سنوات، وكان شغوفاً بالعلوم الطبيعية والفلسفية والرياضية وكثيراًما كانت تعترضه فيها مشكلات علمية ولا يجد من العلماء المحيطين به من يقدم له حلاًلذلك كان يرسلها الى اصدقائه من ملوك المسلمين لعرضها على علماء بلادهم منها الملك الكامل الايوبي، تأثرفي مرحلة صباه بعض الشيء باللغة العربية والثقافة الصليبية، ترجمة، السيد الباز العريني، (بيروت: ١٩٦٧)، ص١١١؛ العبادي، في التاريخ الايوبي، ص ص٧٩-٨٠.

(٢) في مجمع ليون الديني وهو مجمع عقد (سنة٦٤٦/١٢٤٨م) للنظر فيما وصل الى البابوية من اخبار الشرق واعلنت فيه الحملة بقيادة لويس التاسع دعا البابا الى حملة سماها صليبية ضد فردريك الثاني باعتباره خارجاًعلى الكنيسة مقطوعاًمن رحمتها ، العبادي ،في التاريخ الايوبي ،ص ص٨٨_٨٩.

(٣) المقريزي، الخطط، ٤٠٤/١؛ رأفت عبد الحميد، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، (القاهرة: ١٩٩٨)، ص٢١٨؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين، دراسات في تاريخ الايوبيين والمماليك، (االقاهرة: ٢٠٠٠)، ص١٢٨.

(٤) سلامة محمد الهرفي البلوي، نظم الاستخبارات الايوبية في عصر صلاح الدين، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج (٢٢)، ع (٤)، جامعة المؤتة، الكرك، الأردن، ٢٠٠٧، ص١٦؛ متعب بن حسين القثامي، مصادر المعلومات التجسسية والاستخباراتية عند السلطان صلاح الدين الايوبي (٥٦٩–٥٨٩هـ/ ١١٧٣–١١٩٣م)، مجلة الجامعة الإسلامية، السعودية، ١٤٣٩هـ، ع (١٨٣)، ج(١٣)، ص٤٣٧.

(٥) أبو شامة، الروضتين، ١٥٩/٤.

بالترغيب والتـرهيب للاستفادة مما لديهم من المعلومات عن ذويهم وعن جيوشهم. كان بعض اولئك الأسرى من كبار المسؤولين فـي جيشهم[١]، تولـى السلطان احياناً التحقيق مع الأسير بنفسه[٢].

وهناك نماذج عديدة تبين على الدور الذي لعبه اؤلئك الأسرى في مجال تزويد الجانب الأيوبي بمعلومات على درجة عالية من الاهمية عن الصليبيين من خلال اخضاعهم لاستجواب عميق، لاسيما أولئك الذي كانوا يتبوؤون مراكز القيادة في جيوشهم، وأنه من الجائز استجواب الاسير من اجل الحصول منه على المعلومات وجواز قتله إذا رفض الإدلاء بالمعلومات[٣].

ب- العـربان واللصوص والنسـاء والعـوامين

ومن العناصر الاخرى التي لعبت دورا بارزا في الحرب الأيوبية – الصليبية هم، العربان أي القبائل البدوية العربية وافرادها حيث اقدم اولئك البدو خدمات كثيرة في مجال المخابرات ليس فقط للدولة الأيوبية بل للصليبيين أيضاً. بوصفهم أدلاء في دروب الصحراء؛ كما كانوا على معرفة جيدة بالأماكن التي يمكن العيش فيها في الصحراء فضلاً عن المسالك والطرق التي تؤدي إلى آبار المياه فيها. ولهذا السبب اهتم الأيوبيون والصليبيين بهم في حربهم حيث أنهم كانوا يعملون لحساب الأيوبيين والصليبيين معا أي لمن يدفع لهم أكثر[٤] لذلك باتوا عناصر قلق بالنسبة للطرفين[٥].

إلى جانب العنصر السابق، إعتمدت الدولة الأيوبية على عناصر أخرى لجمع الأخبار ورصد مواقع العدو والاطلاع على حركاتهم، ألا وهم اللصوص وهذا يؤكد على خبرة الأيوبيين في إدارة حروبهم من خلال حشد كل الطاقات الممكنة، إذ حرص السلطان

(١) شبل، الانظمة، ص ١٢٨، القثامي، مصادر المعلومات التجسسية، ص٤٥٣.

(٢) للمزيد ينظر، عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص ص٢٤٩، ٢٦٩، ٢٧٠؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٤٠، ٣٣٨، ٢٨٧؛ البلوي، نظم الاستخبارات الايوبية، ص١٦–١٧.

(٣) عبد الله علي السلامة المحمد، الاستخبارات العسكرية في الإسلام، رسالة ماجستير منشورة مقدمة إلى كلية الشريعة ،قسم الفقه والتشريع الجامعة الاردنية، ١٩٨٦، ص ص٢٦٩، ٢٧١.

(٤) للمزيد عن العناصر الداخلة في الجهاز المخابراتي ينظر، محمد حسين الاعرجي، جهاز المخابرات في الحضارة الإسلامية، (دمشق: ١٩٩٨)، ص ص٥٢-٥٥؛ المحمد، الاستخبارات العسكرية، ص ص٢٦٨–٢٧٥؛ شبل، الانظمة، ص١٢٨؛ البلوي، نظم الاستخبارات الايوبية، ص٢١.

(٥) سلوكهم هذا دفع السلطان صلاح الدين أن يجعل همه الأول في سنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) القيام بعملية تنظيف للاماكن التي تواجد بها العربان حتى لا يجد الصليبيون احداً يرشدهم دروب الصحراء وعده من اعظم وافضل اسباب الجهاد، أبو شامة، الروضتين، ١٥٦/٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ١/ ٢٢٥؛ جب، صلاح الدين، ص١٧٣؛ وفي سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) اعدم الملك ريتشارد قلب الأسد جاسوس من جواسيسه من الأعراب لانه اخطأ ذات مرة في جلب المعلومات الصحيحة عن الجيش الأيوبي، المقريزي، السلوك، ٢٧١/١. للمزيد عن غارات صلاح الدين على اولئك العرب ينظر، البلوي، نظم الاستخبارات الايوبية، ص ص٢١٠-٢٢.

صلاح الدين على تحويل عناصر هدم إلى عوامل بناء، وتجلى ذلك بشكل واضح من خلال استغلاله لطاقات اللصوص حيث نجح في تحويلهم من عناصر تؤرق الأمن الداخلي إلى عناصر مجاهدة، فقد جمع السلطان لصوص الشام واقنعهم بأنهم يتمتعون بمواهب يمكن استغلالها في كسر شوكة الأعداء وأن أفضل شيء يمكن أن يكفروا به عن خطاياهم السابقة هو محاربة أعداء الأمة، وهكذا أقنعهم وشكل منهم فرقة مكونة من ثلاث مائة شخص وطلب منهم اختطاف أفراد وقادة الجيش الصليبي ،لاستجوابهم والتعرف على تحركاتهم ونواياهم وخططهم، فنجح اولئك اللصوص في مهامهم بشكل كبير، فقد كانوا يتسللون إلى معسكرات الصليبيين في جرأة عظيمة فيخطفون بعض الأفراد ويعودون بهم إلى مراكز القيادة التي ينتمون لها[١].

من العناصر المهمة الاخرى في الجهاز الاستخباراتي الأيوبي بصورة عامة هن النساء، إلى جانب النساء المحليات، نجح الأيوبيين في توظيف العديد من النساء الصليبيات للعمل مع الجانب الأيوبي في نقل الأخبار ورصد تحركات القوات الصليبية وتوجهات قادتهم، وإشعار المسلمين، بكل العلومات المتعلقة بهم، مما يدل على البعد الاستراتيجي للعقلية الحربية الأيوبية، من خلال تمكنهم من استمالة تلك النسوة، مقابل بعض الامتيازات الممنوحة لهم لقاء خدماتهن الاستخباراتية، ومن أشهر النساء الصليبيات اللواتي تمكن الأيوبيون من توظيف جهودهن لخدمة المسلمين، هي أميرة أنطاكية سيبيلا، زوجة الامير بوهيمند الثاني، فقد أتاح لها وضعها الاجتماعي ومكانتها في المجتمع الصليبي ان تطلع على الكثير من الأمور. فعلى حد قول أبو شامة بأنها كانت موالية للسلطان صلاح الدين ((عيناً له على العدو، تهاديه، وتناصحه، وتطلعه على أسرارهم والسلطان يكرمها لذلك، ويهدي إليها أنفس الهدايا))[٢]، عندما فتح السلطان حصن برزية سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) كانت صاحبة هذا الحصن أخت اميرة انطاكية[٣]، وبعد جهد شاق بذله السلطان وجنوده تمكنوا من فتح الحصن[٤] فوقع بعض أهل بيتها في أسرهم فأكرمهم السلطان، وأمر بإرسالهم إليها في أنطاكية معززين مكرمين[٥].

---

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص٢٨٨–٢٨٩؛ البلوي، نظم الاستخبارات الايوبية، ص١٦؛ القثامي، مصادر المعلومات التجسسية، ص٤٥٥.

(٢) الروضتين، ٢١/٤؛ أنظر أيضاً مفرج الكروب، ٢/ ٢٦٧.

(٣)عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص١٣٧؛ رنسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ٥٢٨/٢.

(٤) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص١٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤١٥–٤١٦؛ ابو شامة، الروضتين، ٤/ ١٩–٢٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٦٥.

(٥)ا سُبيت اختها يوم الفتح، فمازال السلطان يطلبها حتى احضروها واحضروا زوجها وجماعة من اصحابها وصهرها فأمنهم عليهم السلطان بما لهم، وسيرهم إلى انطاكية أكراماً لامرأة البرنس بوهميند ملك انطاكية، عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص١٣٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٦٧/٢؛ القثامي، مصادر المعلومات التجسسية، ص٣٩٦.

نظراً لتعاونها مع المسلمين ولاسيما السلطان صلاح الدين فقد وصفها رنسيمان بأنها ((المخبر السري لصلاح الدين))[١] كما أنه إتهمها بالخيانة لبني جلدتها. ودافع عن أمراء أنطاكية لكرههم لها، لكونها كانت تتعامل مع صلاح الدين لقاء الحصول على بعض الأموال والهبات، فقال: ((وكان نبلاء أنطاكية على حق في بغضهم لسيبيلا (أميرة انطاكية) إذ كانت جاسوسة، تتلقى الأموال من صلاح الدين، لقاء معلومات تتصل بالجيوش الفرنجية وتحركاتها))[٢].

ومن جانب آخر فإن الصليبيين أيضاً استخدموا العنصر النسوي كجواسيس وناقلات أخبار[٣]، ومحاولة منهن أن يلهين الجنود الأيوبيين عن القيام بمهماتهم القتالية كما يجب، فضلاً عن إغرائهم بمنح المعلومات عن القوات الأيوبية لهن، فقد أرسلت أوربا في سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) مراكب تحمل على متنها نساء وفتيات مسيحيات، لبثهن في أطراف المعسكرات الإسلامية والاختلاط بالشباب المسلم من أجل توصيل ما وظفن لأجله إلى القيادة الصليبية في عكا، وحول ذلك الأمر كتب عماد الدين الأصفهاني قائلاً: ((وصلت في مركب ثلاثمائة إمرأة إفرنجية مستحسنة متخلية بشبابها وحسنها متزينة، قد اجتمعن من الجزائر، وانتدبن للجزائر، واغتربن لإسعاف الغرباء، تأهبن لإسعاد الاشقياء و... فوصلن وقد سبلن أنفسهم، وقدمن للتبذل أصونهن وانفسهن... وإنهن لا يمتنعن من الغربان ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان، وزعمن أن هذه القربة ما فوقها قربة ولاسيما من اجتمعت عنده غربة وعزبة، وسقين الخمر، وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية وأبق من المماليك الأغبياء والمدابير الجهلاء وجماعة جد بهم الهوى، واتبعوا من غوى فمنهم من رضي للذلة بالذلة ومنهم من ندم على الذلة))[٤].

استمر الأيوبيون في توظيف النساء الصليبيات أيضاًبعد وفاة السلطان صلاح الدين، من أجل معرفة أخبار الصليبيين وجيوشهم، فقد ورد أنه في جبل عكا جواسيس الملك المعظم عيسى ، اتفقوا مع بعض نساء الفرنجة بها أن يشرن إليهم بالشموع ليلاً لينقلن إليهم أخبار العدو، فإذا عزم الصليبيون على إخراج مائة جندي أوقدت المرأة شمعة واحدة، وإن كانوا مائتين أوقدت شمعتين، وهكذا، ثم تشير المرأة بهذه الشموع إلى الجهة التي يريد الجند قصدها، وكان الملك المعظم عيسى يغدق بالمال الكثير على أولئك

---

(١) تاريخ الحملات الصليبية ،٤٨٧/٢.

(٢) تاريخ الحملات الصليبية، ٤٨٧/٢.

(٣) سيد، التجسس،ص ١٨١.

(٤) الفتح القسي، ص ص١٨٦-١٨٨.

النسوة جراء خدماتهن الجاسوسية للأيوبيين[1]، فحدثه بعض الخاصة مرة منتقداً بقوله: هذا إسراف لا يحل، فقال: أنا أفدي الكثير باليسير[2]، وهكذا فقد استمر الملك المعظم في ذلك فيروي عن نفسه أن الانبرور (يقصد الامبراطور فردريك الثاني) لما عزم على غزو الشام، أرسل فارساً من لدنه ليجمع له المعلومات ويستكشف الاحوال، فبعثت امرأة صليبية حسناء -كانت على اتصال بهذا الفارس- بخبره إلى الملك المعظم، فأرسل إليها هدايا كثيرة، فلما رجع الفارس لزيارتها مجدداً، ورأى تلك الهدايا، استفسر عن مصدرها فأخبرته فدب الخوف في نفسه أول الأمر، ولكنها أقنعته بملاطفته والتودد إليه حتى استماله إلى صفها فكان إذا وردته أية رسالة بعد ذلك من الامبراطور أخذتها إليها ،ثم ترسلها إلى الملك المعظم الأيوبي مختوماً كما وصل من الإمبراطور في هيئته الأولى[3].

مما لا شك فيه أن أختيار كل تلك النساء وغيرهن كجواسيس يحتاج إلى عقلية عسكرية فذة، قادرة على اتخاذ جميع الإجراءات والاحتياطات اللازمة لتأمين سلامة جواسيسهم حتى لا يفتضح ويكتشف أمرهن، وكانت القيادة العليا الأيوبية سواء في عهد السلطان صلاح الدين أو أخيه وأبناء أخيه من بعده على قدر المسؤولية، والمعرفة الاستخباراتية، في كيفية التعامل مع تلك الحالة بكل سرية ودقة وتركيز.

لم يقتصر الأمر على استخدام العيون والجواسيس في الصراع ضد الصلبيين فقط، وإنما اعتمد السلاطين الأيوبيون وملوكهم على العيون والجواسيس ،للحصول على المعلومات وتحسس أخبار الخصوم، في المنازعات والخلافات الداخلية أيضاً، فمثلاً الملك الصالح نجم الدين أيوب لم يرد الدخول إلى مصر أثناء ولاية أخيه الملك العادل الثاني سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) إلا بعد أن ((تواترت على الملك الصالح كتب الأمراء وجواسيسهم في السر يستدعونه إلى الوصول))[4]، مع ذلك لم يتسرع في اتخاذ القرار خوفاً من أن يكون ما وصل إليه من المكاتبات غيرحقيقية، ((فتوقف حتى تبينت له الأمور وجواسيسه، وقصاده ما تنقطع عن مصر))[5].

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٢/ ٢٨٧-٢٨٩؛ النويري، نهاية الأرب، ١٤٥/٢٩؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٠؛ الحويري، الأوضاع الحضارية، ص ص١٤٤—١٤٥؛ علي، خطط الشام، ٢/ ٨٦—٨٧؛جمال الدين الشيال ،دراسات في تاريخ الاسلام، (القاهرة: ٢٠٠٠)، ص ص٧٦-٧٧.

(٢) الحنبلي ،شفاء القلوب ،ص ٢٨٠.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٨٩/٢٢ ؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٠؛ الشيال، دراسات، ص٧٧؛ شبل، الأنظمة، ص١٤٥.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٢١٤ — ٢١٥.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٢١٥.

إقتضت ظروف الحرب واشتداد الصراع الإسلامي الصليبي على ايجاد أية وسيلة لاستخدامها في نقل المعلومات للاجناد في كل مكان وخصوصاً المحاصرين منهم، فضلاً عن رصد أخبار الأعداء وهم في وصولهم إلى المناطق أو الأمكنة التي كلفوا بالوصول إليها. مثلما حدث في حصار عكا بعد أن اشتد على أهلها الحصار، ولم يستطيع السلطان أن ينفذ إليهم المال والعتاد ليشجعهم على الصمود؛ لأنهم لاقوا الكثير من المحن والشدائد، فما كان من طريقة لمعرفة اخبارهم وأخبار حصار العدو عن قرب إلا باستخدام العوامين للوصول إليهم سراً، وتذكر إحدى الروايات بأن المسلمين عينوا عواماً مسلماً يقال له عيسى سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠م) للذهاب إلى عكا وياتي بالاخبار فزود بالرسائل والأموال، ليوصلها لمن هم بداخل عكا وكان يسبح سرا على مقربة من سفن الصليبيين[١]، نجح العوام عيسى في الكثير من المرات بالوصول إلى عكا وغيرها من الأمكنة المكلف بالذهاب إليها، لكنه لم يستطع النجاح تلك المرة ومات غرقاً ، وإن اسبب اختيار ذلك الشخص للقيام بتلك المهمة الخطرة، هو أنه كان على حد قول عماد الدين الأصفهاني: ((ناصحاً أميناً، يحفظ الأسرار ضميناً))[٢].

في سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م عندما حاصر الفرنج مدينة دمياط، عانى أهلها كثيراً من جراء شدة الحصار، وقلة الأقوات وغلاء الأسعار، فمع اشتداد الحصار كان البحر السبيل الوحيد للوصول إلى المحاصرين لإيصال الرسائل والمعلومات من القيادة، وكان الملك الكامل يعسكر بجيشه في جنوب المدنية، فتحايل ليعرف أخبارهم ،لذا اوكل مهمة مخابراتية إلى رجل أصله من حماة إسمه علم الدين شمائيل الذي كان يخاطر بنفسه ويسبح في النيل ومراكب العدو فيها، فيدخل إلى مدينة دمياط ويأتي السلطان بأخبار أهلها، وكذلك له دور من الجانب المعنوي، فإذا دخل إليها قوي قلوب أهلها، ووعدهم بقرب وصول النجدات[٣]. وبذلك فإن العيون والجواسيس كانوا يؤدون مهماتهم على أفضل وجه من الناحية المادية والمعنوية على حد سواء.

لم يتردد الأيوبيون في الاستعانة برجال الدين المسيحيين من المشارقة، ولاسيما الرهبان المنقطعين للتبتل والعبادة في قمم الجبال، فقد استخدم الملك المعظم عيسى في اعمال الجاسوسية بعض الرهبان المسيحين، فقد أرسل مرة إلى واليه على الشوبك يأمره بنفي راهب كان يسكن الجبل منفرداً يتعبد فنفاه وبعد سنة جاءه خطاب المعظم يأمره

---

(١) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٢٣؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٠٧؛ حماد، العيون والجواسيس، ص ص٩٨-٩٩.

(٢) الفتح القسي، ص٢٢٣.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٩/٤؛ المقريزي، السلوك، ٣١٦/١؛ العبادي، في التاريخ الايوبي، ص٧٧.

بإعادة الراهب واوصى به خيراً، استغرب الوالي من ذلك الأمر، فبحث عن السبب الذي دفع الملك المعظم إلى نفيّ الراهب المذكور ولما استعلم عن الواقعة، فإذا به قد بعث الراهب إلى البحر للوقوف عن قرب على تحركات الامبراطور فردريك الثاني وخططه، وإنما دبر مسالة النفيّ دفعا للشبهات، لكي لا يتهم بالخيانة، لدى الصليبيين وأقطع له أرضاً ومنحه مبلغاً من المال قدر بمائة دينار[١].

في الخلاصة يمكن القول أن العيون والجواسيس ليس عملاً فردياً بل شارك فيه جميع الفئات معاً في الوقت الواحد وفي انسجام تام، حتى لا يستطيع أي شخص اكتشاف هذا التنظيم السري، كما تستطيع الدولة أن توظف عيوناً من الأعداء بواسطة الإغراءات مثل المال والهدايا[٢].

ج- اليزك (الطلائع أو الكشافة)

وهي من فرق الرصد والجاسوسية المهمة في الوقت نفسه وجرت العادة على أن تسبق الجيش هذه الفرقة كحركة استكشاف وهم اليزك[٣]، وتسمى الطلائع أيضا، لاطلاعها على أخبار العدو[٤] وكما سميت بالكشافة لكشفها الخبر[٥].

من الصعب لأية قوة عسكرية تحقيق النجاح في القتال ما لم تعتمد على طليعة تتقدمه وتستكشف له الأخبار والتي تكلف بحراسة الطرق أو بعملية الكشف، وغالباً ما تتألف هذه القوة من عدد من المقاتلين يتقدمون بتشكيلات الجيش في أثناء سيره للقتال[٦]، ويمرن أفرادها تمريناً خاصاً من أجل الحصول على المعلومات من معسكر الخصم، حيث ذكر احد الباحثين عن اهمية المعلومات التي يجمعها القائد عن جيش الخصم بانها تمثل العصب الرئيسي للمعركة[٧] ،وقد أشار الهروي إلى تلك الطلائع وضرورة الاعتماد عليها من قبل القيادة الحربية العليا حيث ذكر قائلا: ((يجب على السلطان إرسال الطلائع لكشف الاخبار، واختيار المنازل ليعلم إذا سار أين ينزل))[٨]،

---

(١) سبط ابن الحوزي ، مراة الزمان ، ٢٨٨/٢٢ ؛ الشيال، دراسات ، ص٧٧.

(٢) سون تزو، فن الحرب، ص٩١؛ بولعرس، فن الحرب، ص١٠٦.

(٣) اليزك، وهو مصطلح فارسي يعني طلائع ومقدمة الجيش، ... التميز بينه وبين (الجاليش) الذي يعني مقدمة القلب في الجيش فالجاليش هو الجزء الأمامي من مركز القلب أو قلب الجيش الذي يسير برمته نحو القتال. أدي شير، معجم الالفاظ الفارسية، ص١٦٠؛ حسين، الجيش الايوبي، ص١١٣.

(٤) الانصاري، تفريج الكروب، ص٥١.

(٥) الهروي، التذكرة الهروية،ص١٩.

(٦) العسقلاني، فتح الباري، ٦/ ٣٦؛ سعداوي، جيش مصر، ص ص٤٤-٤٥؛ حسين، الجيش الايوبي، ص١١٣.

(٧) السامرائي، معركة حطين دراسة تاريخية عسكرية، ص٢٩.

(٨) التذكرة الهروية، ص١٧.

وعلى طلائع العسكر وأفرادها معرفة مواقف الحرب وخطورته[1]. وينبغي أن يكون قائد اليزك من الفرسان الجسورين الحذرين ومن ذوي الثقة بين أفراده، حتى إذا ما اختلط عليهم أمره يعودون إليه للفصل بينهم فيما اختلفوا عليه، ويكون له الأمر الأخير، فيطيعون أوامره[2].

لذلك عد أحد الباحثين الاستخبارات الاستطلاعية من أهم الأمور للجيش، لذا على قائد الجيش أن يختار أفراد الطليعة بنفسه نظراً لخطورة الموقف، والأخذ بآراء الطلائع ليضع الخطط الحربية على ضوء ما وردته من معلومات استخباراتية من تلك الطلائع[3] أي أن المهمة التي يقوم بها محاربو اليزك كانت جزءاً من نظام الاستخبارات وإيصال المعلومات العسكرية إلى قيادة الجيش بالسرعة الممكنة، وعليه كانت تلك القوة العسكرية تختص أساساً بأعمال المخابرات في النظام العسكري الأيوبي[4].

ولأهمية الدور الذي تقوم به طلائع الجند تطلب ذلك أن تتصف بعدد من السمات ذكرها الهرثمي في مختصره من اهمها:

١- أن يكون قائد الطلائع رجلاً معروفاً من الموثوقين، جهوري الصوت، شجاعا على أهبة الاستعداد لأي طارئ.

٢- أن يكون جميع أفراد اليزك من الجسورين، من أهل النصيحة ومن ذوي الخبرة في القتال.

٣- على أفراد اليزك أن ينتقوا الخيول السريعة، ومن تلك التي يغلب عليها الهدوء وعدم الجموح.

٤- على أفراد اليزك أن لا يلبسوا الدروع أو يحملوا التروس أو الاحمال الثقال التي ستبطئ حركتهم وأن يحملوا القوس والنشاب فقط.

٥- ليس عليهم أن يشتبكوا مع الأعداء في معركة مباشرة إلا في الحالات الطارئة.

٦- يجب أن لا يقل عدد اليزك أو الطلائع في كل مهمة عن ثلاثة أفراد[5]، أحدهم تكون مهمته الاتيان بالأخبار والإثنان الآخران يتقدمان تجاه العدو، وأن يقف كل منهم على مسافة متوازنة مع زميله بحيث يتبعه ويحمي صاحبهُ من الخلف.

---

(١) الهرثمي، مختصرسياسة الحروب، ص٤٨.

(٢) الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٧٣.

(٣) عون، الفن الحربي، ص٢١٧.

(٤) شبل، الأنظمة، ص١٣٠؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص١١٣.

(٥) كان حجم القوة وعددها يتوقف على طبيعة المهمة العسكرية المكلف بها. حماد، العيون والجواسيس، ص٥٨.

٧- عندما توكل مهمة اليزك ورصد أخبار العدو إلى عدد من الأفراد، عليهم أن يتحركوا في الاراضي المستوية الصلبة غير الرخوة أو الزراعية أو التي تصدر غباراً، وأن يكون مركز تواجدهم دائما في منطقة مناسبة، أي لا تكون موضع شك للعدو.

٨- ومن الأمور المهمة للطلائع أو افراد اليزك، أن تكون بينهم وبين القائد في المعسكر علامات وإشارات متعارف بينهما، حتى إذا لم يتمكن من الوصول إلى قائد الجيش، فإنه يرسل تلك الاشارات من بعيد إلى من يراه من الجند الآخرين فينقل هذا تلك الاشارات كما ترد إليه من اليزك إلى القائد، ليقرر ما ينبغي القيام به تجاه العدو، وفق تلك العلامات التي وصلت إليه(١).

تعد الوحدة اليزك من أهم وحدات العيون الأيوبية، لذلك كانت غالباً تسند مهامها لأفراد من الجيش الأيوبي أو أهل الثقة من الأمراء(٢) منهم مثلاً الملك العادل أخو صلاح الدين(٣) والملك الأفضل والملك الظاهر ابن صلاح الدين(٤) وعلم الدين سليمان جندر(٥)، عز الدين ابن المقدم(٦) عز الدين فرخشاه(٧)، وبدر الدين ودلدرم الياروقي(٨) وصارم الدين قايماز النجمي(٩)، والملك المعظم عيسى ابن الملك العادل(١٠) وغيرهم من هم من طبقتهم، حيث كانوا يقودون هذه الفرقة بالتناوب ،فضلاً عن الإشراف على تدريبها على فن تقصي أخبار العدو ومعرفة خططه الحربية(١١).

وعلى فرق اليزك أن يرفعوا تقريرين يومياً للقيادة العسكرية، وهي تقارير استطلاعية وكانت تتصف بالدقة والتفصيل عن الأهداف المطلوب رصدها(١٢) والدليل على دقة التقارير فرقة اليزك في الدولة الأيوبية هي وصفهم لعمليات الإعدام الجماعي

---

(١) ص ص ٤٨ -٤٩ .

(٢) سيد، التجسس، ص٥٩؛ حماد، العيون والجواسيس، ص٥٧؛ فوزية نصرت، دور اليزك في جيش صلاح الدين خلال الحروب الصليبية، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية جامعة تكريت، العراق، السنة الأولى، ٢٠٠٩، مج (١)، ع (١)، ص٧٤.

(٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٨٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٥٦؛

(٥) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٧٣.

(٦) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٨٤.

(٧) ابن شاهنشاه ،مضمار الحقائق، ص٩٥.

(٨) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٣٠٩؛ ابو شامة، الروضتين، ١٧٦/٤.

(٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٨٧/٢.

(١٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٦٥٣.

(١١) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٢٣٠؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٧٣؛ ابو شامة، الروضتين، ١٤١/٤.

(١٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٨٩؛ البلوي، نظم الاستخبارات، ص١٥؛ القثامي، مصادر المعلومات التجسسية، ص٤٤٢.

لأسرى المسلمين في مدينة عكا بعد سقوطها بيد الصليبيين سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) خير شاهد على الكفاءة العالية التي وصلت إليها في جمع المعلومات، فقد وصفت كيفية الإعدام، وعدد من أعدم. ذكر إبن شداد نقلاً عن ما جاء في تقرير اليزك: ((ثم أحضروا من أسارى المسلمين وأوثقوهم بالحبال وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد فقتلوهم صبراً وطعناً وضرباً بالسيوف، واليزك الإسلامي يشاهدوهم، وقد قتلوا حوالي ثلاثة آلاف أسير ولم يسلم من المسلمين إلا الرجال الذين عرفوا العمل لتسخيرهم في مهامهم الخاصة))[١].

وهناك تقارير ارسلها اليزك إلى القيادة العسكرية الأيوبية فيها تفاصيل ملفتة للنظر حتى عن نوايا القادة وتخطيط العمليات العسكرية للصليبيين بشكل يدعو إلى الدهشة والسرعة البديهية في النظام الحربي يسمى بالاستطلاع الاستراتيجي[٢] ومن تلك التقارير مثلاً التقرير الذي كتبه عز الدين جورديك قائد اليزك في الجيش الأيوبي في أثناء الحملة الصليبية الثالثة، وأرسله إلى صلاح الدين في سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، وكان التقرير مختصراً جداً يمكن عده بمثابة برقية عاجلة، والهدف منه كان تحذير القوات الأيوبية من تحركات الصليبيين القادمة، فقد احتوت فقط على جملتين هي: ((إن القوم ركبوا بأسرهم ووقفوا في التل وقت الظهيرة، ثم عادوا إلى خيامهم، وقد سيرنا جواسيس نكشف أخبارهم))[٣].

وفي الصباح وصل تقرير سريع آخر من اليزك يخبر فيها: ((إن الجواسيس رجعوا وأخبروا أن القوم اختلفوا في الصعود إلى القدس، وقالوا نحن إنما جئنا من بلادنا بسبب القدس ولا نرجع دونه))[٤].

يفهم من ذلك التقرير أن اليزك كانوا على مداومة في مراقبة الاعداء وأنه لاحظ بعض التحركات للجيش الصليبي دون أن يعرف الدافع إليها حتى لحظة كتابة ذلك التقرير العاجل إلى القيادة العسكرية، ذلك قد دفعه (قائد اليزك) إلى أن يبلغ قيادته بتلك التحركات، وقام في الوقت نفسه بإرسال جواسيسه إلى صفوف الاعداء للوقوف عن قرب على معرفة أسباب تلك التحركات، حتى يتم الاستعداد لمهاجمتها، ويجهز، ويعد نفسه للاحتمالات العسكرية المتوقعة كلها[٥].

---

(١) النوادر السلطانية، ص ص٢٦٢- ٢٦٣.

(٢) المحمد، الاستخبارات العسكرية، ص٢٧٧؛ سيد، التجسس ،ص ٥٨.

(٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣٢٣.

(٤) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣٢٣.

(٥) سعداوي، جيش مصر، ص٤٥؛ شبل، الانظمة، ص ص٢٨–٢٩.

كان لليزك الأيوبي جواسيس من الصليبيين أنفسهم استأمنتهم القيادة العسكرية، ومثال ذلك التقرير الذي أرسله عز الدين جورديك قائد اليزك يخبر السلطان أن الجواسيس أفادوا بأن قادة الصليبيين اختلفوا فيما بينهم، حول المسير إلى القدس أو الرحيل إلى بلادهم(١) وذلك في سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢).

كانت المهمة الرئيسية لفرقة اليزك هي عملية الاستطلاع لقوات العدو وأهدافه؛ ولكن بالتضامن مع ظروف الحرب واشتداد الصراع الإسلامي الصليبي أصبح عبء تلك الفرقة أكبر ومهماتها أصعب، أي أنها أصبحت متعددة المهام تجاه العدو. قامت الدولة الأيوبية بإدخال تطورات عديدة على فرقة اليزك، إذ أصبحت هذه الفرقة ذات طابع قتالي تعرضي ومن ثم زاد عدد أفرادها، فضلاً عن دور آخر هو حماية طرق المواصلات والمؤن القادمة إلى الجيش الأيوبي من هجمات العدو الصليبي في بعض الأحيان، ومهمة نصب الكمائن، وحماية المدن والإشراف على تحصيناتها وخطف وأسر أفراد العدو(٢).

كما أنهم كلفوا في بعض الأوقات بشن هجمات (خاطفة) فجائية على معسكر العدو، بهدف استكشاف ميدان المعركة والتعرف على مدى قوة الصليبيين الذين كانوا ينقسمون إلى جيوش مختلفة، فعندما قدم الجيش الألماني سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) قال صلاح الدين ((لابد من الخروج على اليزك ليذوق قتال القوم، ويعرف مراسهم، ويتبصر بأمرهم، فليس الخبر كالعيان))(٣).

ففي سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) سيطر الصليبيون على حصن النطرون وعزموا السيطرة على المناطق المجاورة، لكي يتسنى لهم بعدها بالتوجه إلى بيت المقدس(٤)، ولما علم السلطان صلاح الدين بذلك، قرر الاستقرار في بيت المقدس، وذلك لكي يقوم بتحصين المدينة جيداً خوفاً من هجمات العدو عليها، وأمر قائد اليزك فارس الدين ميمون القصري الموجود بالقرب من بيت المقدس بأن يتوجه إلى الصليبيين؛ لإعاقة تقدمهم بإقامة حرمات تعرضية قتالية مباشرة ومستمرة مع الصليبيين حتى تستعد المدينة وحاميتها للمواجهة(٥).

---

(١) أبو شامة، الروضتين، ٤/ ١٨١- ١٨٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٨٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨٣/٤١.

(٢) نبز مجيد امين، الاستخبارات الايوبية في عهد صلاح الدين، (سليمانية: ١٩٩٨)، ص ص١٨٤-١٨٨؛ شبل، الانظمة، ص ص١٣٣—١٣٤؛ حسين، الجيش الايوبي، ص ص١١٣-١١٤؛ نصرت، دور اليزك، ص ص٧٠—٨٤.

(٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢١٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ١/ ٢٢٣؛ سعداوي، التاريخ الحربي، ص٢٨٢.

(٥) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الأكراد، ص٢٠٤؛ أبو شامة، الروضتين، ٤/ ١٧٥؛ العسلي، فن الحرب، ٤/ ١٦٧.

وهكذا قامت فرقة اليزك بعمليات المتابعة والمراقبة ،لتحركات الصليبيين فقاموا بالهجوم على سرية من سراياهم وغنموا ما كان بحوزتهم وأسر منهم عدد غير قليل كانوا قرابة خمسين أسيراً(١). واقتادوهم إلى بيت المقدس كما ورد ذلك عند عماد الدين الاصفهاني ((فوقعوا على سرية للفرنج، فاستأصلوها، وأسروها وقتلوها، ووصلوا بزهاء خمسين أسيراً إلى القدس))(٢).

وفي السنة ذاتها أي (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) جاءت قافلة الصليبيين قادمة من يافا إلى الرملة لأمداد الجيش الصليبي الموجود بالقرب من الرملة، ولكن فرقة اليزك كمن لهم كميناً عند طريق يافا فمرت بهم واستولت على هذه القافلة، وألحقت بها خسائر فادحة كما استولى اليزك على ما هو موجود في القافلة من المواد فضلاً عن أسر العديد من الصليبيين وقتل الآخرين(٣).

وفي عهد الملك الصالح نجم الدين ايوب، حاول الخوارزميون السيطرة على الشام سنة (٦٣٨هـ/ ١٢١٤م) وصلت الخوارزمية إلى حران سار الملك المنصور صاحب حمص مع عساكره إلى البيرة وعبر من جسرها، وسار حتى نزل ما بين سروج والرها وفيها وقعت معركة بين اليزك والخوارزمية فهرب الخوارزميون وفروا من امامهم، وقد اشار ابن واصل إلى تلك الحادثة قائلا: ((ووصلت الخوارزمية ليكبسوا اليزك، فعلموا بهم، وتأهبوا في الليل، فركب العسكر، فولت الخوارزمية بين أيديهم إلى سروج))(٤).

د- البريد (المخابرات)

هو نظام قديم وضعه قياصرة الروم واكاسرة الفرس، ثم استخدمته الدولة الإسلامية، لتسهيل اتصالهم بعمالهم وكانت وسائلهم هي الخيل والبغال(٥) المختصة بمهام البريد، واستمر الامر حتى تولى الزنكيون سلطتهم، فوضعوا نطاقاً إدارياً للبريد، ورتبوا له النجابة البريدية، وأعدت له النجب(٦) واستمر ذلك التنظيم البريدي في العصر الأيوبي(٧).

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٣٧٥؛ عاشور، الحركة الصليبية، ٢/ ٣٨٩.

(٢) الفتح القسي، ص٢٩٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٦٣؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣١٦؛ نصرت، دور اليزك، ص٨٦.

(٤) مفرج الكروب، ٥/ ٢٩٢.

(٥) يذكر ابن الأثير أن أصل كلمة البريد فارسي، يراد بها في الأصل البغل، وأصلها تريده دم، أي محذوف الذنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها، نهاية في غريب، ١/١١٥.

(٦) النجب: هو جمع نجيب، والنجيب من الابل هو القوي منها، الخفيف السريع، الفراهيدي، العين، ٦/ ١٥٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٧٤٨.

(٧) العمري، التعريف، ص ص٢٤١–٢٤٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ١٤/ ٤١٣ – ٤١٥.

فالبـريد هـو الـمسافة بين النقطتين[١] وقد يطلقها على الخيل المقصوفة الـذنب المخصصة لتلك الغاية. ويذكر أن البريد قد أخذ معناه من البردي أحد أنواع الورق، وبذلك لم يستقر بها دلالة يتعدد وسائلها واختلاف مهامها،غير ما عرف بأنه مسافة معلومة بين نقطتين قدرت سابقاً[٢].

حرصت القيادة العسكرية في الدولة الأيوبية على سرية المعلومات، وعدم تسربها للأعداء، خصوصاً المتعلقة بالجيش وأحواله، لذا فقد عمدوا إلى انشاء ديوان البريد وكلف بإدارته نخبة من الموظفين أصحاب الكفاءات الخاصة، وأعد له نظام خاص به يضبط تحركات العاملين فيه، ويحدد مواصفاتهم والخيول المستخدمة في عملهم من خلال الاختيار والمراقبة والإشراف عليها بشكل مرتب[٣]. لذلك كان الحكام والملوك والسلاطين يعملون دائما على اختيار الأفضل لتولي مهمة الاشراف على البريد، سمى متولي ذلك الديوان أو الجهاز بصاحب البريد، وكان من المقربين من القيادة العليا ومصدر ثقته ويسند إليه المهمات الخاصة جداً، وفي ذلك يقول القلقشندي ((ويختص الملوك وأكابر النواب بأكابر البريدية وعقلائهم وأصحاب التجارب منهم خصوصاً في المهمات العظيمة))[٤]. وإن وجدت إشارات تخالف ذلك في بعض المصادر، فهي تفيد بعض الحالات الاستثنائية[٥].

---

(١) لقد قدر ابن خرداذبة سلك البريد في المملكة الإسلامية كلها بتسعمائة وثلاثين سكة (المساك والممالك، (بيروت: ١٨٨٩)، ص١٥٣. للمزيد عن معرفة طرق البريد في العصر الإسلامي ينظر، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٦٣؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٦٦؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة، محمد عبد الهادي أبو ريدة، (القاهرة: ١٩٩٩)، ٢/ ٢٧٤–٢٧٩؛ نظير حسان سعداوي، نظام البريد في الدولة الاسلامية، (الاسكندري: ١٩٥٣)، ص١٤٠.

(٢) قلقشندي، صبح الأعشى، ٤١١/١٤؛ سعداوي، نظام البريد، ص١٩.

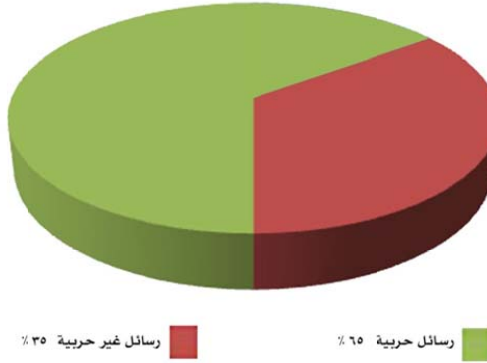
(٣) للمزيد عن ذلك ينظر، حماد، العيون والجواسيس، ص٥٠؛ سعداوي، نظام البريد، ص ص٦٦-٧٥؛ هيام عيسى، البريد في العصور الوسطى الإسلامية نشأته –تطوره– اغراضه، رسالة اعدت لنيل درجة الدبلوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ الجامعة اللبنانية، ١٩٩٢، ص ص٦١–٧٠؛ امين، الاستخبارات الايوبية، ص٢٩٣.

(٤) صبح الاعشى، ١٥١/١.

(٥) النويري، نهاية الارب، ٢٨٧/٢٩ ، ٢٨٨.

مخطط (١٣)

نسبة الرسائل الحربية وغير الحربية



هناك ارتباط بين نظام البريد ونظام التجسس حيث لا يمكن الفصل بين موظفي البريد وناقلي الرسائل عن مهمة الجواسيس، فهم إلى جانب نقلهم للرسائل التي يبعث بها الجواسيس يشاركون فعلياً في تلك العملية(١).

لذلك يتم اختيار أفرادهم وفق معايير خاصة وكذلك خيولهم ودوابهم التي يتصلون عليها(٢).

بناءاً على ذلك فقد ذكر تحديداً بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها صاحب البريد مثل، الفراسة وسرعة البديهة ومعرفة لغة أهل البلاد التي يدخلها، وأن يتسم بالصدق والصبر(٣).

كان استخدام البريد الحربي من التراتيب العسكرية في الدولة الأيوبية، وقد استخدمت وسائل عدة من أجل إيصال المعلومات إلى القيادة العامة ومن بينها:

١- البريد الهوائي (الجوي)

ممثلة في الحمام الزاجل أو ما يسمى بحمام الهوادي(٤) وبالمناسيب(٥) وهو من سبل الاتصال البريدية في العصور القديمة والوسطى وقد ازدادت أهميته في العصر الأيوبي

---

(١) الطوسي، سياسه ت نامة، ص١٠٠، امين، الاستخبارات الايوبية، ص٢٣٥؛ القنامي، مصادر المعلومات، ص٤٤٩,

(٢) القثامي، مصادر المعلومات، ص٤٤٨؛ حسن، تاريخ الإسلام، ٢/ ٢٧٠؛ محمد راكان الدغمي، التجسس واحكامه في الشريعة الاسلامية، (القاهرة: ١٩٨٥)، ص٣٦.

(٣) العمري، مسالك الابصار، ١٢/٣٨٠؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ١/ ١٥١؛ الانصاري، تفريج الكروب، ص١٧.

(٤) يسمى بالهوادي لقدرته العجيبة على الاهتداء إلى عشه رغم ابتعاده عنه مسافات طويلة، الجاحظ، الحيوان، (بيروت: ١٤٢٤هـ)، ٣/ ٢١٤.

(٥) تسمى بالمناسيب لطيرانها لمسافات طويلة، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٢٤٩؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٤/ ١٦٤.

حيث أخذوها من الزنكيين قبلهم[1] نظراً لسرعته في نقل الأخبار فقد اعتنى به الأيوبيون أشد الاعتناء، وقد وصفت بأنها ((مع فرط ما فيها من الأمانة، لا يتوهم من جهتها خيانة))[2].

يعتبر الحمام الزاجل إحدى الوسائل الرئيسة للاتصال البريدي في العصر الأيوبي وأفاضت العديد من الكتب في ذكر الحمام الزاجل وأوصافه وتدريبه[3].

إستخدم الأيوبيون هذا الاتصال البريدي بين الإدارة المركزية وعساكرها، في تنقلها وتحركاتها في كثير من الأحيان حيث بنيت الأبراج[4] في مختلف المدن وعلى مسافات متباعدة ورتب لها ولاتها (اماكنها)وخصصت لها نفقاتها. كتب الأصفهاني منشوراً عبر فيه عن دورها في حركة الجهاد ضد الصليبيين بقوله: ((وقد عم بها نفع المرابطين للغزاة، والمجاهدين في سبيل الله، في إهداء أخبار الكفرة إليهم من أماكنها، دالة على مكايدها ومكامنها، طائرة بكتبهم إلى من وراءهم من الطلائع والسرايا، مظهرة بهم من أحوالها خبايا الأمور الخفايا، وأنها لميمونة المطار، مأمونة العثار، سالمة على الاخطار، مهدية في الأسفار، أمينة على الأسرار، سابقة إلى الأوكار، صادرة بالأوطار، سائرة إلى المؤمنين بنبأ الكفار))[5].

---

(١) تذكر المصادر ان الاهتمام بالحمام الزاجل كان موجوداًفي الدولة الاسلامية، ولكن بلغت ذروته في ايام نورالدين زنكي ويقال انه اول من اعتنى به ذلك الاعتناء الذي استدعى الى انتباه المؤرخين، والسبب في ذلك اتساع رقعة بلادهم وطالت مملكتهم وتباعدت اولها عن اواخرها، وبذلك كانت اهم وسيلة في الاتصال والتواصل السريعة، لان العدو اذا نازل الثغور الحصينة فالى ان يصل الخبر ويصل اليهم ربما قد بلغ العدو غرضهم، ولكن باستخدام الحمام الزاجل فان الخبر يصل اليهم في يومه ،نظراً لتعدد الاخطار التي احاطت بدولتهم، أوجدوا ل الحمام الزاجل وابراجه الخاصة ،كما اهتموا بالقائمين على امره لضمان دوام هذا الاتصال، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، (بيروت: ١٩٠٨)؛ ابن الاثير، تاريخ الباهر، ص ص١٥٩، ٣٧؛ العمري، التعريف، ص١٦٩؛ ميخاييل بن نقولا بن ابراهيم، مسابقة البرق والغمام في سعادة الحمام، (باريس: ١٨٠٥)، ص ص٣٥-٤٠.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ٢/ ١٥١.

(٣) لمعرف المزيد عن تريبته وتدريبه وكيفية استخدامه ينظر، الجاحظ، الحيوان، ٣/ ٢٦٩—٢٧٢؛ صباغ، مسابقة البرق، ص ص٥٣-٧٧؛ سعداوي، نظام البريد، ص ص١٤١—١٤٩؛ ابراهيم احمد العدوي، الحمام الزاجل في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج(٢)، ع(١) مصر، ١٩٤٩، ص ص١٣٤—١٣٥.

(٤) يتمكن الحمام الزاجل من العودة إلى وطنه من الأماكن البعيدة فهو من اذكى الطيور ومن ذكائه أنه يستطيع التعرف على علامات برجه من الجو ويكون طيرانه مدوراً عن يصعد المنارة، ولايزال يصعد حتى يرى شيئاً من علامات بلده فإذا رأى ذلك يهبط إليه، العمري، مسالك الابصار، ص٨٧؛ عادل محمد نبهان، دور الحمام الزاجل في الصراع الصليبي الإسلامي (٤٩٠—٩٦٠هـ/ ١٠٩٧—١٢٩١م)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، مج(٤)، ع(٧)، نيسان ٢٠٠٦، ص٣٩٢.

(٥) أبو شامة، الروضتين، ٢/ ١٥٠—١٥١.

كان الجيش الأيوبي في أغلب طلعاته القتالية يصحب معه الحمام الزاجل، من أجل إرسال الرسائل العاجلة حول الموقف اليومي للمعركة أو التعريف بظرف أو حادثة ما، وهذا ما نستشفه من رواية أوردها المؤرخون في حوادث سنة (٥٧٤هـ/ ١١٧٩م) (مع بعض الزيادة أو النقص في سرد الخبر أو في تقديم وتأخير الحدث لديهم)، عندما هاجم ملك بيت المقدس بلدوين الرابع دمشق وأعمالها، مع قوة صليبية كبيرة ضمت العشرات من الأمراء مثل، الهنفري (همفري الثاني صاحب حصن بانياس)، والعديد من مقدميهم المعروفين، فنهبوا وقتلوا وسبوا في تلك المناطق، فوصلت تلك الأخبار إلى صلاح الدين الذي انتدب إبن أخيه فروخشاه لقتالهم، ووصاه بعدم الاشتباك معهم حتى يتوسطوا البلاد، وأن يرسل إليه بتحركاتهم على جناح طائر (الحمام الزاجل)، وانتهت تلك المعركة بهزيمة الصليبيين وفرار الملك ومقتل هنفري الثاني والعديد من مقدميهم مع إصابة الكثير منهم بجروح خطيرة، وأسرت أعداداً أخرى، وفي ذلك اليوم بعد انتهاء المعركة أرسلت بطاقة النصر على جناح الطائر إلى دمشق، وكانت في كل يوم تصل البشرى إلى دمشق بموت واحد من مقدمي الجيش الصليبي متأثرا بجراحه التي أصيب بها في المعركة[(١)].

كما كان يستخدم لإيصال البشرى بفتح بعض مدن الساحل الشامي وتحريرها من أيدي الصليبيين، تصل إلى مختلف الجهات الإسلامية عن طريق البريد الطائر، فعلى سبيل المثال عندما فتح الجيش الأيوبي حصن برزية سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) ((وطارت كتب البشائر، وسرحت على جناح الطائر))[(٢)].

وردت المصادر بأن الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما استولى على دمشق، أرسل إلى عمه الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبك سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) واتفق معه على الزحف إلى مصر لانتزاعها من يد أخيه السلطان العادل الثاني، وعسكر في نابلس انتظاراً لقدوم الملك الصالح إسماعيل، الذي أخذ يماطل، فاستشعر الملك الصالح نجم الدين أيوب ذلك، فأرسل أحد أطبائه المخلصين، ويدعى الحكيم سعد الدين الدمشقي، وأعطاه قفصاً من حمام نابلس ليوافيه بتقارير عن أحوال عمه الصالح إسماعيل ونواياه، وحينما وصل سعد الدين إلى بعلبك استقبله الصالح إسماعيل، وبالغ في إظهاره الحفاوة والرعاية به، وأوعز إلى أحد أطبائه ويدعى أبا الحسن بن غزال بملازمته، وأمره بسرقة حمام نابلس، وإبداله بحمام من قلعة بعلبك، دون علم سعد الدين، وأخذ يراسل الملك المجاهد

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/ ٣١٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص ص١٠٥—١٠٦؛ ابو شامة، الروضتين، ٣/١٤؛ ابن واصل، ٢/٧٢-٧٣.

(٢) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص١٣٨.

صاحب حمص، واتفق معه على انتزاع دمشق من نواب الصالح نجم الدين أيوب وبدأ يحشد الرجال والعتاد لذلك. تيقن سعد الدين من خبث نوايا الصالح إسماعيل، لذا أخذ في كتابة التقارير إلى مخدومه الملك الصالح أيوب بما يشاهده من غدر الملك الصالح إسماعيل، وسعيه في قصد دمشق، ويعلقها على أجنحة الحمام ويرسلها، فتقع في أبراج بقلعة بعلبك، فيأخذها البراج ويسلمها إلى الملك الصالح إسماعيل، الذي يقوم بكتابة بطاقة أخرى على لسان سعد الدين إلى الملك الصالح أيوب يخبره فيها بأن عمه الصالح إسماعيل يتجهز للقدوم إلى نابلس لمعاضدته، و يعلقها تحت جناح حمام نابلس، ثم يتم تسليمها، فيطمئن الملك الصالح أيوب إلى طاعة عمه الملك الصالح إسماعيل وولائه له(١).

استعانت بعض القيادات الأيوبية، بالحمام لمراقبة تحركات ولاتهم مثلما حدث في سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) عندما أرسل السلطان الملك الصالح نجم ايوب، اقفاص الحمام إلى عيونه في بعلبك لكي تطالعه على أخبار صاحبها ومقطعها عمه الملك الصالح إسماعيل(٢).

حدث أحياناً أن الحمام البريدي كان يأتي بنتائج عكسية إذا ما تم استغلال الفرصة ،بسبب تغيير الحمام لمساره المعروف وعدم وصوله للجهة المقصودة، ووقوعه بيد الخصم، وخير مثال على تلك الحالة، عندما حاصر الجيش الموالي للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب مدينة حمص سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) بداعي استردادها، بعدما كان أمير حلب الملك الناصر يوسف قد استولى عليها من صاحبها الملك الشاب الاشرف مظفر الدين موسى، وأصبح يمثل تهديداً على دمشق التابعة للسلطان، ما ان اشتد الحصار على قوات حمص، أرسلوا رسالة إلى حلب بواسطة الحمام الرسائلي، لكن الطائر المذكور أخطأ سيره ووقع على خيم العسكر السلطاني، فاطلع قائد الجيش على فحوى الرسالة، التي جاءت فيها، بأن العساكر المحاصرة كثيرة جداً وعددها كبير، وإن حمص لن تستطيع الصمود بوجههم، ولكن قائد الجيش الأيوبي بدلاً من أن يستغل تلك الفرصة، أهدرها بحجة وصول الاسلحة الثقيلة، وبعد عشرة أيام من الحصار والضرب الشديد على المدينة، أخفق المصريون والدماشقة في الاستيلاء على حمص ولاسيما بعدما ساءت الأحوال الجوية، وتدخلت الخلافة العباسية للتوسط بينهم(٣).

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٢٢٠؛ ابو الفدا، المختصر، ٣/ ١٦٣؛ النويري، نهاية الارب، ٢٩/ ٢٥٩؛ نبهان، دور الحمام الزاجل، ص٤٠١.

(٢) سبط ابن الجوزي،مراة الزمان ،٣٦٣/٢٢؛ الدواداري،كنز الدرر،٣٣٦/٧.

(٣) مؤلف مجهول، تاريخ دولة الاكراد، ص٤٦٠ — ٤٦١ .

وقد نظم البريد بواسطة الحمام من خلال خطوط معروفة ومحددةويلاحظ أنها تغطي جميع أنحاء السلطنة في جميع الاتجاهات وهي بذلك تؤمن جميع الاتجاهات الاستراتيجية للدولة وهي كالآتي:

١- بين القاهرة والإسكندرية.

٢- بين القاهرة ودمياط.

٣- بين القاهرة والقوس وأسوان.

٤- بين القاهرة ودمشق عن طريق غزة والقدس.

٥- بين دمشق والكوفة على نهر الفرات.

٦- بين الكوفة والقيصرية.

٧- بين الكوفة والرقة على نهر الفرات.

٨- بين دمشق وبيروت وطرابلس.

٩- بين دمشق وبعلبك.

١٠- بين غزة والكرك على بحر الميت[(١)].

خلاصة القول ان دور الحمام الزاجل في الدولة الأيوبية يعد بريداً حربياً فقد وظف الأيوبيون الحمام الزاجل في معرفة تحركات اعدائهم وخططهم في اسرع وقت[(٢)]. وقد أحسن القاضي الفاضل عندما قال الطيور ((ملائكة الملوك))[(٣)].

٢- البـريد البـري:

يعتمد البريد البري على الهجن السريعة التي تقطع المسافات الطويلة في وقت قصير، وقد استخدم في أقدم العصور في نقل البريد وقد اتخذ كوسيلة لتبادل المكاتبات السياسية[(٤)].

اهتم الأيوبيون بالبريد وخاصة في مصر وبلاد الشام واقاموا خانات في كل طرف من أطراف المملكة وذلك لمبيت المسافرين ودوابهم بها، زودت تلك المحطات بالماء والزاد والعلف ووفر فيها كل ما يستلزم للمبيت فيها، من تلك المحطات يستطيع البريديون أن

---

(١) هذه المراكز رتبها السلطان نور الدين زنكي واستعملها الايوبيون بعدهم. نعمان افندي انطون، الطائر الغريد في وصف البريد، (مصر: ١٨٩٠)، ص ص١٠-١١ .

(٢) أبو شامة، الروضتين، ٤/ ٧٠؛ نبهان، دور الحمام الزاجل، ص٤٠٤؛ شباروا، السلاطين، ص١٩٢.

(٣) أبو شامة، الروضتين، ٢/ ١٥١.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ٤/ ٢٨؛ العمري، مسالك الابصار، ٢٧/ ٤٦٩؛ سعداوي، نظام البريد، ص٧٨؛ البلوي، نظم الاستخبارات، ص١٩.

يستبدلوا هجنهم المتعبة بأخرى مستريحة، وكذلك يفعل بالمكان الذي يليه حتى يصل الهدف بأقصر وقت وايسر سبيل، كما يمكن استبدال حامل الرسائل نفسه[١].

لم تكن مهمة صاحب البريد هي مجرد نقل الرسائل بل أنه كان يقوم بعمل آخر ذا أهمية بالغة، إذ كان عيناً للسلطان على عماله، فكان عمله اشبه بأعمال المخابرات[٢].

كان البريديون يحملون شارة مميزة وهي ((لوحة من الفضة منقوش على أحد وجهيه لا إله الله محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق يظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ضرب بالقاهرة المحروسة وعلى الوجه الآخر: عز لمولانا السلطان الفلاني، فلان الدين سلطان الإسلام والمسلمين فلان، مولانا السلطان الشهيد الملك الفلاني فلان، خلد ملكه، وفي ذلك اللوح ثقب معلق به شرابة من حرير أصفر ذات بندين يدخلها البريد في رأسه فيصبح اللوم على صدره والشرابة الصفراء مرسلة خلفه))[٣].

أما إذا كان البريد من إحدى المدن الشامية فيكتب على اللوح ضرب من دمشق أو حلب أو غيرها من المدن الشامية. وكذلك في باقي الممالك[٤].

ما يهمنا هنا هو البريد الحربي الذي هو مجموعة من الوثائق والصور والأخبار والاوامر والتعليمات القتالية التي ترسل بين مقرات القيادة المختلفة بوسائط الاتصال المختلفة كالسعاة والخيل[٥].

سمي الشخص الذي ينقل البريد عن طريق الخيل (البريدي) واطلق على من ينقل البريد على الجمال (النجاب) والذي يشرف على البريد الهوائي (الحمام) تسمى (البراج) وكان صاحب ديوان البريد يشرف على البريديين، والبراجين وشؤون ارزاقهم ومراقبة المراسلات الصادرة والواردة في جميع الأقاليم ثم فرزها لتصل إلى اصحابها[٦].

مع بداية العهد الزنكي كانت الأخبار ترسل بواسطة الخيول التي تم تمييزها بقص الذنب حتى تكون هذه العلامة المميزة على غيرها من الخيول، وبقي أمر البريد على حاله إلى أن جاءت الدولة الأيوبية طوروا وأحسنوا أداء ديوان البريد، ومن تلك

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ١/ ٢٨٣؛ أبن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية و الدول الاسلامية، تحقيق، عبد القادر محمد مايو، (بيروت: ١٩٩٧)، ص١١٢؛ العمري، التعريف، ص٢٥٧؛ عمر شريف، نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، دراسة مقارنة (القاهرة: ١٩٩١)، ص٢٧١.

(٢) امين، الاستخبارات الايوبية، ص٢٩٦؛ شريف، نظم الحكم، ص٢٧٢.

(٣) القلقشندي صبح الاعشى، ١٤/٤١٦-٤١٧.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ١٤/ ٤١٧؛ امين، الاستخبارات الايوبية، ص٢٩٨.

(٥) محمد نغش، الرسائل الحربية في عصر الدولة الايوبية، مجلة الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة،، ع(٥٥)، ص١٩١؛ اسرابليان، فن الحرب، ٢٠٣.

(٦) عيسى، البريد في العصور الوسطى، ص٧٢؛ اسرايليان، فن الحرب، ص٢٠٣.

التحسينات أنهم أدخلوا النجب[1] للعمل إلى جانب الخيول وبقيت النجب تستخدم في البريد حتى نهاية دولتهم[2].

كانت المراكز البريدية البرية في العصر الأيوبي موزعة في مراكز ومحطات على مسافات معينة من الطرق والمزودة بالمستلزمات البريدية[3].

ومن الإشارات الدالة على استخدام الهجن السريعة هو وصول خبر سلامة صلاح الدين من وقعة الرملة عام (٥٧٣هـ/ ١١٧١م) إلى مصر على الهجن السريعة[4]، وكذلك عندما وصل خبر إغارة الصليبيين على اطراف حلب عن طريق نجاب من حلب قطع المسافة في خمسة أيام[5].

٣- البـريـد الـمائي:

تمثل السباحين الذين كانوا ينقلون الرسائل في جبهات القتال[6].استفاد المسلمون من الأنهار والمجاري المائية في نقل الأخبار [7]، إلا أن استخدام الطرق المائية في التراسل كان نادراً ما يحصل على حد قول سعداوي[8].

اهتمت الدولة الأيوبية باستخدام السباحين ،لمعرفة الأخبار الهامة والوقوف عن قرب على بعض الأحداث في مناطق متفرقة ولاسيما من تلك التي كانت محاصرة من قبل الصليبيين، حيث استخدم أولئك السباحون للاتصال بين القيادة العسكرية وبين المحاصرين للاطلاع على اوضاعهم الصعبة التي هم فيها. ونقل الكتب اليهم ومنهم، حيث كانوا ينزلون الشاطئ ليلاً من غير أن يشعر بهم الأعداء، مثلما حدث إبان حصار عكا في سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) وكذلك عندما حاصر الصليبيون دمياط سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)[9].

---

(١) ينظر تعريفها ص٢٨٥، هامش ٥.

(٢) علي، خطط الشام، ٥/ ١٨؛ حماد، العيون والجواسيس، ص٥٠.

(٣) للمزيد عن هذه المراكز ومعرفة اماكنها بالتفصيل ينظر القلقشندي، صبح الاعشى، ١٤/٤٢٣—٤٢٦؛ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، (باريس: ١٨٩٤م)، ص ص١١٩—١٢٠؛ امين، الاستخبارات الايوبية، ص ص٢٩٩—٣٠٠.

(٤) عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ص٤١٢.

(٥) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص١٦٢—١٦٣.

(٦) القثامي، مصادر معلومات، ص٤٢٩؛ سعداوي، نظام البريد، ص١٥٧.

(٧) الجنابي، تنظيمات الجيش،

(٨) نظام البريد، ص١٥٧.

(٩) سبق ان تحدثنا عن ذلك بالتفصيل ينظر ص١٤٩.

الخـاتمــة

الخـاتـمــة

وفـي النهاية، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، وأهمها هي:

١- أظهرت الدراسة أن فن الحرب قديم جداً يعود بأصوله إلى عصور ما قبل التأريخ، ويعد سون تزو الرائد الأول في هذا المجال، وهو الذي وضع أسسه ومبادئه وأساليبه، وكل من أتى بعده من كُتاب الفنون الحربية، استمدوا في آرائهم على أفكاره، المتعلقة بشؤون الحرب والقتال، وكيفية التعامل مع ظروف الحروب وتعقيداتها. وإن الكثيرين من أولئك المصنفين طوروا أفكاره ورؤيته للحرب وفنونه وألبسه لباس عصره، كل حسب العهد الذي عاش فيه والظروف التي عاصرتها جيوشهم.

٢- بينت الدراسة، أن الفئة الأكثر ارتباطا في الدولة الأيوبية بتنفيذ أسس ومبادئ فن الحرب هم السلاطين، كونهم يأتون في مقدمة الهرم الحربي والسياسي لها، ومع ذلك اختلفت موازين الخبرة والتجربة والشجاعة واستيعاب أصول فن الحرب بين أولئك السلاطين، فهناك من هضم الأفكار الحربية وطبقها وتفنن في استخدامها، وهناك من لم يستطع أن يوظف تلك المبادئ جيداً لخدمة الدولة، بل إن تطبيقات البعض منهم لفنون الحرب وفهمه لأسسها، كانت وبالاً على الدولة، وسبباً لضعفها في االعديد من الفترات، مروراً إلى مرحلة الانهيار والسقوط.

٣- كشفت الدراسة، أن ملوك بني أيوب قد كونوا دعماً إضافيا للسلاطين وللجيوش الأيوبية على مدى تأريخها السياسي والعسكري، وكانت لهم مشاركات مؤثرة في الكثير من المعارك ضد الصليبيين، وفي مراحل الصراعات الأسرية والإقليمية الداخلية، وبرز العديد منهم بصورة ملفتة للنظر، بسبب تمكنهم من استيعاب أساليب فن الحرب، وترجمتهم لذلك الفهم والوعي الحربي، إلى طاقات قتالية وخبرات متراكبة، أسهمت في تحقيق الانتصار للدولة الأيوبية في مواطن و مواقع كثيرة، وإن كان هناك في الوقت ذاته ملوكاً خبروا الحياة العسكرية؛ ولكنهم لم يكونوا على قدر المسؤولية في توظيف جهودهم لخدمة الدولة، بل أساؤا استخدام تلك المهارات والخبرات القتالية في غير الصالح العام.

٤- أبرزت الدراسة، أن المؤسسة الحربية الأيوبية، قد جمعت في صفوف مقاتليها وأجهزتها القتالية، عناصر بشرية متنوعة، ولكنها كسابقتها الدولة الزنكية، راعت في تفضيل عنصر على آخر مسألة (التعصب العنصري) ،والثقة والموالاة، في التقارب والتباعد لتولي المناصب والوظائف الحربية، فكان أن أصبح للكرد منذ عهد صلاح الدين الأيوبي حتى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، اليد الطولى في الجيش، تليهم العناصر

التركية والتركمانية، فالعربية. وبرزت من بين تلك العناصر، قادة وأمراء كبار كانت لهم مواقف مشهودة في ساحات الوغى، فمنهم من كان من قادة الفرسان والبعض الآخر كانوا من أمراء المشاة، ودلت الحروب التي اشتركوا فيها والمعارك التي خاضوها على القدرات الحربية والفنون القتالية التي امتلكوها، وسطر العديد منهم ملاحم عسكرية كبيرة، نجا بعضهم من الموت من شدة القتال وعنف الاشتباكات العسكرية، بينما ضحى البعض الآخر بنفسه في سبيل الأهداف الأساسية التي كان سلاطين الدولة وملوكها، قد جهدوا من أجل تحقيقها، على اختلاف تلك الأهداف بين عهد سلطان وآخر.

٥- أكدت الدراسة، أن الظروف الحربية، والمعارك المستمرة لتحقيق بعض الأهداف المؤقتة، كانت تدفع بالأيوبيين، أحيانا إلى إحداث تغيير في التركيبة الأساسية للبنية البشرية للجيش، فعندما كانت الدولة تعتمد كليا على بعض فرقها العسكرية الخاصة في خوض المعارك الفاصلة وكان لكل سلطان أو ملك على وجه التقريب، فرقته التي تنتمي إليه، إلا أنهم في الكثير من الحالات، اضطروا بسبب بعض الأوضاع الطارئة إلى الاستعانة بقوات أجنبية أخرى، أو اصطناع فرق خاصة، مثلما حدث في حالة تجنيد العساكر الخوارزمية وهي المعروفة بالصلابة والخشونة، وإدارة المعارك بدقة وتخطيط متناهيين، كقوات مرتزقة، وإحلال المماليك الترك ذو الولاء والشجاعة المشوبة بالطموح، بدلاً من الكرد في عهد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب.

٦- أوضحت الدراسة، أن القيادة الحربية الأيوبية ومن أجل تحقيق الأهداف المنشودة، سواء في حربهم الدائرة ضد الصليبيين، أو في معاركهم الداخلية على السلطة وتوسيع الممتلكات، يجب أن يركنوا إلى خزائن سلاح التي تشتمل على مختلف أنواع الأسلحة الثقيلة الهجومية والخفيفة الدفاعية، فضلا عن توفير كل ما يلزم من الذخائر والاعتدة والدواب وما يلزم الجنود من المؤن، وبالتالي هذا ما دفعت القيادة الأيوبية متمثلة بسلاطينها الكبار، إلى الاهتمام بصناعة الأسلحة وتصليحها وادامتها، والعمل على شراء ما يتم صنعه من الأسلحة الجديدة، واستبعاد كل ما لا يحتاج اليه من القديمة.

٧- أسفرت الدراسة، بأن ما تعرضت له بعض مدن مصر والشام للهجمات البحرية الصليبية، وما أسفر عنها من خسائر كبيرة، بسبب افتقاد مصر إلى أسطول بحري قوي قادر على حماية السواحل والثغور المصرية ومن ثم الشامية، دفعت السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى ضرورة إنشاء أسطول بحري حربي قوي وديوان خاص يشرف على متطلبات الاسطول وتعيين ناظر للجيش مهمته فقط توفير كل ما يلزمه الاسطول الناشئ من الاحتياجات المهمة، وبالتالي عين في سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) اميراً عاما

للاسطول، وأرسل المخاطبات إلى الأقاليم داعيا إلى انضمام الشباب وممن لهم خبرة بالبحر وشؤونه إلى الأسطول العسكري السلطاني. مع إنشاء دور صناعة خاصة بالبحرية، تهتم بصناعة السفن والمراكب والأسلحة والاعتدة الحربية - البحرية، وإن لم تبق للاسطول تلك الأهمية في العهود التي تلته، إلى أن اهتم به ثانية السلطان نجم الدين أيوب، وأوصى به ابنه توران شاه، لأهميته في حفظ سواحل البلاد الشامية والمصرية من الهجمات البحرية الصليبية.

٨- أظهرت الدراسة، تراتبية المناصب والوظائف في البحرية -الحربية الأيوبية، يتدرج من خلالها العاملون في الأسطول السلطاني إلى المراتب العليا، فكان على رأس الهرم، أمير الأسطول العام، والمقدم، فالرئيس، والنوتية، فالملاحون، ومن ثم الطاقم الخاص بالشؤون الهندسية والخدمية على السفينة، فضلاً عن المقاتلين الذين كانت مهمتهم القتال ضد الأعداء في البحر إذا ما اشتبكوا مع سفنهم، وإن التركيب البشري للبحرية الأيوبية، لم تكن واسعة بصورة ماثلة للبنية البشرية في الجيش البري، فقد تكونت من العرب المغاربة حيث ظهر منهم قادة وأمراء كبار كانت لهم أدواراً ومساهمات مؤثرة وجهوداً واضحة في تحقيق الانتصارات على أساطيل الصليبيين، ثم هناك الحلبيون، وبعض الأمراء من ذوي الأصول الفارسية أو التركية والأرمنية، مع وجود أسر مصرية خاصة عرفت بالمهارة والممارسة والشجاعة في القتال البحري، بينما لا تشير المصادر إلى أي وجود للعنصر الكردي في البحرية الأيوبية، حتى وإن وجد البعض منهم فإن النصوص التأريخية قد أغفلت الإشارة إليهم.

٩- أفردت الدراسة، أهمية خاصة لموضوع الاعداد الأيوبي العام للحرب واساليب القتال ، وما يترتب على ذلك من الاستعدادات الشاملة في المجالات المعنوية، والتعبوية، إلى جانب الاهتمام الكلي بانتقاء أفضل الأزمنة وأنسب الأمكنة لسحب الخصم إلى ميدان المعركة ولفرض القتال عليه حسب الخطط المدروسة، والاهداف المرسومة، فضلاً عن الإعداد المادي والاقتصادي المطلوب، الذي ساهم بنسبة كبيرة في الوصول إلى الغايات المرجوة، مع استخدام واضح لأبرز الأساليب القتالية في المعارك البرية والبحرية على السواء، بما يشمل عمليات الحصار دفاعا وهجوما، وبث الجواسيس في الارجاء لتقصي الاخبار وإقامة المنشات الدفاعية والتحصينات الضرورية لصد الأعداء، واكدت الدراسة أيضا على اهمية أسلوب الكمائن والهدم، ورصد تحركات الأعداء، بواسطة الطلائع المتقدمة للقوات الحربية.

١٠- عكست الدراسة، تميز الدولة الأيوبية الكردية، عن بقية الدول والكيانات السياسية الأخرى المعاصرة لها أو التي تأسست على أنقاضها، مثل الدولة السلجوقية، والدولة الزنكية، والدولة الفاطمية، تلك القوى السياسية التي حاولت جاهدة وعلى مدد زمنية مختلفة، بسط سيطرتها على كل بلاد الشام ومصر وإقليم الجزيرة، فضلاً عن طموحها المشروع في استعادة بيت المقدس، لكن كل تلك القوى فشلت، أو لم تسنح الظروف لها - على الرغم من قيادتها من قبل سلاطين وأمراء مشهود لهم بالشجاعة والقيادة - بتحقيق تلك الأمنيات والمطالب؛ لكن الدولة الأيوبية، متمثلة بشخص السلطان صلاح الدين الأيوبي، بفضل مهاراته العسكرية، وخصاله الشخصية الإنسانية، ووعيه التام بأساليب الحرب وفنونه، أن يحقق تلك الوحدة، ويسترجع بيت المقدس، ويؤسس قوة حربية أيوبية برية وبحرية، على قدر كبير من المسؤولية والبسالة. فضلاً عن تمكنها من إحداث نوع من التوازن العناصري بين فئات الجيش وتركيبته الاجتماعية، عدا بعض الحالات التي كانت تعد من الشواذ في مجتمع متعدد الأعراق والمذاهب.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

الكتب المقدسة

- القران الكريم.
- الإنجيل.
- التوراة.

اولاً: المخطوطات

ابن الحنبلي: عبد الرحمن نجم بن عبد الوهاب (ت ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م).

١- أسباب الظفر والانتصار، مخطوط في مكتبة شستربيتي في إيرلندا، مدينة دبلن، رقم الحفظ ٦/ ٤٧٣٣، عدد الاوراق ٧٦—٨٤، ورقة، ٧.

ثانياً: المصادر الاولية

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

١- التأريخ الباهر في الدولة الاتابكية (بالموصل)، تحقيق، عبد القادر أحمد طليمات، مصر الجديدة، (القاهرة: ١٩٦٣).

٢- الكامل في التأريخ، تحقيق، الشيخ خليل قامون شيحا، ط٢، دار المعرفة، (بيروت: ٢٠٠٧).

ابن الأثير: مجد الدين أبو سعادات المبارك، بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٦م).

٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق، طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، (بيروت: ١٩٧٩).

الادريسي: محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٩٦٠هـ/ ١١٦٤م).

٤- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، (بيروت: ١٤٠٩هـ).

ابن الأزرق الفارقي: أحمد بن يوسف بن علي (ت بعد ٥٧٧هـ/ ١١٨١م).

٥- تأريخ ميافارقين، تحقيق، كريم قارون ويوسف باكون، ط١، نويهار، (اسطنبول: ٢٠١٤).

ابن الأزرق: محمد بن علي بن محمد الاصبحي (ت ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م).

٦- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق، علي سامي النشار، ط١، وزارة الإعلام، (بغداد: ١٩٧٧).

الاندلسي: أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م).

٧- العقد الفريد، تحقيق، مفيد محمد قميعة، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٣).

الانصاري: عمر بن إبراهيم الاوسي (ت ٨١٥هـ/ ١٤١٢م).

٨- تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق، جورج سكانلون، منشورات الجامعة الامريكية، (القاهرة: ١٩٦١).

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م).

٩- صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، ط٥، دار ابن كثير، (دمشق: ١٩٩٣م).

ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

١٠- رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، تحقيق،محمد عبد المنعم العريان، ط٣، دار إحياء العلوم، (بيروت: ١٩٩٦).

البغدادي: عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م).

١١- الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، ط١، مطبعة وادي النيل، (القاهرة: ١٩٩٨).

البنداري: قوام الدين الفتح علي الاصفهاني (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م).

١٢- سنا البرق الشامي، تحقيق، إبراهيم ششن، دار الكتاب الجديد، (بيروت: ١٩٧١).

بيبرس المنصوري: ركن الدين بيبرس الخطائي (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م).

١٣- مختار الأخبار، تحقيق، عبد الحميد صالح حمدان، ط١، دار المصرية اللبنانية، (القاهرة: ١٩٩٣م).

البيساني: مجير الدين عبد الرحيم (ت ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م).

١٤- رسائل القاضي الفاضل، دراسة وتحقيق، علي نجم عيسى، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٥).

ابن تغري بردي: جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي، (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

١٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة الكتب المصرية، (القاهرة: د/ت).

الثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م).

١٦- فقه اللغة وسر العربية، تحقيق، عبد الرزاق مهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: ٢٠٠٢).

الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م).

١٧- البيان والتبين، دار ومكتبة الهلال، (بيروت: ١٤٢٣هـ).

١٨- الحيوان،ط٢،دار الكتب العلمية ،(بيروت:١٤٢٤هـ).

١٩- رسائل الجاحظ، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة: ١٩٦٤).

ابن جبير: أبو الحسن محمد أحمد (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م).

٢٠- رحلة ابن جبير (رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك)، دار ومكتبة هلال، (بيروت: د/ت).

ابن جماعة الحموي: أبي يعقوب اسحاق بن ابي يعقوب بن اسحاق (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م).

٢١- مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر في فضل الجهاد، تحقيق، إسامة ناصر النقشبندي، ط١، دار الوثائق للدراسات والطبع والنشر والتوزيع، (دمشق: ٢٠٠٨م).

الجواليقي: موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت ٥٤٠هـ/ م).

٢٢- المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق، ف. عبد الرحيم، ط١، دار القلم، (دمشق: ١٩٩٠).

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

٢٣- غريب الحديث، تحقيق، عبد المعطي أمين القلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٥).

٢٤- المنتظم في تأريخ الأمم والملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٢م).

الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م).

٢٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٨٧).

ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

٢٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، أخرجه وصححه، محب الدين الخطيب، وعلق عليه، عبد العزيز بن علد الله بن باز، دار المعرفة، (بيورت: ١٣٧٩هـ).

حسن الرماح: نجم الدين حسن (ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م).

٢٧- الفروسية والمناصب الحربية، تحقيق، فاروق إسليم، ط١، مركز زايد للتراث والتأريخ، (أبو ظبي: ٢٠٠٧).

الحضرمي: أبي بكر محمد بن الحسن المرادي (ت ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م).

٢٨- كتاب السياسة في تدبير الإمارة، تحقيق، محمد حسن محمد حسن إبراهيم، أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٢).

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م).

٢٩- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق، إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، (بيروت: ١٩٨٠).

الحنبلي: أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م).

٣٠- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق، ناظم رشيد، دار الحربة للطباعة، (بغداد: ١٩٧٨م).

ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيد الله بن علد الله (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م).

٣١- المسالك والممالك، دار صادر، (بيروت: ١٨٨٩).

الخزرجي: علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن الزيدي (ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م).

٣٢- العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية، تحقيق، محمد بن علي الاكوع الحوالي، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، (صنعاء: ١٩٨٣).

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).

٣٣- تأريخ ابن خلدون، المسمى العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تأريخ العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، (بيروت: ١٩٨٨).

٣٤- مقدمة ابن خلدون، تحقيق، عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، (القاهرة: ٢٠١٤).

ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

٣٥- وفيات الأعيان في أبناء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت: ١٩٧٧).

الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م).

٣٦- مفاتيح العلوم، تحقيق، إبراهيم الايباري، ط٢، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٨٩).

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

٣٧- غريب الحديث، تحقيق، عبد المعطي أمين القلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٥).

٣٨- المنتظم في تأريخ الأمم والملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٢م).

الدواداري: ابن ايبك أبي بكر بن عبد الله (ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م).

٣٩- كنزر الدرر وجامع الغرر، تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (القاهرة: ١٩٨٢).

الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).

٤٠- عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧).

٤١- المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (بيروت: ١٩٩٢).

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

٤٢- تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٩٦).

٤٣- سير اعلام النبلاء، تحقيق، بشارعواد معروف ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، (بيوت: ١٩٩٦).

٤٤- العبر في خبر من غبر، تحقيق، ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٥).

الرازي، محمد بن أبو بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ/١٣٢١م).

٤٥- مختار الصحاح، مكتبة لبنان، (بيروت: ١٩٨٦).

الراغب الاصفهاني: ابو القاسم الحسن بن محمد (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م).

٤٦- مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق، صفوان عدنان الداودي، ط٤، دار القلم الدار الشامية، (دمشق: ٢٠٠٩).

الرهاوي المجهول: (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م).

٤٧- تأريخ الرهاوي المجهول، عربه ووضع حواشيه، الأب البير أبونا، مطبعة شفيق، (بغداد: ١٩٨٦).

الزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).

٤٨- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت: ٢٩٦٥ — ٢٠٠١م).

الزبيدي: عبد الرحمن بن علي الربيع الشيباني (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧ م).

٤٩- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، حققه وعلق عليه، محمد بن علي الاكوع الحوالي، ط٢، مكتب ابو ذر الغفاري، (صنعاء: ١٩٨٨).

الزردكاش: ابن ارنبغا (ت ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م)

٥٠- الانيق في المناجيق، تحقيق، إحسان هندي، معهد التراث العربي، (حلب: ١٩٨٥).

الزمخشري: ابو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م).

٥١- أساس البلاغة، تحقيق، محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٨).

الزياني: ابو حمو موسى بن أبي يعقوب (ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م).

٥٢- واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، (تونس: ١٨٦٢).

ابن الساعي الخازن: أبو طالب علي تاج الدين بن عثمان البغدادي (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م).

٥٣- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق، مصطفى جواد وانستاس ماري الكرملي، المطبعة السريانية الكاثوليكية، (بغداد: ١٩٣٤).

سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قراوغلي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).

٥٤- مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق، إبراهيم زيبق، ط١، دار الرسالة العالمية، (دمشق: ٢٠١٣م).

السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م).

٥٥- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة: ١٩٩٢).

٥٦- معيد النعم ومبيد النقم، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، (بيروت: ١٩٨٦م).

ابن سلام: أبو عبيد قاسم بن سلام بن عبد الله (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م).

٥٧- كتاب السلاح، تحقيق، حاتم صالح الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ١٩٨٥).

ابن سناء الملك: عز الدين أبو القاسم هبة بن جعفر (ت ٦٠٨هـ/ ١٢١٢م).

٥٨- ديوان ابن سناء الملك، تحقيق، محمد عبد الحق، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن — الهند، (حيدر آباد: ١٩٥٨).

ابن سيده: ابو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ/ ١١٦٢ م).

٥٩- المخصص، تحقيق، خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: ١٩٦م).

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

٦٠- اتخاف الأخصا لفضائل مسجد الأقصى، تحقيق، أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ١٩٨٢).

٦١- حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة: ١٩٦٧).

أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦ك)

٦٢- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بـ (الذيل على الروضتين) وضع حواشيه وعلق عليه، إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٢).

٣٢-الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه، إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٢).

ابن شاهنشاه الأيوبي: محمد بن تقي الدين عمر (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٢م).

٦٣- مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق، حسن حبشي، عالم الكتب، (القاهرة: ١٩٦٨).

ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م).

٦٤- الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق، سامي الدهان،المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (دمشق: ١٩٥٦).

ابن شداد: يوسف بن رافع بن تيمي بن عتبة الأسدي الموصلي (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)

٦٥- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)، تحقيق، جمال الدين الشيال، المؤسسة المصرية العامة، (القاهرة: ١٩٩٤).

ابن الشعار: كمال الدين أبو بركات المبارك (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).

٦٦- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ (عقود الجمان في شعراء هذا الزمان)، تحقيق، كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، (بيورت: ٢٠٠٥م).

الشيزري: عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت نحو ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م).

٦٧- المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق، علي عبد الله الموسى، ط١، مكتبة المنار، الأردن، (الزرقاء: ١٩٨٧).

الصفدي: صلاح الدين خليل بن ايك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٦٨- الوافي بالوفيات، تحقيق، احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: ٢٠٠٠).

ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م).

٦٩- شرح مشكل الوسيط، تحقيق، عبد المنعم خليفة أحمد بلال، ط١، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، (رياض: ٢٠١١).

سون تزو (ت ٤٩٦ قبل الميلاد، كان حياً في القرن الخامس قبل الميلاد).

٧٠- فن الحرب، (مقدمة المترجم)، ترجمة رؤوف شبابيك، (القاهرة: ٢٠٠٦).

٧١- فن الحرب، ترجمة، هشام البطل، ط١، مكتبة النافذة (الجيزة: ٢٠٠٩).

الصنعاني: حسن بن الحسن الصنعاني (ت ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م).

٧٢- التكملة والذيل والصلة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب، (القاهرة: ١٩٧٩).

الصنهاجي: أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م).

٧٣- اخبار ملوك بني عبد وسيرتهم، تحقيق، التهامي نقرة، ي الفتح القدسيوعبد الحليم عويس، دار الصحوة، (القاهرة: ١٩٨٠).

الصوري: وليم (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)

٧٤- الحروب الصليبية، ترجمة، حسن حبشي، (القاهرة: ١٩٩٥).

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م).

٧٥- تأريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف بمصر، (القاهرة: ١٩٧٩).

٧٦- تفسير الطبري، جامع البيان عن تاويل آي القرآن، تحقيق، محمود محمد شاكر، مكتبة أبن تيمية، (القاهرة: د/ت).

الطرسوسي: مرضي بن علي بن مرضي (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م).

٧٧- تبصرة ارباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر إعلام الإعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق، كلود كاهن، (بيروت: ١٩٤٨).

الطرطوشي: أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م).

٧٨- سراج الملوك، مطبوعات العربية، (مصر: ١٨٧٢).

ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م).

٧٩- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق، عبد القادر محمد مايو، ط١، دار القلم العربي، (بيروت: ١٩٩٧).

الطوسي: نظام الملك قوام الدين أبو الحسن علي (ت ٤٨٥هـ/ ١١٩٢م).

٨٠- سير الملوك أو سياسه‌تنامه، ترجمة، يوسف بكار، ط٣، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: ٢٠٠٧).

ابن الطوير: أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م).

٨١- نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق، ايمن فؤاد سيد، ط١، دار صادر، (بيروت: ١٩٩٢م).

العباسي: حسن بن عبد الله العباسي، (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م).

٨٢- آثار الاول في ترتيب الدول، تحقيق، عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل، (بيروت: ١٩٨٩).

ابن عبد الظاهر: محي الدين بن عبد الطاهر (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م).

٨٣- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر، عبد العزيز الخويطر، ط١، (الرياض: ١٩٧٦).

ابن العبري: أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٦م).

٨٤- تأريخ الزمان، تعريب الأب اسحق حرملة، دار المشرق، (بيروت: ١٩٩١م).

ابن العديم: عمر بن أحمد بن هبة الله الحلبي (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)

٨٥- زبدة حلب من تأريخ حلب، وضع حواشيه، خليل منصور، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٦م).

العليمي: عبد الرحمن بن عبد الرحمن محي الدين (ت ٩٢٨هـ/ م).

٨٦- الأنس الجليل بتأريخ القدس والخليل، تحقيق، عدنان يونس عبد الحميد، مكتبة دنديس، (عمان: د/ت).

عماد الدين الاصفهاني: عماد الدين بن عبد الله الكاتب (ت ٥٦٧هـ/ ١٢٠٠م).

٨٧- البرق الشامي، تحقيق، فالح حسين، ط١، مؤسسة عبد الحميد شومان، (عمان: ١٩٨٧).

٨٨- خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام — شعراء دمشق والشعراء الأمراء بني أيوب، تحقيق شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، (دمشق: ١٩٥٥)، قسم شعراء مصر، تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: ١٩٥١).

٨٩- الفتح القسي في الفتح القدسي، ط١،دار المنار،(القاهرة:٢٠٠٤).

ابن العماد الحنبلي: شهاب الدين أبي فلاج عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ/ ١٤٧١م).

٩٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، ط١، دار ابن كثير، (بيروت: ١٩٩١م).

العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

٩١- التعريف بالمصطلح الشريف، عني بتحقيقه وضبطه وتعليف حواشيه، محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٨).

ابن العميد: المكين جرجيس (ت ٦٧٢هت/ ١٢٧٣م).

٩٢- أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، (بورسعيد: د/ت).

العيني: بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).

٩٣- عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي)، تحقيق، محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة: ٢٠٠٧).

الغساني: الملك الاشرف اسماعيل بن العباس (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م).١٥٣٧م).

٩٤- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق، شاكر محمود عبد المنعم، ط١، دار البيان، (بغداد: ١٩٧٥).

الفاخري: بدر الدين بكتاش الفاخري (ت ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م).

٩٥- تأريخ الفاخري، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، (بيروت: ٢٠١٠).

ابن فارس، أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا، (ت ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٤م).

٩٦- معجم مقايس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: ١٩٧٩م).

أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).

٩٧- المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، (القاهرة: د/ت).

ابن فرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م).

٩٨- تأريخ ابن الفرات، تحقيق، محمد حسن الشماع، مج٤، ج٢، دار الطباعة الحديثة، (البصرة: ١٩٧٩)، مج٥، ج١، دار الطباعة الحديثة، (البصرة: ١٩٧٠).

الفراهيدي: ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تيم (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م).

٩٩- العين، تحقيق، مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (بغداد: ١٩٤٨).

ابن الفوطي: كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م).

١٠٠- مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق، محمد الكاظم، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، (طهران: ١٤١٦هـ).

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٥م).

١٠١- القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، (القاهرة: ٢٠٠٨م).

القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م).

١٠٢- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت: د/ت).

ابن القلانسي: حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م).

١٠٣- تأريخ دمشق، تحقيق، سهيل زكار، ط١، دار حسان للطباعة والنشر، (دمشق: ١٩٨٣م).

القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

١٠٤- صبح الأعشى في صناعة الأنشا، شرحه وعلق عليه، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٧).

١٠٥- مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، (كويت: ١٩٨٥).

ابن القيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن ايوب (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م).

١٠٦- الفروسية المحمدية، تحقيق، زائد بن أحمد النشيري، ط١، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (جدة: ١٤٢٨هـ).

الكاتب: علي بن حلف (ت بعد سنة ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م).

١٠٧- مواد البيان، تحقيق، حاتم صالح الضامن، ط١، دار البشائر، (دمشق: ٢٠٠٣م).

الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

١٠٨- فوات الوفيات، تحقيق، إحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت: ١٩٧٤).

ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).

١٠٩- البداية والنهاية، تحقيق، علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: ١٩٨٨).

١١٠- تفسير القران العظيم، وضع حواشيه وعلق عليه، محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٨).

١١١- قصص الانبياء، تحقيق، مصطفى عبد الواحد، ط٢، مكتبة الطالب الجامعي، (القاهرة: ١٩٨٨).

الكندي: أبو يوسف يعقوب بن اسحاق (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م).

١١٢- رسالة الكندي في عمل السيوف، تحقيق، فيصل دبدوب، ط١، مطبعة العاني، (بغداد: ١٩٦٢م).

المالقي: أبي القاسم ابن رضوان (ت ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م).

١١٣- الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق، علي سامي النشار، ط١، دار الثقافة، (الدار البيضاء: ١٩٨٤).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمود بن حبيب البصري، (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م).

١١٤- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط١، مكتبة دار ابن قتيبة، (الكويت: ١٩٨٩).

ابن المجاور: جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م).

١١٥- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تأريخ المستبصر، تحقيق، ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة: ١٩٩٦).

المسروري: علم الدين سنجر المسروري الصالحي (ت ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م).

١١٦- المختصر من الكامل في التأريخ وتكملته، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، (بيروت: ٢٠٠٢م).

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

١١٧- التنبيه والإشراف، تحقيق، عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة المثنى، (بغداد: ١٩٣٨).

ابن مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م).

١١٨- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق، أبو القاسم أمامي، ط٢، سروش، (طهران: ٢٠٠٠م).

المظهري: الحسين بن محمود بن الحسن (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م).

١١٩- مفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق، لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ط١، دار النوادر، (الكويت: ٢٠١٢).

المقدسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).

١٢٠- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، (القاهرة: ١٩٩١م).

المقري: شهاب الدين أجمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١ م).

١٢١- نفح الطيب في عض الاندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت: ١٩٦٨م).

المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

١٢٢- السلوك لمعرفة دول والملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧م).

١٢٣- المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٤١٨هـ).

ابن مماتي: أسعد (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)

١٢٤- قوانين الدواوين، جمعه وحققه، عزيز سوريال عطية، ط١، مطبعة مصر، (القاهرة: ١٩٤٣).

المنذري: زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

١٢٥- تكملة لوفيات النقلة، تحقيق، بشار عواد معروف، ط٢، مؤسسة الرسالة، (بيورت: ١٩٨١).

ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).

١٢٦- لسان العرب، ط١، دار الصادر، (بيروت: د/ت).

ابن منقذ: إسامة بن مرشد علي بن علي بن مقلد (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م).

١٢٧- الاعتبار، تحرير فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة: ١٩٩٨).

ابن منكلي: محمد بن منكلي الناصري (ت بعد سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م).

١٢٨- الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد: ١٩٨٨).

مؤلف مجهول

١٢٩- خزانة السلاح، مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك، ط١، مكتبة المصرية، (القاهرة: ١٩٨٧).

مؤلف مجهول: (ت بعد ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م).

١٣٠- تأريخ دولة الأكراد والأتراك، تحقيق، موسى مصطفى الهسنياني، ط١، مطبعة جامعة دهوك، (دهوك: ٢٠١٠م).

النابلسي: عثمان بن إبراهيم، (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م).

١٣١- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة: د/ت).

الناصري: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٩م).

١٣٢- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء: ١٩٥٤).

ابن النحاس: أبي زكريا أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي (ت ٨١٤هـ/ ١٤١١م).

١٣٣- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، تحقيق، إدريس محمد علي ومحمد خالد اسطنبولي، ط١، دار البشائر الإسلامية، (بيروت: ١٩٩٠).

النسوي: محمد بن أحمد (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م).

١٣٤- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق، حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، (القاهرة: ١٩٥٣).

ابن نظيف الحموي: أبو الفضائل محمد بن علي (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م).

١٣٥- التأريخ المنصوري، تحقيق، أبو العيد دودو، مطبعة الحجاز، (الرياض: ١٩٨١م).

ابن النفيس: علي بن أبي الحزم (ت ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م).

١٣٦- الشامل في الصناعة الطبية، الأدوية والأغذية، تحقيق، يوسف زيدان، ط١، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، (أبو ظبي: ٢٠٠٢).

النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).

١٣٧- نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة: ١٤٢٣هـ).

النويري: محمد بن قاسم بن محمد الاسكندراني، (ت بعد سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٢م).

١٣٨- الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام، تحقيق، عزيز سوريال عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد: ١٩٦٨).

ابن هذيل الاندلسي: علي بن عبد الرحمن (ت ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م).

١٣٩- حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق، محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، (القاهرة: ١٩٤٩).

الهرثمي: ابو سعيد الشعراني صاحب مأمون، كان حياً سنة (٢٣٤هـ/ ٨٤٨م).

١٤٠- مختصر سياسة الحروب، تحقيق، عبد الرؤوف عون، مراجعة، محمد مصطفى زيادة، ط١، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ١٩٦١).

الهروي: علي بن ابي بكر علي (ت ٦١١هـ/ ١٢١٥م).

١٤١- التذكرة الهروية في الحيل الحربية، مكتبة الثقافة الدينية، (بورسعيد: د/ت).

الهمداني: بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران (ت ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م).

١٤٢- السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق، ركس سمش، جامعة كمبردج، (كمبردج: ١٩٧٣).

الواقدي: محمد بن عمر بن واقد السهمي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م).

١٤٣- المغازي، تحقيق، مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، (بيروت: ١٩٨٩م).

ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٧٩هـ/ ١٢٦٧م).

١٤٤- التاريخ الصالحي، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، (بيروت: ٢٠١٠).

١٤٥- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج١-٣، تحقيق، جمال الدين الشيال، ج١، مطبعة فؤاد الاول، (القاهرة: ١٩٥٣)، ج٢، المطبعة الاميرية، (القاهرة: ١٩٥٧)، ج٣، دار القلم، (القاهرة: ١٩٦١)، ج٤-٥، تحقيق، حسنين محمد ربيع، راجعه، سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، (القاهرة: ١٩٧٢-١٩٧٧)، ج٦، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، (بيروت: ٢٠٠٤).

ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

١٤٦- تأريخ ابن الوردي المسمى (تتمة المختصر في أخبار البشر)، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٦).

اليافعي: أبو محمد بعبد الله بن اسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م).

١٤٧- مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه، خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧).

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

١٤٨- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق، إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: ١٩٩٣م).

١٤٩- معجم البلدان، ط٢، دار صادر، (بيروت: ١٩٩٥).

اليماني: تاج الدين عبد الباقي عبد الحميد (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م).

١٥٠- تأريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تأريخ اليمن، تحقيق، مصطفى الحجازي، ط٢، دار الكلمة، (صنعاء: ١٩٨٥).

اليونيني: قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م).

١٥١- ذيل مرآة الزمان، ط٢، دار الكتب الإسلامي، (القاهرة: ١٩٩٢).

ابو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م).

١٥٢- الخراج، تحقيق، طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد، مكتبة الازهري للتراث، (القاهرة: ١٩٩٩).

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة

إبراهيم: رجب عبد الجواد

١- المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ط١، دار الآفاق العربية، (القاهرة: ٢٠٠٢م).

أحمد: عبد الرزاق أحمد

٢- العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي (٢١–٩٢٣هـ/ ٦٤١–١٥١٧م)، ط١، دار الفكر العربي، (القاهرة: ٢٠٠٩م).

أدي شير: السيد

٣- الألفاظ الفارسية المعربة، ط٢، دار العرب للبستاني، (القاهرة: ١٩٨٨).

الاعرجي: محمد حسين

٤- جهاز المخابرات في الحضارة الإسلامية، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، (دمشق: ١٩٩٨م).

اميدي: كرفان

٥- الكرد في كتابات المؤرخ ابن الاثير الجزري، دار سبيريز، (اربيل: ٢٠٠٦).

انطون: نعمان أفندي

٦- الطائر الغريد في وصف البريد، مطبعة المقتطف، (مصر: ١٨٩٠م).

باركر: ارنست

٧- الحروب الصليبية، نقله إلى العربية السيد البارز العريني، ط٢، دار النهضة العربية، (بيروت: ١٩٦٧).

بالار: ميشيل

٨- الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة، بشير السباعي، (القاهرة: ٢٠٠٣م).

بدر: منى محمد

٩- أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، ط١، مكتبة زهراء الشرق، (القاهرة: ٢٠٠٢).

بركات: وفيق

١٠- فن الحرب البحرية في التأريخ العربي الإسلامي، معهد التراث العلمي العربي، (حلب: ١٩٩٥).

بروكلمان: كارل

١١- تأريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة، نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٨٦).

البستاني: بطرس

١٢- محيط المحيط، مكتبة لبنان، (بيروت: ١٩٨٧).

البقلي: محمد قنديل

١٣- التعريف بمصطلحات صبح الاعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ١٩٨٣).

البلعوط: محمد عبد الستار

١٤- الأسلحة الإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (رياض: ١٩٩٠).

بيرج: بيرتون

١٥- البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة، إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، (بيروت: ١٩٨١).

البيطار: فراس

١٦- الموسوعة السياسية والعسكرية، ط١، دار إسامة للنشر والتوزيع، (عمان: ٢٠٠٣).

البيومي: علي

١٧- قيام الدولة الأيوبية في مصر، ط١، دار الفكر الحديث للطبع والنشر، (القاهرة: ١٩٥٢م).

تروكماني: العماد حسن

١٨- الدهاء في الحرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د/م: د/ت).

توفيق: زرار صديق

١٩- القبائل والزعامات القبلية الكردية في العصر الوسيط، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، (اربيل: ٢٠٠٧).

توماس: صامويل هيز ووليم

٢٠- تولي القيادة (فن القيادة العسكرية وعلمها)، ترجمة، سامي هاشم، ط٢، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت: ١٩٨٩).

ثابت: نعمان

٢١- الجندية في الدولة العباسية، مطبعة أسد، (بغداد: ١٩٥٦).

جب: هاملتون

٢٢- دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة، إحسان عباس وآخرون، ط٣، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٧٩).

الجعواني: محمد ناصر عبد الرحمن

٢٣- القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته، دراسة مقارنة، ط٢، (د/م: ١٩٨٣).

الجنابي: خالد جاسم

٢٤- تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، دارالشؤون الثقافية العامة، (بغداد: ١٩٨٦).

الجهيني: محمد

٢٥- إطلالة على العمارة الحربية في شرق العالم الإسلامي عبر العصور، ط١، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، (القاهرة: ٢٠٠٧م).

الحايك: منذر

٢٦- العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ط١، الاوائل للنشر والتوزيع، (دمشق: ٢٠٠٦).

الحريري: سيد علي

٢٧- الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ط٢، مطبعة نيل بمصر، (القاهرة: ١٣٢٩هـ).

حسن: حسن إبراهيم

٢٨- تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١٤، دار الجيل، (بيروت: ١٩٩٦).

حسين: حمدي عبد المنعم

٢٩- دراسات في تأريخ الأيوبيين والمماليك، ط١، دار المعرفة الجامعية، (القاهرة: ٢٠٠٠م).

حسين: محسن محمد

٣٠- الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، دار ئاراس للطباعة والنشر، (اربيل: ٢٠٠٢م).

الحصيني: محمد أديب آل تقي الدين

٣١- منتخبات التواريخ لدمشق، ط١، منشورات دار الآفاق الحديدة، (بيروت: ١٩٧٩).

حمدي: حافظ أحمد

٣٢- الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، (القاهرة: ١٩٤٩).

حمزة: عادل عبد الحافظ

٣٣- العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ٢٠٠١م).

حمودة: عبد الحميد حسين

٣٤- الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها العالمي، ط١، دار الثقافة للنشر، (القاهرة: ٢٠١٢).

الحموي: ياسين

٣٥- تأريخ الاسطول العربي، مطبعة الترقي، (دمشق: ١٩٤٥).

الحميدة: سالم محمد

٣٦- الحروب الصليبية، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد: ١٩٩٠).

الحناوي: مصطفى محمد

٣٧- عصر الحروب الصليبية—الفرسان الإسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، مكتبة الرشد، (الرياض: ٢٠٠٤).

الحويري: محمود محمد

٣٨- الاوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، دار المعارف، (بيروت: ١٩٧٩).

الخالدي: شهلا بنت سعد

٣٩- الاهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر في العصر الأيوبي، دار الملك عبد العزيز، (الرياض: ٢٠١٨م).

الخانكي: جميل

٤٠- تأريخ البحرية المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة: ١٩٤٨).

خضر: مهدي قادر

٤١- الأمن في مصر في العصر الأيوبي (٥٦٧—٦٥٥هـ/ ١١٧١—١٢٥٥م)، ط١، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، (اربيل: ٢٠١١).

خطاب: محمود شيت

٤٢- الإسلام والنصر الاعداد المعنوي للجهاد، ط١، دار الفكر، (بيروت: ١٩٨٣).

٤٣- إرادة القتال في الجهاد الإسلامي، ط٢، دار الفكر، (القاهرة: ١٩٧٣).

٤٤- الرسول القائد، ط٢، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، (بغداد: ١٩٦٠).
٤٥- العسكرية العربية الإسلامية، عقيدة وتأريخياً، وقادة وتراثاً، ولغة وسلاحاً، ط١، كتاب الأمة، (قطر: ١٤٠٣هـ).

خلف: سالم عبد الله

٤٦- نظم حكم الأمويين ورسخوهم في الاندلس، ط١، الجامعة الإسلامية، (المدينة المنورة: ٢٠٠٣م).

خولي: أمين

٤٧- الجندية والسلم، مطبعة الرسالة، دار المعرفة، (القاهرة: ١٩٦٠).

الدباغ: مصطفى

٤٨- المرجع في الحرب النفسية، ط١، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، (عمان: ١٩٩٨).

دعكور: عرب

٤٩- الدولة الأيوبية تأريخها السياسي والحضاري، ط١، دار للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: ٢٠٠٦).

الدغمي: محمد راكان

٥٠- التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، ط٢، دار السلام، (القاهرة: ١٩٨٥).

دهمان: محمد أحمد

٥١- معجم الألفاظ التأريخية في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر، (بيروت: ١٩٩٠).

الدوري: عبد العزيز

٥٢- النظم الإسلامية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: ٢٠٠٨).

دوزي: رينهارت

٥٣- تكملة المعاجم العربية، ترجمه وعلق عليه، ج١ – ٨، محمد سليم النعيمي، ج٩ – ١٠، جمال الخياط، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، (بغداد: من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م).

ديورانت: ول

٥٤- قصة الحضارة، ترجمة، محمد بدران، دار الجيل، (بيروت: ١٩٨٨).

ربيع: حسنين محمد

٥٥- النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، مطبعة جامعة القاهرة، (القاهرة: ١٩٦٤).

رزق: عاصم محمد

٥٦- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة: ٢٠٠٠م).

رضا: أحمد

٥٧- معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، (بيروت: ١٩٦٠).

رنسيمان: ستيفن

٥٨- تأريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، (بيروت جزء الاول ١٩٦٧، جزء الثاني ١٩٦٨، جزء الثالث ١٩٩٣).

الريحاوي: عبد القادر

٥٩- العمارة العربية الإسلامية، خصائصها وآثارها في سورية، ط٢، دار البشائر للطباعة والنشر، (بيروت: ١٩٩٠).

الزحيلي: وهبة

٦٠- أثر الحرب في الفقه الإسلامي، ط١، دار الفكر، (دمشق: ١٩٩٨).

زغروت: فتحي

٦١- الجيوش الإسلامية وحركة التغيير، ط١، دار توزيع والنشر الإسلامية، (القاهرة: ٢٠٠٥م).

زكي: عبد الرحمن

٦٢- السلاح في الاسلام، دار المعارف، ، (القاهرة: ١٩٥١)

٦٣- السيف في العالم الإسلامي، دار الكتاب، (القاهرة: ١٩٥٧)

٦٤- قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية معاصرة، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة: ١٩٦٠)

٦٥- قلعة مصر من السلطان صلاح الدين إلى الملك فاروق الاول، المطبعة الاميرية، (القاهرة: ١٩٥٠).

زماني: أحمد

٦٦- بحوث حول النظام العسكري في الإسلام، ط١، دار الإسلامية، (بيروت: ١٩٩١).

زيادة: محمد مصطفى

٦٧- حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، ط١، مجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، (القاهرة: ١٩٦١م).

زيدان: جرجي

٦٨- تأريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، (القاهرة: ٢٠١٢).

الساحلي: نعيمة عبد السلام

٦٩- التوجهات السياسية للدولة الأيوبية الداخلية والخارجية، ط١، (دمشق: ٢٠٠٩).

ستامبولي: ريمون

٧٠- مفاتيح اورشليم القدس حملتان الصليبيتان على مصر (١٢٠٠—١٢٥٠م)، ترجمة عايدة الباجوري، ط٢، المركز القومي للترجمة، (القاهرة: ٢٠٠٩).

السراج: أحمد

٧١- العمارة الإسلامية خصائص وآثار، ط١، مكتبة ومطبعة الكتاب الجامعي، (غزة: ٢٠١٥).

السرياني: بطريرك مار ميخائيل

٧٢- تأريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، تعريب، مار غريغور يوسف صليبا شمعون، دار ماردين، (حلب: ١٩٩٦م).

سعداوي: نظير حسان

٧٣- التأريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: ١٩٥٧).

٧٤- جيش مصر في أيام صلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: ١٩٥٦).

٧٥- نظام البريد في الدولة الإسلامية، ط١، دار مصر للطباعة، (الإسكندرية: ١٩٥٣).

سعيد: إبراهيم حسن

٧٦- البحرية في عصر سلاطين المماليك، ط١، مطبعة دار المعرفة، (د/م: ١٩٨٣).

سلام: محمد زغلول

٧٧- الأدب في العصر الأيوبي، ط١، منشأة المعارف، (الإسكندرية: ١٩٩٠).

سليفاني: مهدي صالح

٧٨- الأيوبيون في كتابات المؤرخين السريان، (اربيل: ٢٠١٢).

سميسم: حميدة مهدي

٧٩- الحرب النفسية، الدار الثقافية للنشر، بغداد: ٢٠٠٤).

سميل: ر. سي

٨٠- فن الحرب عند الصليبين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧—١١٩٣م)، ترجمة، محمد وليد جلاد، مركز الدراسات الإسلامية، (دمشق: ١٩٨٥).

٨١- الحروب الصليبية، ترجمة وتحقيق، سامي هاشم، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت: ١٩٨٢).

سويد: ياسين

٨٢- الفن العسكرية الإسلامية أصوله ومصادره، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، (بيروت: ١٩٩٠).

السيد: طلعت صبح

٨٣- شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية، ط١، دار الكتب المصرية، (القاهرة: ١٩٩٠م).

الشامي: أحمد

٨٤- صلاح الدين والصليبيون، تأريخ الدولة الأيوبية، ط١، مكتبة النهضة العربية، (القاهرة: ١٩٩١).

شبارو: عصام محمد

٨٥- السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري السلاجقة — الأيوبيون ٤٤٧—٦٤٨هـ/ ١٠٥٥—١٢٥٠م، دار النهضة العربية، (بيروت: ١٩٩٤).

شبل: سمير صبري

٨٦- الانظمة المشرقية والمغربية في العصر الأيوبي، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية: ٢٠١٣).

شريف: عمر

٨٧- نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، دراسة مقارنة، ط١، معهد الدراسات الإسلامية، (القاهرة: ١٩٩١).

شعث: شوقي

٨٨- قلعة حلب تأريخها ومعالمها الأثرية، ط١، دار الفكر العربي، (حلب: ١٩٩٦).

شفيق: منير

٨٩- الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب، ط١، دار العربية للعلوم ناشرون، (بيروت: ٢٠٠٨م).

شكيل: هادية دجاني

٩٠- القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني (٥٢٦—٥٩٦هـ/ ١١٣١—١١٩٩م) دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت: ١٩٩٣).

الشهابي: قتيبة

٩١- أبواب دمشق وأحداثها التأريخية، ط١، مطابع وزارة الثقافة، (دمشق: ١٩٩٦).

٩٢- صمود دمشق أمام الحملات الصليبية، وزارة الثقافة السورية، (دمشق: ١٩٩٨).

الشيال: جمال الدين

٩٣- دراسات في التأريخ الإسلامي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة: ٢٠٠٠).

٩٤- مجمل تأريخ دمياط، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، (بورسعيد: ٢٠٠٠م).

الصباغ: حسان حلاق وعباس

٩٥- المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، ط١، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٩٩).

صباغ: ميخائيل بن نقولا إبراهيم

٩٦- مسابقة البرق والغمام من سعادة الحمام، دار المطبعة السلطانية، (باريس: ١٨٠٥م).

صحاب: محمد منير

٩٧- الحرب النفسية، ط١، دار الفدر للنشر والتوزيع، (القاهرة: ٢٠٠٥م).

صديق: جوتيار تمر

٩٨- الكرد القيمرية (٧–٨هـ/ ١٣–١٤م)، ط١، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق: ٢٠١٦).

الصعيدي: موسى وعبد الفتاح

٩٩- الافصاح في فقه اللغة، مطبعة المدني، (القاهرة: ١٩٦٤).

صناحي: فاضل جابر

١٠٠- الولائم في دولة المماليك، دارتموز للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق: ٢٠١٥).

الصوافي: طالب عبد الفتاح

١٠١- القلاع في شمال فلسطين في فترة الصراع الفرنجي الإسلامي، ط١، مؤسسة الأسوار، (عكا: ٢٠٠٠).

ضيف: شوقي وآخرون

١٠٢- المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية مصر، (القاهرة: ٢٠٠٤م).

طرخان: إبراهيم علي

١٠٣- النظم الإقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، (القاهرة: ١٩٦٨).

طقوش: محمد سهيل

١٠٤- تأريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، ط٢، دار النفائس، (بيروت: ٢٠٠٨).

طوقان: قدري حافظ

١٠٥- الملاحة عند العرب، مجلة الرسالة، (نابلس: ١٩٤٠).

العارف: عارف باشا

١٠٦- تأريخ القدس، دار المعارف بمصر، (مصر: ١٩٥١م).

عاشور: سعيد عبد الفتاح

١٠٧- الأيوبيون والمماليك في مصر والشام،دار النهضة العربية ،(القاهرة:١٩٩٦).

١٠٨- الحركة الصليبية ط١،مكتبة الأنجلوالمصرية،(القاهرة:٢٠١٠).

عاشور: سعيد عبد الفتاح وسعد زغلول واحمد مختار العبادي

١٠٩- دراسات في تأريخ الحضارة الإسلاميةالعربية، دار المعرفة الجامعية، (القاهرة: ١٩٩٦).

عبادة: عبد الفتاح

١١٠- سفن الاسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها، مطبعة الهلال مصر (الفجالة: ١٩١٣).

العبادي: أحمد مختار

١١١- في التأريخ الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية: ١٩٩٢).

العبادي: أحمد مختار والسيد عبد العزيز سالم

١١٢- تأريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، جامعة بيروت العربية، (بيروت: ١٩٧٢).

عبد الحليم: أنور

١١٣- الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ط١، مطبعة عالم المعرفة، (كويت: ١٩٧٩).

عبد الحميد: رأفت

١١٤- قضايا من تأريخ الحروب الصليبية، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (القاهرة: ١٩٩٨).

عبد القادر: محمد فريد

١١٥- معارك فاصلة في تأريخ الإسلام، دار المستقبل العربي، (القاهرة: ١٩٩٨م).

عثمان: فتحي

١١٦- الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة: ١٩٦٦).

عثمان، مرفت

١١٧- التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، ط١، مكتبة المهتدين، (القاهرة: ٢٠١٠).

العدوي: إبراهيم أحمد

١١٨- الاساطيل العربية في بحر المتوسط، مكتبة نهضة مصر، (الفجالة: ١٩٧٥).

العريني: السيد الباز

١١٩- الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيون)، دار النهضة العربية، (القاهرة: ١٩٦٧).

١٢٠- مصر في عصر الأيوبيين ،مكتبة الكيلاني ،(القاهرة:١٩٦٠).

العسلي: بسام

١٢١- فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: ١٩٨٨م).

١٢٢- فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: ١٩٨٨م).

عسلي: سيد أحمد نجيب.

١٢٣- تصنيف الفنون العربية والإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (فرجينيا: ٢٠١١).

عطية: شعبان عبد العاطي وآخرون.

١٢٤- المعجم الوسيط، ط٤، دار الدعوة، (القاهرة: ٢٠٠٤).

العقلا: عبد الله بن فريج

١٢٥- إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه، ط٢، مكتبة الملك فهد الوطنية، (الرياض: ١٤٢٢هـ).

عكاشة: علياء

١٢٦- العمارة الإسلامية في مصر، دار بردي للنشر، (الجيزة: ٢٠٠٨).

علي: جواد

١٢٧- المفصل في التأريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي، (د/م: ٢٠٠١).

علي: محمد كرد

١٢٨- خطط الشام، ط٣، مكتبة النوري، (دمشق: ١٩٨٣م).

علي: وفاء محمد

١٢٩- قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، ط١، دار الفكر العربي، (القاهرة: ١٤٠٤هـ).

العنابي: محمد

١٣٠- السعي المحمود في نظام الجنود، ط٢، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: ١٩٩٠).

العناني: جاسر علي

١٣١- فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس بين السياسة والحرب، ط١، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، (عمان: ٢٠١٢).

العنيسي: طوبيا الحلبي

١٣٢- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، عني بنشره وتصحيحه والتعليق على حواشيه، الشيخ يوسف توما البستاني، ط٢، مكتبة الفجالة بمصر، (القاهرة: ١٩٣٢).

عواد: محمود سليمان

١٣٣- الجيش والقتال في صدر الإسلام، مكتبة المنار الأردن، (الزرقاء: ١٩٨٧).

عوض: محمد مؤنس

١٣٤- التنظيمات الدينية والحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، ط١، دار الشروق، (الأردن: ٢٠٠٤م).

عون: عبد الروؤف

١٣٥- الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف بمصر، (القاهرة: ١٩٦١).

عياد:جمال الدين

١٣٦- نظم الحرب في الاسلام ،مكتبة الخانجي،(القاهرة:١٣٧٠هـ)

الغامدي: عبد الله سعيد محمد

١٣٧- صلاح الدين والصليبيون، المكتبة الفيصلية، (مكة المكرمة: ١٩٨٥).

الغامدي: علي محمد علي عودة

١٣٨- بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، (مكة المكرمة: ١٩٨٨م).

غمق: ضو مفتاح

١٣٩- نظرية الحرب في الإسلام وأثرها على القانون الدولي، ط١، دار الكتب الوطنية، (بنغازي: ١٤٢٦هـ).

غنيم: اسمت

١٤٠- الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية: ١٩٩٠).

غوانمة: يوسف درويش

١٤١- إمارة كرك الأيوبية، دار الفكر للنشر والتوزيع، (الأردن: ١٩٨٠).

فاوست: بيل

١٤٢- كيف تخسر معركة، ترجمة، هشام عبد الحميد نور، ط١، دار الكتاب العربي، (القاهرة: ٢٠١٧).

فرج: محمد

١٤٣- المدرسة العسكرية الإسلامية، ط٢، دار الفكر العربي، (القاهرة: ١٩٦٩).

فرحان: كرم حلمي

١٤٤- تأريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور، ط١، دار الكتب المصرية، (القاهرة: ٢٠٠٧).

فشر: هـ. أ. ل

١٤٥- تأريخ اوروبا في العصور الوسطى،ترجمة، محمد مصطفى زيادة واخرون، دار المعارف، (القاهرة: ١٩٥٠).

فهمي: علي محمود

١٤٦- التنظيم البحري في شرق البحر المتوسط منذ القرن السابع حتى القرن العاشر، ترجمة، قاسم عبده قاسم، دار الوحدة، مكتبة المهتدين الإسلامية، (لندن: ١٩٤٨).

فولو: دوروثي دينين وجيمس

١٤٧- عصر الملاحة البحرية، ترجمة، خلود خطيب، مراجعة، سامر ابو هواش، ط١، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة – مشروع كلمة، (أبو ظبي: ٢٠١٢).

فيتري: جاك دي

١٤٨- رسائل جاك دي فيتري، ترجمة، عبد اللطيف عبد الهادي السيد، ط١، مكتبة الجامعي الحديث، (ليبيا: ٢٠٠٥).

قاسم: عبده قاسم
١٤٩- الأيوبيين والمماليك التأريخ السياسي والعسكري، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (الجيزة: ٢٠١٠م).
١٥٠- فن الحرب البحرية في التأريخ الإسلامي، ط١، معهد التراث العلمي، (حلب: ١٩٩٥).
كاسلان: جورج
١٥١- تأريخ الجيوش، ترجمة، كمال دسوقي ،قدم له عبد الرحمن زكي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: ١٩٥٦م).
كاهن: كلود
١٥٢- الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ط١، دار سينا للنشر، (القاهرة: ١٩٩٥م).
الكرملي: انستاس ماري
١٥٣- أعلام اللغويين الاقدمين، ط١، منشورات دار الوراق، (بغداد: ٢٠١٠).
الكروي: محمد سلمان
١٥٤- المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، (الإسكندرية: ٢٠٠٨).
كولان
١٥٥- البارود عند المسلمين، ترجمة، إبراهيم خورشيد وآخرون، ط١، دار الكتاب اللبناني، (بيروت: ١٩٨٤).
لامب: هارولد
١٥٦- شعلة الإسلام (قصة الحروب الصليبية)، ترجمة، محمود عبد الله يعقوب، مكتبة المثنى، (بغداد: ١٩٦٧).
لسترنج: كي
١٥٧- بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، (بغداد: ١٩٥٤م).
لوبون: غوستاف
١٥٨- حضارة العرب، ترجمة، عادل زعتير، دار الكتب المصرية، (القاهرة: ٢٠١٨).
لين بول: ستانلي
١٥٩- صلاح الدين وسقوط مملكة القدس، ترجمة، فاروق سعيد ابو جابر، ط١، طبع بطابع الأهرام التجارية، (القاهرة: ١٩٩٥).

ماهر: سعاد

١٦٠- البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة: ١٩٦٧).

١٦١- العمارة الإسلامية على مر العصور،ط١،دار البيان للطباعة والنشر، (جدة: ١٩٨٥).

ماير: اتش. أ

١٦٢- تأريخ الحملات الصليببية، ترجمة، محمد فتحي الشاعر، ط١، دار الأمين، (القاهرة: ١٩٩٩م).

متز: آدم

١٦٣- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة، محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٢،دار الفكر العربي، (القاهرة: ١٩٩٩م).

محاسيس: نجاة محمود سليم

١٦٤- معجم المعارك التأريخية، دار زهران للنشر والتوزيع، (عمان: ٢٠١١).

محفوظ: جمال

١٦٥-العسكرية في الإسلام، دار المعارف، (القاهرة: ١٩٩٤).

١٦٦-فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (القاهرة: ١٩٨٧).

محمود: أحمد عبد العزيز

١٦٧-الإمارة الهذباتية الكردية في اذربيجان واربيل والجزيرة، مكتبة التفسير للنشر والإعلان، (اربيل: ٢٠٠٦).

مرزوق: محمد عبد العزيز

١٦٨-بين الآثار الإسلامية في العالم، مطابع رمسيس، (الإسكندرية: ١٩٥٣م).

مصطفى وآخرون: إبراهيم واحمد حسن الزيات و حامدعبد القادر ومحمدعلي النجار

١٦٩-معجم الوسيط، دار الدعوة، (القاهرة: د/ت).

معاذ: سلم عادل عبد الحق وخالد

١٧٠-مشاهد دمشق الاثرية، ط١، مطبعة الترقي، (دمشق: ١٩٥٠).

معلوف: لويس

١٧١- المنجد في اللغة والإلإعلام، ط١٩، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت: د/ت).

المغلوث: سامي بن عبدالله بن احمد

١٧٢-اطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ط١، مكتبة العبيكان، (الرياض: ٢٠٠٩).

ملحم: بدر نبيل

١٧٣-التأريخ المالي للأيوبيين، ط١، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع الأردن، (عمان: ٢٠١٥).

موسى: إبراهيم نمر

١٧٤-شعر الحرب في العصر الأيوبي، ط١، دار البيرق العربي للنشر والتوزيع، (رام الله: ٢٠٠٨م).

مولر: فولفغانغ

١٧٥-القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة، محمد السيد جلاط، مراجعة، سعد طيان، ط٢، دار الفكر، (دمشق: ١٩٨٤).

مونتجمري: الفيلد مارشال

١٧٦-الحرب عبر التأريخ، ترجمة، فتحي عبد الله عمر، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة: ١٩٧١).

موير: السير وليم

١٧٧-تأريخ دولة المماليك في مصر ترجمة، محمود عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي، (القاهرة: ١٩٩٥).

النايل: عبد الله بن محمد بن عبد الله

١٧٨-صناعة الأسلحة الثقيلة والنارية في الدولة المملوكية، ط٣، الجمعية التأريخية السعودية، (رياض: ٢٠٠٦).

النخيلي: درويش

١٧٩-السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية، (الإسكندرية: ١٩٧٤).

نسيم: جوزيف

١٨٠-العدوان الصليبي على مصر، هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور، دار الكتب الجامعية، (الإسكندرية: ١٩٦٩).

نقلي: آسيا سليمان

١٨١- دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين، ط١، مكاتبة العبيكان، (الرياض: ٢٠٠٢).

نوري: دريد عبد القادر

١٨٢-سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة (٥٧٠ – ٥٨٩هـ/ ١١٧٤ – ١١٩٣م)، مطبعة الإرشاد، (بغداد: ١٩٧٦).

نيوف: صلاح

١٨٣-مدخل إلى الفكر الاستراتيجي والاكاديمي،دار العربية المفتوحة، (الدانمارك: ٢٠٠٨).

الهاشمي: طه

١٨٤-الجغرافية العسكرية، ط٣، مطبعة دنكور الحديثة، (بغداد: ١٩٣٨).

١٨٥-دروس في المعلومات الجغرافية، ط١، دار المثنى، (بغداد: ١٩٣٦).

الهرفي: محمد علي

١٨٦-شعر الجهاد زمن الحروب الصليبية في بلاد الشام، دار النصر للطباعة الإسلامية، (القاهرة: ١٩٧٩م).

الهسنياني: موسى مصطفى

١٨٧-السنوات الأخيرة من حياة دولة الكورد الأيوبية في مصر وبلاد الشام، ط١، مطبعة الثقافة، (اربيل: ٢٠٠٧).

هنداوي: محمد موسى

١٨٨-المجمع في اللغة الفارسية، مكتبة مطبعة مصر، (القاهرة: ١٩٥٢).

هندي: إحسان

١٨٩-الحياة العسكرية عند العرب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (دمشق: ١٩٦٤).

اليسوعي: رفائيل نخلة

١٩٠-غرائب اللغة العربية، مطبعة الإحسان، (حلب: ١٩٥٤).

رابعاً: المراجع الكردية

زەینەڵ: ئاراس فەریق

١٩١- جەنگی دەروونی لە سەردەمی سەلاحەددینی ئەیوبیدا، چاپی یەکەم، مەکەتەبی بیر و هۆشیاری، گەرەکی سەرچنار، (سلێمانی: ٢٠٠٨).

خامساً: المراجع الفارسية

زەنگنه: مظفر

١٩٢-ددومان اريائي چاب١، (تهران: ١٣٤٣هـ).

سادساً: الرسائل الجامعية غير المنشورة

أبو بكر: نضال الحاج

١- أسرة شيخ الشيوخ ابن حموية في العصر الأيوبي (٥٦٩–٦٦١هـ/ ١١٧٤–١٢٦٣م) وعلاقتها بالصليبيين رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التأريخ، (دمشق: ٢٠٠٨).

أبو دمعة: أمين

٢- الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التأريخ، جامعة دمشق، ١٩٨٨م.

أبو ريدة: جمال أحمد سليمان

٣- الخدع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب قسم التأريخ، الجامعة الإسلامية، (غزة: ٢٠٠٦م).

أبو محسن، سمير حسين عبد الكريم

٤- خلفاء صلاح الدين عند ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" دراسة تأريخية منهجية، ٥٨٩-٦٤٨هـ/ ١١٩٤-١٢٥٠م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التأريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، (غزة)، ٢٠١٣.

الأحمد: أنس أحمد ذياب

٥- التأريخ الاقتصادي للعصر الأيوبي، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الاقتصاد والمعارف الإسلامية، جامعة اليرموك، (الأردن: ٢٠١٦م).

اسرايليان: آرتور

٦- فن الحرب في العصر المملوكي الاول بين (النظرية والتطبيق) (٦٤٨–٧٨٤هـ/ ١٢٥٠– ١٣٨١م)، أطروحة دكتوراه في تأريخ العرب والإسلام، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التأريخ، الجمهورية العربية السورية، (دمشق: ٢٠٠٧م).

إسماعيل: أحمد الدسوقي

٧- التعبئة الإعلامية في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، كلية الإمام محمد بن سعود، السعودية، ١٤٠١هـ.

الآميدي: كرفان محمد أحمد

٨- الملك الأشراف موسى بن الملك العادل الأيوبي دوره وأثره في الدولة الأيوبية (٥٧٦–٦٠٧هـ/ ١١٨٢–١٢٣٧م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التأريخ، جامعة صلاح الدين، (اربيل: ١٩٩٩).

أمين: نبز مجيد

٩- المشطوب الهكاري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التأريخ، جامعة صلاح الدين، (اربيل: ١٩٩١م).

بولعراس: خميس

١٠- فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التأريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، (باتنة: ٢٠١٣م).

الجبوري: عامر إبراهيم داود

١١- الاسطول الحربي في العهد الأيوبي والمملوكي، (٥٦٧–٦٤٨هـ/ ١١٧١–١٢٥٠م) (٦٤٨–٩٢٣هـ/ ١٢٥٠–١٥١٧م)، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة الموصل، (الموصل: ٢٠١٢م).

الحريري: سلطان عبد الرؤوف

١٢- أدب الرسائل في العصر الأيوبي (القاضي الفاضل نموذجاً) اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق، ٢٠٠٠.

حسن: درويش يوسف

١٣- الاسرة الشهرزورية ودورها السياسي والحضاري (٤٨٩–٦٣٠هـ/ ١٠٩٥-١٢٣٢م)، رسالة ماجستير، كلية الاداب، قسم التأريخ، جامعة صلاح الدين، (اربيل: ١٩٩٨).

حشيش: رياض صالح علي

١٤- الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية، كلية الآداب، قسم التأريخ، الجامعة الإسلامية، (غزة: ٢٠٠٥).

الحلبي: معالي عبد السلام

١٥- رسائل القاضي الفاضل السياسية في عصر صلاح الدين الأيوبي، رسالة ماجستير، كلية الآداب – قسم التأريخ، الجامعة الإسلامية، (غزة: ٢٠١٣م).

حماد: فتحي أحمد محمد

١٦- العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي (٥٢٢–٦٤٨هـ/ ١١٢٨–١٢٥٠م) رسالة ماجستير كلية الآداب، قسم التأريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، (غزة: ٢٠١١م).

الخبيري: حسن محمد حسن

١٧- شعر الجهاد ضد الحروب الصليبية في العصرين الزنكي والأيوبي أطروحة دكتوراه، كلية اللغات، قسم اللغة العربية، جامعة سودان، ٢٠٠٨.

الدوسكي: شفان ظاهر عبد الله

١٨- الملك الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي، دراسة في دوره السياسي ومجهوده العسكري والحضاري (٥٦٥–٦٢٢هـ/ ١١٦٩–١٢٢٥م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التأريخ، جامعة دهوك، ٢٠٠٤م.

زعرب: خالد محمد عطوة

١٩- الخداع في الحرب، رسالة ماجستير،، كلية الشريعة قسم الفقه المقارن، جامعة الإسلامية، (عزة: ٢٠٠٥م).

الزيادنة: حمد محمد سعد

٢٠- بنية الجيش الأيوبي والجيوش الفرنجية خلال حروب الصليبية، (٤٨٨–٥٨٩هـ/ ١٠٩٥– ١١٩٣م) دراسة تأريخية،رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التأريخ، جامعة آل البيت.

سليمان: سامية

٢١- النشاط الصليبي لهيئة الاسبتارية، رسالة ماجستير كلية العلوم الإنسانية، قسم التأريخ، جامعة الجزائر، (الجزائر: ٢٠٠١).

سليمان: عاهد طه عبد اللطيف عيال

٢٢- أدب الرسائل عند العماد الاصفهاني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، ٢٠١١م.

سيد: عبد الله عبد كمال

٢٣- التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٧٦–٩٢٣هـ/ ١١٧١–١٥١٧م) رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، قسم التأريخ، جامعة المنصورة، (المنصورة: ٢٠١١م).

شهاب: محمود إبراهيم عبد الواحد

٢٤- الأسلحة غير التقليدية في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية الشريعة والقانون، جامعة الإسلامية، قسم الفقه المقارنة، (غزة: ٢٠٠٧).

الصائغ: ذكرى عزيز محمد صالح

٢٥- عصر الملك الكامل، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التأريخ، جامعة الموصل، ١٩٨٨م.

الصوافي: طالب عبد الفتاح

٢٦- القلاع في شمال فلسطين في فترة الصراع الفرنجي–الإسلامي (٤٩٢–٦٩١هـ/ ١١٩٩–١٢٩١م) دراسة تأريخية استراتيجية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التأريخ، جامعة اليرموك، ١٩٩٧م.

عبد الرحمن: خالد سليمان حمد

٢٧- إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة دكتوراه،مقدمة إلى كلية الدراسات العلمية، الجامعة الأردنية، (عمان: ١٩٩٧).

عبدولي: جمال

٢٨- اليمن في العهد الأيوبي، دراسة في التأريخ السياسي والاقتصادي والخضاري، (٥٦٩–٦٢٨هـ/ ١١٧٤–١٢٣٠م)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التأريخ، جامعة تونس، ٢٠٠٠م.

عبيد: أياد أحمد محمد

٢٩- الحدائق في مصر وبلاد الشام، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التأريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، (غزة: ٢٠١٥).

العصيمي: طلال سعود

٣٠- الاقطاع الحربي في العصر الأيوبي (٥٦٤–٦٤٨هـ/ ١١٦٩–١٢٥٠م)، رسالة ماجستير، إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٩٨٤.

علقم: إسامة نجيب

٣١- تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التأريخ، جامعة آل البيت، (الأردن: ٢٠٠٥م).

علي: إسامة سيد

٣٢- الظهير الشامي ودوره في الصراع الإسلامي الصليبي في القرن ٦هـ/ ١٢م، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، قسم التأريخ، جامعة غير شمس، (القاهرة: ١٩٩٦م).

عودة: محمود عبد الله
٣٣- دور شجر الدر في قيام دولة المماليك في مصر، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة قديس يوسف ، (بيروت: ١٩٩٦).
عيسى: هيام
٣٤- البريد في العصور الوسطى الإسلامية نشأته وتطوره وأغراضه، رسالة أعدت لنيل درجة الدبلوم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة اللبنانية، (بيروت: ١٩٩٢م).
فكري: مبارك
٣٥- الجهود الحربية في عهد صلاح الدين والظاهر بيبرس،رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التأريخ، جامعة جنوب الوادي، (مصر: ٢٠١٤م).
قادر: كامل أسود
٣٦- البحرية الأيوبية (٥٦٤—٦٤٨هـ/ ١١٦٨—١٢٥٠م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التأريخ، جامعة صلاح الدين، (اربيل: ٢٠٠٢م).
كاسوحة: باسل مطانس
٣٧- أنظمة الدفاع وتقنيات البناء للعمارة العسكرية دراسة مقارنة بين العصر الأيوبي في بلاد الشام وعصري المرابطين والمرابطين في الاندلس، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التأريخ، جامعة البعث، (حلب: ٢٠١٧م).
المحاسنة: عبير أحمد عطا الله
٣٨- موقف العلماء والأدباء من الصليبيين في العصر الأيوبي (٥٦٩—٦٤٨هـ/ ١١٧٣—١٢٥١م) رسالة ماجستير كلية الآداب، قسم التأريخ، جامعة مؤتة، ٢٠٠٢.
المحمد: عبد الله علي سلامة
٣٩- الاستخبارات العسكرية في الإسلام، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، قسم الفقه والتشريع، الجامعة الأردنية،(عمان: ١٩٨٦م).
المخلافي: عبد الله خالد
٤٠- الأيوبيون في اليمن، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، قسم التأريخ الآداب، جامعة دمشق، (دمشق: ٢٠٠٩م).
مسعود: جهاد محي الدين محمد
٤١- التنظيمات الحربية في كل من الدولة الأيوبية والدولة المملوكية، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، قسم التأريخ والحضارة الإسلامية، جامعة المينا، (القاهرة: ٢٠٠٨م).

المهايني: رفيق

٤٢- الاسطول العربي منذ فجر الإسلام حتى اواخر عهد المماليك، رسالة ماجستير، دائرة التأريخ العربي في كلية العلوم والآداب، الجامعة الأمريكية في بيروت، (بيروت: ١٩٤٢م).

النحال: طاهر حمد محمد

٤٣- القيادة والجندية في السنة النبوية (دراسة موضوعية) رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية اصول الدين، قسم الحديث الشريف وعلومه الجامعة الإسلامية، (غزة: ٢٠٠٧).

الهندي: صفاء عبد الله عبد الرزاق سعيد

٤٤- تقنية الأسلحة الأيوبية والمملوكية وتطورها، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، قسم الآثار، الجامعة الأردنية، (عمان: ٢٠٠١).

سابعاً : البحوث والمقالات (الدوريات)

أحمد: عبد الحسين علي

١- العلاقات الأيوبية الموحدية أيام صلاح الدين، مجلة الدراسة التأريخية، العددان ٨٩ — ٩٠، السنة الخامسة والعشرون، آذار، حزيران ، دمشق ،٢٠٠٥.

أحمد: كرفان محمد

٢- السلطان توران الشاه الأيوبي، دراسة تحليلية لسيرته وعلاقته بشجر الدر، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، مجلد (٣) العدد (٣)،كلية التربية للعلوم الإنسانية، الموصل ،٢٠٠٦.

أحمد: كرفان محمد وسيبان حسن علي

٣- معركة الرملة حسب رواية عماد الدين الاصفهاني، من خلال كتابه البرق الشامي، مجلة كان التأريخية، العدد (٣٩) ،السنة الحادية عشر، آذار، مصر ،٢٠١٨.

إسماعيل: قيس عبد

٤- الأمير نصر الدولة المرواني، ودوره في ازدهار إمارة بني مروان، مجلة الجامعة العراقية، العدد (٥٠) جزء (٣)، بغداد، ٢٠٢١.

أفندي: اليوزباشي محمد عثمان

٥- الجغرافية وأهميته دراستها، مجلة الجيش المصري، وزارة الدفاع الوطني، طبعة الاميرية ببولاق ، العدد (٥)، القاهرة مايو ١٩٣٩م.

البدوي: أحمد أحمد

٦- القوة الحربية في مصر والشام في عهد الحروب الصليبية، مجلة الرسالة، العدد (٢٤٥)، مصر، ١٩٤٩.

البرقوقي: عبد الرحمن بن عبد الرحمن

٧- كتاب مجلة البيان، العدد (٥٤)، صادر في مصر سنة ١٩٢٠.

البلوي: سلامة محمد الهرفي

٨- نظم الاستخبارات الأيوبية في عصر صلاح الدين، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات الإسلامية والاجتماعية،مجلد(٢٢)،العدد(٤)، اغسطس آب ٢٠٠٧.

جدلة: إبراهيم

٩- افريقية والغزو البحري في العصر الوسيط، مجلة البحث العلمي، مجلد(٤٥)،المغرب، ١٩٩٨.

جميل: سيار

١٠- الحرب ظاهرة تأريخية، مدخل من أجل فهم سوسيولوجي، مجلة عالم الفكر، المجلد (٣٦)، العدد (٢)،الكويت، ٢٠٠٧.

حسن: درويش حسن

١١- مدينة دنيسر عبر التأريخ، دراسة في التأريخ السياسي والحضاري، مجلة العلوم الإنسانية، مجلد(٥)،العدد(١)،جامعة زاخو، ٢٠١٧.

حسين: محسن محمد

١٢- جيش صلاح الدين، مجلة المورد ، مجلد(١٦)،العدد(٤)،دارالشؤؤن الثقافية العامة ،الجمهورية العراقية ، بغداد،١٩٨٧.

١٣- المشطوب الهكاري سيرة المجاهد، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد (٨)، العدد (١)، بغداد،١٩٨١.

خميس: إبراهيم

١٤- الحيل والخدع العسكرية الإسلامية منذ بداية الغزو الصليبي وحتى وفاة نور الدين محمود (١٠٩٨–١١٧٤م/ ٤٩٤–٥٦٩هـ)، مجلة كلية الآداب، مجلد (٣٦)جامعة الإسكندرية ، مصر ،١٩٨٨.

دياب: صابر

١٥- دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، المجلة التأريخية المصرية، مجلد(٢٤)، القاهرة، ١٩٧٧.

زادة: عيسى متقى، محمد كبيري

١٦- ابن الأثير من العبقرية إلى النرجيسية، مجلد دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد(١٠)، جامعة سمنان، إيران، ٢٠١٢.

زكي: عبد الرحمن

١٧- القلاع في الحروب الصليبية، مجلة التأريخية المصرية ،مجلد(١٥)،العدد(١٥)، القاهرة،١٩٦٩.

١٨- صناعة السيوف الإسلامية في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، مجلة التأريخية المصرية ،مجلد(٢)، القاهرة،١٩٥٦ .

السامرائي: عبد الجبار محمود

١٩- تقنية السلاح عند العرب، (الأسلحة الجماعية)، مجلة المورد، مجلد (١٦) العدد (١١)، الجزء (٣) ، بغداد، ١٩٨٧.

٢٠- تقنية السلاح عند العرب (الات الحصار) مجلة المورد مجلد (١٥)، العدد(١)، الجزء(٢)، بغداد، ١٩٨٦.

٢١- معركة حطين دراسة تاريخية عسكرية، مجلة المورد، مجلد (١٦)، العدد (٤)، دار الشؤون الثقافية العامة، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٨٧.

السامرائي: عبد الحميد أحمد

٢٢- علاقات صلاح الدين بالمغرب الإسلامي، مجلة سر من رأى، جامعة سامراء، مجلد (٣)، العدد (٨)، السنة الثالثة، كانون الاول، ٢٠٠٧.

السرحان: موضي بنت عبد الله

٢٣- الدور العسكري لعرب المشرق ضد الصليبيين في بلاد الشام خلال عهد الدولتين الزنكية والأيوبية، حوليات آداب عين شمس، جامعة عين شمس، مجلد (٤٥)، القاهرة، آذار، ٢٠١٧.

سليمان: باسم ناظم

٢٤- رسائل القاضي الفاضل، دراسة أسلوبية، مجلد (٦) العدد (٤)،مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية ،السنة السادسة.

سليمان: سوسن

٢٥- تجديد صلاح الدين للعمائر الإسلامية في البيت المقدس، مجلة كلية الآداب، العدد (٥)،جامعة القاهرة، ١٩٩١.

الشريدة: خالد سلميان

٢٦- التنظيمات العسكرية الأيوبية في بلاد الشام (٥٧٩–٦٤٨هـ/ ١١٧٤–١٢٥٠م) مجلة الدّارة العلمية، مجلد (٣)، أبو ظبي، ١٤٣٢هـ.

الطواهية: فوزي خالد

٢٧- الاقطاع العسكري الحربي في بلاد الشام في العصر الأيوبي، المجلة الاردنية للتأريخ والآثار، مجلد (٦)، العدد (٣)، ٢٠١٢.

عاشور: سعيد عبد الفتاح

٢٨- البنية البشرية لجيوش صلاح الدين، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلد (١٠)، العدد (٣٧)، جامعة الكويت، ١٩٩٠.

عبدة: عبد الله كامل موسى

٢٩- الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية في عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، مجلد (٤)، العدد (٤)، جامعة جنوب الوادي، مصر ،١٩٩٤.

العبيدي: صلاح حسين

٣٠- المنجنيق في الحضر، مجلة سومر، مجلد (٣٢) الجزئين (١ + ٢)، ١٩٧٦.

العدوي: إبراهيم أحمد

٣١- الحمام الزاجل في العصور الوسطى، المجلة التأريخية المصرية، مجلد (٢)، العدد (١)، القاهرة، ١٩٤٩.

علي: علي حسين وعلي حسن سلطان

٣٢- الدبلوماسية في عصر الحروب الصليبية (٤٩١–٥٨٩هـ/ ١٠٩٧–١١٩٣م)، مجلد (٤)، العدد (٢)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، كركوك، ٢٠٠٩.

عوض: محمد مؤنس

٣٣- كلود كاهن، مجلة عيون شرق الاوسط، مطبعة عين الشمس، العدد (٥)، آذار، القاهرة، ٢٠٢٠.

عيسى: علي نجم

٣٤- جهود القاضي الفاضل السياسية والعسكرية والثقافية في دولة صلاح الدين الأيوبي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد (٣)، العدد (١)، كانون الثاني، ٢٠٠٦.

فلح: محمد يونس

٣٥- الملك الصالح نجم الدين أيوب وعلاقته بالقوى السياسية (٦٣٨—٦٤٨هـ/ ١٢٥٠—١٢٦٠م)، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مجلد (٧)، العدد (١٣)، جامعة الموصل.

القثامي: متعب بن حسين

٣٦- مصادر المعلومات التجسسية والاستخبارية عند السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩—٥٨٩هـ/ ١١٧٣—١١٩٣م)، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، مجلد (٥١)، العدد (١٨٣)، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ٢٠١٨.

قمعون: عاشور

٣٧- الدور الصليبي لهيئة الداوية في معركة حطين في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، مجلة البحوث والدراسات ،العدد(١١)،الجزائر، ٢٠١١.

كاخيا: إبراهيم إسماعيل

٣٨- القواعد الاساسية في إعداد الدولة للحرب، مجلة كلية ملك خالد العسكرية، العدد (٩)، السعودية، ٢٠٠٧.

كيلاني: هيثم

٣٩- الاعداد الاقتصادي للحرب، مجلة الدفاع السعودية، العدد (٦١)، السعودية، ١٤٠٦هـ.

المتعب: أحمد سعد

٤٠- الكمين، مجلة الحرس الوطني، مجلد (٤)، العدد (١٥)، الكويت، ١٩٩٢.

محمد: شوكت عارف، أحلام عابد حسين

٤١- الدور السياسي والجهادي للصوفية في العصر الأيوبي، مجلة جامعة زاخو، مجلد (٣)، العدد (١١)، زاخو، ٢٠١٥.

محمد: شوكت عارف، درويش يوسف حسن

٤٢- اسرة ابن أبي زكري الكردية ودورها السياسي والعسكري خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، مجلة العلوم الإنسانية، مجلد (٥)، العدد (٣)، جامعة زاخو، ٢٠١٧.

مسعود: غارة محمد حامد

٤٣- صناعة السفن في مصر الإسلامية في ضوء اوراق البردي العربية (٢١—٩٢٣هـ/ ٦٤١—١٥١٧م)، مجلد (٣٦)، العدد (١)، مجلة كلية الآداب جامعة منصورة، مصر، ٢٠١٨.

المسعودي: محمد جواد

٤٤- القوة البحرية في عهد صلاح الدين الأيوبي، مجلة جامعة كربلاء، مجلد (٥)، العدد (٣)، كربلاء، ٢٠٠٧.

ميرزا: أحمد ميرزا

٤٥- استراتيجية صلاح الدين في تحقيق انتصاراته (٥٧٠—٥٨٢هـ/ ١١٧٤—١١٨٦م)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية مجلد (٢)، العدد (٧)، ٢٠١٦.

نبهان: عادل محمد

٤٦- دور الحمام الزاجل في الصراع الصليبي الإسلامي (٤٩٠—٦٩٠هـ/ ١٠٩٧—١٢٩١م)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، مجلد (٤)، العدد (٧)، نيسان ٢٠٠٦،.

نجم: مصعب جمادي

٤٧- حصن الأكراد ودوره في الصراع الإسلامي الصليبي، مجلة كلية العلوم الإسلامية قسم الحضارة الإسلامية، مجلد (٦)، العدد (٤)، جامعة الموصل، ٢٠٠٨.

نصرت: فوزية

٤٨- دور اليزك في جيش صلاح الدين خلال الحروب الصليبية، مجلة الدراسات التأريخية والحضارية، جامعة تكريت، مجلد (١)، العدد (١)، السنة الاولى، ٢٠٠٩.

نغش: محمد

٤٩- الرسائل الحربية في عصر دولة الأيوبية، مجلة الجامعة الإسلامية، العددان ٥٥—٥٦، المدينة المنورة، ١٩٩٠.

نوري : دريد عبد القادر

١. الفكر العسكري للقائد صلاح الدين الايوبي دراسات في معركة حطين، مجلة المورد، مجلد (١٦)، العدد (٤)، دار الشؤون الثقافية العامة، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٨٧.

ثامناً: دوائر المعارف والموسوعات

البستاني: بطرس

١- دائرة المعارف، مطبعة الأدبية، (بيروت: ١٨٨٧م).

عبد الكافي: إسماعيل عبد الفتاح

٢- **الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، (قويسنا: ٢٠٠٥).**

عيسوي: عبد الرحمن محمد

٣- **موسوعة علم النفس الحربي، دار الراتب الجامعية، (بيروت: ١٩٩٩).**

الكيالي: عبد الوهاب

٤- **الموسوعة السياسية، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت: ١٩٩٤).**

مجموعة من المستشرقين

٥- **موجز دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير الأجزاء من (أ) إلى (ع) إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتاوي وآخرون، والأجزاء من (ع) إلى (ي) تحرير، حسن حبشي وعبد الرحمن بن عبد الله شيخ وآخرون، ط١، مركز الشارقة للإبداع الفكري (الشارقة: ١٩٩٨).**

- **سبولر، الحصار.**

- **اليسيف، حصن الأكراد.**

Clavencl Wis barbhard

6- The world Book encydopdia Dictionary (U.S.A. 1983).

Group of authors

7- The Encyclopedia of amrecan, crolier Electronic Publishing,and Activenture Coporation, (Danbury: 1986).

تاسعاً: المصادر الأجنبية

Ehrenkreutz A.S

1- The Place of Saladin in the Naval History of the Mediterranean Sea in the Middle Ages, American Oriental Society, (Michigan:1955).

Garl clanse wits

2- Prin Ciples of War, Tran Slated by Colone J. Y Graham, (London: 1873).

Hansi kinderman

3- Schiffim Avabischen (Dissl: 1934).

Michand J. Fr

4- His tore des Croisades (Paris: 1852).

Nicolle, David

5- Arms and Armour of the Crudasing Era, 1050-1350, (London: 1999).

6- Armies of the Muslim Conquset, (London: 1993).

Oman, Charles. William

7- A history of the Art of War in Middle Ages (New york: 1953).

Robin Fedan and John Thomson.

8- Crusader Castels, (London: 1957).

9- Oxford English Dictionary Clavren Don Press (OxfordL 1907).

V. Ktranda Firilor

10-The Nature of Operations of Modren Armis (London: 1994).

Warner Philip

11- The Medieval Caste life in Afortess in Peace and War (U.S.A. 1993).

المواقع الإلكترونية

- ar.m.eilipedia.org.
- http://www.hafrgat.com.

الملاحق

الـمـلاحــق

ملحق رقم (١)

قائمة بأسماء سلاطين بني ايوب

ت	اسم السلطان	سنة استلام الحكم	سنة انتهاء الحكم
١	الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب	٥٧٠هـ/ ١١٧٤ م	٥٨٩هـ/ ١١٩٣م
٢	الافضل علي نورالدين	٥٨٩هـ / ١١٩٣م	٥٩٢هـ/ ١١٩٥م
٣	العزيز عثمان عمادالدين	٥٩٢هـ / ١١٩٥م	٥٩٥هـ /١١٩٨م
٤	المنصور ناصرالدين محمد	٥٩٥هـ /١١٩٨م	٥٩٦هـ / ١٢٩٩م
٥	العادل سيف الدين ابوبكر	٥٩٦هـ / ١٢٩٩م	٦١٥هـ / ١٢١٨م
٦	الكامل ناصرالدين محمد	٦١٥هـ / ١٢١٨م	٦٣٥هـ / ١٢٣٧م
٧	العادل الثاني بن الكامل	٦٣٥هـ / ١٢٣٧م	٦٣٧هـ / ١٢٣٩م
٨	الصالح نجم الدين ايوب	٦٣٧هـ / ١٢٣٩م	٦٤٧هـ / ١٢٤٩م
٩	توران شاه غياث الدين بن الصالح	٦٤٧هـ / ١٢٤٩م	٦٤٨هـ / ١٢٥٠م
٩	شجر الدر – جارية - انقلاب المماليك	٦٤٨هـ / ١٢٥٠م	٦٤٨هـ / ١٢٥٠م
١٠	الاشرف مظفر الدين موسى الثاني	٦٤٨هـ / ١٢٥٠م	٦٥٢هـ / ١٢٥٤ م

الملحق رقم (٢)

أهم المعارك البرية التي خاضها الأيوبيون

المعركة	السنة	النتيجة
الرملة	٥٧٣هـ/ ١١٧٧م	الهزيمة
مرج عيون	٥٧٥هـ/ ١١٧٩م	النصر
بلفوار (كوكب الهوا)	٥٧٩هـ/ ١١٨٢م	النصر
حطين	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	النصر
معارك حصار عكا	من ٥٨٥-٥٨٧هـ/ ١١٨٩-١١٩١م	الهزيمة
أرسوف	٥٨٧هـ/ ١١٩١م	الهزيمة
يافا	٥٨٨هـ/ ١١٩٢م	الصلح
دمياط	٦١٦هـ/١٢١٩م	الهزيمة
المنصورة الاولى	٦١٨هـ/ ١٢٢١م	النصر
غزة	٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م	النصر
دمياط	٦٤٧هـ/١٢٤٤	الهزيمة
المنصورة الثانية	٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م	النصر

الملحق رقم (٣)

المعارك البحرية والعمليات الحربية للأسطول الأيوبي

ت	السنة	المكان	القائد	النتيجة
١	٥٧٥هـ/١١٧٩م	الجانب الشرقي للبحر المتوسط في السواحل الشامية	-	النصر
٢	٥٧٥هـ/١١٧٩م	ميناء عكا	-	النصر
٣	٥٧٦هـ/١١٨٠م	جزيرة أرواد	-	الهزيمة
٤	٥٧٨هـ/١١٨٢م	جزيرة قبرص كريت	-	النصر
٥	٥٧٩هـ/١١٨٣م	ساحل مصر	-	النصر
٦	٥٧٨هـ/١١٨٢م	السواحل الشامية (عكا-بيروت-صور)	-	النصر
٧	٥٧٨هـ/١١٨٢م	الهجوم على مدينة بيروت من جهة البحر	-	الهزيمة
٨	٥٨٣هـ/١١٨٧م	الهجوم على بحيرة طبرية	-	النصر
٩	٥٨٣هـ/١١٨٧م	الأسطول المصري لحماية الشواطئ الشامية لقطع الطريق على مراكب الصليبيين للسيطرة على بيت المقدس	حسام الدين لؤلؤ	النصر
١٠	٥٨٣هـ/١١٨٧م	صور	عبد السلام المغربي	الهزيمة
١١	٥٨٥هـ/١١٨٩م	عكا	حسام الدين لؤلؤ	النصر
١٢	٦١٨هـ /١٢٢١م	المنصورة (١)	السلطان الملك الكامل	النصر
١٣	٦٤٨هـ /١٢٥٠م	المنصورة (٢)	السلطان توران شاه	النصر

الملحق رقم (٤)

نماذج عن بعض حصارات الأيوبيين العامة

الجهة التي تعرضت للحصار	تأريخ الحصار	مدة الحصار
حلب	٥٧٠هـ/ ١١٧٤م	
بزاغة	٥٧١هـ/ ١١٧٥م	
منبج	٥٧١هـ/ ١١٧٥م	
اعزاز	٥٧١هـ/ ١١٧٥م	٣٨ يوماً
حلب	٥٧٢هـ/ ١١٧٥م	
قلعة مصياف	٥٧٢هـ/ ١١٧٥م	
بعلبك	٥٧٤هـ/ ١١٧٨م	
بيت الاحزان	٥٧٥هـ/ ١١٨٩م	١٥ يوم
بانياس	٥٧٥هـ/ ١١٨٩م	
بيروت	٥٧٨هـ/ ١١٢٢م	عدة أيام
رها	٥٧٨هـ/ ١١٢٢م	
نصيبين	٥٧٨هـ/ ١١٢٢م	عدة أيام
موصل	٥٧٨هـ/ ١١٢٢م	
سنجار	٥٧٨هـ/ ١١٢٢م	
آمد	٥٧٨هـ/ ١١٢٢م	عدة أيام
تل خالد	٥٧٨هـ/ ١١٢٢م	
عيتاب	٥٧٨هـ/ ١١٢٢م	
حلب	٥٧٩هـ/ ١١٢٣م	عدة أيام
قلعة حارم	٥٧٩هـ/ ١١٢٣م	
الكرك	٥٧٩هـ/ ١١٢٣م	
الكرك	٥٨٠هـ/ ١١٢٤م	
موصل	٥٨١هـ/ ١١٨٥م	
ميافارقين	٥٨١هـ/ ١١٨٥م	
الكرك	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	
طبرية	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	
حصن مجدل يابا	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	

الجهة التي تعرضت للحصار	تأريخ الحصار	مدة الحصار
يافا	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	
تبنين	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	٥ أيام
صيدا	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	
بيروت	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	٨ يوم
عسقلان	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	١٤ يوم
صور	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	٣٨ يوماً
هونين	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	
القدس	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	٥ أيام
كوكب	٥٨٤هـ/ ١١٨٨م	
صفد	٥٨٤هـ/ ١١٨٨م	
الكرك	٥٨٤هـ/ ١١٨٨م	
جبلة	٥٨٤هـ/ ١١٨٨م	
المرقب	٥٨٤هـ/ ١١٨٨م	
حصن صهيون	٥٨٤هـ/ ١١٨٨م	
قلعة شغر	٥٨٤هـ/ ١١٨٨م	عدة ايام
سرمنية	٥٨٤هـ/ ١١٨٨م	
حصن الأكراد	٥٨٤هـ/ ١١٨٨م	مدة يومين
برزية	٥٨٤هـ/ ١١٨٨م	
دربساك	٥٨٤هـ/ ١١٨٨م	
بغراس	٥٨٤هـ/ ١١٨٨م	
شقيف ارنوم	٥٨٥هـ/ ١١٨٩م	
عكا	٥٨٥- ٥٨٧هـ/ ١١٨٩ – ١١٩١ن	سنين (٦٨٥ يوم)
يافا	٥٨٨هـ/ ١١٩٢م	يومان
ماردين	٥٩٥هـ/ ١١٩٨م	١١ شهراً
دمياط	٦١٨هـ/ ١٢٢١م	عدة ايام
بيت المقدس	٦٣٨هت/ ١٢٤٠م	
تعز	٦١٢هـ/ ١٢١٥	

الجهة التي تعرضت للحصار	تأريخ الحصار	مدة الحصار
حصن الصقالبة	٦١٣هـ/ ١٢١٦م	ثلاثة أشهر ونصف
حصن بكر	٦١٧هـ/ ١٢٢٠	ثمانية أشهر و١٢ يوم
جصن دملوة		ست سنين
حصن قيظان		تسعة أشهر
حصار القدس (الملك الناصر داود)	٦٣٧هـ/ ١٢٣٩	واحد وعشرون يوماً

الملحق رقم (٥)

امثلة عن عمليات بعض الحصارات الداخلية إبان فترات النزاعات الداخلية الاسرية

الجهة التي تعرضت للحصار	المحاصر	تأريخ الحصار
حصار دمشق	الملك الأفضل	٥٩٠هـ/ ١١٩٤م.
حصار دمشق	الملك العادل والعزيز	٥٩٢هـ/ ١١٩٦م.
حصار دمشق	الملك الأفضل	٥٩٥هـ/ ١١٩٩م.
حصار ماردين	الملك العادل	٥٩٥هـ/ ١١٩٩م.
حصار قلعة وان	الملك العادل	٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م.
حصار سنجار	الملك العادل	٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م
حصار تعز (اليمن)	الملك المسعود	٦١٢هـ/ ١٢١٥م
حصار حصن بكر (اليمن)	الملك المسعود	٦١٧هـ/ ١٢٢٠م
حصار دمشق	الملك الكامل	٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م
حصار بعلبك	الملك الصالح إسماعيل	٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م
حصار دمشق	الملك الكامل	٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م (خمسة أشهر)

الملحق رقم (٦)

نماذج من الحصارات الفاشلة

الجهة التي تعرضت للحصار	تأريخ الحصار
حصار الكرك	(٥٧٩هـ/١١٨٣م)، (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م).
حصار الصور	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م.
حصار عكا	٥٨٥هـ/١١٨٩م، ٥٨٧هـ/ ١١٩١م.
حصار يافا	٥٨٨هـ/ ١١٩٢م.

الملحق (٧)

خطاب بقلم القاضي الفاضل، مرسل من صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى سيف الدولة ابن المنقذ – رسوله إلى ملك المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن – يستنجد به، ويطلب منه المساعدة بإرسال قطع من أسطوله أثناء حصار الصليبيين لعكا.

وجاء فيه: ((فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين، وسيد العالمين، وقسيم الدنيا والدين، أبواب الميامين، وأسباب المحاسن، وأحله من كفايته في الحرم الآمن، وأنجزه من نصرة الحق ما الله له ضامن، وأصلح به كل رأي عليه الهوى رائن، ومكن له في هذه البسيطة بسطه، وزاده بالعلم غبطه، حتى يكون للأشياء بالعلم وللأرض بالعزم وارثاً، وحتى يشيد بحادث قديماً من مجده الذي لايزال بفضل الحديث حادثاً.

كان من اوائل عزمنا وفواتح رأينا عند ورودنا الديار المصرية مفاتحة دولة سيدنا، وأن نتيمن بمكاتبتها، ونتزين بمخاطبتها، وننهض إليها أمائل الأصحاب، ونستسقى معرفتها استسقاء السحاب، ونتجعها بالخواطر ونجعل الكتب رسلها، وأبدي الرسل سبلها، ونمسك طرفاً من حبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفه، ونمسح غرة سبق وارثها ووارث نورها سلفه، ونتجاذب أعداء الله من الجانبين، لاسيما بعد أن نبنا عنه نيابتين في نوبتين: فالاولى تطهير الأرضين المصرية واليمنية من ضلالة أغضت عيون الأيام على قذاها، وأنامت عيون الأنام بائعة يقظتها بكراها، ونيابة ثانية في تطهير بيت المقدس ممن كان يعارض برجسه تقديسه، ويزعج ببناء ضلالته تأسيسه، وما كان إلا جنة إسلام فخرج منها المسلمون خروج أبيهم آدم من الجنة، وأعقبهم فيها إبليس الكفر وما أجارته مما أعقبه اللعنة، وما كانت لنا بذلك قوة بل لله القوة، ولا لنا على الخلق منة بل لله المنة.

ولما حطت لدين الكفر تيجان، وحطمت لذويه صلبان، وأخرس الناقوس الأذان، ونسخ الانجيل القرآن، وفكت الصخرة من أسرها، وخف ما كان على قلب الحجر الأسود بخفة ما كان على ظهرها، وذلك أن يد الكفر غطتها وغمرتها، فلله الحمد أن أحرست الصخرة بذلك البنيان المحيط، وطهرها ما طر من دم الكفر وما كان ليطهرها البحر المحيط، فهنالك غلب الشرك وانقلب صاغراً واستجاش كافر من اهله كافرا، واستغضب أنفاره النافرة، واستصرخ نصرانيته المتناصرة، وتظاهروا علينا وإن الله مولانا، وطاروا إليها زرافات ووحدانا، فلم يبق طاغية من طواغيهم ولا أثفية من أثافيهم، إلا ألجم وأسرج، وأجلب وأرهج، وخرج وأخرج، وجاد بنفسه أو بولده، وبعدده وبعدده، وبذات

صدره وبذات يده، وبكتائبه براً، وبمراكبه بحراً، وبالأقوات للخيل والرجال، والأسلحة الحنن لليمين والشمال، وبالنقدين على اختلاف صنفيهما في الجمع، وائتلاف وصفيهما في النفع، وأنهض أبطال الباطل، من فارس وراجل، ورامح ونابل، وحاف وناعل، ومواقف ومقاتل، كل خرج متطوعاً، وأهطع مسرعاً، وأتى متبرعاً، ودعا نفسه قبل أن يستدعى، وسعى إلى حتفها قبل أن يستسعى، حتى ظننا أن في البحر طريقاً يبساً، وحتى تيقنا أن ما وراء البحر قد خلا وعسا، وقلنا: كيف تترك، وقد علم أن يدرك؛ وزادت هذه الحشود المتوافية، وتجافت عنها الهمم المجتافية، وكثرت إلى أن خرجت من سجن حصرها، ومستقر كفرها، وبقية ثغرها -وهو صور- فنازلت ثغر عكا في أسطول ملك بحره، وجمع سلك بره - فنهضنا إليه، ونزلنا عليهم وعليه، فضرب معنا مصاف قتلت فيه فرسانه، وجدلت شجعانه، وخذلت صلبانه، وساوى الضرب بين حاصر القوم ودارعهم، وبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، فهنالك لاذوا بالخنادق يحفرونها، وإلى الستائر ينصبونها، وأخلدوا إلى الأرض مثاقلين، وحملوا أنفسهم على الموت متحاملين، وظاهروا بين الخنادق، وراحوا بين المجانيق، وكلما يجن القتل من عددهم مائة اوصلها البحر ممن يصل وارءه بألف، وكلما قلوا في أعيننا في زحف، قد كثروا فيما يليه من الزحف، ولو أن دربة عساكرنا في البحر كدربتها في البر، لعجل الله منهم الانتصاف واستقل واحدنا بالعشرة ومائتنا بالألف وقد اشتهر خروج ملوك الكفار في الجمع الجم، والعدد الدهم كأنهم إلى نصب يوفضون، وعلى نار يعرضون، ووصولهم على جهة القسطنطينية -يسر الله فتحها- على عزم الائتمام إلى الشام في منسلخ الشتاء ومستهل الصيف، والعساكر الإسلامية لهم تستقبل وإلى حربهم تنتقل، فلا يؤمن على ثغور المسلمين أن يتطرق العدو إليهم وإليها، ويفرغ لها ويتسلط عليها، والله من ورائهم محيط، وإذا قسمت القوة على تلقي القادم وتوقي المقيم، فربما أضر بالاسلام انقسامها، وثلمه والعياذ بالله انثلامها.

ولما مخض النظر زبده، وأعطى الرأي حقيقة ما عنده، لم نر لمكاثرة البحر إلا بحراً من أساطيله المنصورة فإن عددها واف، وشطرها كاف، ويمكنه -أدام الله تمكينه- أن يمد الشام منه بعد كثيف، وحد رهيف، وبعهد إلى واليه أن يقيم إلى أن يرتبع ويصيف، ويمكنه أن يكف شطر الأسطول طاغية صقلية ليحص جناح قلوعه أن تطير، ويعقل عباب بحره أن يغير، ويعتقله في جزيرته، ويجري إليه قبل جريرته، فيذهب سيدنا وعقبه بشرف ذكر لا ترد به المحامد على عقبها، ويقيم على الكفر قيامة يطلع بها شمس النصر من مغربها، فإذا نفذ طريقه وعلم الناس بموفده، اوردوا وأصدروا في

مورده، وشخص المسلم والكافر: هذا ينتظر بشرى البدار، وهذا يستطلع لمن تكون عقبى الدار، وخاف وطأة من يصل من رجال الماء من وصل من رجال النار، ولو بزقت عليهم بازقة غريبة لأغرقهم طوفانها، ولم طلعت عليهم جارية بحرية لنعقت فيهم بالشتات غربانها.

وما رأينا أهلاً لهذه العزمة إلا حضرة سيدنا ادام الله صدق محبة الخير فيه، إذ كان منحه عادة في الرضى به وقدرة على الإجابة، ورغبة في الإنابة، ولاية لأمر المسلمين ورياسة الدنيا والدين، وقياماً لسلطان التوحيد القائم بالموحدين وغضباً لله ولدينه، وبذلاً لمذخوره في الذب عنه دون ما عوده، والآن فقد خلا الاسلام بملائكته، لما خلا الكفر بشياطينه، وما أجلت السوابق إلا لإطلاقها، ولا أثلت الذخائر إلا لإنفاقها، وقد استشرف المسلمون طلوعها من جهته المحروسة، جارا من الأساطيل تغشى البحار، وليالي من المراكب تركب من البحر النهار، وإذا خفقت قلوعها خفقت للقلاع قلوب، وإذا تجافت جنوبها عن الموج تجافت من الملاعين جنوب؛ فهي بين ثغر كفر تعتقله وتحصره، وبين ثغر إسلام تفرج عنه وتنصره، يكون بها مصائب عند المسلمين، وتظل قلائد المشركين لغربان بحره طرائد، ويمضى سيف الله الذي لا يعدم في كل زمان فيعلم معه أن سيف الله خالد، أعز الله الإسلام بما يزيد حضرة سيدنا من عزها، فيما مد عليها من ظلها، وبما يسكنه من حرزها، فيما يبسط على الأعداء بها من بأسها ويغزل بهم من رجزها، وبما يجرده من سيوفها التي تقطع في الكفر قبل سلها وهزها))[1].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٥٢٦-٥٣٠.

الملحق رقم (٨)

نص كتاب الملك لويس التاسع إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب.

((بسم الإله الفصيح، صاحب الدين الصحيح، عيسى بن مريم المسيح، أما بعد، فإنه لم يخف عليك ولا على كل ذي عقل ثاقب، وذهن لازب، أنك أمين هذه الملة الحنيفية، وأنا أمير هذه الملة النصرانية، وليس خفي عنك ما فتحنا من بلاد الأندلس والسبارا، وأخذنا النساء والعذارى، وفرقناهم على ملة النصارى، وجعلنا رجالهم أسارى، ونسائهم عليهم حيارى. وقد علمت ما نحن فيه من حق الرعية لما فتحنا بلاد المهدية، وعفونا على ثغر الأسكندرية، فلا تلجئ العالم إلى العسف ولا تسيمهم بسيماء الخسف، نقتل العباد، وندوس البلاد، ونطهر الأرض من الفساد، فإن قابلتنا بالقتال، فقد اوجبت على نفسك ورعيتك النكال، وأرميتهم في أشر الوبال، يكثر فيهم العويل، ولا نرحم عزيز ولا ذليل، ولا تجد إلى نصرتهم من سبيل، ونحن نشرح لك ما فيه الكفاية، وأبذلنا غاية النصيحة والهداية، أن تنقل إلى عندنا ما عندك من الرهبان، وتحلف لنا بعظائم الأيمان، أن تكون لنا نائباً على مر الأزمان، وتعجل لنا بما عندك من مراكب وطرائد وشواني، ولا تكون فيك فترة ولا توان، لتكون قلوبنا راضية عليك، ولا تسوق البلاء بيدك إليك، وتكون على نفسك وجيشك قد جنيت، وتعود تقل (يا ليت)، وتضع الحرب اوزارها، وتشعل نارها، ويتعالى شرارها، ويقم فنارها، وتأخذ منكم بتارها، فسيوفنا حداد، ورماحنا مداد، وقلوبنا شداد، ويحكم بيننا وبينكم رب العباد، فإن كانت لك فهدية ألقت بين يديك، وإن كانت لنا فيدنا العليا عليك، إذا استحق بالإضافة إمارة الملتين، وحكم الشريعتين، وبيد الله تعالى السعادة وهو الموفق للإرادة))[1].

---

(١) الدواداري، كنز الدرر، ٧/ ٣٦٦-٣٦٧.

الملحق رقم (٩)

نص رد الملك الصالح نجم الدين أيوب على كتاب الملك لويس التاسع.

((بسم الله الرحمن الرحين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على القوم الظالمين، من عند القارئ على حرم المسلمين، والقارئ كتاب رب العالمين، المنزل على خير المرسلين، محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الأنصار والمهاجرين، صلاة دائمة إلى يوم الدين. أما بعد، فقد وصل كتابك، وفهمنا لفظك وخطابك، وها أنا قد أتيتك بالخيل والرجال، والخزائن والأموال، والعساكر والأثقال، والقيود والأغلال، فإن كانت لك فأنت الساعي، وقد أمنت الناعي، وإن كانت عليك فإن الباغي لحتفك، والجادع أنفك بظلفك، فإن رأيت أن لا تقيم بين الفئتين ضغناً، فلذلك من الله علينا وعليكم مننا، وإن غير ذلك فقد قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾، **ولما وصل إلينا كتابك أعطيناك جوابك،** ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرۡشِدًا﴾ ، **وفي كتابك تهددنا بجيوشك وأبطالك، وخيلك ورجالك، اوما تعلم أن نحن أرباب الحتوف، وفضلات السيوف، ما نزلنا على حصن إلا هدمناه، ولا عدم منا فارس إلا جددناه، ولا طغى علينا طاغ إلا دمرناه، فلو نظرت أيها المغرور جد قلوبنا وجد حروبنا، لرأيت فرساناً أسنتهم لا تمل، وسيوفهم لا تكل، وقلوبهم لا تذل، ولعضيت على يدك بسن الندم، ولأخرك تحريك قدم عن قدم، فلا تعجبك العساكر التي بين يديك، فهو يوم اوله لنا وآخره عليك، إذا أتاك كتابي هذا فلتكن منه بالمرصاد، على اول سورة النحل وآخر سورة ص:** ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾، ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾، **هناك تتطاول نحوك الأعناق، وتشخص صوبك العيون، ويشوبك الويل، وتسوءك الظنون،** ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾**))**[١].

---

(١) الدواداري، كنز الدرر، ٧/ ٣٦٧-٣٦٨.

الملحق (١٠)

مقتطفات من وصية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب قبل وفاته لابنه وولي عهده تورانشاه سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)

" بسم الله الرحمن الرحيم"

الولد تورانشاه أصلحه الله ووفقه يا ولدى، أنت تعلم ما سبب تأخير طلبك إلا ما أعلمه منك، من الصبانية والجرأة وقلة الثبات، والملك ما يحتمل هذا. والوالد ما يشتهى لولده إلا الخير. والخصائل التي أعرفها منك اتركها، يدوم لك الملك. وإن أنت خالفت أمرى وبقيت على ما أعلمه منك، يروح منك الملك. واثبت في جميع أمورك. وسن سيرتي في العسكر. واترك الأشياء على ما هي عليه: كل أحد متولى الشغل الذي هو فيه، ولا تحدث حادث.

والوصية بجميع الأمراء، وأكرمهم واحترمهم، وأرفع منزلتهم. فهم جناحك الذي تطيربه، وظهرك الذي تركن إليه. وطيب قلوبهم، وزيد في إقطاعهم. وزيد كل أمير على ما معه من العدة عشرين فارس. وأنفق الأموال. وطيب قلوب الرجال، يحبوك وتنال غرضك في دفع هذا العدو. ولا تؤاخذ بما جرى في دمياط، فهذا أمر سماوى، ما لأحد في هذا حيلة. والأخ فخر الدين بن الشيخ ما عندى من أقدم سواه، فأكرمه، وأحترمه كما تحرمني. واجعله عندك كالولد. واسمع قوله ورأيه ولا تخالفه، واجعل له من العدة مائتي فارس...، والذي أعرفك به يا ولدي: لما نزل العدو على زمن الشهيد -رحمة الله- على دمياط، ما كان فيها سوى الوإلى والكنانية، وأهلها حفظوها إلى أن وصل الشهيد من القاهرة، وعسكر مصر من الشام. وما قدر العدو ينزل بر دمياط، وما كان فيها ذخيرة شهر واحد.

فلما اختلف العسكر على شهيد -رحمة الله- وتحزبوا —مثل ابن المشطوب والأكراد— مع الملك الفائز، غضب الشهيد، وساق إلى أشموم. وتبعه العساكر، وتركوا جميع الخيم والقماش. وخرج من دمياط من خرج، الوإلى. وما بقى فيها إلا أهلها. وغلوفها وقعدوا فيها وحفظوها، إلى أن مات أكثر من فيها والباقي تكشحوا، وخلصت الأصوار من المقاتلين. فصعدت الفرنج وأخذتها، بعد أن تعبوا من النقوب من تحت الأرض، وشربوا بالبتاتي، والزحف عليها من جميع الجهات، وما قدروا يأخذوها. وأنا قويت دمياط، وملأتها ذخائر من كل شيء، يكفيها عشرين سنة، مع ما كان عند أهلها من الذخائر. واكشف من الديوان يعرفوك ما كان فيها من الخيرات. وقويتها بجميع عسكر الديار

المصرية، من فارس و راجل، ونقدى، وما خليت لها عذر، حتى بقيت وحدى في أشموم بسبب المرض.

فلما أن أقبل العدو وشاهدوه وطلبو البر بالحريق، انهزموا وسلموا لهم البر، واشتغلوا بالنساء ونقلهم من دمياط، وهربت العوام وتبعهم الأجناد. وكان المقدم عليهم الأخ فخرالدين ساق خلفهم وردهم، وجعل على أبواب دمياط كل باب أمير. فلما أصبح، ما وجد في المدينة أحد. هربوا الكنانية في الليل، وكسروا الخوخ ونزلوا من السور، وتركوا أموالهم وذخائرهم نهبوها المسلمين بعضهم بعض. وأدخلوا دمياط، حتى أخذتها الفرنج ثاني يوم. وهذا كله بقضاء الله وقدره.. واصبر تنال ما تريد.

وهذا العدو المخذول، إن عجزت عنه، وخرجوا من دمياط وقصدوك، ولم يكن لك بهم طاقة وتأخرت عنك النجدة، وطلبوا منك الساحل وبيت المقدس وغزة وغيرها من الساحل – أعطيهم ولا تتوقف، على أن لا يكون لهم في الديار المصرية قعر قصبة. وإن نزلوا منزلة من تقدمهم من العدو قبالة المنصورة، فرتب العسكر يكونوا ثابتين خلف الستاير مع البحر، ليل و نهار. فهم ما لهم زحف إلا بالشواني فقووا الشواني، كيفما قدرتم. واجهدوا أن يكون بعض الحراريق على بحر المحلة من خلف مراكبهم، تقطع عنهم الميرة. وهو يكون -إنشاءالله- سبب هلاكهم. فتلك المرة ما انتصر الشهيد - رحمه الله - عليهم إلا من بحر المحلة.

وتكون العرب مع الخوارزمية مع ألفين فارس بينهم وبين دمياط. واستخدم، الفارس والراجل. وأنفق الأموال ولا تتوقف. وإن كان الشرق لا ينجدوك لأجل الناصر وإسماعيل، واشترطوا أن ترد عليهم بلادهم، ورأيت الغلوبية، ولا بد من ذلك وإلا ذهب الملك- فالضرورات لها أحكام.

إعلم –يا ولدي– أن الديار المصرية هي كرسي المملكة، وبها تستطيل على جميع الملوك. فإذا كانت بيدك، كان بيدك جميع الشرق. ويضربوا لك السكة والخطبة ،....

وانظر يا ولدي في ديوان الجيش. فهم الذين أفسدوا البلاد و أخربوها –وهم النصارى– أضعفوا العساكر، وكأن البلاد ملكهم يبيعوها بيع. إذا كتي منشور لأمير يأخذوا منه المائتين وأكثر، ومن الجندي من المائة ونازل . ويكون الجندي خبزه ألف دينار يفرقوا خبزه في خمس ست مواضع: في قوص وفي الشرقية وفي الغربية، فيريد الجندي أربع وكلاء، يروح الخبز للوكلا. ومتى يحصل للجندي من خبزه شئ، إذا كان مثلا في بيكار و يقاسى العليقة بثلاثة نقرة ، كيف يكون حاله؟ يخرب بيته ويهلك! فهذا سبب هلاك الجندي. والنصارى يقصدوا هذا، لخراب البلاد وضعف الأجناد، حتى

تروح منا البلاد. وجندي يحصل له وجندي ما يحصل له شئ أصلا. ترد عبرة البلاد إلى ما كانت عليه في زمن صلاح الدين – رحمه الله . والجندي لا يكون خبزه مفرق، بل في موضع أو موضعين قريبين.

فتعمر البلاد ويقوى الجندى ويقوى الفلاح. فإذا كانوا جماعة في بلد، وكل أحد يخرب من ناحية ويجور المقطعين على الفلاحين، تخرب البلاد. وهذا كله فعل النصارى وبلغني أنهم بعثوا إلى ملوك الفرنج في الساحل في الجزائر وقالوا لهم أنتم ما تجاهدوا المسلمين بل نحن نجاهدهم الليل والنهار، يأخذ أموالهم ونستحل نسائهم ونخرب بلادهم ونضعف أجنادهم، تعالوا خذوا البلاد، ما تركنا لكم عاقة، فالعدو معك في دولتك، وهم النصارى ولا تركن لمن أسلم منهم ولا تعتقد عليه، فما يسلم أحد منهم إلا لعلة، ودينه في قلبه باطن كالنار في الحطب،

يا ولدي، أكثر الأجناد اليوم عامة، وباعة وقزازين: كل من لبس قباء وركب فرس، وجاء إلى أمير من هؤلاء الترك، وقدم له فرس، ويُبَرطِل نقيبه وأُستاذ داره على خبز جندي، من جندي معروف بالشجاعة والحرب طرده أميره وأعطى خبزه لذلك العادي الذي لا ينفع وأكثرهم على هذه الحالة، فإذا عاينوا العدو وقت الحاجة هربوا، وينكسروا العسكر لأنهم ما يعرفوا قتال، ولا هو شغلهم فينبغي أن لا يستخدم إلا من يعرف يلعب بالرمح على الفرس، ويرمي بالنشاب والأكرة، وتظهر فروسيته حينئذ يستخدم.

واحفظ يا ولدي ما أقول لك، فهذا جميعه ما عرفني به إلا الأخ فخر الدين، وأخبرني أنه وقف على كتاب بخط صلاح الدين أن الفيوم وسمنود والسواحل والخراج للأسطول فالأسطولُ أحد جناحي الإسلام، فينبغي أن يكونوا شباعاً ورجال الأسطول إذا أطلق لهم كل شهر عشرين درهم مستمرة راتبه، جاءوا من كل فج عميق ورجال معروفين بالقذف والقتال، وإنما تجو وقت الحاجة تقبضوا ناس مستورين لهم أطفال وبنات، وهو الذي يطعمهم ويسقيهم، تأخذوه في الأسطول ولا ينفع، تموت أطفاله بالجوع، ويدعو علينا، كيف تنتصر على العدو؟ وتأخذوا إلى البحر عند قبض الأسطول كل يوم ألف دينار، لأنه يقبض من الصبح إلى المغرب، مساتير وبياعين وأرباب معايش، يجو أهاليهم إلى بيت الوالي كل أحد يزن الذهب ويخلص نفسه، والفقير الذي ماله قدرة تحدروه في المراكب، فقد نبهت الولد على هذه الأشياء، والأخ فخر الدين عرفني بهذه الأحوال جميعاً فاسمع ما يقوله لك.

الولد يتوصى بالخدام محسن ورشيد والخدم المقدمين لا تغيرهم، فما قدمت أحد من الخدام ولا من المماليك إلا بعد ما تحققت نصحه وشفقته وأستاذ الدار وامير جاندار تتوصى بهم وكذلك الحسام لا تغيرهم فإني أعتمد عليهم في جميع أموري.

القيمرية، الولد لا يسمع كلام بعضهم في بعض، وناصر الدين عنده كذب وخبث، وما باطنه جيد، وقد عرفت الأخ فخر الدين الرسل الذي مسكوا من دمشق إلى حلب من عنده والحسام يكون بمفرده لا حل ولا ربط، وضياء الدين القيمري إن احتاجوا إلى أن يخرج عسكر إلى جهة من الجهات يكون مقدم، وناصر الدين أرجل لا يخرج مع عسكر، وسيف الدين القيمري تعمل معه ما يقرر مع الأخ فخر الدين، يكون مقدم العسكر في دمشق وابن يغمور مشد وناصر الدين على المظالم فابن يغموا يصلح يكون مشد ووالي وجابي الأموال ولا يصلح يكون مقدم على عسكر، ولا يصلح لجنديه، ولا تؤمن إليه كل الأمن، بل تمشى به الحال في مكان مدة، ثم ينقل إلى غيره وهو بالكتاب أليق،...

وتتوصى بالمماليك غاية الوصية، فهم الذي كنت أعتمد عليهم وأثق بهم، وهم ظهري وساعدي تتلطف بهم، وتطيب قلوبهم وتوعدهم بكل خير، ولا تخالف وصيتي ولولا المماليك ما كنت قدرت أركب فرس، ولا أروح إلى دمشق، ولا إلى غيرها فتكرمهم وتحفظ جانبهم. فهذه وصيتي إليك، فاعمل بما فيها ولا تخالف وصيتي وكل يوم طالعها، واقف عليها، ولا تعمل شيء دون أن تشاور الأخ فخر الدين، والله يقدر بما فيه الخير إن شاء الله تعالى.

يا ولدي إن ألزموك الحلبيين أن تدفع الكرك إلى الناصر فأعطه الشوبك، وإن لم يرض زده من الساحل حتى يرضى ولا تخرج الكرك من يدك... الله الله احفظ وصيتي فلا تعلم ما يكون من هذا العدو والمخذول لعله -والعياذ بالله- أن يتقدم إلى مصر يكون ظهرك الكرك، تحفظ فيه رأسك وحريمك، فمصر ما لها حصن، ويجتمع عندك العسكر وتتقدم إليهم، تدرهم عن مصر وإن لم يكون لك ظهر مثل الكرك تفرقت عنك العساكر، وقد عزمت أن أنقل إليها المال والذخائر والحرم، وكل شيء أخاف عليه وأجعلها ظهري، والله ما قوى قلبي واشتد ظهري إلا لما حصلت في يدي.

الحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه[1].

---

(١) النويري، نهاية الارب، ٢٩/٣٤١-٣٥٢.

الملحق رقم (١١)

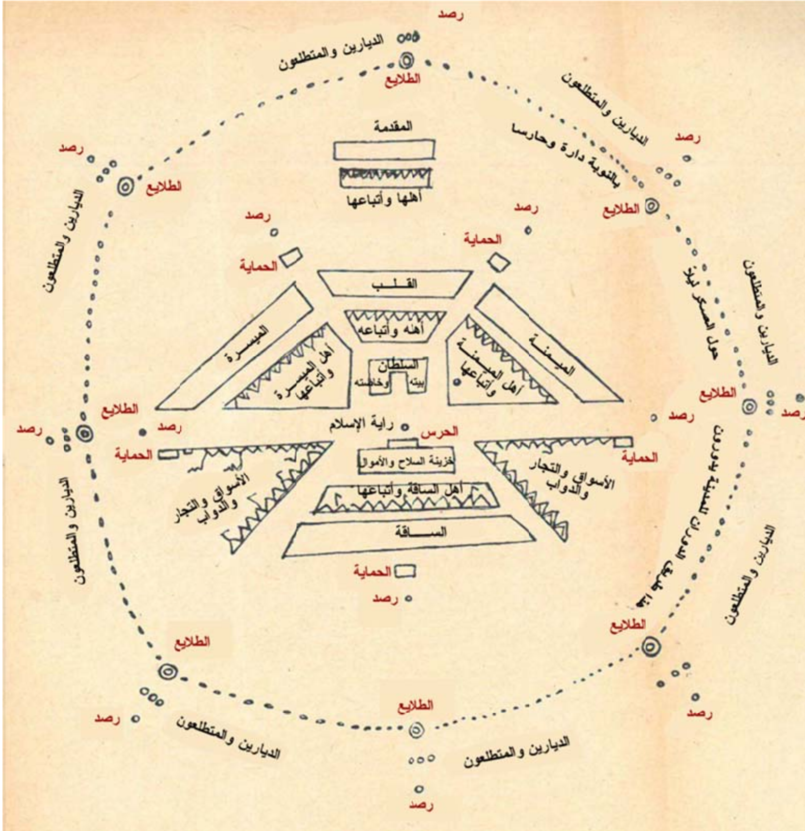
خريطة الدولة الأيوبية والامارات الإسلامية والصليبية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي



سمير حسين عبد الكريم أبو محسن، خلفاء صلاح الدين عند ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" دراسة تاريخية منهجية، ٥٨٩-٦٤٨هـ/ ١١٩٤-١٢٥٠م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، (غزة: ٢٠١٣)، ص٢٢٦.

الملحق رقم (١٢)

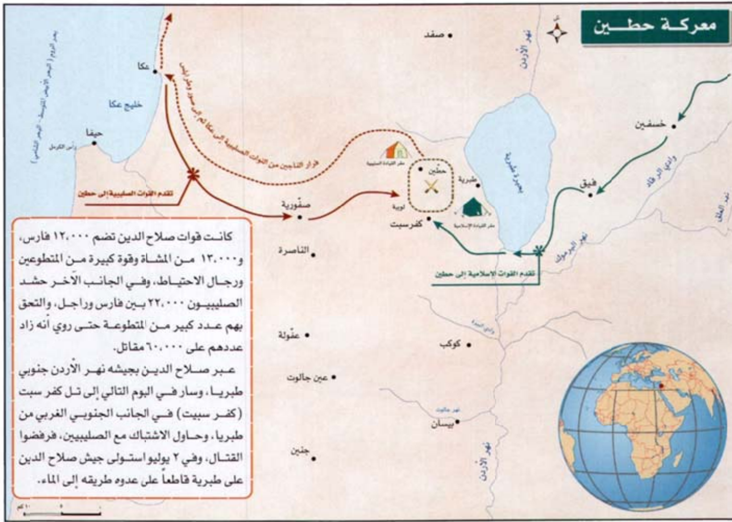
المعسكر الأيوبي



سعداوي، جيش مصر، ص١٨.

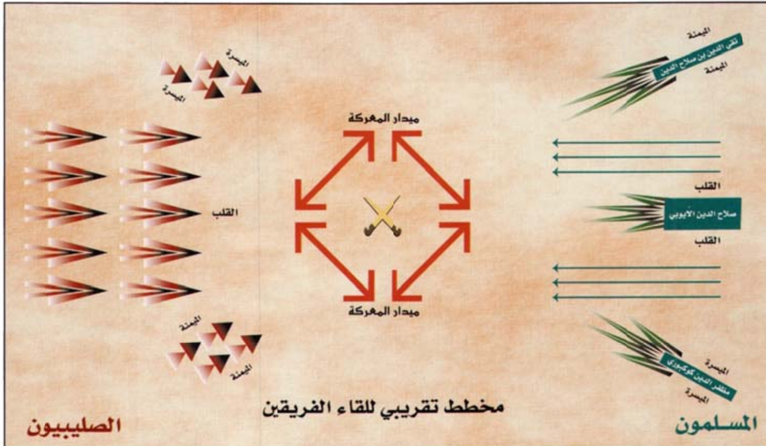
الملحق رقم (١٣)

معركة حطين



الملحق (١٤)

مخطط لموقع الفريقين في معركة حطين



سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث، اطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، (الرياض: ٢٠٠٩)، ص١٠٥

الملحق رقم (١٥)

حصار دمياط



المغلوث، اطلس، ص١٥٤.

الملحق رقم (١٦)

مخطط معركة المنصورة الاولى في الحملة الصليبية الخامسة



الملحق (١٧)

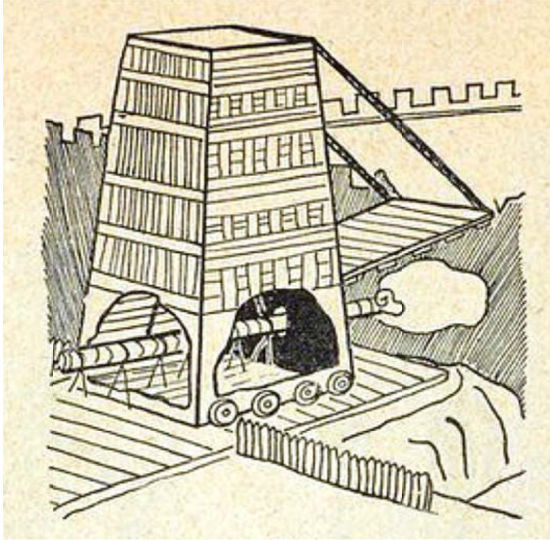
مخطط معركة المنصورة الثانية في الحملة الصليبية السابعة



المغلوث، اطلس، ص ص١٥٥، ١٧٥

الملحق رقم (١٨)

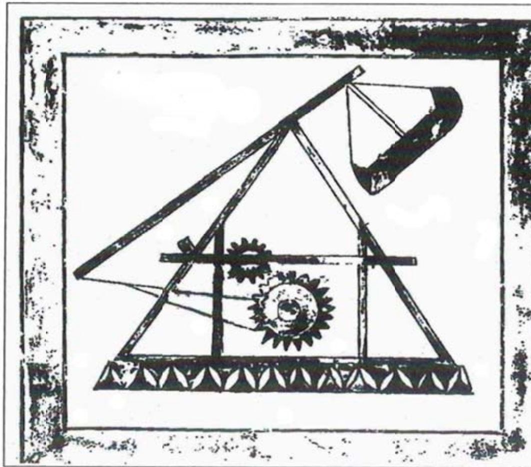
دبابة



زكي، السلاح، ص٢٥

الملحق رقم (١٩)

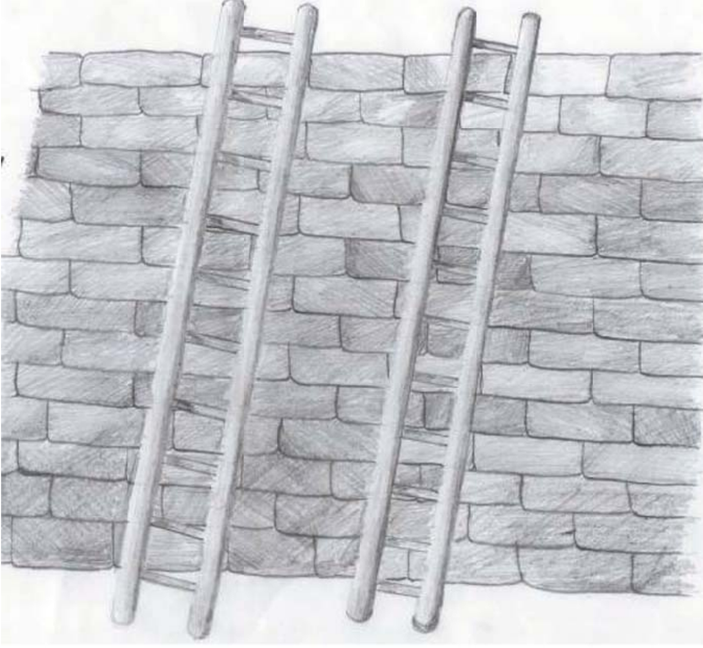
المنجنيق



حسن الرماح، الفروسية، ص١٤٩.

الملحق رقم (٢٠)

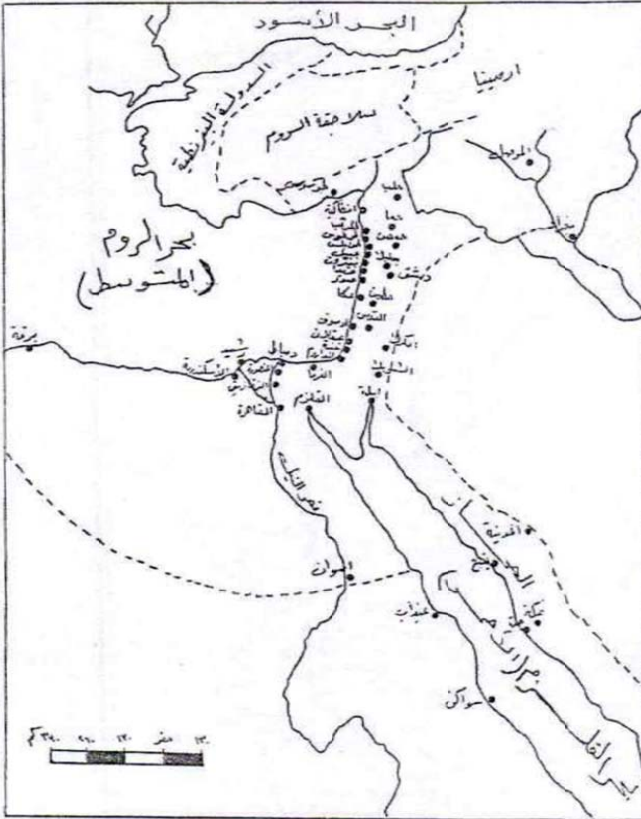
لــوحة تمثل آلة من آلات الحصار (السلالم)



الصوافي، القلاع، ص٨٨.

الملحق (٢١)

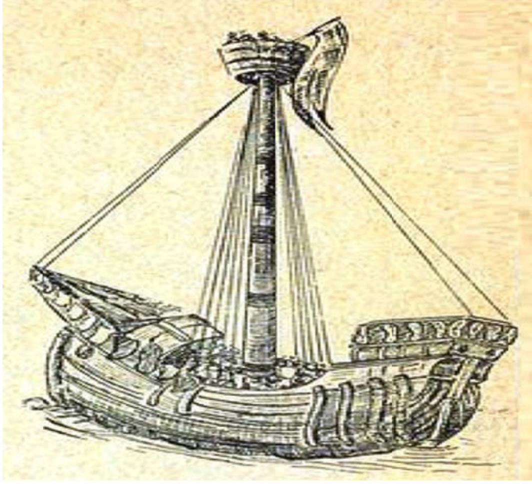
خارطة المواقع البحرية الأيوبية في مصر وبلاد الشام



قادر، البحرية الأيوبية، ص٢٢٥.

الملحق رقم (٢٢)

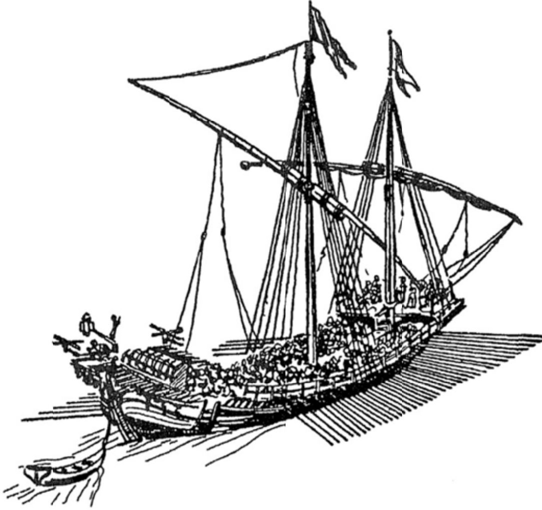
حراقة من حرايق المسلمين



بركات، فن الحرب، ص١٥٢

الملحق رقم (٢٣)

شانية من شواني العرب



الخانكي، تاريخ البحرية، ص١٣٥.

کورتیا ڤەکولینێ

هونەرێ شەری ل سەردەمێ ئەیوبیان
(٥٧٠-٦٥٢هـ/ ١١٧٤-١٢٥٤م)
ڤەکولینەکا مێژوویی - شروڤەکاری

ئەڤ ڤەکولینە یا هاتیە دابەشکرن ل سەر دەستپێکەکێ و دەرازینکێ و پێنج پشکان،د دەرازینکێدا، ئەڤا ب ناڤ ونیشانێن (هێڤێنێ هونەرێ شەری وبنەماییێن وی)، دڤی تەوەریدا، باسی واتا زمانی و زاراڤی یا هونەرێ شەری و شەنگستێن وی یێن سەرەکی هاتیەکرن.

ل پشکا ئێکێ، ئەوا ب ناڤ و نیشانێن، پێکهاتێن جڤاکێ شەری یێ ئەیووبی، گرنگی دایە باسکرنێ لدور گرنگترین وان رەگەز و تەخ وپێکهاتێن مروڤی یێن هێزێن ئەیووبی یێن لەشکەری، ژ دامەزراندنا دەولەتێ تا کفتنا وێ یا فەرمی، وب تایبەت گولپیتکا وێ پێکهاتێ ئەوژی سولتانێن ئەیووبینە، وبەردانا تیروژکا ل سەر تایبەتمەندیا سولتانێن ئەیووبی یێت مەزن، ئەوێن شیاین کاریگەریەکا بەرچاڤ ل ترازییێن شەران بکەن. زێدەباری خویاکرنا رولێ شاهێن بنەمالا ئەیووبیان، ژ کورێن سولتانان و وشاهێن بنەمالێ، وبەرچاڤکرنا شیانێن وان دشەرێن دەولەتێدا دژی خاچپەرێسان یان ل سەر ئاستێ شەرێن ناڤخویی یێن دەولەتێ.

هەروەسا ل ڤێ پشکێ وەك نموونێت مێژوویی باسی مەزنە سەرکردە ومیرێن دەولەتا ئەیووبی هاتیەکرن، ژ کورد و تورك وعەرەبان، وچەوانیا پشکدارییێن وان دشەرێن جودا دا، وگوهورینا ترازیا پالپشتیکرنێ دناڤ دولەتێدا ل سەر وان میر و سەرکردان ل دور کاودانێن سیاسی ولەشکەری، ژبلی هندێ باس ل وان سوپا وهێزێن لەشکەری یێن تایبەت هاتیەکرن مینا ئەسەدیە وسەلاحیە، وهندەکێن دی ئەوێن رولەکێ بەرچاڤ هەی دستڤەئینانا سەرکەفتناندا د شەرێن مەزندا، زێدەباری خویاکرنا رولێ هندەك سوپاییێن کرێگرتی ژلایێ دولەتێڤە مینا لەشکەرێ خەوارزمی وهەلویستێ وان یێ دووجەمسەر.

ل پشکا دووێ، ئەوێ ب ناڤ ونیشانێن، چەك وئامیرێت شەری یێن ئەیووبی، ڤەکولەرێ ب تێرو تەسەل ئاماژە دایە چەکێن شەری ل سەردەمێ ئەیووبیان، وجورێن وان یێن جودا، ژ چەکێ گران و چەکێ سڤك، ئەوێن ل شەرێن ئێکسەر داهتنە ب

کارئینان یێن هێرشبرنێ و شەرێن بەرەڤانیێ، زێدەباری ئاخفتن ل سەر جھ و مەلبەندێن چێکرنا چەکی هاتیەکرن، وپشتەڤانیا سولتان و شاهێن ئەیووبی بو چێکرن و پەیداکرنا باشترین جورێ چەکی بو سەرباز و شە رڤانێن خو، دهەمان دەمدا تیروژك بەردابنە ل سەر وان هێز و کومێن پشتەڤان بو لەشکەرێ سەرەکی، وەکی، هێزێن ئەندازیاری و خزمەتگوزاری وخوبەخش و زان و خەلکەکێ گشتی ئەوێن رولەکێ بەرز هەی د رێکخستنا سێگوشەویا لەشکەری یا ئەیووبیدا.

پشکا سیێ، ئەوا ب ناڤ ونیشانێن، هێزێن دەریایی ل سەردەمێ ئەیووبیان، ئاماژێ ددەتە کاودانێن لەشکەرکێشیا دەریاگەری یا ئەیووبیان، وخویاکرنا وان سەروبەرێن سولتان سەلاحەددین پالدای گرنگیێ ب دەتە ب هێزئێخستنا لەشکەرێ دەریایی و کەشتەکەلیا شەری یا ئەیووبی. و ئەو پێنگاڤێن تەڤگر یێت سولتانی هاڤێتین بو دورستکرنا هێزەکا دەریای یا رێك وپێك (موکم) بشێت ململانێ ل گەل هێزا خاچ پەرێسان بکەت و کنارێن مسر وشامێ ب پارێزیت ژ هێرشێن وان. و ژلایەکێ دیڤە باس ل ڤێ هێزێ هاتیەکرن ل سەردەمێ سولتانێن پاش سەلاحەددینی، وچەوانیا سەرەدەریا وان ل رگەل کەشتەکەلیا ئەیووبی. هەروەسا باس ل چەك و ئامیرە وپێکهاتێ لەشکەرێ دەریایی و پلە و کارێن وان ژی هاتیەکرن.

ل پشکا چوارێ، یا بناڤ ونیشانێن، خوبەرهەڤکرنێن ئەیووبی یێن گشتی بو شەری، د ڤێ پشکێدا ب بەرفرەهی، باسی وان هەمی خوبەرهەڤرنان هاتیەکرن ئەوێن ئەیووبیان، رژدی ل سەردکر، بەری هەر شەرەکی بکەن، دئەنجام د سەرکەفتی بن، چنکو بێی خوبەرهەڤکرنەکا راست ودورست، ئەو ئارمانجا سەرەکی ئەڤا دەولەتێ ددانا، نەدهاتە بجهئینان، ئەڤجا هەمی لایەنێن بەرهەڤکرنێن لوجستی ژ لەشکەرەکێ خورت وزیرەك و چاڤنەترس و خوگوریکەر، وبلندکرنا وورەی دناڤ لەشکەری و خەلکێ گشتیدا ب رێکێن جودا جودا، ورێخوشکرنا ژینگەهەکێ پێدڤی و گونجای، زێدەباری بەرهەڤکرنا پشتەڤانیێن دارایی وئابووری یێن پێدڤی، ب مەرەما دەستڤەئینانا سەرکەفتنێ.

ل پشکا پێنجی ودوماهیێ، ئەڤا ب ناڤ و نیشانێن، شێوازێن شەری یێن ئەیووبی، ئەڤ پشکە هاتیە تەرخانکرن بو ئاماژەپێدانێ ب وان شێواز و رێکێن ل سەردەمێ ئەیووبیان دهاتنە ب کارئینان ، د شەرێن دەرڤەیی و شەرێن ناڤخوییدا ، ئەو شێوازێن ل هەر شەرەکی جودا دهاتنە ب کارئینان، ل پەی کاودان و ژینگەهێ شەر تێدا داهاتە ئەنجامدان، مینا شێوازێ دورپێچکرنێ و گرنگی پێدان ب ئاڤکرن و نوژەنکرنا

دەزگەهێن هێرشبرنێ و بەرەڤانیێ، و ب کارئینانا شێوازێ بوسەکرنی، دژی دوژمنان، ژبلی شێوازێ خرابکرن وهەرڤاندن و سوتنا جهـ و ئەردێن جودا ب مەرەما زیان گەهاندنا دوژمنی، ل گەل ب کارهێنانا شێوازێن، کومکرنا دەنگ وباسێن دوژمنی ب رێکا سیخوران وکارێ هە ولاگیریێ وپوستەیێ تایبەت، وب جهئینانا ڤان شێوازان، سەرکردایەتیا ئەیووبی هانددا بازنەکێ بجهئینانێ یێ بەرفرەهـ بێخیتە دخزمەتا وان کەساندا یێن ل وان فەرمانگەهان کاردکرن، ژ لەشکەرەکێ زیرەك، وچەکەکێ باش وپێشکەفتی، وپشتەڤانیەکا دارایی یا بەردەوام، ژبلی دانانا پلانێن زیرەك.

Abstract

The Art of War in the Ayyubid Era (570 - 652 AH / 1174 - 1154 AD) Historical-Analytical Study

This study, beside introduction, it included the reasons for choosing the topic, its importance and objectives, the questions raised about the study, the method used in writing this study, then the general framework of the study that was divided into an introduction and five chapters with a number of conclusions that emerged from the study.

In the preface, that is marked as (the art of war and its origins), where researcher dealt with the linguistic meaning of the art of war, and the basic principles of this art.

The first chapter entitled (Elements of the Ayyubid War Society), it focuses on the most important elements, groups and human composition of the Ayyubid forces, since the establishment of the state until the end of its era, especially the Ayyubid sultans, the position of each of them in the leadership of the state's armies during his reign, the Ayyubid kings, from the sons of the sultans themselves, and from the rest of the Ayyubid family, the roles they played in the wars waged by the Ayyubid state against the Crusaders or local conflicts, and the extent they comprehended the arts of war and combat were highlighted.Then there are the leaders and princes in the Ayyubid state from those who stood out in a remarkable way in the Crusades and internal battles, and had great experiences, courage, altruism and sacrifice, from the various nationalist elements of the Kurds, Turks, Arabs and others, and they helped their leaders in achieving victory. The Ayyubid war teams, private and public, and mercenaries, who were responsible for carrying out special military tasks, and with all of these teams were followed by other groups of support forces, such as engineering and service teams, volunteer scientists and jurists, and the general people, each played his role in the Ayyubid military institution based on their ability and how do they understood it.

In the second chapter entitled (weapons and tools of the Ayyubid war), the researcher dealt with the weapons of combat in the Ayyubid era, and the main centers for the manufacture of heavy and light weapons, as well as the interest of the Ayyubid sultans in the weapons coffers and their attempt to provide the best

weapons for the fighters, in addition to securing the rest of the war tools and equipment from Clothes, gear and munitions, as well as horses and beasts.

While in the third chapter entitled (the navy in the Ayyubid era), discuss the conditions of the navy before the Ayyubid era, and the circumstances that led the Ayyubids, especially Sultan Saladin, to make interest in the navy and the war fleet, and what he did to strengthen the mentioned fleet, later the chapter discusses the situations that the Ayyubid navy came to him after the reign of Salah al-Din, specifically during the reign of the two kings al-Adil and al-Kamil al-Ayyubi, all the way to the reign of al-Malik al-Salih Najm al-DinAyyub, who worked hard to restore the spirit to the navy and the Ayyubid fleet, after he lived through a period of stillness and neglect, and his son Sultan Turan Shah continued his work in continuity, the fleet remains strong.

The fourth chapter of this study titled (general preparations for war in the Ayyubid state), this chapter deals with the preparatory stages and the complete preparation before going to battle. The Ayyubid military command issues and their decisions after consulting with opinion-holders in the Military Council, to march to battle, and everyone hopes to achieve victory in the mission entrusted to those soldiers.

The fifth and final chapter named (the Ayyubid fighting methods), it is devoted to deal with some of the methods that the Ayyubids used in their wars, both external and internal wars, those methods that differed from each other in terms of type, content and application, although they all depend on a circle Joint executive, from the required soldiers, advanced weapons, supporting funds, smart planning to manage the battle. Including the method of siege, defensive fortifications, the method of ambushes , the method of demolition, sabotage, the method of monitoring information and news, and broadcasting spies around to gather news.

Kurdistan Regional Government – Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Reseatch
Duhok University
College of Humanities
History Deparement



THE ART OF WAR IN THE AYYUBID ERA (570-652 AH / 1174-1154 AD) A Historical-Analytical Study

A thesis Submitted to the Council of the College of Humanities- University of Duhok in Partial of Fulfillment of the Requirements for the Doctorate Degree in Islamic history

Submitted by a student
Jihan Taher Haji AL-Doski

Supervised by
Prof. Dr. Karavan M. Ahmed

2722 K 2022 A.D 1444 H